شرح العلامة الزرقاني

المتوفى سنة ١١٢٢ هـ

على

المواهب اللدنية بالمنح المحمدية

للعلامة القسطلاني

المتوفى سنة ٩٢٣ هـ

ضبطه وصححه

محمد عبد العزيز الخالدي

الجزء الثاني عشر

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ١١ - ٩٤٢٤ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

النوع السابع

من عباداته عليه الصلاة والسلام

في نبذة من أدعيته وذكره وقراءته

اختلف هل الدعاء أفضل أم تركه والاستسلام للقضاء أفضل؟

فقال الجمهور: الدعاء أفضل، وهو من أعظم العبادة، ويؤيده ما أخرجه الترمذي من حديث أنس رفعه: «الدعاء مخ العبادة». وقد تواترت الأخبار عنه ﷺ بالترغيب في الدعاء والحث عليه. وأخرج الترمذي وصححه ابن حبان والحاكم

(**النوع السابع: من عباداته عليه الصلاة والسلام في نبذة**) بضم النون شيء قليل (**من أدعيته**) جمع دعاء (**وذكره**) ظاهره تغايرهما، وفي التحفة: الذكر لغة كل مذكور، وشرعًا قول سيق لثناء أو دعاء، وقد يستعمل شرعًا أيضًا لكل قول يثاب قائله (**وقراءته**) القرءان الكريم (**اختلف هل الدعاء أفضل أم تركه والاستسلام للقضاء أفضل، فقال الجمهور: الدعاء أفضل وهو من أعظم العبادة**).

(**ويؤيده ما أخرجه الترمذي**) في الدعوات، وقال: غريب لا نعرفه إلاَّ من حديث ابن لهيعة (**من حديث أنس، رفعه**) أي: قال: قال ﷺ (**الدعاء مخ العبادة**) أي: خالصها، لأن الداعي يدعو الله عند انقطاع أمله عما سواه، وذلك حقيقة التوحيد والإخلاص ولا عبادة فوقها فكان مخها بهذا الاعتبار، وأيضًا لما فيه من إظهار الافتقار والتبري من الحول والقوّة وهو سمة العبودية واستشعار ذلة البشرية ومتضمن للثناء على الله وإضافة الكرم والجود إليه.

(**وقد تواترت الأخبار عنه ﷺ بالترغيب في الدعاء والحث عليه**) كقوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة»، ثم قرأ: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ [غافر/ ٦٠].

رواه الأربعة وقال الترمذي: حسن صحيح وصححه أيضًا ابن حبان والحاكم عن النعمان بن بشير، وقوله: «الدعاء مفتاح الرحمة ويدر لكم أرزاقكم، تدعون الله في ليلكم ونهاركم، فإن الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموٰت والأرض»، ولأبي الشيخ والديلمي من حديث أبي موسىٰ: «الدعاء جند من أجناد الله، يرد القضاء بعد أن يبرم»، وللترمذي والحاكم، من حديث ابن عمر: «الدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء» وسنده لين، ومع ذلك صححه الحاكم، كما قاله الحافظ والأحاديث كثيرة جدًا.

(**وأخرج الترمذي**) وابن ماجه وأحمد والبخاري في الأدب المفرد والبزار (**وصححه ابن حبان والحاكم**) كلهم من رواية أبي صالح الخوزي بضم الخاء المعجمة وسكون الواو، ثم

عنه ﷺ «من لم يسأل الله يغضب عليه». وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني لا أحمل همَّ الإجابة ولكن هم الدعاء، فإذا أتممت الدعاء علمت أن الإجابة معه. وفي هذا يقول القائل:

لو لم ترد نيل ما أرجو وآمله ... من جود كفك ما عودتني الطلبا

فالله سبحانه يحب تذلل عبيده بين يديه، وسؤالهم إياه، وطلبهم حوائجهم منه، وشكواهم منه إليه، وعياذتهم به منه، وفرارهم منه إليه. كما قيل:

زاي عن أبي هريرة والخوزي مختلف فيه ضعفه ابن معين، وقواه أبو زرعة وظن ابن كثير أنه أبو صالح السمّان وليس كما قال، فقد جزم شيخه المزي بأنه الخوزي، قاله الحافظ **(عنه ﷺ: من لم يسأل)** لفظ الترمذي، أنه من لم يسأل والضمير للشأن، أي: أن الحال من لم يطلب **(الله)** من فضله **(يغضب عليه)** لأنه إما قانط أو مستكبر وكل موجب للغضب، قال الطيبي: معناه أن من لم يسأله يبغضه والمبغوض مغضوب عليه والله يحب أن يسأل، وقال ابن القيم: هذا يدل على أن رضاه في مسألته وطاعته، وإذا رضي تعالى فكل خير في رضاه، كما أن كل بلاء ومصيبة في غضبه والدعاء عبادة، وقد قال تعالىٰ: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ [غافر/ ٦٠]، فهو تعالىٰ يغضب على من لم يسأله، كما أن ابن ءادم يغضب على من سأله:

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبني ءادم حين يسأل يغضب

فشتان ما بين هذين، وسحقًا لمن علق بالأثر وبعد عن العين، قال الحليمي: لا ينبغي أن يخلي يوم وليلة عن الدعاء، لأن الزمن يوم وليلة وما وراءهما تكرار، فإذا كان ترك الدعاء أصلاً يوجب الغضب، فأدنى ما في تركه يوماً وليلة أن يكون مكروهًا.

(وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني لا أحمل هم الإجابة ولكن هم الدعاء) لاحتياجه إلى الإخلاص والخضوع والذلة، وذلك لا يتيسر في كل وقت **(فإذا أتممت الدعاء)** أتيت به على الوجه التام **(علمت أن الإجابة معه)** بوعد من لا يخلف الميعاد **(وفي هذا يقول القائل: لو لم ترد نيل ما أرجو وآمله)** بمد الهمزة وضم اللام أرجو **(من جود كفك ما عودتني الطلبا)** يعني؛ أنه اعتاد منه العطاء والإحسان متى قصده، فعلم أنه لا يريد منعه متى أتاه، إذ لو أراده ما أعطاه كلما أتاه **(فالله سبحانه يحب تذلل عبيده بين يديه وسؤالهم إياه وطلبهم حوائجهم منه وشكواهم منه)** تعالىٰ، إذ هو الفاعل لما أصابهم من المكروه **(إليه)** سبحانه لا إلى غيره، فكأنهم يقولون: يا ربنا أنت أصبتنا بما تعلمه، فأزله عنا **(وعياذتهم)** التجاءهم واعتصامهم **(به)** عزّ وجلّ **(منه)** تعالىٰ **(وفرارهم منه إليه)** ألفاظ متقاربة المعنىٰ **(كما قيل:**

قـــالـــوا أتـــشـــكـــو إلـــيـــه   مـــا لـــيـــس يـــخـــفـــى عـــلـــيـــه
فـــقـــلـــت ربـــي يـــرضـــى   ذل الـــعـــبـــيـــد لـــديـــه

وقالت طائفة: الأفضل ترك الدعاء، والاستسلام للقضاء، وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم**﴾ [فاطر/٦٠] بأن آخرها دل على أن المراد بالدعاء هو العبادة.

قال الشيخ تقي الدين السبكي: الأولى حمل الدعاء في الآية على ظاهره.

وأما قوله تعالى بعد ذلك ﴿**عن عبادتي**﴾ فوجه الربط أن الدعاء أخص من العبادة، فمن استكبر عن العبادة استكبر عن الدعاء، وعلى هذا: فالوعيد فيه إنما هو في حق من ترك الدعاء استكبارًا، ومن فعل ذلك كفر، وأما من تركه لمقصد من المقاصد فلا يتوجه إليه الوعيد المذكور، وإن كنا نرى أن ملازمة الدعاء والاستكثار منه أرجح من الترك لكثرة الأدلة الواردة فيه.

(قـــالـــوا: أتـــشـــكـــو إلـــيـــه   مـــا لـــيـــس يـــخـــفـــى عـــلـــيـــه
فـــقـــلـــت ربـــي يـــرضـــى   ذل الـــعـــبـــيـــد لـــديـــه)

ومعنى البيتين ظاهر (**وقالت طائفة: الأفضل ترك الدعاء والاستسلام للقضاء، وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿وقال ربكم أدعوني أستجب لكم﴾** [غافر/٦٠]، (**بأن آخرها دل على أن المراد**) وفي نسخة: بدون على، أي: أفهم أن المراد (**بالدعاء هو العبادة**) فكأنه قال: اعبدوني أثيكم، وأجاب الأولون؛ بأن هذا ترك للظاهر.

(و) لذا (**قال الشيخ تقي الدين السبكي: الأولى حمل الدعاء في الآية على ظاهره**) من السؤال والطلب (**وأما قوله بعد ذلك:**) إن الذين يستكبرون (**﴿عن عبادتي﴾ فوجه الربط أن الدعاء أخص من العبادة، فمن استكبر عن العبادة استكبر عن الدعاء، وعلى هذا: فالوعيد فيه**) بقوله: ﴿سيدخلون جهنم داخرين﴾ (**إنما هو في حق من ترك الدعاء استكبارًا، ومن فعل ذلك كفر، وأما من تركه لمقصد من المقاصد**) كالتسليم للقضاء (**فلا يتوجه إليه الوعيد المذكور وإن كنا نرى أن ملازمة الدعاء والاستكثار منه أرجح من الترك لكثرة الأدلة الواردة فيه**).

زاد الحافظ: ودل قوله: تعالى بعد ﴿فادعوه مخلصين له الدين﴾ [غافر/ ٦٥]، أن الإجابة متوطة بالإخلاص، وقال الطيبي في حديث الدعاء: هو العبادة، ثم قرأ ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾، يمكن أن تحمل العبادة على المعنى اللغوي، أي: الدعاء ليس إلا إظهار غاية

وقال القشيري في «الرسالة»: اختلف أي الأمرين أولى، الدعاء أو السكوت والرضى؟ فقيل الدعاء، وهو الذي ينبغي ترجيحه لكثرة الأدلة، ولما فيه من إظهار الخضوع والافتقار، وقيل: السكوت والرضى أولى لما في التسليم من الفضل. انتهى.

وشبهتهم: أن الداعي لا يعرف ما قدر له، فدعاؤه إن كان على وفق القدرة فهو تحصيل الحاصل، وإن كان على خلافه فهو معاند.

وأجيب: بأنه إذا اعتقد أنه لا يقع إلا ما قدره الله تعالى كان إذعانًا لا معاندة وفائدة الدعاء تحصيل الثواب بامتثال الأمر، ولاحتمال أن يكون المدعو به

التذلل والافتقار والاستكانة، قال تعالىٰ: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى اللّه واللّه هو الغني الحميد﴾ [فاطر/ ١٥]، الجملتان واردتان على الحصر، وما شرعت العبادة إلاَّ للخضوع للباري وإظهار الافتقار إليه، ولهذا ختم الآية بقوله تعالىٰ: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾ [غافر/ ٦٠]، حيث عبر عن عدم التذلل والخضوع بالاستكبار، ووضع عبادتي موضع دعائي وجعل جزاء ذلك الاستكبار الصغار والهوان. انتهى، وفيه تجاسر على القرءان بقوله: عبر، وبقوله وضع بمجرد احتمال لاح له، فالأولى ما قبله عن السبكي.

وقال البيضاوي في شرح المصابيح: لما حكم بأن الدعاء هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمىٰ عبادته من حيث دلالته على أن فاعله مقبل على اللّه معرض عما سواه لا يرجو غيره ولا يخاف إلاَّ منه استدل عليه بالآية، فإنها تدل على أنه أمر مأمور به إذا أتى به المكلف قبل منه لا محالة وترتب عليه المقصود وترتب الجزاء على الشرط والمسبب على السبب (**وقال القشيري في الرسالة: اختلف، أي: الأمرين أولى الدعاء أو السكوت والرضا**) وثالثها: إن وجد في نفسه باعثًا استحب الدعاء وإلاَّ فلا، ورابعها: إن جمع غيره معه استحب وإن خص نفسه فلا (**فقيل: الدعاء، وهو الذي ينبغي ترجيحه لكثرة الأدلة**) وسبق بعضها (**ولما فيه من إظهار الخضوع والافتقار**) ولأنه سنّته ﷺ المتواترة عنه تواترًا معنويًا (**وقيل: السكوت والرضا أولى لما في التسليم من الفضل. انتهى**).

وشبهتهم) كما قال الحافظ (**أن الداعي لا يعرف ما قدر له، فدعاؤه إن كان على وفق القدرة**) التي قدرها اللّه (**فهو تحصيل الحاصل، وإن كان على خلافه فهو معاند**) وكلاهما لا يجوز (**وأجيب بأنه إن اعتقد أنه لا يقع إلاَّ ما قدره اللّه تعالىٰ كان**) اعتقاده (**إذعانًا لا معاندة فائدة الدعاء**) حينئذٍ (**تحصيل الثواب بامتثال الأمر**) بالدعاء في الكتاب والسنّة (**ولاحتمال أن**

موقوفًا على الدعاء، لأن الله تعالى خلق الأسباب ومسبباتها. انتهى.

وقد أرشد ﷺ أمته لكيفية الدعاء فقال: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه، وليصل على النبي ﷺ، ثم ليدع بما شاء»، رواه الترمذي من حديث فضالة بن عبيد.

وقال عليه السلام في رجل يدعو: «أوجب إن ختم بآمين». رواه أبو داود.

يكون المدعو به موقوفًا على الدعاء، لأن الله تعالىٰ خلق الأسباب ومسبباتها. انتهى) .

ما جاء به من الفتح بلا عزو فيه أيضًا عن القشيري، وقالت طائفة: ينبغي أن يكون داعيًا بلسانه راضيًا بقلبه، قال: والأولى أن يقال إذا وجد في قلبه إشارة إلى الدعاء، فالدعاء أفضل وبالعكس، قلت: القول الأول أعلى المقامات، وهو أن يدعو بلسانه ويرضى بقلبه ولا يتأتى من كل أحد، بل ينبغي أن يخص به الكمل، قال القشيري: ويصح أن يقال ما كان لله أو للمسلمين فيه نصيب فالدعاء أفضل، وما كان للنفس فيه حظ فالسكوت أفضل، وعبر ابن بطال عن هذا القول لما حكاه بقوله: يستحب أن يدعو لغيره ويترك لنفسه، وعمدة من أول الدعاء في الآية بالعبادة أو غيرها قوله تعالىٰ: ﴿فيكشف ما تدعون إليه إن شاء﴾ [الأنعام/ ٤١]، وإن كثيرًا من الناس يدعو فلا يستجاب له، فلو كانت على ظاهرها لم يتخلف، والجواب: أن كل داعٍ يستجاب له لكن تتنوع الإجابة، فتارة تقع بعين ما دعا به وتارة بعوضه.

وقد ورد في ذلك حديث صحيح أخرجه الترمذي والحاكم عن عبادة بن الصامت، رفعه: «ما على الأرض مسلم يدعو بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها»، ولأحمد من حديث أبي هريرة: «إما أن يعجلها له وإما أن يدخرها له»، وله عن أبي سعيد رفعه: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلاَّ أعطاه الله بها إحدى ثلاث إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها»، وصححه الحاكم وهذا شرط ثانٍ للإجابة، ولها شروط أخرى، منها أن يكون طيب المطعم والملبس، لحديث: «فأنى يستجاب لذلك». انتهى.

(وقد أرشد ﷺ أمته لكيفية الدعاء، فقال: إذا صلى) أي: دعا **(أحدكم فليبدأ بحمد الله)** وفي رواية: بتحميد ربه والحمد الثناء بالجميل على الجميل، والتحميد حمد الله مرة بعد أخرى **(والثناء عليه)** بما يتضمن ذلك، فهو عطف عام على خاص، فالثناء فعل يشعر بالتعظيم، كذا قاله بعضهم: وقال شيخنا عطف تفسير **(وليصل على النبي ﷺ، ثم ليدع بما شاء)** من الدين والدنيا بما يجوز طلبه **(رواه الترمذي)** وأبو داود وصححه ابن حبان والحاكم **(من حديث فضالة)** بفتح الفاء وتضم **(ابن عبيد)** بضم العين الأنصاري الأوسي **(وقال عليه السلام في**

وقال: «لا يقل أحدكم إذا دعا اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ولكن ليعزم المسألة فإن الله تعالى لا مكره له»، رواه البخاري وغيره.

ومعنى الأمر بالعزم الجد فيه، وأن يجزم بوقوع مطلوبه، ولا يعلق ذلك بمشيئة الله تعالى، وإن كان مأمورًا في جميع ما يريد فعله أن يعلقه بمشيئة الله تعالى، وقيل معنى العزم أن يحسن الظن بالله في الإجابة، فإنه يدعو كريمًا، وقد قال ابن عيينة: لا يمنعن أحدكم لدعاء ما يعلم من نفسه، يعني من التقصير، فإن الله تعالى قد استجاب دعاء شر خلقه وهو إبليس حين قال: ﴿أنظرني إلى يوم يبعثون﴾ [الأعراف/١٤].

وقال عليه السلام: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم

رجل يدعو أوجب إن ختم بآمين) قال الحافظ في أماليه، أي: عمل عملاً وجبت له به الجنة.

وقال السيوطي: الظاهر أن معناه فعل ما تجب له به الإجابة **(رواه أبو داود)** عن أبي زهير النمري، قال: خرجنا مع النبي ﷺ ذات ليلة فأتينا على رجل قد ألح في المسألة، فوقف ﷺ يستمع منه، فقال: «أوجب إن ختم»، فقال رجل: بأي شيء يختم؟، فقال: «بآمين، فإنه إن ختم بآمين فقد أوجب»، فانصرف الرجل الذي سأل النبي ﷺ، فأتى الرجل، فقال: «إختم يا فلان بآمين وأبشر» **(وقال)** ﷺ: **(لا يقل أحدكم إذا دعا)** طلب من الله **(اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت)**.

زاد في رواية للبخاري: «اللهم ارزقني إن شئت»، لأن التعليق بالمشيئة إنما يحتاج إليه إذا تأتى إكراه المطلوب منه، فيعلمه أنه إنما يطلبه برضاه والله منزه عن ذلك، وقيل: لأن فيه صورة استغناء عن المطلوب والمطلوب منه والأول أولى **(ولكن ليعزم المسألة فإن الله تعالى لا مكره)** بكسر الراء **(له رواه البخاري وغيره)** كأبي داود عن أبي هريرة وهو في الصحيحين من حديث أنس بنحوه **(ومعنى الأمر بالعزم الجد فيه)** بفتح الجيم، أي: الاجتهاد **(وأن يجزم بوقوع مطلوبه ولا يعلق ذلك بمشيئة الله تعالى)** أي: يكره كما قال النووي وهو أولى، وظاهر كلام ابن عبد البر أنه نهي تحريم وهو الظاهر، قاله الحافظ: **(وإن كان مأمورًا في جميع ما يريد فعله أن يعلقه بمشيئة الله تعالى)** لأن هذا مقام غير مقام الدعاء والطلب من الله.

(وقيل: معنى العزم أن يحسن الظن بالله في الإجابة، فإنه يدعو كريمًا، وقد قال ابن عيينة) سفيان: **(لا يمنعن أحدكم لدعاء)** بنصب أحد مفعول فاعله **(ما يعلم من نفسه، يعني من التقصير، فإن الله تعالى قد أجاب دعاء شر خلقه وهو إبليس حين قال: ﴿أنظرني﴾)**: أخرني **(﴿إلى يوم يبعثون﴾)** ﴿قال إنك من المنظرين﴾ [الأعراف/١٥] **(وقال عليه السلام: يستجاب**

يستجب لي» رواه الشيخان وغيرهما.

وكان عليه السلام يستحب الجوامع من الدعاء، ويدَعُ ما سوى ذلك، رواه أبو داود من حديث عائشة.

والجوامع: التي تجمع الأغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة، أو تجمع الثناء على الله تعالى وآداب المسألة.

وكان ﷺ يقول في دعائه: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل

لأحدكم ما لم يعجل) بفتح التحتية والجيم بينهما عين ساكنة من الاستجابة بمعنى الإجابة، قال الشاعر:

فلم يستجبه عند ذاك مجيب

أي: يجاب دعاء كل واحد منكم، لأن الاسم المضاف يفيد العموم على الأصح **(يقول: دعوت فلم يستجب لي)** بضم التحتية وفتح الجيم بيان لقوله ما لم يعجل، فمن مل الدعاء لم يقبل دعاؤه لأنه عبادة، أجيب أم لا فمن أكثر منه أوشك أن يستجاب له.

(رواه الشيخان وغيرهما) كأبي داود والترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة: **(وكان عليه السلام يستحب)** وللحاكم: كان يعجبه **(الجوامع من الدعاء ويدع:)** يترك **(ما سوى ذلك، رواه أبو داود)** بإسناد جيد **(من حديث عائشة)** وصححه الحاكم وأقره الذهبي **(والجوامع)** الكلمات **(التي تجمع الأغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة)** عطف تفسير **(أو)** التي **(تجمع الثناء على الله تعالى، وآداب المسألة)** أي: السؤال، وقيل: هي ما جمع مع الوجازة خيري الدنيا والآخرة نحو ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة﴾ [البقرة/ ٢٠١]، قيل: وهو أوجه، لكن عليه يحمل قوله: ويدع ما سوى ذلك على أغلب الأحوال لا كلها، فقد قال المنذري: كان يجمع في الدعاء تارة ويفصل أخرى **(وكان ﷺ يقول في دعائه:)** ليس في مسلم لفظ في دعائه: **(اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري)** الحافظ لجميع أموري، فإن من فسد دينه فسدت جميع أموره وخاب وخسر في الدنيا والآخرة **(وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي)** بإعطاء الكفاف فيما يحتاج إليه وكونه حلالاً معينًا على الطاعة **(وأصلح لي آخرتي التي إليها)** كذا في النسخ والذي رأيته في مسلم، وكذا نقله عنه السيوطي وغيره التي فيها **(معادي)**.

قال ابن الأثير وغيره، أي: ما أعود إليه يوم القيامة وهو إما مصدر ميمي، أي: عودي أو

الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر». رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

وكان يقول: «اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علمًا، الحمد لله على كل حال، وأعوذ بالله من حال أهل النار». رواه الترمذي من حديث أبي هريرة.

ظرف مكان من عاد إذا رجع، وقال الطيبي: إصلاح المعاد اللطف والتوفيق إلى طاعة اللّه وعبادته، وقال الحراني: جمع في هذه الثلاثة أصول مكارم الأخلاق التي بعث لإتمامها، فإصلاح الدين بالتوفيق لإظهار خطاب ربه من جهة أحوال قلبه وأخلاق نفسه وأعمال بدنه فيما بينه وبين اللّه من غير التفات لغرض النفس في عاجل الدنيا ولا آجلها وإصلاح الدنيا بتجنب الحرام الذي لا تصلح النفس والبدن إلاّ بالتطهر منه واستعمال الحلال الذي يصلح النفس والبدن عليه لموافقته لتقويمها وإصلاح المعاد بخوف الزجر والنهي الذي لا تصلح الآخرة إلاّ بالتطهر منه لبعده عن حسناها وخوف الأمر الذي تصلح الآخرة عليه لتقاضيه لحسناها والمقصود بالزجر والنهي الردع عما يضر في المعاد إلاّ أن الردع على وجهين خطاب لمعرض ويسمى زجرًا، وخطاب لمقبل على التفهم ويسمى نهيًا: فكان الزجر يزيغ الطبع والنهي يزيغ العقل **(واجعل الحياة زيادة لي في كل خير)** أي: اجعل حياتي سبب زيادة طاعتي **(واجعل الموت راحة لي من كل شر)** أي: اجعل موتي سبب خلاصي من مشقة الدنيا والتخلص من غمومها وهمومها لحصول الراحة، قال الطيبي: وهذا الدعاء من جوامع الكلم.

(رواه مسلم) في الدعوات **(من حديث أبي هريرة)** ولم يخرجه البخاري **(وكان)** ﷺ **(يقول: اللهم انفعني بما علمتني)** بالعمل بمقتضاه خالصًا لك **(وعلمني ما ينفعني)** أرتقي منه إلى عمل زائد على ذلك **(وزدني علمًا)** مضافًا إلى ما علمتنيه، وهذا إشارة إلى طلب المزيد في السير والسلوك إلى أن يوصله إلى محل الوصال، وبه ظهر أن العلم وسيلة للعمل وهما متلازمان، ولذا قالوا: ما أمر اللّه رسوله بطلب الزيادة في شيء إلاّ في العلم **(الحمد للّه على كل حال)** من أحوال السراء والضراء، وكم يترتب على الضراء من عواقب حميدة ومواهب كريمة يستحق الحمد عليها، وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم **(وأعوذ باللّه من حال أهل النار)** في النار وغيرها، قال الطيبي: ما أحسن موقع الحمد في هذا المقام، ومعنى المزيد فيه: ولئن شكرتم لأزيدنكم وموقع الاستعاذة من الحال المضاف إلى أهل النار تلميحًا إلى القطيعة والبعد، وهذا الدعاء من جوامع الكلم التي لا مطمح وراءها **(رواه الترمذي)** وقال غريب وابن ماجه والحاكم **(من حديث أبي هريرة)** وفيه موسىٰ بن عبيدة، ضعفه النسائي وغيره ومحمد بن ثابت

وكان يقول: «اللهم متعني بسمعي وبصري. واجعلهما الوارث مني، وانصرني على من ظلمني، وخذ منه بثأري». رواه الترمذي من حديث أبي هريرة أيضًا.

وكان أكثر دعائه: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار». رواه الشيخان من حديث أنس.

وكان يقول: «ربِّ أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي

لم يرو عنه غير موسى فهو مجهول العين (**وكان يقول: اللهم متعني**) أي: انفعني، زاد في رواية البيهقي: من الدنيا (**بسمعي وبصري**) الجارحتين المعروفتين، وقيل: أبي بكر وعمر لحديث هذان السمع والبصر، واستبعد بزيادة البيهقي عقب: وبصري وعقلي (**واجعلهما الوارث مني**) استعارة من وارث الميت لأنه يبقى بعده (**وانصرني على من ظلمني:**) تعدى وبغى عليّ (**وخذ منه بثأري**) بالهمز، ويجوز إبداله تخفيفًا، أي: بحقي بأن تهلكه، وأشار به إلى قوة المخالفين حثا على تصحيح الالتجاء والصدق في الرغبة.

(**رواه الترمذي**) والحاكم. (**من حديث أبي هريرة**) ورواه البيهقي: (**وكان أكثر دعائه**) ﷺ: (**«ربنا**. وفي رواية: اللهم ربنا (**آتنا في الدنيا حسنة**) كصحة وعفاف وكفاف وتوفيق للخير (**وفي الآخرة حسنة**) ثوابًا ورحمة (**وقنا**) بالعفو والمغفرة (**عذاب النار»**) الذي استحققيناه بسوء أعمالنا، وقول علي كرّم الله وجهه: الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحور، وعذاب النار امرأة السوء، وقول الحسن البصري: الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة، وقنا عذاب النار احفظنا من كل ذنب يجر إليها أمثلة للمراد بها.

قال ابن كثير: جمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا وصرفت كل شر، فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح إلى غير ذلك، وأما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات وتيسير الحساب وغير ذلك، وأما النجاة من النار فهو مقتضى تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم والآثام وترك الشبهات. انتهى.

ولا يرد عليه أن أعلاها رؤية الله تعالى، لأن كلامه فيما قبل دخول الجنة، وسبب الاختلاف في التفسي؛ أن حسنة نكرة في الإثبات فلا تعم (**رواه الشيخان من حديث أنس بن ملك: (وكان)** ﷺ (**يقول رب أعني ولا تعن عليّ، وانصرني:**) ظفرني (**ولا تنصر عليّ**) أعداء الدين، قال الراغب: النصر من الله معونة الأنبياء والأولياء وصالحي العباد بما يؤدي إلى صلاحهم عاجلاً وآجلاً، وذلك تارة يكون من خارج بمن يقيضه الله فيعينه، وتارة من داخل بأن

ولا تمكر علي، واهدني وانصرني على من بغى علي، رب اجعلني لك شاكرًا، لك ذاكرًا، لك راهبًا، مطواعًا لك، مخبتًا إليك، أواهًا منيبًا، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، وسدد لساني، واهد قلبي، واسلل سخيمة صدري. رواه الترمذي.

وكان يقول: «اللهم لك أسلمت، وبك أمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت، أن تضلني، أنت

يقوي قلب الأنبياء والأولياء أو يلق الرعب في قلوب الأعداء، وعليه قوله: إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا (**وامكر لي**) جاز لأجلي من فعل بي ما يستحق ما يجازى عليه بأن فعل بي سوأ (**ولا تمكر عليّ**) أي: اعف عني فلا تؤاخذني بما صدر مني، قال في النهاية: مكر الله إيقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه، وقيل: هو استدراج العبد بالطاعات فيتوهم أنها مقبولة وهي مردودة، والمعنى: ألحق مكرك بأعدائي لأبي، وأصل المكر الخداع. انتهى.

ولا يسند إلى الله إلا على سبيل المقابلة والازدواج والمقابلة هنا مقدرة، لأن قوله: أمكر لي معناه جاز من مكر علي (**واهدني**) لصالح الأعمال والأخلاق، فإنه لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها إلاّ أنت كما في حديث آخر.

وفي رواية: فاهدني ويسر هداي إليّ (**وانصرني:**) ظفرني (**على من بغى عليّ:**) جار واعتدى بأن تهلكه (**رب اجعلني لك شاكرًا**) أي: وفقني له لأقوم بما وجب عليّ من شكر نعمائك التي لا تحصى (**لك ذاكرًا**) بقلبي ولساني (**لك، راهبًا**) خائفًا منك (**مطواعا لك**) في جميع أوامرك (**مخبتًا**) خاشعاً متواضعًا (**إليك أوّاهًا:**) كثير التأوّه من الذنوب والتأسف على الناس (**منيبًا**) راجعًا إليك (**رب تقبل توبتي واغسل حوبتي**) بفتح المهملة، أي: خطيئتي (**وأجب دعوتي وثبت حجتي وسدد لساني واهد قلبي**) خصه مع دخوله في قوله: أولاً واهدني اهتمامًا به لأنه الرئيس الذي إذا صلح صلح الجسد كله (**واسلل:**) بمهملة ولامين أنزع وأُخرج برفق (**سخيمة**) بفتح المهملة وكسر المعجمة، أي: حقد (**صدري**) وفي رواية: قلبي.

(**رواه الترمذي**) وأبو داود والنسائي وابن ماجه. وصححه الحاكم، كلهم عن ابن عباس: (**وكان**) ﷺ (**يقول: اللهم لك أسلمت**) أي: أنقذت (**وبك آمنت**) أي: صدقت، قال النووي: فيه إشارة إلى الفرق بين الإسلام والإيمان (**وعليك**) لا على غيرك (**توكلت:**) اعتمدت في تفويض جميع أموري (**وإليك أنبت:**) رجعت وأقبلت بهمتي (**وبك خاصمت**) أعدائي (**اللهم إني أعوذ:**) أعتصم (**بعزتك لا إله إلاّ أنت أن تضلني**) بعدم التوفيق للرشاد والتوقيف على طريق الهداية والسداد، وهو متعلق بأعوذ، أي: من أن تضلني، وكلمة التهليل معترضة لتأكيد

الحي الذي لا تموت، والجن والإنس يموتون»، رواه الشيخان عن ابن عباس.

وكان يقول: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى». رواه مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود.

وكان يقول: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدي وهزلي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي،

العزة **(أنت الحي لا تموت)** بلفظ الخطاب، أي: الحياة الحقيقية التي لا يجامعها الموت بحال.

وفي رواية: أنت الحي القيوم الذي لا يموت بلفظ الغائب **(والجن والإنس يموتون)** عند انقضاء آجالهم، والمراد الخلق كلهم، لكن التنصيص لإفادة الخطاب جرى مجرى الغالب من تقابلهما، يعني: وأنا أموت لأني من الإنس، ولم ينص على من عداهم لما ذكر ولا حجة فيه لمن احتج به على عدم موت الملائكة مع أنه لا مانع من دخولهم في مسمى الجن بجامع ما بينهم من الاجتنان عن عيون الإنس، كيف وقد قال تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت كل شيء هالك إلاَّ وجهه كل من عليها فانٍ﴾ [القصص/ ٨٨].

(رواه الشيخان) البخاري في التوحيد ومسلم في الدعوات **(عن ابن عباس)** وقصر من عزاه لمسلم وحده: **(وكان)** ﷺ **(يقول: اللهم إني أسألك الهدى)** أي: الهداية إلى الصراط المستقيم **(والتقى)** الخوف من الله والحذر من مخالفته **(والعفاف)** الصيانة عن مطامع الدنيا **(والغنى)** غنى النفس والاستغناء عن الناس.

قال الطيب: أطلق الهدى والتقى ليتناول كل ما ينبغي أن يهدي إليه من أمر المعاش والمعاد ومكارم الأخلاق وكل ما يجب أن يتقى منه من شرك ومعصية وخلق رديء.

(رواه مسلم والترمذي) وابن ماجه، كلهم في الدعوات **(من حديث ابن مسعود)** ولم يخرجه البخاري: **(وكان)** ﷺ **(يقول: اللهم)** وفي رواية للبخاري: رب بدل اللهم **(اغفر لي خطيئتي:)** ذنبي **(وجهلي)** ضد العلم، وقال الكرماني: الجهل ما يجهل به كما قالوه في الصائم لا يجهل، أي: لا يرتكب ما يوقع في الجهل. انتهى.

أي: لا يفعل ما يوصف معه بالجهل وإن لم يذنب به **(وإسرافي:)** تجاوزي الحد **(في أمري)** كله **(وما أنت أعلم به مني)** مما علمته، وما لم أعلمه؛ بأن صدر سهوًا **(اللهم اغفر لي جدي)** بكسر الجيم ضد الهزل **(وهزلي)** بفتح الهاء ضد الجد **(وخطئي)** بالهمز ضد العمد **(عمدي)** ضد السهو.

ووقع في رواية للبخاري: اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي جمع خطيئة وعطف العمد

اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير». رواه الشيخان من حديث أبي موسى.

وكان أكثر دعائه: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك». رواه الترمذي من حديث أم سلمة.

عليها خاص على عام، باعتبار أن الخطايا أعم من المتعمد أو من عطف أحد المتقابلين على الآخر بحمل الخطايا على ما وقع على سبيل الخطأ (**وكل ذلك**) المذكور (**عندي**) موجود كالتذييل للسابق، أي: أنا متصف بهذه الأشياء فاغفرها لي، قاله تواضعًا وهضمًا لنفسه، أو عد فوات الكمال وترك الأولى ذنوبًا (**اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت**) وهذان شاملان لجميع ما سبق، كقوله: (**وما أسررت**:) أخفيت (**وما أعلنت**:) أظهرت، أي: ما حدثت به نفسي وما تحرك به لساني، قاله تواضعًا وإجلالاً لله أو تعليمًا لأمته.

وتعقبه الحافظ بأنه لو كان للتعليم فقط كفى أن يأمرهم بأن يقولوا: فالأولى أنه للكل (**وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم**) لمن تشاء من خلقك بتوفيقه إلى رحمتك (**وأنت المؤخر**) لمن تشاء عن ذلك (**وأنت على كل شيء قدير**:) جملة مؤكدة لمعنى ما قبلها وعلى كل شيء متعلق بقدير فعيل بمعنى فاعل مشتق من القدرة وهي القوة والاستطاعة وهل يطلق الشيء على المستحيل والمعدوم خلاف.

(**رواه الشيخان**) في الدعوات (**من حديث أبي موسى**) عبد الله بن قيس الأشعري: (**وكان أكثر دعائه** ﷺ **يا مقلب القلوب**) بتقليب أعراضها وأحوالها لا ذواتها (**ثبت قلبي على دينك**) بكسر الدال.

قال البيضاوي إشارة إلى شمول ذلك للعباد حتى الأنبياء، ودفع توهم أنهم يستثنون، وقال الطيبي: أضاف القلب إلى نفسه تعريضًا بأصحابه لأنه مأمون العاقبة، فلا يخاف على نفسه لاستقامتها لقوله تعالى: ﴿إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم﴾ [البقرة/ ٢٥٢]، وفيه: أن أعراض القلوب من إرادة، وغيرها يقع بخلق الله وجواز تسمية الله بما ثبت في الحديث وإن لم يتواتر وجواز اشتقاق الاسم له من الفعل الثابت وبقية الحديث: فقيل له في ذلك، فقال: إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ، زاد في رواية أحمد: فنسأل الله أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ونسأل الله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب.

(**رواه الترمذي من حديث أم سلمة**) هند أم المؤمنين، قال الغزالي: إنما كان هذا أكثر دعائه لاطلاعه على عظيم صنع الله في عجائب القلب وتقلبه، فإنه هدف يصاب على الدوام من

وكان يقول: «اللهم عافني في جسدي، وعافني في سمعي وبصري، واجعلهما الوارث مني، لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين». رواه الترمذي.

وكان يقول: «اللهم اغسل خطاياي بماء الثلج والبرد، ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس». رواه النسائي.

وكان يقول: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب

كل جانب، فإذا أصابه شيء وتأثر أصابه من جانب آخر ما يضاده فتغيير وصفه، وعجيب صنع اللّه في تقلبه لا يهتدي إليه إلا المراقبون بقلوبهم والمراعون لأحوالهم مع اللّه **(وكان ﷺ يقول: اللهم عافني:)** سلمني من المكاره **(في جسدي)** لئلا يشغلني شاغل أو يعوقني عائق عن كمال القيام بعبادتك **(وعافني في سمعي وبصري)** كذلك **(واجعلهما الوارث مني)** بأن يلازماني عند الموت لزوم الوارث لمورثه، أي: أبقهما صحيحين سليمين إلى أن أموت، أو أراد بقاء قوتهما عند الكبر وانحلال القوى، أو أراد: اجعل تمتعي بهما في مرضاتك باقيًا، أذكر به بعد الموت **(لا إله إلاَّ اللّه الحليم الكريم سبحان اللّه رب العرش العظيم والحمد للّه رب العالمين)** أي: الوصف بجميع صفات الكمال وسائر نعوت الجلال للّه وحده على كل حال **(رواه الترمذي)** والحاكم، والبيهقي كلهم في الدعوات من حديث عائشة: **(وكان)** ﷺ **(يقول: رب اغسل:)** أزل **(خطاياي:)** جمع خطيئة **(بماء الثلج والبرد)** بفتحتين حب الغمام، أي: بالماء المنحل منهما، فالإضافة ليست بيانية، وخصهما لأنهما ما آن طاهران لم تسمهما الأيدي ولم يمتهنهما الاستعمال، فكان ذكرهما آكد هنا وإن كان الماء الحار أبلغ عادة في إزالة الوسخ، أشار إليه الخطابي وقال الكرماني جعل الخطايا بمنزلة النار لأنها تؤدي إليها، فعبر عن إطفاء حرارتها بالغسل تأكيداً في إطفائها، وبالغ فيه باستعمال المبردات ترقيًا عن الماء إلى أبرد منه وهو الثلج، ثم إلى أبرد منه وهو البرد لأنه يجمد ويصير جليدًا بخلاف الثلج فيذوب. انتهى.

ومر لذلك مزيد في الصلاة **(ونق)** بفتح النون وشد القاف **(قلبي)** الذي بمنزلة ملك الأعضاء واستقامتها باستقامته **(من الخطايا)** الذنوب وهذا تأكيد للسابق ومجاز عن إزالة الذنوب ومحو آثارها **(كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس)** بفتح الدال والنون، أي: الوسخ، وخص الأبيض لظهور والنقاء فيه أقوى من غيره.

(رواه النسائي) والحاكم وغيرهما من حديث عائشة وهو بعض حديث طويل في الصحيحين: **(وكان)** ﷺ **(يقول: اللهم إني أسألك:)** أطلب منك **(فعل الخيرات)** المأمورات،

المساكين، وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون». رواه في الموطأ.

وكان يدعو: «اللهم فالق الإصباح، وجاعل الليل سكنًا، والشمس والقمر حسبانًا، اقض عني الدين واغنني من الفقر، وأمتعني بسمعي وبصري وقوتي، وتوفني في سبيلك». رواه في الموطأ.

أي: الإقدار على فعلها والتوفيق له (**وترك المنكرات**) أي: المنهيات (**وحب المساكين**) يحتمل إضافته إلى الفاعل وإلى المفعول وهو أنسب بما قبله، قال الباجي: وهو من فعل القلب، ومع ذلك فيختص بالتواضع، وفيه: أن فعل الثلاثة إنما هو بفضل اللّه وتوفيقه (**وإذا أردت**) بتقديم الدال على الراء من الإدارة، أي: أوقعت.

وفي رواية: بتقديم الراء على الدال من الإرادة (**بقوم**) لفظ الموطأ في الناس (**فتنة**) بلايا ومحنًا (**فاقبضني إليك غير مفتون**) فيه إشارة إلى طلب العافية واستدامة السلامة إلى حسن الخاتمة.

(**رواه في الموطأ**) بلاغًا، قال ابن عبد البر: هو حديث صحيح ثابت من حديث عبد الرحمٰن بن عابس وابن عباس، وثوبان، وأبي أمامة: (**وكان**) ﷺ (**يدعو اللهم فالق الإصباح**) خالقه ومظهره (**وجاعل الليل سكنًا**) يسكن فيه (**والشمس والقمر**) منصوبان على محل الليل، ويجوز جرهما عطفًا على لفظه (**حسبانًا**) قال ابن عبد البر: أي: حسبانًا، أي: بحساب معلوم، وقد يكون جمع حساب كشهاب وشهبان.

وقال الباجي: أي يحسب بهما الأيام والشهور والأعوام، قال تعالىٰ: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورًا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ [يونس/ ٥] (**اقض عني الدين**) قال ابن عبد البرّ: الأظهر فيه دين الناس ويدخل فيه دين اللّه بالأولى، وفي الحديث: دين اللّه أحق أن يقضي (**واغنني من الفقر**) وهو ما لا يدرك معه القوت، وقد أغناه كما قال: ﴿ووجدك عائلاً فأغنى﴾ [الضحى/ ٨]، ولم يكن غناه أكثر من اتخاذه قوت سنة لعياله والغنى كله في قلبه ثقة بربه (**وأمتعني بسمعي**) لما فيه من التنعم بسماع الذكر وما يسر (**وبصري**) لما فيه من التدبر برؤية مخلوقات اللّه (و) أمتعني (**بقوّتي**) بفوقية قبل الياء واحدة القوى.

وروى: وقوني بنون بدل الفوقية، قال ابن عبد البر: والأول أكثر عند الرواة: (**وتوفني في سبيلك**) الجهاد أو جميع أعمال البرّ من تبليغ الرسالة وغيرها، فذلك كله سبيل اللّه، قاله الباجي (**رواه في الموطأ**) عن يحيىٰ بن سعيد الأنصاري أنه بلغه فذكره (**وكان ﷺ يتعوّذ فيقول:**)

وكان ﷺ يتعوذ فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات». رواه الشيخان من حديث أنس. وفي رواية أبي داود. «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وضلع الدين وغلبة الرجال».

وكان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الجذام والبرص والجنون، وسيء

وفي لفظ للبخاري عن أنس: كنت أسمعه يكثر أن يقول؛ (**اللهم إني أعوذ بك من العجز**) ـ بسكون الجيم ـ وأصله التأخر عن الشيء مأخوذ من العجز وهو مؤخر الشيء، وللزوم الضعف والقصور عن الإتيان بالشيء، استعمل في مقابلة القدرة واشتهر فيها (**والكسل**): التثاقل عن الشيء مع القدرة عليه والداعية إليه (**والجبن**) خلاف الشجاعة (**والهرم**) وهو أقصى الكبر (**والبخل**) ضد الكرم (**وأعوذ بك من عذاب القبر**) ما فيه من الأهوال والشدائد (**وأعوذ بك من فتنة المحيا**) ما يعرض للإنسان في مدة حياته من الافتتان بالدنيا وشهواتها وجهالاتها وأعظمها والعياذ باللّه تعالى أمر الخاتمة عند الموت (**والممات**) قيل: هي فتنة القبر بسؤال الملكين والمراد من شر ذلك، إذ أصل السؤال واقع لا محالة فلا يدعى برفعه فيكون عذاب القبر مسببًا عن ذلك والسبب غير المسبب، وقيل: المراد الفتنة قبل الموت وأضيفت إلى الموت لقربها منه وحينئذٍ تكون فتنة المحيا قبل ذلك، وقيل: غير ذلك والمحيا والممات مصدران مجروران بالإضافة بوزن مفعل ويصلحان للزمان والمكان والمصدر.

(**رواه الشيخان من حديث أنس، وفي رواية أبي داود: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن**) بفتح المهملة والزاي جمع بينهما، لأن الهم إنما يكون في المتوقع والحزن فيما وقع، فالهم للمستقبل والحزن على الماضي، ولأن أصل الهم الذوبان يقال: أهمه المرض بمعنى أذابه، سمي به ما يعتري الإنسان من شديد الغم لأنه أبلغ وأشد من الحزن الذي أصله الخشونة، فليس العطف لاختلاف اللفظ مع اتحاد المعنى كما ظن (**وضلع الدين**) بفتح المعجمة واللام ومهملة، أي: ثقله وشدته المانع لصاحبه عن الاستواء، فإن أصل الضلع الاعوجاج والميل وذلك حيث لا يجد من عليه الدين وفاء ولا سيما مع المطالبة، قال بعض السلف: ما دخل هم الدين قلبًا إلاَّ أذهب منه من العقل ما لا يعود إليه (**وغلبة الرجال**) شدة تسلطهم بغير حق تغلبًا وجدلاً، فالإضافة للفاعل أو هيجان النفس من شدة الشهوة، فالإضافة للمفعول وصريح المصنف انفراد أبي داود وليس كذلك، فقد روى البخاري عن أنس: كنت أسمعه ﷺ يكثر أن يقول: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال (**وكان**) ﷺ (**يقول: اللهم إني أعوذ بك من الجذام**) كغراب علة تحدث من انتشار السوداء في البدن

الأسقام»، رواه أبو داود والنسائي، من حديث أنس.

وكان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت، ومن شر ما لم أعلم». رواه مسلم من حديث عائشة.

وكان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن دعاء لا يسمع، ومن نفس لا تشبع، ومن علم لا ينفع، أعوذ بك من هذه الأربع». رواه الترمذي

فتفسد مزاج الأعضاء وجهاتها، وربما انتهى إلى تأكل الأعضاء وسقوطها **(والبرص)** بفتحتين بياض يظهر في ظاهر البدن لفساد المزاج **(والجنون وسيء الأسقام)** ونص على الثلاثة مع دخولها في هذه لأنها أبغض شيء إلى العرب ولهم عنها نفرة عظيمة، ولذا عدوا من شروط الرسالة السلامة من المنفرات، فاستعاذته منها تعليم للأمة أو إظهار للعبودية **(رواه أبو داود والنسائي من حديث أنس)** بإسناد صحيح **(وكان)** ﷺ **(يقول: اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم)**.

(رواه مسلم) كذا في النسخ من العلم فيهما، والذي في مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه، كلهم **(من حديث عائشة)** بلفظ: من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل بتقديم الميم على اللام فيهما من العمل، أي: من شر عمل يحتاج فيه إلى العفو وما لم أعمل بأن تحفظني منه في المستقبل، أو أراد شر عمل غيره، ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم﴾ خاصة أو ما ينسب إليه افتراء ولم يعمله.

وقد وقع في الإحياء بتقديم اللام وروده عليه، لكنه لم يعزه لمسلم، فالرد على المصنف أقوى لعزوه لمسلم ما ليس فيه وإن كان جاء حديث آخر بتقديم اللام مرفوعًا: اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم.

رواه أبو داود والطيالسي عن جابر بن سمرة: **(وكان)** ﷺ **(يقول: اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع)** لذكر الله ولا لاستماع كلامه تعالى وهو القلب القاسي أبعد القلوب من الله سبحانه **(ومن دعاء لا يسمع)** أي: لا يستجاب ولا يعتد به، فكأنه غير مسموع **(ومن نفس لا تشبع)** من جمع المال أشرًا وبطرًا ومن كثرة الأكل الجالبة لكثرة الأبخرة الجالبة للنوم وكثرة الوساوس والخطرات النفسانية المؤدية إلى مضار الدنيا والآخرة **(ومن علم لا ينفع)** أي: لا يعمل به أو لا يهذب الأخلاق الباطنة فيسري بها إلى الأفعال الظاهرة **(أعوذ بك من هذه الأربع)** أتى به مع استفادته مما قبله تنبيهًا على توكيد هذا الحكم وتقويته وفيه تسجيع الدعاء بلا قصد، ولذا جاء في غاية الانسجام، والمكروه إنما هو المتكلف المقصود لأنه لا يلائم الضراعة والذلة.

قال الطيبي: في كل من هذه القرائن إشعار بأن وجوده مبني على غايته والغرض الغاية،

والنسائي من حديث ابن عمرو بن العاص.

وكان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجأة نقمتك، وجميع سخطك». رواه مسلم وأبو داود من حديث ابن عمرو بن العاص أيضًا.

وكان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة، وأعوذ بك من أن

فإن تعلم العلم إنما هو للنفع به، فإذا لم ينفعه لم يخلص كفافًا، بل يكون وبالًا وان القلب إنما خلق ليخشع لربه فإن لم يخشع فهو قاس يستعاذ منه فويل للقاسية قلوبهم وإنما يعتد بالنفس إذا تجافت عن دار الغرور وأنابت إلى دار الخلود، فإذا كانت نهمة لا تشبع كانت أعدى عدو للمرء، فهي أهم ما يستعاذ منه، وعدم استجابة الدعاء دليل على أن الداعي لم ينتفع بعلمه ولم يخشع قلبه ولم تشبع نفسه.

(رواه الترمذي والنسائي من حديث) عبد الله **(بن عمرو بن العاصي)** ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة والنسائي، أيضًا عن أنس: وقد رواه مسلم في آخر حديث، ولفظه عن زيد بن أرقم: كان ﷺ يقول: اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر، اللهم آتِ نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها، وكذا رواه أحمد والترمذي وغيرهما.

(وكان) ﷺ **(يقول: اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك)** أي: ذهابها مفردة في معنى الجمع، لأن المفرد المضاف يعم النعم الظاهرة والباطنة وهي كل ملائم تحمد عاقبته، والاستعاذة من زوالها تتضمن الحفظ من الوقوع في المعاصي، لأنها تزيلها **(وتحول)** أي: تبدل **(عافيتك)** ويفارق التحول الزوال، فيقال في كل ثابت لشيء ثم فارقه زال، ولفظ أبي داود تحويل بزيادة تحتية وهو تغيير الشيء وانفصاله عن غيره، فكأنه سأل دوام العافية وهي السلامة من الآلام والأسقام **(وفجأة)** بضم الفاء والمد وفتحها والقصر بغتة **(نقمتك)** بكسر النون، وقد تفتح وسكون القاف غضبك وعقوبتك.

قال المازري: استعاذ من أخذة الأسف **(وجميع سخطك)** بفتحتين، أي الأسباب الموجبة لذلك، وإذا انتفت أسبابها حصلت أضدادها.

(رواه مسلم وأبو داود) والترمذي **(من حديث ابن عمرو بن العاصي: أيضًا)** هذا وهم، فالذي فيهما وكذا الترمذي عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر، أي ابن الخطاب: **(وكان)** ﷺ **(يقول: اللهم إني أعوذ بك من الفقر:)** فقد المال أو فقر النفس **(والقلة)** بكسر القاف قلة

أظلم أو أُظلم»، رواه أبو داود من حديث أبي هريرة.

وكان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق». رواه أبو داود من حديث أبي هريرة أيضًا.

وكان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة». رواه أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة أيضًا.

وكان يقول: اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو، وشماتة

المال التي يخاف منها قلة الصبر وتسلط الشيطان أن يتذكر تنعم الأغنياء، أو المراد القلة في أبواب البر ونقصان الخير أو قلة العدد والمدد أو الكل (**والذلة**) بالكسر (**وأعوذ بك من أن أظلم**) بالبناء للفاعل، أي: أجور أو أعتدي (**أو أظلم**) بالبناء للمفعول، والظلم وضع الشيء في غير محله.

(**رواه أبو داود**) وابن ماجه والحاكم (**من حديث أبي هريرة**) وسكت عليه أبو داود: (**وكان**) ﷺ (**يقول: اللهم إني أعوذ بك من الشقاق:**) بكسر المعجمة وقافين النزاع والخلاف والتعادي، لأن كلا منهما يكون في شق، أي: ناحية أو هو العداوة وفيها أيضًا المفاعلة فتكون على بابها (**والنفاق:**) نفاق العمل (**وسوء الأخلاق**) لأن صاحبه لا يقر من ذنب إلاَّ وقع في آخر والأخلاق السيئة من السموم القاتلة والمهلكات والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن الله تعالى المقربة للشيطان فحق أن يستعاذ منها.

(رواه أبو داود والنسائي) في الصلاة (**من حديث أبي هريرة**) أيضًا، ورواه النسائي في الاستعاذة: (**وكان**) ﷺ (**يقول: اللهم إني أعوذ بك من الجوع**) أي: من ألمه وشدة مصابرته لأنه يمنع راحة البدن ويحلل المواد المحمودة بلا بدل ويشوّش الدماغ ويثير الأفكار الفاسدة والخيالات الباطلة (**فإنه بئس الضجيع**) أي: النائم معي في فراش واحد، سماه ضجيعًا لملازمته لصاحبه في المضجع تنبيهًا على أن المراد الملازم المضر لا مطلق جوع (**وأعوذ بك من الخيانة**) مخالفة الحق بنقض العهد في السر (**فإنها بئست البطانة**) بالكسر خلاف الظهارة، ثم استعيرت لمن يخصه الإنسان بالاطلاع على باطن أمره، ولما كانت الخيانة أمرًا يبطنه الإنسان ويستره سماها بطانة والخيانة خزي وهوان وتكون في المال والنفس والعدد والكيل والوزن وغير ذلك (**رواه أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة أيضًا**).

بإسناد صحيح وله شاهد من حديث ابن مسعود عند الحاكم في حديث: (**وكان**) ﷺ (**يقول: اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين:**) ثقله وشدته حيث لا قدرة على وفائه، لا سيما مع الطلب (**وغلبة العدو**) من يفرح بمصيبته ويحزن بمسرته (**وشماتة الأعداء**) فرحهم ببلية تنزل

الأعداء». رواه النسائي.

وكان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهدم والهرم، وأعوذ بك من التردي ومن الغرق والحرق، وأعوذ بك من أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرًا، وأعوذ بك أن أموت لديغًا»، رواه أبو داود والنسائي

بعدوهم، ختم بهذه الكلمة البديعة لكونها جامعة متضمنة لسؤال الحفظ من جميع ما يشمت به، وإنما قال ذلك خوفًا على اتباعه من التفرقة وقلة انتفاع المؤلفة لا لأنه يتأثر من الشماتة مراعاة لحظ نفسه لعصمته من ذلك، كذا أفاده بعض الكمل.

(رواه النسائي) والحاكم وأحمد من حديث ابن عمر: **(وكان)** ﷺ **(يقول: اللهم إني أعوذ بك من الهدم)** بسكون الدال سقوط البناء ووقوعه على الشيء، وروي بفتح الدال اسم ما انهدم منه، وفي النهاية: الهدم محركًا البناء المهدوم وبالسكون الفعل.

قال ابن رسلان: يحتمل أن يراد بالهدم المستعاذ منه سقوط البناء المعقود أو المسقف لما يترتب عليه من فساد ما انهدم عليه من الحيوان وغيره واحتياج مالكه إلى كلفة في تجديده **(والهرم)** كبر السن المؤدي إلى تساقط القوى وذهاب العقل وتخبط الرأي **(وأعوذ بك من التردي:)** السقوط من عال كشاهق جبل أو في بئر ونحو ذلك من الردى وهو الهلاك **(ومن الغرق)** بفتح الراء على الصواب وكسرها القياس، أي: الموت في الماء غريقًا **(والحرق)** بفتحتين الالتهاب بالنار.

قال البيضاوي: استعاذ من هذه الأمور مع أنها شهادة لأنها مجهدة مقلقة لا يثبت المرء عندها، فربما استزله الشيطان: أخل بدينه، ولأنه يعد فجأة وأخذة أسف، وقال الطيبي: لأنها في الظاهر مصائب بلايا ومحن كالأمراض السابقة المستعاذ منها، وأما ترتب ثواب الشهادة عليها فللبناء على أنه تعالى يثيب عبده المؤمن على المصائب كلها حتى الشوكة، ولأن الفرق بين الشهادة الحقيقية وبين هذه أنها متمنى كل مؤمن وقد يجب عليه توخي بهجة الشهادة والتحري فيها بخلاف التردي وما معه، فيجب التحرز عنها ولو سعى فيها عصى **(وأعوذ بك من أن يتخبطني الشيطان)** أي: يصرعني ويلعب بي ويفسد ديني أو عقلي **(عند الموت)** بنزعاته التي تزل بها الأقدام وتصرع الأحلام، وقد يستولي على المرء عند ذلك فيضله أو يمنعه التوبة أو يعوقه عن الخروج عن مظلمة، أو يؤيسه من الرحمة أو يكره له الموت ويؤسفه على الحياة الدنيا، فلا يرضى مما قضى عليه من الفناء فيختم له بسوء والعياذ بالله تعالى وهذا تعليم للأمة فإن شيطانه أسلم ولا تسلط لأحد عليه بحال وكذلك الأنبياء لا تسلط للشيطان عليهم، فتخبيط الشيطان مجاز عن إضلاله وتسويله **(وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرًا)** عن الحق أو عن

من حديث أبي اليسر.

وكان يتعوذ من عين الجن والإنس، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سوى ذلك. رواه النسائي.

وكان إذا خاف قومًا قال: «اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم». رواه أبو داود.

وكان ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: إن أباكما كان يعوذ بهما إسمٰعيل وإسحٰق ـ أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة».

قتال الكفار، لأنه ﷺ يحرم عليه الفرار مطلقًا، فمن قيده بما إذا حرم الفرار إنما هو بالنظر لغيره وأنه تعليم للأمة (**وأعوذ بك أن أموت لديغًا**) فعيل بمعنى ملدوغ بدال مهملة وغين معجمة، يستعمل في ذات سم كحية وعقرب، أما بذال معجمة وعين مهملة ففي الإحراق بنار، كالكي وإعجامهما أو إهمالهما، فمما خلت عنه كتب اللغة المتداولة.

(**رواه أبو داود والنسائي**) والحاكم (**من حديث أبي اليسر**) بفتح التحتية والمهملة كعب بن عمر والأنصاري (**وكان**) ﷺ (**يتعوذ**) بالله (**من عين الجن والإنس**) وفي رواية: كان يتعوذ من الجان وعين الإنسان (**فلما نزلت المعوذتان**) بكسر الواو مشددة (**أخذ بهما**) أي: صار يتعوذ بهما (**وترك ما سوى ذلك**) مما كان يتعوذ به غير القرءان لما ثبت أنه كان يرقى بالفاتحة وكان يرقى بها تارة وبالمعوذتين أخرى لما تضمنتاه من الاستعاذة من كل مكروه.

(**رواه النسائي**) والترمذي، وقال حسن غريب وابن ماجه وصححه الضياء في المختارة، كلهم عن أبي سعيد: (**وكان**) ﷺ (**إذا خاف قومًا**) أي: شر قوم (**قال: اللهم إنا نجعلك في نحورهم**) أي: في مقابلة صدورهم لتدفع عنا شرورهم وتحول بيننا وبينهم، تقول: جعلت فلانًا في نحر العدو إذا جعلته قبالته يقاتل عنك ويحول بينك وبينه (**ونعوذ بك من شرورهم**) المراد: نسألك أن تصد صدورهم عنا وتدفع شرورهم وتكفينا أمورهم، وخص النحر لأنه أسرع وأقوى في الدفع والتمكن من المدفوع والعدو إنما يستقبل بنحره عند مناهضة القتال أو تفاؤلاً بنحرهم أو قتلهم.

(**رواه أبو داود**) وأحمد والحاكم والبيهقي بأسانيد صحيحة عن أبي موسى، قال الحاكم على شرط الشيخين وأقره الذهبي: (**وكان ﷺ يعوذ**) بذال معجمة (**الحسن والحسين ويقول**) لهما: (**إن أباكما**) جدكما الأعلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام (**كان يعوذ بها**) أي: بالكلمات الآتية، ولبعض رواة البخاري: بهما بالتثنية (**إسمٰعيل، وإسحٰق**) ابنيه، وهي: (**أعوذ**) هذا لفظ البخاري ووقع في الأذكار: أعيذكما (**بكلمات الله**) كلامه على الإطلاق أو المعوذتين أو

رواه البخاري والترمذي.

وقد استشكل صدور هذه الأدعية ونحوها منه ﷺ مع قوله تعالى: **﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾** [الفتح/٢]، ووجوب عصمته.

وأجيب: بأنه امتثل ما أمره الله به من تسبيحه وسؤاله المغفرة في قوله تعالى: **﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾** [النصر/١].

ويحتمل أن يكون قاله على سبيل التواضع والاستكانة والخضوع والشكر لربه تعالى، لما علم أنه قد غفر له، ويحتمل أن يكون سؤاله ذلك لأمته وللتشريع،

القرءان، قاله المصنف: زاد الحافظ وقيل: ما وعدته، كما قال تعالى **﴿وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل﴾** ، والمراد بها قوله: **﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض﴾** **(التامة)** الكاملة أو النافعة أو الشافية أو المباركة أو القاضية التي تمضي وتستمر ولا يردها شيء ولا يدخلها نقص ولا عيب.

قال الخطابي: استدل أحمد به على أن كلام الله غير مخلوق، لأنه ﷺ لا يحتج بمخلوق **(من كل شيطان)** إنسي وجني **(وهامة)** بشد الميم واحدة الهوام ذوات السموم، وقيل: كل ما له سم يقتل، فأما ما لا يقتل بسمه، فيقال له السوام، وقيل: المراد كل نسمة تهم بسوء **(ومن كل عين لامة)** بالتشديد أيضًا التي تصيب ما نظرت إليه بسوء، وقال الخطابي: المراد بها كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل، وقال أبو عبيد أصله من ألممت إلمامًا، وإنما قال لامة لأنه أراد أنها ذات لمم.

وقال ابن الأنباري: يعني أنها تأتي في وقت بعد وقت، وقال: لامة ليوافق لفظ هامة لأنه أخف على اللسان.

(رواه البخاري) في أحاديث الأنبياء **(والترمذي)** وابن ماجه، كلاهما في الطب، وأبو داود في السنة والنسائي في التعوذ **(وقد استشكل صدور هذه الأدعية)** السابقة **(ونحوها منه ﷺ مع قوله تعالى: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ ووجوب عصمته)** وتقدم الكلام على هذه الآية وأنه لا ذنب البتة، والمراد بالغفر الستر والمنع كأنه قيل: ليستر عنك الذنب ويمنعك منه، فلا يمنع منك ذنب أصلاً وهذا أحسن الأجوبة.

(وأجيب بأنه امتثل ما أمره الله به من تسبيحه وسؤاله المغفرة في قوله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ [النصر/ ١]) إلى آخر السورة **(ويحتمل أن يكون قاله على سبيل التواضع والاستكانة؛ والخضوع)** عطف تفسير **(والشكر لربه لما علم)** بكسر اللام **(أنه قد غفر له، ويحتمل أن يكون سؤاله ذلك لأمته أو للتشريع والله أعلم)** وقال الطيبي: استعاذ مما عصم

والله أعلم.

وكان عليه السلام عند الكرب ـ وهو ما يهجم على الإنسان مما يأخذ بنفسه ويحزنه ويغمه ـ يدعو: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السموات والأرضين رب العرش العظيم» رواه البخاري. وفي رواية: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض، ورب العرش الكريم».

قال الطيبي: صدر هذا الثناء بذكر الرب ليناسب كشف الكرب لأنه مقتضى التربية، ومنه التهليل المشتمل على التوحيد، وهو أصل التنزيهات الجلالية، والعظمة التي تدل على تمام القدرة والحلم الذي يدل على العلم. إذ الجاهل لا يتصور منه

منه ليلتزم خوف الله وإعظامه والافتقار إليه، وليقتدي به وليبين صفة الدعاء (**وكان عليه السلام عند الكرب وهو ما يهجم على الإنسان مما يأخذ بنفسه ويحزنه**) جملة معترضة لتفسير الكرب (**يدعو**) يقول: (**لا إله إلا الله العظيم**) المطلق البالغ أقصى مراتب العظمة، الذي لا يتصوره عقل ولا يحيط بكنهه بصيرة ولا يعظم عليه شيء (**الحليم**) الذي لا يستفزه غضب ولا يحمله غيظ على استعجال العقوبة والمسارعة إلى الانتقام فيؤخره مع القدرة عليه (**لا إله إلا الله رب السموات والأرضين رب العرش العظيم**) بجره نعت للعرش (**رواه البخاري**) ومسلم عن ابن عباس.

وفي نسخة: رواه الشيخان وهي أصوب (**وفي رواية**) لهما أيضًا عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: (**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض**).

وفي رواية: ورب الأرض (**ورب العرش الكريم**) بجره، كالعظيم قبله صفة للعرش في رواية الأكثر، وروى برفعهما نعتان لرب أو للعرش خبر مبتدأ محذوف قطع عما قبله للمدح وسبق شرحه مبسوطًا في الطب.

(**قال الطيبي: صدر هذا الثناء**) المسمى دعاء، لأن الثناء على الكريم دعاء ولا أكرم منه سبحانه (**بذكر الرب ليناسب كشف الكرب، لأنه مقتضى التربية**) والمراد بالتصدير ذكره مرارًا في أثنائه إلا الابتداء به كما هو ظاهر (**ومنه التهليل المشتمل على التوحيد**) بقوله: أول كل قرينة لا إله إلا الله (**وهذا أصل التنزيهات الجلالية والعظمة التي تدل على تمام القدرة**) فلذا وصفه بها (**والحلم الذي يدل على العلم، إذ الجاهل**) أي: الأحمق (**لا يتصور منه حلم**

حلم ولا كرم، وهما أصل الأوصاف الإكرامية. انتهى.

وكان عليه السلام إذا همه أمر رفع رأسه إلى السماء وقال: سبحان الله العظيم، رواه الترمذي من حديث أبي هريرة.

فإن قلت: هذا ذكر ليس فيه دعاء.

فالجواب: إن التعرض للطلب تارة يكون بذكر أوصاف العبد من فقره وحاجته، وتارة بذكر أوصاف السيد من وحدانيته، والثناء عليه. وقد قال أمية بن أبي الصلت في مدح عبد الله بن جدعان:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يومًا كفاه من تعرضك الثناء

قال سفيان الثوري: فهذا مخلوق حين نسب إلى الكرم اكتفى بالثناء، فكيف بالخالق.

ولا كرم وهما) العظيم الحليم **(أصل الأوصاف الإكرامية. انتهى)**.

وتقدم عن ابن القيم أبسط من هذا في كلام المصنف في الطب **(وكان عليه السلام إذا همه أمر)** أقلقه وأزعجه **(رفع رأسه)** كذا في النسخ والمتقدم له في الطب عن الترمذي: إذا أهمه الأمر رفع طرفه وهو الذي في الترمذي بلفظ: أهمه بالألف وتعريف الأمر وطرفه، أي: بصره **(إلى السماء، وقال)** مستغيثًا متضرعًا: **(سبحان الله العظيم)** وإذا اجتهد في الدعاء، قال: يا حيّ يا قيّوم، هذا باقي الحديث.

(رواه الترمذي) تامًا **(من حديث أبي هريرة)** زاد في بعض النسخ هنا: **(فإن قلت: هذا)** المذكور من الحديثين **(ذكر ليس فيه دعاء، فالجواب: إن التعرض للطلب تارة يكون بذكر أوصاف العبد من فقره وحاجته، وتارة يكون بذكر أوصاف السيد)** المطلوب منه سبحانه وتعالى **(من وحدانيته والثناء عليه)** كما هنا **(وقال أمية بن أبي الصلت)** الذي آمن شعره وكفر قلبه **(في مدح عبد الله بن جدعان)** بضم الجيم وإسكان الدال ثم عين مهملتين التيمي: **(أأذكر حاجتي أم)** لا أذكرها، بل **(قد كفاني حياؤك)** بمهملة وتحتية عن ذكر حاجتي **(إن شيمتك:)** بمعجمة طبيعتك **(الحياء)** المقتضي مزيد الكرم المغني عن ذكر الحاجة **(إذا أثنى عليك:)** مدحك **(المرء يومًا)** قطعة من الزمان **(كفاه من تعرضك)** مصدر مضاف لمفعوله، أي: سؤاله لك **(الثناء)** أي: ثناؤه عليك.

(قال سفين الثوري) المتقدم للمصنف في الطب ابن عيينة: **(فهذا مخلوق حين نسب إلى الكرم اكتفى بالثناء)** عن السؤال **(فكيف بالخالق)** وهذا مر في الطب بأبسط من هذا،

وكان ﷺ إذا كربه أمر قال: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث»، رواه أبو داود من حديث أنس.

وقال عليه السلام: «ما كربني أمر إلا تمثل لي جبريل فقال: يا محمد قل: توكلت على الحي الذي لا يموت، والحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرًا». رواه الطبراني عن أبي هريرة. وتقدم في المقصد الثامن مزيد لذلك.

وكان ﷺ يقول في الضالة: «اللهم رادَّ الضالة وهادي الضالة أنت تهدي من الضلالة، اردد علي ضالتي بعزتك وسلطانك، فإنها من عطائك وفضلك». رواه الطبراني في الصغير من حديث ابن عمر.

وقد سقط في غالب النسخ: **(وكان)** ﷺ **(إذا كربه أمر)** أي: شق عليه وأهمه شأنه **(قال: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث)** مما نزل بي.

(رواه أبو داود من حديث أنس) وكذا الترمذي: **(وقال عليه السلام: ما كربني أمر إلاَّ تمثل لي:)** تصور **(جبريل، فقال: يا محمد قل توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا)** فخيره كله لعباده، فلذا استحق الحمد على ذلك **(ولم يكن له شريك في الملك)** الألوهية **(ولم يكن له ولي)** ينصره **(من)** أجل **(الذل)** أي: لم يذل فيحتاج إلى ناصر **(وكبره تكبيرًا:)** عظمه عظمة تامة عن الولد والشريك، والذل وكل ما لا يليق به أمره بأن يثق به ويسند أمره إليه في استكفاء ما ينوبه مع التمسك بقاعدة التوكل، وعرفه أن الحي الذي لا يموت حقيق بأن يتوكل عليه وحده ولا يتوكل على غيره من الأحياء الذين يموتون **(رواه الطبراني عن أبي هريرة.**

ورواه عنه أيضًا ابن مصري في أماليه، ورواه البيهقي وابن أبي الدنيا عن إسمٰعيل بن أبي فديك مرسلاً **(وتقدم في المقصد الثامن)** بميم فنون وهو مقصد الطب النبوي **(مزيد لذلك، وكان)** ﷺ **(يقول في الضالة)** أي: في دعائه لطلب ردها، وتكرر ذلك منه على ما يفيده: كان مع المضارع في أحد الأقوال: **(اللهم راد الضالة)** الإبل التي تبقى بمضيعة بلا رب للذكر والأنثى **(وهادي الضالة أنت تهدي)** بفتح التاء من هدى، أي: تنقذ وتخلص **(من الضلالة أردد عليّ ضالتي بعزك وسلطانك فإنها من عطائك وفضلك)**.

(رواه الطبراني في الصغير من حديث ابن عمر:) ويجوز أن هذا الدعاء ينفع لمن غاب عنه شيء حيوانًا كان أو غيره وإن كان الأصل أن الضالة الحيوان الضائع، ويقال لغيره ضائع

وكان ﷺ يدعو هكذا بباطن كفيه وظاهرهما. رواه أبو داود عن أنس.

وقال أبو موسى الأشعري ـ كما عند البخاري ـ دعا النبي ﷺ ثم رفع يديه حتى رأيت بياض ابطيه.

وعنده أيضًا من حديث ابن عمر: رفع ﷺ يديه فقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالدبن الوليد».

لكن في حديث أنس «لم يكن النبي ﷺ يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء» وهو حديث صحيح. ويجمع بينه وبين ما تقدم: بأن الرفع في الاستسقاء يخالف غيره إما بالمبالغة إلى أن يصير اليدان في حذو الوجه مثلاً، وفي الدعاء إلى حذو المنكبين، ولا يعكر على ذلك أنه ثبت في كل منهما حتى يرى بياض إبطيه، بل يجمع: بأن تكون رؤية البياض في الاستسقاء أبلغ منها في غيره، وإما أن الكفين في الاستسقاء يليان الأرض وفي الدعاء يليان السماء.

ولفظه: (وكان) ﷺ (يدعو هكذا بباطن كفيه) إلى السماء تارة إن دعا بنحو تحصيل شيء (وظاهرهما) إلى السماء تارة إن دعا بنحو دفع بلاء.

(رواه أبو داود عن أنس) بن مالك: قال النووي: قال العلماء: السنة في كل دعاء لدفع بلاء أن يرفع يديه جاعلاً ظهور كفيه إلى السماء، وإذا دعا بسؤال شيء وتحصيله أن يجعل كفيه إلى السماء. انتهى.

(وقال أبو موسى) عبد الله بن قيس (الأشعري كما عند البخاري) في المغازي في قصة دعائه لأبي عامر عم أبي موسى بعد قتله شهيدًا في غزوة خيبر بالراء: (دعا النبي ﷺ ثم رفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه) لعدم الشعر أصلاً أو لدوام تعاهده (وعنده) أي البخاري (أيضًا من حديث ابن عمر) في آخر حديث مر في المغازي: (رفع ﷺ يديه فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد) مرتين كما في البخاري (لكن في حديث أنس) في الصحيحين: (لم يكن النبي ﷺ يرفع يديه في شيء من دعائه إلاَّ في الاستسقاء وهو حديث صحيح، ويجمع بينه وبين ما تقدم بأن الرفع في الاستسقاء يخالف غيره، أما بالمبالغة) في الرفع (إلى أن يصير اليدان حذو الوجه مثلاً، وفي الدعاء) في غير الاستسقاء: يرفعهما (إلى حذو المنكبين، ولا يعكر على ذلك أنه) ثبت (في كل منهما) حديث أبي موسى، بلفظ: حتى رأيت، وحديث أنس بلفظ: (حتى يرى بياض إبطيه، بل) إضراب عن العكر (يجمع بأن تكون رؤية البياض في الاستسقاء أبلغ منها في غيره، وأما أن الكفين في الاستسقاء يليان الأرض، وفي الدعاء: يليان السماء).

قال الحافظ عبد العظيم المنذري: وبتعذير الجمع فجانب الإثبات أرجح. انتهى.

وروى الإمام أحمد والحاكم وأبو داود أنه ﷺ كان يرفع يديه إذا دعا حذو منكبيه. وفي رواية ابن ماجه: ويبسطهما.

وهذا يقتضي أن تكونا متفرقتين مبسوطتين، لا كهيئة الاغتراف.

قال الحافظ ابن حجر: غالب الأحاديث التي وردت في رفع اليدين في الدعاء إنما المراد بها مد اليدين وبسطهما عند الدعاء.

وروى ابن عباس: كان ﷺ إذا دعا ضم كفيه .وجعل بطونهما مما يلي وجهه. رواه الطبراني في الكبير بسند ضعيف.

وهل يمسح بهما وجهه؟ أما في القنوت في الصلاة فالأصح، لا، لعدم وروده

ويؤيده رواية مسلم عن أنس أنه ﷺ استسقى فأشار بظهر كفيه إلى السماء، ولأبي داود عن أنس: كان يستسقي هكذا ومد يديه وجعل بطونها مما يلي الأرض حتى رأيت بياض إبطيه.

(قال الحافظ عبد العظيم المنذري: وبتعذير الجمع) أي: تعذره **(فجانب الإثبات أرجح. انتهى)**.

وعند أبي داود والترمذي: وحسنه عن سلمان رفعه؛ أن ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا بكسر المهملة وسكون الفاء، أي: خاليتين **(وروى الإمام أحمد)** والحاكم **(وأبو داود؛ أنه ﷺ كان يرفع يديه إذا دعا حذو منكبيه)** أي: مقابلهما.

(وفي رواية ابن ماجه: ويبسطهما، وهذا يقتضي أن تكونا متفرقتين) لأن كونهما حذو المنكبين يقتضي تفرقهما **(مبسوطتين لا كهيئة الاغتراف)** الذي يجمعهما.

(قال الحافظ ابن حجر: غالب الأحاديث التي وردت في رفع اليدين في الدعاء إنما المراد بها مد اليدين وبسطهما عند الدعاء) وكأنه عند الاستسقاء زاد مع ذلك فرفعهما إلى جهة وجهه حتى حاذياه وبه حينئذٍ يرى بياض إبطيه، هذا بقية كلام الحافظ جاعلاً ذلك تأييدًا للجمع السابق أن المنفي الرفع البالغ.

(وروي ابن عباس: كان ﷺ إذا دعا ضم كفيه:) جمعهما **(وجعل بطونهما مما يلي وجهه، رواه الطبراني في الكبير بسند ضعيف)** وله شاهد عن أحمد عن السائب: كان ﷺ إذا سأل الله جعل باطن كفيه إليه، وإذا استعاذ جعل ظاهرهما إليه **(وهل يمسح بهما وجهه)** فيه

فيه، قال البيهقي: لا أحفظ فيه عن أحد من السلف شيئًا، وإن روي عن بعضهم في الدعاء خارج الصلاة، وقد روي فيه عن النبي ﷺ خبر ضعيف مستعمل عند بعضهم في الدعاء خارجها، فأما فيها فعمل لم يثبت فيه خبر ولا أثر ولا قياس، والأولى أن لا يفعله.

وقد دعا ﷺ لأنس فقال: «اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته» رواه البخاري.

وفي «الأدب المفرد» له، عن أنس قال: قالت أم سليم -وهي أم أنس-: خويدمك ألا تدعو له؟ فقال: «اللهم أكثر ماله وولده، وأطل حياته، واغفر له».

وفي الصحيح: إن أنسًا كان في الهجرة ابن تسع سنين، وكانت وفاته سنة إحدى وتسعين فيما قيل -وقيل: ثلاث- وله مائة وثلاث سنين. قاله خليفة وهو

تفصيل (**أما في القنوت في الصلاة فالأصح لا**) يمسح (**لعدم وروده فيه.**

(**قال البيهقي: لا أحفظ فيه عن أحد من السلف شيئًا، وإن روي عن بعضهم في الدعاء خارج الصلاة**) أنه يمسح ندبًا وهذا قسيم قوله: أما في القنوت (**وقد روى فيه عن النبي ﷺ خبر ضعيف**) أخرجه أبو داود عن بريدة أن النبي ﷺ كان إذا دعا فرفع يديه مسح وجهه بيديه حسنه بعض الحفاظ وهو (**مستعمل عند بعضهم في الدعاء خارجها**) فيستحب على المعتمد عند الشافعية، وقال به بعض المالكية تفاؤلاً وتيمنًا بأن كفيه ملئتا خيرًا، فأفاض منه على وجهه (**فأما فيها فعمل لم يثبت فيه خبر**) عن المصطفى (**ولا أثر**) عن صاحب (**ولا قياس والأولى أن لا يفعله**) تنزيهًا للصلاة عن فعل لم يرد (**وقد دعا ﷺ لأنس فقال: اللهم أكثر**) بفتح الهمزة وكسر المثلثة (**ماله وولده وبارك له فيما أعطيته، رواه البخاري**) في الدعوات ومسلم في الفضائل، كلاهما عن أنس، قال: قالت أم سليم للنبي ﷺ: أنس خادمك فادع له، فقال: فذكره (**وفي**) كتاب (**الأدب المفرد له**) للبخاري (**عن أنس قال، قالت أم سليم**) بضم السين وفتح اللام (**وهي أم أنس خويدمك**) بالتصغير تعني أنسًا (**ألا تدعو له**) قالت ذلك استعطافًا (**فقال**) ﷺ: (**اللهم أكثر ماله وولده وأطل حياته واغفر له**) فزاده دعوتين على الثلاثة في الحديث قبله والحديث واحد، غير أن بعض الرواة ذكر ما لم يذكر الآخر.

(**وفي الصحيح؛ أن أنسًا كان في الهجرة ابن تسع سنين وكانت وفاته سنة إحدى وتسعين فيما قيل، وقيل: ثلاث**) وتسعين (**وله مائة وثلاث سنين، قاله خليفة**) ابن خياط بخاء

المعتمد.

وأكثر ما قيل في سنه: أنه بلغ مائة سنة وسبع سنين، وأقل ما قيل فيه بلغ تسعًا وتسعين سنة.

وأما كثرة ولده، فروى مسلم قال أنس: فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليعادون على نحو المائة اليوم. وورد في حديث رواه الشيخان أن أنسًا قال: أخبرتي ابنتي أمينة ـ بضم الهمزة وفتح الميم، وسكون المثناة التحتية، بعدها نون ـ أنه دفن من صلبي إلى مقدم الحجاج البصرة مائة وعشرون.

وقال ابن قتيبة في «المعارف»: كان بالبصرة ثلاثة ما ماتوا حتى رأى كل واحد منهم من ولده مائة ذكر لصلبه: أبو بكرة، وخليفة بن بدر، وأنس، وزاد غيره

معجمة وتحتية ثقيلة العصفري البصري، شيخ البخاري، صدوق أخباري، علامة، مات سنة أربعين ومائتين **(وهو المعتمد)** كما قال الحافظ: **(وأكثر ما قيل في سنه أنه بلغ مائة سنة وسبع سنين)** هذا يرد على قول المصنف في شرح البخاري.

وقيل: عاش مائة سنة وثلاثين سنة، وقيل: مائة وعشرين **(وأقل ما قيل فيه: بلغ تسعا وتسعين سنة)** مائة إلاَّ سنة وهو آخر الصحابة موتًا بالبصرة **(وأما كثرة ولده فروى مسلم)** عن إسحق وهو ابن عبد اللّه بن أبي طلحة، قال: حدثني أنس، قال: جاءت بي أمي إلى رسول اللّه ﷺ قد أزرتني بنصف خمارها ردتني بنصفه، فقالت: يا رسول اللّه هذا ابني أنيس أتيتك به يخدمك فادع اللّه له، فقال: اللهم أكثر ماله وولده **(قال أنس: فواللّه إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليعادون)** أي يبينون بالعدد، لكن لفظ مسلم: ليتعادون **(على نحو المائة اليوم)** بتاء فوقية بعد التحتية، وبلفظ اليوم.

(وورد في حديث رواه الشيخان. أن أنسًا قال: أخبرتني ابنتي أمينة) أي: **(بضم الهمزة وفتح الميم وسكون المثناة التحتية بعدها نون)** فهاء تأنيث تابعية مقبولة، روى عنها أبوها؛ **(أنه دفن من صلبي إلى مقدم الحجاج)** بن يوسف الثقفي **(البصرة)** أميرًا عليها **(مائة وعشرون)** ذكورًا وأناثاً، ثم مات له بعد ذلك خمسة، فعند الطبراني قال أنس: فلقد دغنت من صلبي سوى ولد ولدي مائة وخمسة وعشرين.

(وقال) محمد بن مسلم **(بن قتيبة)** الدينوري **(في)** كتاب **(المعارف: كان بالبصرة ثلاثة)** من الرجال **(ما ماتوا حتى رأى كل واحد منهم من ولده مائة ذكر لصلبه أبو بكرة)** نفيع بن الحرث الثقفي الصحابي، مات بالبصرة سنة إحدى أو اثنتين وخمسين **(وخليفة بن بدر**

رابعًا: وهو المهلب بن أبي صفرة.

وأخرج ابن سعد عن أنس قال: دعا لي النبي ﷺ: «اللهم أكثر ماله وولده، وأطل عمره، واغفر له»، فقد دفنت من صلبي مائة واثنين، وإن ثمرتي لتحمل في السنة مرتين، ولقد بقيت حتى سئمت الحياة، وأرجو الرابعة.

وأخرج الترمذي عن أبي العالية في ذكر أنس: وكان له بستان يؤتي في كل سنة الفاكهة مرتين، وكان فيه ريحان تفوح منه رائحة المسك. ورجاله ثقات.

وأنس، وزاد غيره: رابعًا وهو المهلب بن أبي صفرة) بضم المهملة وإسكان الفاء واسمه ظالم بن سارق العتكي بفتح المهملة والفوقية، الأزدي البصري، من ثقات الأمراء وكان عارفًا بالحرب، فكان أعداؤه يرمونه بالكذب وهو من كبار التابعين وله رواية مرسلة، قال أبو إسحق السبيعي: ما رأيت أميرًا أفضل منه، مات سنة اثنتين وثمانين على الصحيح.

(وأخرج ابن سعد عن أنس، قال دعا لي النبي ﷺ) فقال: **(اللهم أكثر ماله وولده)** قال القاضي عياض: فيه جواز الدعاء بمثل هذا وحجة لفضل الغنيّ، وذلك إذا لم يشغل عن القيام بحق الله تعالى، ولولا دعوته ﷺ لخيف عليها الهلاك من كثرتهما، لأنه تعالى حذر من ذلك، فقال: إنما أموالكم وأولادكم فتنة، يعني في الغالب، وقال الأبي: ويحتمل أنه إنما دعا له بتكثير المال لما رأى عليه من حالة الفقر وهو دليل ترديه بنصف الخمار فلا دليل فيه على تفضيل الغني **(وأطل عمره واغفر له فقد دفنت من صلبي مائة واثنين وإن ثمرتي لتحمل)** بها الأشجار **(في السنة)** أي: كل سنة **(مرتين، لقد بقيت حتى سئمت)** كرهت **(الحياة وأرجو الرابعة)** وهي المغفرة.

وفي رواية لمسلم: فدعا لي بكل خير وكان في آخر ما دعا به لي أن قال: اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه، قال القرطبي: قوله دعا لي بكل خير يحتمل أنه دعا له بهذا اللفظ ويحتمل أن التعبير بذلك من أنس. انتهى.

والثاني هو المتبادر من قوله: وكان في آخر، فإنه يشعر أن قبله دعوات إما أنه لم يحفظها أو لم يرد التحديث بها تفصيلاً، فأجملها بقوله: بكل خير.

(وأخرج الترمذي عن أبي العالية) رفيع بن مهران **(في ذكر أنس)**: لفظ الترمذي من طريق أبي خلدة: قلت لأبي العالية: أسمع أنس من النبي ﷺ، قال: خدمه عشر سنين ودعا له النبي ﷺ **(وكان له بستان يؤتي)** بالواو، أي: يعطي **(في كل سنة الفاكهة مرتين)** وفي نسخة: يأتي بالفاكهة بالألف، أي: يجيء، والذي في الإصابة عن الترمذي عن أبي العالية يحمل الفاكهة في السنة مرتين **(وكان فيه ريحان يفوح منه ريح المسك ورجاله ثقات)** ثم لا تعارض بين هذا

ودعا علي الصلاة والسلام لمالك بن ربيعة السلولي أن يبارك له في ولده، فولد له ثمانون ذكرًا، رواه ابن عساكر.

وأرسل عليه الصلاة والسلام إلى علي يوم خيبر، وكان أرمد، فتفل في عينيه وقال: «اللهم أذهب عنه الحر والبرد»، قال: فما وجدت حرًا ولا بردًا منذ ذلك اليوم، ولا رمدت عيناي.

وبعث ﷺ عليًا إلى اليمن قاضيًا فقال: يا رسول الله، لا علم لي بالقضاء، فقال: «ادن مني، فدنا منه، فضرب يده على صدره وقال: اللهم اهد قلبه وثبت

وبين ما رواه ابن ماجه برجال ثقات عن عمرو بن غيلان الثقفي، والطبراني عن معاذ والطبراني أيضًا برجال ثقات عن فضالة بن عبيد مرفوعًا: «اللهم من آمن بي وصدقني وعلم أن ما جئت به هو الحق من عندك فأقلل ماله وولده وحبب إليه لقاءك، ومن لم يؤمن بي ولم يصدقني ولم يعلم أن ما جئت به هو الحق من عندك فأكثر ماله وولده وأطل عمره»، لأن فضل التقلل من الدنيا مختلف باختلاف الأشخاص، كما يشير إليه الحديث القدسي إن من عبادي من لا يصلحه إلاّ الغنى... الحديث، فمن الناس من يخاف عليه الفتنة بالمال والولد وعليه ورد هذا الحديث: وإن كانت من صيغة عموم لأنه يصدق بمؤمن يخاف عليه الفتنة بالمال والولد، ومنهم من لا يخاف عليه كأنس، وحديث: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»، فدعا لكل من أمته بما يصلح له ولا تناقض بين أحاديثه، فقول الداودي أحمد بن نصران: حديث أنس يدل على بطلان هذا الحديث، وكيف يصح وهو ﷺ يحض على النكاح والتماس والولد ساقط، فقد أمكن الجمع وقال الحافظ: لا منافاة بينهما لاحتمال أن يكون ورد في حصول الأمرين معًا، لكن يعكر عليه حديث أنس: فيقال كيف دعا له وهو خادمه بما كرهه لغيره، فيحتمل أنه قرن دعاءه له بذلك بأن لا يناله من قبله ضرر، لأن المعنى في كراهة كثرة اجتماع المال والولد إنما هو لما يخشى من الفتنة بهما والفتنة لا يؤمن معها الهلكة. انتهى.

(ودعا عليه الصلاة والسلام لمالك بن ربيعة) أبي مريم **(السلولي)** بمهملة، ولامين مشهور بكنيته شهد بيعة الرضوان وحجة الوداع **(أن يبارك له في ولده، فولد له ثمانون ذكرًا، رواه ابن عساكر)** وابن منده **(وأرسل عليه الصلاة والسلام إلى علي يوم خيبر وكان أرمد، فتفل)** بفوقية ففاء أقل من البزاق **(في عينيه، وقال: اللهم أذهب عنه الحر والبرد، فما وجد حرًا ولا بردًا منذ ذلك اليوم ولا رمدت عيناه)** بكسر الميم وتقدمت القصة مبسوطة في خيبر **(وبعث ﷺ عليًا)** زوج الزهراء **(إلى اليمن قاضيًا فقال)** حين أراد بعثه: **(يا رسول الله لا علم لي بالقضاء، فقال: ادن مني، فدنا:)** قرب **(منه، فضرب)** أي: وضع **(يده على صدره وقال:**

لسانه»، قال علي: فوالله ما شككت في قضاء بين اثنين، رواه أبو داود وغيره.

وعاد ﷺ عليًا من مرض فقال: «اللهم اشفه اللهم عافه»، ثم قال: «قم»، قال علي: فما عاد لي ذلك الوجع بعد. رواه الحاكم وصححه البيهقي وأبو نعيم.

ومرض أبو طالب، فعاده النبي ﷺ، فقال: يا ابن أخي ادع ربك الذي تعبد أن يعافيني، فقال: «اللهم اشف عمي، فقام أبو طالب كأنما نشط من عقال»، فقال: يا ابن أخي، إن ربك الذي تعبد ليطيعك، فقال: «وأنت يا عماه لئن أطعت الله ليطيعنك». رواه ابن عدي والبيهقي وأبو نعيم من حديث أنس. وتفرد به الهيثمي، وهو ضعيف.

ودعا عليه السلام لابن عباس: «اللهم فقهه في الدين، اللهم أعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل». رواه البغوي وابن سعد.

وفي رواية البخاري: «اللهم علمه الكتاب» فكان عالمًا بالكتاب، حبر الأمة،

اللهم اهد قلبه) بهمزة وصل **(وثبت لسانه)** بشد الموحدة، أي: اجعله مستقرًا دائمًا على النطق بالحق، أضاف الهداية للقلب، لأن المراد خلق الاهتداء فيه والثبات للسان لتحركه عند النطق، فناسب الثبات بمعني القرار **(قال علي: والله ما شككت في قضاء بين اثنين)**.

رواه أبو داود وغيره) كأحمد والترمذي من حديث علي: **(وعاد ﷺ عليًا من مرض، فقال: اللهم اشفه، اللهم عافه، ثم قال: قم)** كأنه زال عنه المرض في الحال فأمره بالقيام **(قال علي: فما عاد لي ذلك الوجع بعد)** بضم الدال **(رواه الحاكم وصححه البيهقي وأبو نعيم)** من حديث علي **(ومرض أبو طالب فعاده النبي ﷺ فقال: يا ابن أخي ادع ربك الذي تعبد أن يعافيني، فقال: اللهم اشف عمي، فقال أبو طالب: كأنما نشط)** بكسر الشين **(من عقال)** كان معقولاً به فحل منه فقام سريعًا **(قال: يا ابن أخي إن ربك الذي تعبد ليطيعك، فقال: وأنت يا عماه لئن أطعت الله ليطيعنك)**.

(رواه ابن عدي والبيهقي وأبو نعيم من حديث أنس، وتفرد به الهيثم وهو ضعيف، ودعا عليه السلام لابن عباس) عبد الله، فقال: **(اللهم فقهه في الدين، اللهم أعط ابن عباس الحكمة:)** تحقيق العلم وإتقان العمل **(وعلمه التأويل)** للقرءان، وقد جاء في رواية: وعلمه تأويل القرءان.

(رواه البغوي) الكبير في معجم الصحابة **(وابن سعد)** من حديث عمر بن الخطاب **(وفي رواية البخاري)** عن ابن عباس: ضمني النبي ﷺ إلى صدره، وقال: **(اللهم علمه الكتاب،**

بحر العلم، رئيس المفسرين، ترجمان القرءان، وكونه في الدرجة العليا والمحل الأقصى لا يخفى.

وقال للنابغة الجعدي لما قال:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في علم إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

القرءان، لأن العرف الشرعي عليه، والمراد بالتعليم ما هو أعم من حفظه والتفهم فيه.

وفي رواية للبخاري أيضًا: الحكمة بدل الكتاب، فقيل: المراد بها القرءان لأن الحديث واحد، فرواه بعضهم بالمعنى، والأقرب أن المراد بها الفهم في القرءان، وقيل: العمل به، وقيل السنة، وقيل: الإصابة في القول، وقيل، الخشية وقيل: الفهم عن الله، وقيل: العقل وقيل: ما يشهد العقل بصحته، وقيل: نور يفرق بين الإلهام والوسواس، وقيل: سرعة الجواب مع الإصابة، ذكره الحافظ: (**فكان عالمًا بالكتاب حبر**) بكسر الحاء أصح من فتحها عند أكثر اللغويين، وعند ثعلب والمحدثين الفتح، أي عالم (**الأمة بحر العلم رئيس المفسرين ترجمان القرءان وكونه في الدرجة العليا والمحل الأقصى لا يخفى**) على أحد (**وقال**) ﷺ (**للنابغة:**) بنون وموحدة وغين معجمة لقبه لأنه ترك الشعر مدة في الجاهلية، ثم عاد إليه بعد أن أسلم، فقيل: نبغ واسمه قيس بن عبد الله بن عديس بن ربيعة بن جعدة، وقيل: اسمه عبد الله، وقيل حبان بن قيس، وقيل: غير ذلك (**الجعدي**) نسبة إلى جده جعدة كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة (**لما قال**) أي: أنشده من قصيدته المطولة نحو مائتي بيت أولها:

خليلي غضا ساعة وتهجرا ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا

وقال ابن عبد البر: أظنه أنشدها كلها للنبي ﷺ، فلما أتى على قوله فيها:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتابًا كالمجرة نيرا
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

غضب وقال: «أين المظهر يا أبا ليلى»؟، قلت: الجنة، قال: «أجل إن شاء الله»، ثم قال: أنشدني فأنشدته:

(ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في علم إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا)

بوادر: جمع بادرة وصفوة بفتح المهملة وسكون الفاء، وأصدر: منع نفسه من المهالك

«لا يف الله فاك». أي لا يسقط الله أسنانك، وتقديره: لا يسقط الله أسنان فيك، فحذف المضاف: قال: فأتى عليه أكثر من مائة سنة وكان من أحسن الناس ثغرًا. رواه البيهقي. وقال فيه: فلقد رأيته ولقد أتى عليه نيف ومائة سنة وما ذهب له سن، وفي رواية ابن أبي أسامة: وكان من أحسن الناس ثغرًا وإذا سقطت له سن، نبتت له أخرى، وعند ابن السكن: فرأيت أسنان النابغة أبيض من البرد لدعوته ﷺ.

(**لا يف اللّه فاك**) زاد في رواية: مرتين (**أي: لا يسقط اللّه أسنانك وتقديره: لا يسقط اللّه أسنان فيك، فحذف المضاف**).

(**قال**) الراوي لهذا الحديث عن النابغة: (**فأتى عليه أكثر من مائة سنة وكان من أحسن الناس ثغرًا**) بمثلثة ومعجمة، أي: أسنانًا، ففي القاموس في معاني الثغر والأسنان أو مقدمها أو ما دامت في منابتها. انتهى.

وحمل ما هنا على الجميع متعين لقوله بعده وما ذهب له سن (**رواه البيهقي: وقال فيه**) الراوي: (**فلقد رأيته ولقد أتى عليه نيف ومائة سنة وما ذهب له سن، وفي رواية**) الحرث (**بن أبي أسامة**) من طريق الحسن بن عبيد اللّه العنبري، قال: حدثني من سمع النابغة الجعدي يقول: أتيت رسول اللّه ﷺ فأنشدته، فذكر القصة وقال في آخرها: (**وكان من أحسن الناس ثغرًا**) أي أسنانًا (**وإذا سقطت له سن**) لا يخالف قوله وما ذهب له سن، لأنه لما (**نبتت له أخرى**) مكانها كأنها لم تسقط.

وكذا رواه السلفي في الأربعين البلدانية من طريق نصر بن عاصم الليثي عن أبيه: سمعت النابغة يقول: أتيت رسول اللّه ﷺ، فذكر القصة وفيها فقال: «صدقت لا يف اللّه فاك»، قال عاصم: فبقي عمره أحسن الناس ثغرًا كلما سقطت سن عادت أخرى وكان معمرًا.

(**وعند ابن السكن**) في الصحابة والدارقطني في المؤتلف والمختلف عن كرز بن شامة: وكانت له وقادة عن النابغة، فذكر القصة بنحوها، وقال كرز: (**فرأيت أسنان النابغة أبيض من البرد**) حب الغمام (**لدعوته ﷺ**).

وعند الخطابي في غريب الحديث والمرهبي في كتاب العلم، وغيرهما عن عبد اللّه بن جراد: فرأيت أسنان النابغة كالبرد المنهل ما انقضمت له سن ولا انفلت.

وحكى في الإصابة الخلاف في سنه، فروى الحاكم عن النضر بن شميل عن المنتجع الإعرابي، قال: أكبر من لقيت النابغة الجعدي، قلت له: كم عشت في الجاهلية؟، قال: دارين، قال النضر: يعني مائتي سنة، وقال الأصمعي: عاش مائتين وثلاثين سنة، وقال ابن قتيبة: مات

وسقاه عليه الصلاة والسلام عمرو بن أخطب ماء في قدح قوارير، فرأى فيه شعرة بيضاء فأخذها، فقال: ﷺ «اللهم جمله»، فبلغ ثلاثًا وتسعين سنة وما في لحيته ورأسه شعرة بيضاء، رواه الإمام أحمد من طريق أبي نهيك. قال أبو نهيك: فرأيته ابن أربع وتسعين سنة وليس في لحيته شعرة بيضاء. وصححه ابن حبان والحاكم.

وأخرج البيهقي عن أنس أن يهوديًا أخذ من لحية النبي ﷺ فقال: «اللهم جمله». فاسودت لحيته بعد أن كانت بيضاء. وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن قتادة قال: حلب يهودي للنبي ﷺ ناقة، فقال: «اللهم جمله»، فاسود شعره، حتى صار أشد سوادًا من كذا وكذا. قال معمر: وسمعت غير قتادة يذكر أنه عاش

بأصبهان وله مائتان وعشرون سنة، وقال غيره مائة وثمانون، وقيل: مائتان.

قال أبو عبيدة معمر: كان النابغة ممن فكر في الجاهلية وأنكر الخمر والسكر وهجر الأزلام واجتنب الأوثان، وذكر دين إبراهيم **(وسقاه عليه الصلاة والسلام عمرو)** بفتح العين **(ابن أخطب)** بمعجمة فمهملة ابن رفاعة الأنصاري، الخزرجي، أبو زيد، مشهور بكنيته **(ماء في قدح قوارير)** أي: زجاج، وأما قوله تعالى: **﴿قوارير من فضة﴾** [الإنسان/ ١٦]، فقال البيضاوي: أي تلونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها، أي: لين مسها بمعنى نعومتها **(فرأى فيه شعرة بيضاء فأخذها، فقال ﷺ: «اللهم جمله»، فبلغ ثلاثًا وتسعين سنة وما في لحيته و)** لا في **(رأسه شعرة بيضاء)**.

(رواه الإمام أحمد من طريق أبي نهيك) قال: حدثني أبو زيد، قال: استسقى رسول الله ﷺ ماء فأتيته بقدح فذكره **(قال أبو نهيك)** بفتح النون الأزدي، البصري، الثقة، اسمه عثمان بن نهيك **(فرأيته ابن أربع وتسعين سنة وليس في لحيته شعرة بيضاء، وصححه ابن حبان والحاكم)** وقد عاش بعد ذلك، ففي رواية لأحمد أيضًا عن علباء بن أحمر عن أبي زيد بن أخطب، قال: مسح النبي ﷺ على وجهي ودعا لي ووجدته زادني جمالاً، قال، أي علباء: فأخبرني غير واحد أنه بلغ بضعًا ومائة سنة أسود الرأس واللحية.

(وأخرج البيهقي عن أنس أن يهوديًا أخذ من لحية النبي ﷺ) شيئًا يحسن إزالته **(فقال: اللهم جمله فاسودت لحيته بعد أن كانت بيضاء، وقال عبد الرزاق** بن همام أحد الحفاظ: **(أخبرنا معمر)** بن راشد **(عن قتادة)** بن دعامة **(قال: حلب يهودي للنبي ﷺ ناقة، فقال: اللهم جمله فاسود شعره حتى صار أشد سوادًا من كذا وكذا)**.

(قال معمر: وسمعت غير قتادة يذكر أنه عاش تسعين سنة) بفوقية قبل السين **(لم**

تسعين سنة فلم يشب. أخرجه ابن أبي شيبة وأبو داود في المراسيل والبيهقي وقال: مرسل شاهد لما قبله.

وقال ﷺ لابن الحمق الخزاعي، وقد سقاه ﷺ: «اللهم متعه بشبابه»، فمرت عليه ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء، رواه أبو نعيم وغيره.

وجاءته فاطمة وقد علاها الصفرة من الجوع، فنظر إليها ﷺ ووضع يده على صدرها ثم قال: «اللهم مشبع الجاعة لا تجع فاطمة بنت محمد». قال عمران بن الحصين: فنظرت إليها وقد علاها الدم على الصفرة في وجهها، ولقيتها بعد فقالت: ما جعت يا عمران، ذكره يعقوب بن سليمان الأسفرايني في دلائل الإعجاز.

ودعا ﷺ لعروة بن الجعد البارقي فقال: «اللهم بارك له في صفقة يمينه»، قال: فما اشتريت شيئًا قط إلا وربحت فيه.

يشب، أخرجه ابن أبي شيبة وأبو داود في المراسيل والبيهقي، وقال: مرسل شاهد لما قبله) من مرسل قتادة **(وقال عليه الصلاة والسلام لابن الحمق)** بفتح المهملة وكسر الميم وقاف واسمه عمرو بفتح العين ابن الحمق بن كاهل **(الخزاعي)** الكعبي: **(وقد سقاه عليه الصلاة والسلام)** لبنًا **(اللهم متعه بشبابه، فمرت عليه ثمانون سنة لم يرَ شعرة بيضاء)** يعني أنه استكمل الثمانين لا أنه عاش بعد ذلك ثمانين، قاله في الإصابة: **(رواه أبو نعيم وغيره)** من حديثه وقد سكن الكوفة ثم مصر ثم قتل زمن معٰوية، ووجه إليه برأسه **(وجاءته)** ﷺ **(فاطمة)** ابنته سيدة النساء **(وقد علاها الصفرة من الجوع، فنظر إليها ﷺ ووضع يده)** الميمونة **(على صدرها، ثم قال: اللهم مشبع الجاعة:)** جمع جائع **(لا تجع فاطمة بنت محمد، قال عمران بن الحصين: فنظرت إليها)** عقب الدعاء **(وقد علاها الدم على الصفرة في وجهها ولقيتها بعد، فقالت: ما جعت يا عمران)** بعد الدعاء.

(ذكره يعقوب بن سليمٰن الإسفرايني في دلائل الإعجاز ودعا عليه الصلاة والسلام لعروة بن الجعد) ويقال ابن أبي الجعد، وصوبه علي بن المديني وقال ابن قانع اسم أبي الجعد عياض، وزعم الرشاطي أنه عروة بن عياض بن أبي الجعد وأنه نسب إلى جده كما في الإصابة **(البارقي)** بالموحدة والقاف حضر فتوح الشام، ثم سيره عثمٰن إلى الكوفة وهو أول قاضٍ بها وحديثه عند أهلها: لما أرسله يشتري شاة بدينار فاشترى به شاتين باع إحداهما بدينار وجاء به وبالشاة الأخرى له ﷺ، فقال: **(اللهم بارك له في صفقة يمينه، قال)** عروة: **(فما اشتريت شيئًا قط إلا ربحت فيه)** والحديث مشهور في البخاري وغيره.

وقال لجرير البجلي وكان لا يثبت على الخيل، وضرب في صدره: «اللهم ثبته واجعله هاديًا مهديًا». قال: فما وقعت عن فرسي بعد.

وقال لسعد بن أبي وقاص: «اللهم أجب دعوته». فكان مجاب الدعوة. رواه البيهقي والطبراني في الأوسط.

ودعا لعبد الرحمٰن بن عوف بالبركة. رواه الشيخان عن أنس، زاد البيهقي من وجه آخر، قال عبد الرحمٰن: فلو رفعت حجرًا لرجوت أن أصيب تحته ذهبًا أو فضة. الحديث.

قال القاضي عياض: وقد فتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الأيدي، وأخذت كل زوجة ثمانين ألفًا، وكن أربعًا، وقيل: مائة ألف، وقيل: بل صولحت إحداهن لأنه طلقها في مرض موته على

(**وقال**) ﷺ (**لجرير**) بن عبد اللّه (**البجلي: وكان لا يثبت على الخيل**) أي: يسقط لعدم اعتياده ركوبها وكان يخاف السقوط عنها حال جريها (**وضرب في صدره اللهم ثبته**) فدعا له بأكثر مما طلب وهو الثبوت مطلقًا (**واجعله هاديًا**) لغيره (**مهديًا**) في نفسه (**قال**) جرير: (**فما وقعت عن فرس بعد**) والحديث في الصحيح (**وقال لسعد بن أبي وقاص**) لملك الزهري: (**اللهم أجب دعوته، فكان مجاب الدعوة**) بعين ما يدعو به.

(**رواه البيهقي والطبراني في الأوسط**) وهو في الترمذي من حديث ابن أبي حازم، عن سعد؛ أن النبي ﷺ قال: اللهم استجب لسعد إذا دعاك، فكان لا يدعو إلاَّ استجيب له (**ودعا**) ﷺ (**لعبد الرحمٰن بن عوف**) الزهري (**بالبركة**).

(**رواه الشيخان عن أنس**) قال: رأى النبي ﷺ على عبد الرحمٰن بن عوف أثر صفرة، فقال: مهيم، قال: تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب، فقال: بارك اللّه لك أولم ولو بشاة (**زاد البيهقي من وجه آخر**).

(**قال عبد الرحمٰن: فلو رفعت حجرًا لرجوت أن أصيب تحته ذهبًا أو فضة... الحديث**).

(**قال القاضي عياض: وقد فتح اللّه عليه، ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت**) بفتح الميم والجيم وتكسر الجيم، أي: تنقطت (**فيه الأيدي**) أي: صار فيها بين الجلد واللحم ماء.

قاله الجوهري: (**وأخذت كل زوجة ثمانين ألفًا وكن أربعًا، وقيل:**) أخذت كل واحدة من الأربع (**مائة ألف، وقيل: بل صولحت إحداهن**) وهي تماضر بضم الفوقية وكسر الضاد المعجمة الكلبية الصحابية (**لأنه طلقها في مرض موته على ثمانين ألفًا، وأوصى بخمسين ألفًا**

ثمانين ألفًا. وأوصى بخمسين ألفًا بعد صدقاته الفاشية في حياته، وعوارفه العظيمة، أعتق يومًا ثلاثين عبدًا، وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير، وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها.

وذكر المحب الطبري، مما عزاه للصفوة عن الزهري: أنه تصدق بشطر ماله: أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله، وكان عامة ماله من التجارة.

ودعا على مضر فأقحطوا حتى أكلوا العلهز ـ وهو الدم بالوبر ـ حتى استعطفته قريش.

ولما تلى عليه الصلاة والسلام ﴿**والنجم إذا هوى**﴾ قال عتيبة بن أبي لهب: كفرت برب النجم، فقال اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك. فخرج عتيبة مع أصحابه في عير إلى الشام حتى إذا كانوا بالشام زأر أسد، فجعلت فرائصه ترعد، فقيل له: في أي شيء ترعد؟ فوالله ما نحن وأنت في هذا إلا سواء، فقال:

بعد صدقاته الفاشية) أي: الكثيرة (**في حياته وعوارفه)** أي: أفعاله المعروفة: جمع عارفة (**العظيمة أعتق يومًا ثلاثين عبدًا وتصدق مرة بعير)** بكسر العين (**فيها سبعمائة بعير وردت عليه)** من تجارته (**تحمل من كل شيء، فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها)**.

(**وذكر المحب الطبري مما عزاه للصفوة)** لابن الجوزي (**عن الزهري أنه تصدق بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل)** المغازين (**على خمسمائة فرس في سبيل الله)** الجهاد (**ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة)** من الجمال (**في سبيل الله وكان عامة ماله من التجارة ودعا)** ﷺ (**على مضر)** بقوله: «اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف» (**فأقحطوا حتى أكلوا العلهز)** بكسر المهملة والهاء بينهما لام ساكنة وآخره زاي (**وهو الدم بالوبر حتى استعطفته قريش)** فدعا لهم (**ولما تلا عليه الصلاة والسلام: ﴿والنجم إذا هوى﴾ ، قال عتيبة)** بالتصغير (**ابن أبي لهب)** وأما أخوه عتبة المكبر فأسلم في فتح مكة كما مر (**كفرت برب النجم، فقال: «اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك» فخرج عتيبة مع أصحابه في عير:)** إبل (**إلى الشام)** في تجارة (**حتى إذا كانوا بالشام)** بمحل يقال له الزرقاء (**زأر)** بزاي فراء فهمزة، أي: صوت (**أسد، فجعلت فرائصه ترعد)** بضم العين وفتحها (**فقيل له: في أي شيء ترعد، فوالله ما نحن وأنت في هذا إلاَّ سواء، فقال: إن محمدًا دعا علي**

إن محمدًا دعا علي، ولا والله ما أظلت هذه السماء من ذي لهجة أصدق من محمد، ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه حتى جاء النوم، فأحاطوا به وأحاطوا أنفسهم بمتاعهم، ووسطوه بينهم وناموا، فجاء الأسد يستنشق رؤوسهم رجلاً رجلاً حتى انتهى إليه فمضغه مضغة، وهو يقول: ألم أقل لكم إن محمدًا أصدق الناس، ومات. ذكره يعقوب الأسفرايني. وتقدم في ذكر أولاده عليه الصلاة والسلام قصة بنحو هذه.

وعن مازن الطائي ـ وكان بأرض عمان ـ قلت: يا رسول الله، إني امرؤ مولع بالطرب وشرب الخمر والنساء، وألحت علينا السنون، فأذهبن الأموال وأهزلن الذراري والرجال، وليس لي ولد، فادع الله أن يذهب عني ما أجد ويأتيني بالحياء

ولا والله ما أظلت هذه السماء من ذي لهجة) بفتح الهاء أفصح من سكونها، قاله الزمخشري: **(أصدق من محمد، ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه حتى جاء النوم)** أي: وقته **(فأحاطوا به:)** داروا حوله **(وأحاطوا أنفسهم بمتاعهم ووسطوه بينهم وناموا، فجاء الأسد يستنشق:)** يشم **(رؤوسهم رجلاً رجلاً حتى انتهى إليه، فمضغه مضغة وهو يقول: ألم أقل لكم أن محمدًا أصدق الناس ومات)**.

(ذكره يعقوب الإسفرايني: وتقدم في ذكر أولاده عليه الصلاة والسلام قصة بنحو هذه) ذكر فيها أن سبب الدعاء أن عتيبة لما فارق السيدة أم كلثوم قال: كفرت بدينك وفارقت ابنتك، لا تحبني ولا أحبك فدعا عليه، فيحتمل تعدد السبب **(وعن مازن)** بزاي ونون ابن العضوية بفتح العين المهملة وضم الضاد المعجمة ابن غراب **(الطائي)**، ذكره ابن السكن وغيره في الصحابة: **(وكان بأرض عمان:)** بضم المهملة وخفة الميم موضع باليمن، وفي خبره هذا أنه أنشد النبي ﷺ:

إليك رسول الله خبت مطيتي تجوب الفيافي من عمان إلى العرج
لتشفع لي يا خير من وطىء الحصى فيغفر لي ذنبي وارجع بالفلج

والفلج بضم الفاء وسكون اللام وجيم الفوز، وتجوب بجيم وموحدة تقطع، وخبت بخاء معجمة وموحدة سارت سيرًا شديدًا، ويروى: جثت بمهملة مضمومة ومثلثة مبني للمفعول **(قلت: يا رسول الله إني امرؤ مولع)** متعلق **(بالطرب:)** بفتحتين الخفة واللعب والميل إلى اللهو **(وشرب الخمر والنساء، وألحت:)** دامت **(علينا السنون:)** القحط والجدب **(فأذهبن الأموال وأهزلن)** من الهزال بالزاي ضد السمن **(الذراري والرجال)** من الجوع **(وليس لي ولد، فادع الله أن يذهب عني ما أجد ويأتيني بالحياء)** بالقصر الغيث والمطر والخصب **(ويهب لي**

ويهب لي ولدًا، فقال ﷺ: «اللهم أبدله بالطرب قراءة القرءان وبالحرام الحلال وأته بالحياء، وهب له ولدًا»، قال مازن: فأذهب الله عني كلَّ ما كنت أجد، وأخصبت عمان وتزوجت أربع حرائر، ووهب الله لي حيان بن مازن. رواه البيهقي.

ولما نزل ﷺ بتبوك صلى إلى نخلة فمر رجل بينه وبينها فقال ﷺ: «قطع صلاتنا قطع الله أثره» فأقعد فلم يقم. رواه أبو داود والبيهقي، لكن بسند ضعيف.

وأكل عنده ﷺ بشماله فقال: «كل بيمينك»، قال: لا أستطيع، قال: لا استطعت، فما رفعها إلى فيه بعد. والرجل هو بسر ـ بضم الموحدة وسكون المهملة ـ ابن راعي العير، بفتح العين وسكون المثناة التحتية.

ولدًا، فقال ﷺ: اللهم أبدله بالطرب قراءة القرءان، وبالحرام الحلال، وأته بالحياء وهب له ولدًا، قال مازن: فأذهب الله عني كل ما كنت أجد وأخصبت عمان) أسقط من الحديث: وحججت حججًا وحفظت شطر القرءان **(وتزوجت أربع حرائر ووهب الله لي حيان)** بفتح الحاء المهملة وتشديد المثناة تحت، كذا رأيته مضبوطًا ولا أعرف له ترجمة، قاله في نور النبراس **(ابن مازن)**.

(رواه البيهقي) في الدلائل، والطبراني وابن السكن والفاكهي في كتاب مكة، وابن قانع كلهم من طريق هشام بن الكلبي، عن أبيه قال: حدثني عبد الله العماني، قال: قال مازن بن العضوبة: فذكر حديثًا طويلاً اقتصر المصنف منه على حاجته **(ولما نزل ﷺ بتبوك صلى إلى نخلة، فمر رجل بينه وبينها، فقال ﷺ: قطع صلاتنا)** أي: فعل ما ينقص ثوابها **(قطع الله أثره)** ولعله فهم منه انتهاك حرمة الله، فدعا عليه لأنه كان لا ينتقم لنفسه **(فأقعد فلم يقم)** أي: فلم يستطع القيام بعد.

(رواه أبو داود والبيهقي لكن بسند ضعيف: وأكل عنده ﷺ رجل بشماله، فقال: «كل بيمينك»، قال: «لا أستطيع»، قال: لا استطعت، فما رفعها إلى فيه بعد) فما استطاع رفعها، ذلك لا أنه تركه مع القدرة عليه، والحديث رواه مسلم عن سلمة بن الأكوع، وزاد في رواية مسلم: لم يمنعه إلا الكبر، واستدل به عياض على أنه كان منافقًا، وزيفه النووي بأن ابن مندة وأبا نعيم وابن ماكولا وغيرهم ذكروه في الصحابة، قال في الإصابة: وفيه نظر لأن كل من ذكره إنما استند لهذا الحديث، فالاحتمال قائم ويمكن الجمع بأنه لم يكن في تلك الحالة أسلم، ثم أسلم بعد **(والرجل)** المبهم في رواية مسلم: **(هو بسر ـ بضم الموحدة وسكون المهملة ـ)**، كما ضبطه الدارقطني وابن ماكولا وغيرهما، وقيل: فيه بشر بالمعجمة، ذكره ابن منده ونسبه أبو نعيم إلى التصحيف، لكن في سنن البيهقي؛ أنه بمعجمة أصح **(ابن راعي العير بفتح**

وطلب ﷺ معاوية بن أبي سفيان، فقيل له إنه يأكل، فقال في الثانية: «لا أشبع الله بطنه»، فما شبع بطنه أبدًا، رواه البيهقي من حديث ابن عباس، وكان معاوية رديفه يومًا فقال: «يا معاوية، ما يليني منك»؟ قال: بطني؟ قال: «اللهم املأه علمًا وحلمًا». رواه البخاري في تاريخه.

وقال ﷺ لأبي ثروان: «اللهم أطل شقاءه وبقاءه» فأدرك شيخًا كبيرًا شقيًا يتمنى الموت.

وكم له ﷺ من دعوات مستجابات، وقد أفرد القاضي عياض بابًا في

العين وسكون المثناة التحتية ـ) الأشجعي، كما سمي بذلك في رواية الدارمي وابن حبان والطبراني عن سلمة، ولا دلالة فيه على وجوب الأكل باليمين، لأن الدعاء ليس لترك المستحب، بل لقصده المخالفة كبرًا بلا عذر، ومر لذلك مزيد في المقصد الثالث: **(وطلب ﷺ معٰوية بن أبي سفيٰن، فقيل له أنه يأكل، فقال في الثانية: لا أشبع اللّٰه بطنه)** دعاء عليه على المتبادر، ويدل عليه قول **(فما شبع بطنه أبدًا)** وزعم أنه دعا له بأن اللّٰه يرزقه القناعة ليس بشيء، ولا يؤيده دعاؤه له في الحديث الثاني لأنهما قصتان.

(رواه البيهقي من حديث ابن عباس) وفي مسلم، عنه: قال لي النبي ﷺ: «ادع لي معٰوية» وكان كاتبه **(وكان معٰوية رديفه يومًا، فقال له: يا معٰوية ما يليني منك، قال بطني، قال: «اللهم املأه)** أي: البطن لأنه مذكر **(علمًا وحلمًا»، رواه البخاري في تاريخه: وقال ﷺ لأبي ثروان)** بمثلثة وراء الراعي التميمي، ذكره الدولابي في الكنى.

وأخرج عن أحمد بن داود المكي، عن إبرٰهيم بن زكريا، عن عبد الملك بن هرٰون بن عنيزة، قال: حدثني أبي، سمعت أبا ثروان يقول: كنت أرعى لبني عمرو بن تميم في إبلهم، فهرب النبي ﷺ من قريش، فجاء حتى دخل في إبلي، فنفرت الإبل؟، فإذا هو جالس، فقلت: من أنت؟، فقد نفرت إبلي قال: أردت أن أستأنس إليك وإلى إبلك، فقلت: من أنت؟، قال: ما يضرك أن لا تسألني؟، قلت: إني أراك الذي خرجت نبيًا، قال: أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا اللّٰه وأن محمدًا عبده ورسوله، قلت: أخرج من إبلي فلا يبارك اللّٰه في إبل أنت فيها، فقال: **(اللهم أطل شقاءه وبقاءه، فأدرك شيخًا كبيرًا شقيًا)** من الشقاء وهو التعب، لفظ الرواية المذكورة: قال هرٰون فأدركته شيخًا كبيرًا **(يتمنى الموت)** فقال له القوم: ما نراك يا أبا ثروان إلاّ هالكًا، دعا عليك رسول اللّٰه ﷺ، فقال: كلا إني أتيته بعدما ظهر الإسلام، فأسلمت واستغفر لي ولكن دعوته الأولى سبقت، وتابعه محمد بن سليمٰن الباغندي عن عبد الملك وعبد الملك متروك.

ذكره في الإصابة: **(وكم)** للتكثير ﷺ **(له من دعوات مستجابات، وقد أفرد القاضي**

الشفاء ذكر فيه طرفًا منها، وكذا الإمام يوسف بن يعقوب الاسفرايني في كتابه «دلائل الإعجاز» فكم أجابه الله تعالى إلى مسؤوله، وأجناه من شجرة دعائه ثمرة سؤله.

وأما حديث أبي هريرة عند البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبىء دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة» فقد استشكل ظاهره بما ذكرته، وبما وقع لنبينا ولكثير من الأنبياء صلى الله عليهم وسلم من الدعوات المجابة، فإن ظاهره أن لكل نبي دعوة مجابة فقط.

وأجيب: بأن المراد بالإجابة في الدعوة المذكورة القطع بها، وما عدا ذلك من دعواتهم فهي على رجاء الأجابة. وقيل: معنى قوله «لكل نبي دعوة» أي أفضل دعواته، ولهم دعوات أخرى، وقيل: لكل نبي منهم دعوة عامة مستجابة في أمته، إما

عياض بابًا في الشفاء، **ذكر فيه طرفًا)** أي: بعضًا **(منها وكذا الإمام يوسف بن يعقوب الإسفرايني في كتابه دلائل الإعجاز: فكم)** للتكثير **(أجابه الله تعالى إلى مسؤوله وأجناه)** بجيم ونون، أي: أعطاه **(من شجرة دعائه ثمرة سؤله)** شبه الدعاء ببستان ذي شجر، فهو استعارة بالكناية، وإثبات الشجر تخييل والثمرة ترشيح، والمعنى أن الله أعطاه ما سأل على أكمل وجه، وتهيأ ما سأله في دعائه.

(وأما حديث أبي هريرة عند البخاري) ومسلم وغيرهما **(أن رسول الله ﷺ قال: لكل نبي دعوة)** وقوله: **(مستجابة)** إنما وقعت في رواية أبي ذر وحده للبخاري ولم تقع لباقي رواته ولا هي في الموطأ الذي أخرجه البخاري من طريقه ولا في مسلم **(يدعو بها)** بهذه الدعوة **(وأريد أن أختبىء)** بسكون المعجمة وفتح الفوقية وكسر الموحدة فهمزة، أي: ادخر **(دعوتي)** المقطوع بإجابتها **(شفاعة لأمتي في الآخرة)** في أهم أوقات حاجتهم.

(فقد استشكل ظاهره بما ذكرته) من الأحاديث وفيها كلها أنه استجيب له ما دعا به **(وبما وقع لنبينا ولكثير من الأنبياء ﷺ من الدعوات المجابة)** التي لا تحصى **(فإن ظاهره أن لكل نبي دعوة مستجابة فقط)** تعليل للإشكال.

(وأجيب؛ بأن المراد بالإجابة في الدعوة المذكورة القطع بها وما عدا ذلك من دعواتهم فهي على رجاء الإجابة) على غير يقين ولا وعد.

(وقيل: معنى قوله لكل نبي دعوة) أي: هي **(أفضل دعواته ولهم دعوات أخرى)** ليست أفضل وإن كانت مجابة.

(وقيل: لكل نبي منهم دعوة عامة مستجابة في أمته، إما بإهلاكهم وإما بنجاتهم،

بإهلاكهم، وإما بنجاتهم، وأما الدعوات الخاصة: فمنها ما يستجاب ومنها ما لا يستجاب. وقيل: لكل نبي منهم دعوة تخصه لدنياه أو لنفسه، كقول نوح: ﴿**رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا**﴾[نوح/٢٦] وقول زكريا: ﴿**فهب لي من لدنك وليًا يرثني**﴾ [مريم/٦]، وقول سليمان: ﴿**رب هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي**﴾.

وأما قول الكرماني في شرحه على البخاري: فإن قلت: هل جاز أن لا يستجاب دعاء النبي ﷺ؟ قلت: لكل نبي دعوة مستجابة، وإجابة الباقي في مشيئة الله تعالى، فقال العيني: هذا السؤال لا يعجبني، لأن فيه بشاعة، وأنا لا أشك أن جميع دعوات النبي ﷺ مستجابة. وقوله: «لكل نبي دعوة مستجابة» لا ينفي ذلك، لأنه ليس بمحصور. انتهى. ولم ينقل أنه ﷺ دعا بشيء فلم يستجب له.

وفي هذا الحديث بيان فضيلة نبينا ﷺ على سائر الأنبياء، حيث آثر أمته

وأما الدعوات الخاصة فمنها ما يستجاب ومنها ما لا يستجاب) بعين المطلوب لا مطلقًا، فلا يرد أن آحاد المؤمنين يستجاب لهم بإحدى ثلاث كما مر.

(**وقيل: لكل منهم دعوة تخصه لدنياه أو لنفسه، كقول نوح: رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا)** فهذه دعوة لإصلاح دنياه (**وقول زكريا: فهب لي من لدنك وليًا يرثني)** فهذه لنفسه (**وقول سليمن: رب هب لي ملكًا لا ينبغي:)** لا يكون (**لأحد من بعدي)** فهذه لنفسه.

(**وأما قول الكرماني)** محمد بن يوسف (**في شرحه على البخاري: فإن قلت: هل جاز أن لا يستجاب دعاء النبي ﷺ، قلت: لكل نبي دعوة مستجابة وإجابة الباقي في مشيئة الله)** تعالى، فيجوز أن لا يستجاب بعضها في الدنيا وأكثرها مجاب (**فقال العيني)** بدر الدين محمود: (**هذا السؤال لا يعجبني لأن فيه بشاعة:)** كراهة (**وأنا لا أشك أن جميع دعوات النبي ﷺ مستجابة)**.

(**وقوله: لكل نبي دعوة مستجابة لا ينفي ذلك لأنه ليس بمحصور. انتهى)** أي لم يقل لا يستجاب لكل نبي إلا دعوة وهذا قد سبقه إلى نحوه بعض شراح المصابيح، وقد تعقبه الطيبي بأنه غفلة عن الحديث الصحيح.

سألت الله ثلاثًا فأعطاني اثنين ومنعني واحدة. انتهى، وبه يتعقب أيضًا قوله: (**ولم ينقل أنه ﷺ دعا بشيء فلم يستجب له)** بل نقل كما رأيت (**وفي هذا الحديث بيان فضيلة**

على نفسه وأهل بيته بدعوته المجابة، ولم يجعلها دعاء عليهم بالهلاك كما وقع لغيره، صلوات الله وسلامه عليهم.

وظاهر الحديث يقتضي أنه عليه السلام أخر الدعاء والشفاعة ليوم القيامة، فذلك اليوم يدعو ويشفع، ويحتمل أن يكون المؤخر ليوم القيامة ثمرة تلك الدعوة ومنفعتها، وأما طلبها فحصل من النبي ﷺ في الدنيا.

وقد أمر الله النبي ﷺ الترقي في مراتب التوحيد بقوله: ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله**﴾[محمد/١٩] فإنه ليس أمرًا بتحصيل ذلك العلم، لأنه عالم بذلك، ولا بالثبات، لأنه معصوم، فتعين أن يكون للترقي في مراتبه ومقاماته، إشارة إلى أن العلم به تعالى والسير إليه لا نهاية له أبدًا، فجميع العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية في العالم منتظم في سلك تحقيقها، وستثمر من أفنان طواياها، ولذا

نبينا ﷺ **على سائر الأنبياء حيث آثر أمته على نفسه)** فلم يدعها لنفسه (و) على (**أهل بيته بدعوته المجابة)** فلم يدع بها لهم (**ولم يجعلها دعاء عليهم)** أي: أمته (**بالهلاك كما وقع لغيره)** نوح (**صلوات الله وسلامه عليهم)** ووجه الفضيلة للمصطفى مع أن نوحًا إنما دعا بعد أن أوحي إليه أنه لن يؤمن من قومك إلاَّ من قد آمن أن نبينا ﷺ لما أتى له ملك الجبال وقال: إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، قال: لا إني أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله صلى الله عليهم أجمعين (**وظاهر الحديث يقتضي أنه عليه السلام أخر الدعاء والشفاعة ليوم القيامة، فذلك اليوم يدعو ويشفع)** فيه فهو خبر، فذلك اليوم والعائد محذوف، ويحتمل نصب اليوم ظرفًا فلا حذف.

(**ويحتمل أن يكون المؤخر ليوم القيامة ثمرة تلك الدعوة ونفعها، وأما طلبها فحصل من النبي ﷺ في الدنيا)** لكنه احتمال بعيد مخالف للظاهر (**وقد أمر الله النبي ﷺ بالترقي في مراتب التوحيد، بقوله: ﴿فاعلم أنه لا إله إلاَّ الله﴾ فإنه ليس أمرًا بتحصيل ذلك العلم لأنه عالم بذلك)** فيلزم الأمر بالموجود في المأمور (**ولا بالثبات)** الدوام عليه (**لأنه معصوم)** فلا يمكن منه عدم الثبات حتى يؤمر به (**فتعين أن يكون للترقي في مراتبه ومقاماته إشارة إلى أن العلم به تعالى والسير إليه لا نهاية له أبدًا، فجميع العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية في العالم منتظم)** داخل (**في سلك تحقيقها ومستثمر)** أي: مثمر فالسين زائدة (**من أفنان)** جمع فنن، أي: أغصان، أي: خواص (**طواياها)** أي: المراتب العلية جمع طوية بمعنى مطوية، أي: ما خفي من تلك المراتب.

اكتفى بعلمها له ﷺ في الآية فالشأن كله في تصحيح التوحيد وتجريده وتكميله، وقد قال تعالى له عليه الصلاة والسلام: ﴿**واذكر اسم ربك**﴾[المزمل/٨] وقال: ﴿**واذكر ربك في نفسك تضرعًا وخيفة**﴾[الأعراف/٢٠٥]، لأنه لا بد في أول السلوك من الذكر باللسان مدة، ثم يزول الاسم ويبقى المسمى، فالدرجة الأولى هي المرادة بقوله: ﴿**واذكر اسم ربك**﴾، والمرتبة الثانية هي المرادة بقوله: ﴿**واذكر ربك**﴾، وفي استيفاء مباحث ذلك طول، يخرج عن الغرض، وقد تقدم جملة من أذكاره مفرقة في الوضوء والصلاة والحج وغير ذلك.

وقد كان ﷺ يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة. كما رواه عنه أبو هريرة عند البخاري.

وظاهره أنه يطلب المغفرة، ويعزم على التوبة، ويحتمل أن يكون المراد: أنه ﷺ يقول هذا اللفظ بعينه، ويرجح الثاني ما أخرجه النسائي بسند جيد من

(**ولذا اكتفى بعلمها له ﷺ في الآية، فالشأن كله في تصحيح التوحيد وتجريده**) عن شوائب الشرك (**وتكميله**) بالترقي فيه.

(**وقد قال تعالى له عليه الصلاة والسلام: واذكر اسم ربك، وقال: واذكر ربك في نفسك**) أي: سرًا (**تضرعًا**) تذللاً (**وخيفة**) خوفًا منه (**لأنه لا بدّ في أول السلوك من الذكر باللسان مدة، ثم يزول الاسم ويبقى المسمى، فالدرجة الأولى هي المرادة بقوله: واذكر اسم ربك والرتبة الثانية هي المرادة بقوله: واذكر ربك في نفسك وفي استيفاء مباحث ذلك طول يخرج عن الغرض**) وهذا شذا عبقة صوفية.

(**وقد تقدم جملة من أذكاره مفرقة في الوضوء والصلاة والحج وغير ذلك**) كالصيام فلا حاجة إلى إعادتها (**وقد كان ﷺ يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة**) إظهارًا للعبودية وافتقارًا لكرم الربوبية وتعليمًا لأمته أو من ترك الأولى أو تواضعًا، أو لأنه كان دائم الترقي في معارج القرب، فكلما ارتقى درجة ورأى ما قبلها دونها استغفر، لكن قال الفتح: إن هذا مفرع على أن العدد المذكور في استغفاره كان مفرقًا بحسب تعدد الأحوال، وظاهر ألفاظ الحديث يخالف ذلك.

(**كما رواه عنه أبو هريرة**) قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»، هذا لفظه (**عند البخاري**) في الدعوات وليس فيه والليلة (**وظاهره أنه يطلب المغفرة ويعزم على التوبة، ويحتمل أن يكون المراد أنه ﷺ يقول**

طريق مجاهد عن ابن عمر: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه» في المجلس قبل أن يقوم مائة مرة. وله: من رواية محمد بن سوقة عن نافع عن ابن عمر بلفظ: إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور»، مائة مرة.

ويحتمل أن يريد بقوله في حديث أبي هريرة «أكثر من سبعين مرة» المبالغة.

ويحتمل أن يريد العدد بعينه، ولفظ «أكثر» مبهم، فيمكن أن يفسر بحديث ابن عمر المذكور، وأنه يبلغ المائة. وقد وقع في طريق أخرى عن أبي هريرة، من رواية معمر عن الزهري بلفظ: «إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» لكن خالف معمر أصحاب الزهري في ذلك.

هذا اللفظ بعينه، ويرجح الثاني ما أخرجه النسائي بسند جيد) أي: مقبول **(من طريق مجاهد عن ابن عمر، أنه سمع النبي ﷺ يقول: أستغفر اللّه الذي لا إله إلاّ هو الحي القيوم وأتوب إليه في المجلس قبل أن يقوم مائة مرة، وله)** أي: النسائي **(من رواية محمد بن سوقة)** بضم المهملة الغنوي بفتح المعجمة والنون الخفيفة أبي بكر الكوفي، العابد الثقة، المرضي، من رجال الجميع **(عن نافع عن ابن عمر، بلفظ: أن)** مخففة من الثقيلة، أي: أنا **(كنا لنعد لرسول اللّه ﷺ في المجلس، رب اغفر لي وتب عليّ إنك التواب الغفور مائة مرة)**.

(ويحتمل أن يريد بقوله في حديث أبي هريرة أكثر من سبعين مرة المبالغة) والتكثير، فإن العرب تضع السبع والسبعين والسبعمائة موضع الكثرة، وقد قال أعرابي: لمن أعطاه شيئًا سبع اللّه لك الأجر، أي: كثره لك، ويدل عليه حديث البخاري مرفوعًا: إن عبدًا أذنب ذنبًا، فقال: رب إني أذنبت ذنبًا فاغفر لي، فغفر له وفي آخره علم عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به أعمل ما شئت فقد غفرت لك.

(ويحتمل أن يريد به العدد بعينه) كما قال في النهاية والمطالع: كل ما جاء في الحديث من ذكر الأسباع، قيل: هو على ظاهره وحصر عدده، وقيل: هو بمعنى التكثير **(و)** لكن **(لفظ: أكثر مبهم فيمكن أن يفسر بحديث ابن عمر المذكور، وأنه يبلغ المائة)** لأن الحديث يفسر بالحديث.

(وقد وقع في طريق أخرى عن أبي هريرة من رواية معمر عن الزهري) عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن، عن أبي هريرة **(بلفظ: «إني لأستغفر اللّه في اليوم مائة مرة»، لكن خالف معمر أصحاب الزهري في ذلك)** فإنهم إنما قالوا أكثر من سبعين، فرواية معمر شاذة.

نعم أخرج النسائي أيضًا من رواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة بلفظ: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم مائة مرة».

وأخرج النسائي أيضًا من طريق عطاء، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ جمع الناس فقال: «يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة».

واستغفاره عليه الصلاة والسلام تشريع لأمته، أو من ذنوبهم، وقيل غير ذلك، وتقدم ما ينتظم في سلك ذلك.

فإن قلت: ما كيفية استغفاره ﷺ؟

فالجواب: أنه ورد في حديث شداد بن أوس، عند البخاري: رفعه سيد الاستغفار أن يقول: «اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على

(**نعم أخرج النسائي من رواية محمد بن عمرو**) بفتح العين (**عن أبي سلمة**) بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبي هريرة (**بلفظ: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم مائة مرة»**).

وأخرج النسائي أيضًا من طريق عطاء بن أبي رباح (**عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ جمع الناس، فقال: «يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة»**) فثبت بذلك أن حديث أبي هريرة جاء بلفظ: مائة مرة من غير طريق الزهري، ومن طريقه بلفظ: أكثر من سبعين، فقوى تفسير أكثر بالمائة (**واستغفاره عليه الصلاة والسلام تشريع لأمته أو من ذنوبهم**).

(**وقيل: غير ذلك، وتقدم ما ينتظم في سلك ذلك، فإن قلت: ما كيفية استغفاره عليه السلام، فالجواب أنه**) قد علم مما سبق أنه لم يتقيد بصفة مخصوصة، ولكن (**ورد في حديث شداد بن أوس**) بن ثابت الأنصاري ابن أخي حسان بن ثابت، يكنى أبا يعلى، مات بالشام قبل سنة ستين أو بعدها (**عند البخاري**) والنسائي (**رفعه سيد الاستغفار**) أي: أفضله كما أشار إليه البخاري حيث ترجم على هذا الحديث باب أفضل الاستغفار، ومعنى الأفضلية كما قال الحافظ: الأكثر نفعًا للمستعمل، وقال الطيبي: لما كان هذا الدعاء جامعًا لمعاني التوبة كلها استعير له اسم السيد وهو في الأصل الرئيس الذي يقصد في الحوائج ويرجع إليه في الأمور (**أن يقول**) العبد، ففي رواية أحمد والنسائي: أن سيد الاستغفار أن يقول العبد: (**اللهم أنت ربي لا إله إلاَّ أنت خلقتني**) كذا في معظم الروايات: أنت مرة واحدة، ولبعضهم أنت أنت مرتين (**وأنا عبدك**).

قال الطيبي: يجوز أن تكون حالاً مؤكدة وأن تكون مقدرة، أي: أنا عبد لك، كقوله وبشرناه بإسحق نبيًا من الصالحين، وينصره عطف قوله: (**وأنا على عهدك ووعدك**) أي: ما

عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت». قال: «من قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل موقنًا بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة» فتعين أن هذه الكيفية هي

عاهدتك عليه وواعدتك من الإيمان بك وإخلاص الطاعة لك **(ما استطعت)** من ذلك وما مصدرية ظرفية، أي: مدة استطاعتي، وفيه إشارة إلى الاعتراف بالعجز والقصور عن كنه الواجب من حقه تعالى، وقد يكون المراد كما قال ابن بطال: بالعهد العهد الذي أخذه الله على عباده حين أخرجهم أمثال الذرو أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم، فأقروا بالربوبية وأذعنوا بالوحدانية، وبالوعد ما قال على لسان نبيه ﷺ: إن مات لا يشرك بالله شيئًا وأدى ما افترض الله عليه دخل الجنة **(أعوذ بك من شر ما صنعت: أبوء)** بضم الموحدة وسكون الواو بعدها همزة ممدودة: أعترف **(بنعمتك عليّ وأبوء)**.

زاد في رواية الكشميهني: لك **(بذنبي)** أعترف به أو أحمله برغمي، لا أستطيع صرفه عني **(فاغفر)** في رواية بلا فاء **(لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)**.

قال الطيبي: اعترف أولاً بأنه أنعم عليه ولم يقيده ليشمل جميع أنواع الأنعام، ثم اعترف بالتقصير وأنه لم يقم بأداء شكرها وعده ذنبًا مبالغة في التقصير وهضم النفس.

قال الحافظ: ويحتمل أن قوله: أبوء لك بذنبي اعتراف بوقوع الذنب مطلقًا ليصح الاستغفار منه لا أنه عدّ ما قصر فيه من أداء النعم ذنبًا **(قال)** ﷺ: **(من قالها)** أي: الكلمات **(من النهار موقنًا)** مخلصًا **(بها)** من قلبه مصدقًا بثوابها **(فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة)** الداخلين لها ابتداء من غير دخول النار، لأن الغالب أن المؤمن بحقيقتها الموقن بمضمونها لا يعصي الله تعالى، أو أن الله تعالى يعفو عنه ببركة هذا الاستغفار.

قاله الكرماني: **(ومن قالها من الليل وهو موقن)** مخلص **(بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة)** ويحتمل أن يكون هذا فيمن قالها ومات قبل أن يفعل ما تغفر له به ذنوبه، وقال ابن أبي جمرة: من شرط الاستغفار صحة النية والتوجه والأدب، فلو أن أحدًا حصل الشروط واستغفر بغير هذا اللفظ واستغفر آخر بهذا اللفظ الوارد لكن أخل بالشروط هل يتساويان، فالجواب: إن الذي يظهر أن اللفظ المذكور إنما يكون سيد الاستغفار إذا جمع الشروط المذكورة، قال: وقد جمع هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق له أن يسمى سيد الاستغفار، ففيه الإقرار لله وحده بالألوهية والعبودية والاعتراف بأنه الخالق والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه والرجاء بما وعده به والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه وإضافة النعماء

الأفضل، وهو ﷺ لا يترك الأفضل.

وأما قراءته ﷺ وصفتها، فكانت مدًا، يمد بـ «بسم الله»، ويمد بـ«الرحمٰن»، ويمد بـ «الرحيم». رواه البخاري عن أنس.

إلى موجدها وإضافة الذنب إلى نفسه ورغبته في المغفرة واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو وفي كل ذلك الإشارة إلى الجمع بين الشريعة والحقيقة وأن تكاليف الشريعة لا تحصل إلا إذا كان في ذلك عون من الله وهذا هو القدر الذي يكنى عنه بالحقيقة، فلو أن العبد خالف حتى يجري عليه ما قدر عليه وقامت الحجة عليه ببيان المخالفة لم يبق إلا أحد أمرين إما العقوبة بمقتضى العدل أو العفو بمقتضى الفضل ا هـ.

وقال الكرماني: لا شك أن في الحديث ذكر الله بأكمل الأوصاف وذكر العبد نفسه بأنقص الحالات وهو أقصى غاية التضرع ونهاية الاستكانة لمن لا يستحقها إلاَّ هو، أما الأول فلما فيه من الاعتراف بوجود الصانع وتوحيده الذي هو أصل الصفات القدسية المسماة بصفات الجلال والاعتراف بالصفات الصنعية الوجودية المسماة بصفات الإكرام وهي القدرة اللازمة عن الخلق الملزومة للإرادة والعلم والحياة والخامسة الكلام اللازم من الوعد والسمع والبصر اللازمان من المغفرة، إذ المغفرة للمسموع والمبصر لا تتصور إلاَّ بعد السماع والإبصار.

وأما الثاني، فلما فيه أيضًا من الاعتراف بالعبودية وبالذنوب في مقابلة النعمة التي تقتضي نقيضها وهو الشكر ا هـ (**فتعين أن هذه الكيفية هي الأفضل وهو ﷺ لا يترك الأفضل**) رأسًا، بل بقوله: ويقول غيره لا أنه يقتصر عليه وإلاَّ خالف الأحاديث.

قال الحافظ: ومن أوضح ما جاء في الاستغفار ما أخرجه الترمذي وغيره مرفوعًا: «من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه وإن كان فر من الزحف».

قال أبو نعيم: هذا يدل على أن بعض الكبائر يغفر ببعض العمل الصالح وضابطه الذنوب التي لا توجب على مرتكبها حكمًا في نفس ولا مال وفي قوله تعالىٰ: ولم يصروا على ما فعلوا إشارة لي أن من شرط قبول الاستغفار أن يقلع المستغفر عن الذنب وإلاَّ فالاستغفار باللسان مع التلبس بالذنب كالتلاعب، ولأبي داود والترمذي مرفوعًا: «ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة».

(**وأما قراءته ﷺ: وصفتها فكانت مدًا**) بغير همز، أي: ذات مد، أي: يمد الحرف المستحق للمد (**يمد ببسم الله**) أي: اللام التي هي قبل هاء الجلالة (**ويمد بالرحمٰن**) الميم التي قبل النون (**ويمد بالرحيم**) أي: الحاء المد الطبيعي الذي لا يمكن النطق بالحرف إلاَّ به من غير زيادة عليه لا كما يظن بعضهم من الزيادة عليه.

(**رواه البخاري**) في التفسير (**عن أنس: ونعتتها**) وصفت قراءته (**أم سلمة**) هند (**قراءة**

ونعتتها أم سلمة: قراءة مفسرة حرفًا حرفًا. رواه أبو داود والنسائي والترمذي.

وقالت أيضًا: كان ﷺ يقطع قراءته، يقول: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ ثم يقف، ثم يقول: ﴿**الرحمٰن الرحيم**﴾ ثم يقف. رواه الترمذي.

وقالت حفصة: كان يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها. رواه مسلم.

وقال البراء: كان يقرأ في العشاء ﴿**والتين والزيتون**﴾ فما سمعت أحدًا

مفسرة حرفًا حرفًا، رواه أبو داود والنسائي والترمذي) عنها: **(وقالت)** أم سلمة: **(أيضًا كان ﷺ يقطع)** بشد الطاء من التقطيع **(قراءته)** أسقط من الحديث آية آية، أي: يقف على فواصل الآي **(يقول: الحمد لله رب العالمين، ثم يقف، ثم يقول الرحمٰن الرحيم، ثم يقف)** وهكذا، ولذا قال البيهقي وغيره: الأفضل الوقوف على رؤوس الآي وإن تعلقت بما بعدها.

قال البيهقي: متابعة السنة أولى مما ذهب إليه بعض القراء من تتبع الأغراض والمقاصد والوقوف عند انتهائها، وقال الطيبي: قوله رب العالمين يشير إلى ملكه لذوي العلم من الملائكة والثقلين يدبر أمرهم في الدنيا، وقوله: مالك يوم الدين يشير إلى أنه يتصرف فيهم في الآخرة بالثواب والعقاب.

وقوله: الرحمٰن الرحيم متوسط بينهما، ولذا قيل: رحمٰن الدنيا ورحيم الآخرة، فكما جاز ذلك الوقف يجوز هذا، فقول بعضهم: هذه الرواية لا يرتضيها البلغاء وأهل اللسان، لأن الوقف الحسن ما هو عند الفصل التام من أول الفاتحة إلى مالك يوم الدين، وكان ﷺ أفضل الناس غير مرضي والنقل أولى بالاتباع.

(رواه الترمذي) وقال حسن غريب والحاكم: وقال على شرطهما، وأقره الذهبي **(وقالت حفصة)** أم المؤمنين: **(كان يرتل السورة)** يقرأها بتمهل، وترسل ليقع مع ذلك التدبر، كما أمره تعالى (﴿**ورتل القرءان ترتيلا**﴾ [المرسل/٤]) **(حتى تكون أطول من أطول منها)** إذا قرئت، بلا ترتيل، أي حتى يكون الزمن الذي صرفه في قراءتها أطول من الزمن الذي صرفه في قراءة الطويلة.

(رواه مسلم) من طريق مالك وغيره، وهو في الموطأ **(وقال البراء)** بن عازب رضي اللّه تعالى عنهما: **(كان)** ﷺ **(يقرأ في العشاء والتين)** بالواو حكاية، ولبعض الرواة بالتين **(والزيتون)** أي بهذه السورة في الركعة الأولى.

ففي رواية للشيخين أيضًا عن البراء أنه ﷺ كان في سفر، فقرأ في العشاء في إحدى

أحسن صوتًا أو قراءة منه ﷺ. رواه الشيخان.

فقد كانت قراءته ﷺ ترتيلاً لا هَذًا ولا عجلة، بل قراءة مفسرة حرفًا حرفًا، وكان يقطع قراءته آية آية، وكان يمد عند حروف المد، وكان يتغنى بقراءته، ويرجع صوته بها أحيانًا، كما رجع يوم الفتح في قراءة ﴿**إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا**﴾. وحكى عبد الله بن مغفل ترجيعه: آآآثلاث مرات، ذكره البخاري.

وإذا جمعت هذا الحديث إلى قوله: «زينوا القرءان بأصواتكم» وقوله: «ليس

الركعتين والتين والزيتون، وللنسائي، فقرأ في الركعة الأولى، وفي كتاب الصحابة لابن السكن عن ورقة بن خليفة رجل من أهل اليمامة.

قال: سمعنا بالنبي ﷺ، فأتيناه، فعرض علينا الإسلام، فأسلمنا، وأسهم لنا، وقرأ في الصلاة بالتين والزيتون و﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر**﴾.

قال الحافظ: يمكن إن كانت، أي القراءة في الصلاة التي عين البراء أنها العشاء، أنه قرأ في الأولى بالتين، وفي الثانية بالقدر.

قال البراء: (**فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا، أو قراءة**) شك الراوي (**منه ﷺ**) بل هو الأحسن على مدلول اللفظ عرفًا، وإن صدق لغة بالمساوي.

(**رواه الشيخان**) وأصحاب السنن (**فقد كانت قراءته عليه الصلاة والسلام ترتيلاً، لا هذا**) بفتح الهاء، والذال المعجمة، أي سرعة، ونصبه على المصدر، كما في النهاية، وغيرها، فقوله (**ولا عجلة**) تفسير (**بل قراءة مفسرة حرفًا حرفًا**) بل حديثه كذلك، كما قالت عائشة: ما كان رسول الله ﷺ ليسرد سردكم هذا، بل كان يحدث حديثًا، لو عده العاد لأحصاه (**وكان يقطع قراءته آية آية**) أي يقف على فواصل، إلا الآي، كما مر (**وكان يمد عند حروف المد، وكان يتغنى بقراءته، ويرجع صوته أحيانًا، كما رجع يوم الفتح**) لمكة (**في قراءة إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا، وحكى عبد الله بن مغفل**) بميم مضمومة، فمعجمة، ففاء ثقيلة مفتوحتين المزني من أصحاب الشجرة (**ترجيعه آآآثلاث مرات**) الغرض منه إنه كان يقطع قراءته آية آية، كتقطيع من نطق بهذه الألفات ثلاث مرات مبينة كذا، قاله شيخنا: (**ذكره**) أي رواه (**البخاري**) في مواضع، ومسلم، وغيرهما (**وإذا جمعت هذا الحديث إلى قوله**) ﷺ: («**زينوا القرءان بأصواتكم**»).

رواه أحمد، والبخاري، وفي كتاب خلق الأفعال، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وصححه، وابن حبان، والحاكم كلهم من حديث البراء، وعلقه البخاري في آخر صحيحه في كتاب التوحيد، وابن حبان أيضًا، وغيره، عن أبي هريرة، والطبراني، والدارقطني بسند حسن، عن ابن عباس، وأبو نعيم، عن عائشة بسند ضعيف، والبزار، عن عبد الرحمٰن بن عوف بسند ضعيف

منا من لم يتغن بالقرءان»، وقوله: «ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرءان» أي ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقرءان يتلوه يجهر به، يقال منه: أذِن يأذَن أذَنًا بالتحريك. علمت أن هذا الترجيع منه عليه الصلاة والسلام كان اختيارًا، لا اضطرارًا لهز الناقة له، فإن هذا لو كان لأجل هز الناقة لما كان داخلاً تحت الاختيار، فلم يكن عبد الله بن مغفل يحكيه ويفعله اختيارًا ليتأسى به وهو يرى هذا من هز الراحلة له حتى ينقطع صوته، ثم يقول: كان يرجع في قراءته، فينسب الترجيع إلى فعله، ولو كان من هز الراحلة لم يكن منه فعل يسمى ترجيعًا.

وقد استمع عليه الصلاة والسلام ليلة لقراءة أبي موسى الأشعري، فلما أخبره

(وقوله) ﷺ: **(«ليس منا»)** أي من العالمين بسنتنا الجارين على طريقتنا **(من لم يتغن بالقرءان)** أي يحسن صوته به، لأنه أوقع في النفوس، وأدعى إلى الاستماع، والإصغاء، وهو، كالحلاوة التي تجعل في الدواء لتنفيذه إلى أمكنة الداء، وكالأفاويه التي يطيب بها الطعام، ليكون الطبع أدعى قبولاً له، لكن بشرط أن لا يغير اللفظ، ولا يخل بالنظم، ولا يخفي حرفًا، ولا يزيد حرفًا، والإحرم إجماعًا، قال ابن أبي مليكة: فإن لم يكن حسن الصوت حسنه، ما استطاع، وهذا الحديث رواه البخاري في التوحيد، عن أبي هريرة وأحمد، وأبو داود، وابن حبان، والحاكم، عن سعد بن أبي وقاص، وأبو داود، عن أبي لبابة، والحاكم، عن ابن عباس، وعن عائشة **(وقوله)** ﷺ في الصحيحين، والسنن من حديث أبي هريرة: **(«ما أذن»)** بفتح الهمزة، وكسر المعجمة، كما ضبطه النووي، وغيره، أي ما استمع **(لشيء)** بشين معجمة **(كإذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرءان، أي ما استمع اللّه لشيء، كاستماعه لنبي يتغنى بالقرءان، أي يتلوه يجهر به، يقال منه أذِن)** بفتح أوله، وكسر ثانيه **(يأذَن)** بفتح الذال **(أذَنًا بالتحريك)** أي فتح الهمزة، والذال مصدر، هو مجاز عن تقريب القارىء، وإجزال ثوابه، وقبول قراءته، ولا يجوز حمله على الإصغاء، لأنه محال عليه تعالى، ولأن سماعه، لا يختلف **(علمت أن هذا الترجيع)** الواقع **(منه عليه الصلاة والسلام)** في الفتح **(كان اختيارًا، لا اضطرارًا لهز الناقة له)** كما دعاه بعضهم **(فإن هذا، لو كان لأجل هز الناقة، لما كان داخلاً تحت الاختيار، فلم يكن عبد اللّه بن مغفل يحكيه)** حيث، قال آآآ ثلاث مرات، وعنه أيضًا لولا أن يجتمع الناس حولي لرجعت لكم، كما رجع ﷺ **(ويفعله اختيارًا ليتأسى)** يقتدي **(به، وهو يرى هذا من هز الراحلة له حتى ينقطع صوته، ثم يقول: كان يرجع في قراءته، فينسب الترجيع إلى فعله، ولو كان من هز الراحلة لم يكن منه فعل يسمى ترجيعًا)** لعدم اختياره **(وقد استمع عليه الصلاة والسلام ليلة

بذلك قال: لو كنت أعلم أنك تسمعه لحبرته لك تحبيرًا. أي حسنته وزينته بصوتي تزيينًا.

وهذا الحديث يرد على من قال: إن قوله: «زينوا القرءان بأصواتكم» من باب القلب، أي: زينوا أصواتكم بالقرءان، فإن القلب لا وجه له. قال ابن الأثير: ويؤيد ذلك تأييدًا لا شبهة فيه حديث ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: لكل شيء حلية، وحلية القرءان حسن الصوت. والله أعلم.

وقد اختلف العلماء في هذه المسألة اختلافًا كثيرًا يطول ذكره، وفصل النزاع في ذلك أن يقال: إن التطريب والتغني على وجهين:

أحدهما: ما اقتضته الطبيعة وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين وتعليم، بل إذا خلا في ذلك وطبعه، واسترسلت طبيعته، جاءت بذلك التطريب والتلحين،

لقراءة أبي موسى الأشعري) عبد الله بن قيس كان حسن الصوت جدًا، وحسبك قوله ﷺ له: «يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود» **(فلما أخبره بذلك)** بقوله: لو رأيتني، وأنا أسمع قراءتك البارحة، كما في رواية لمسلم. **(قال: لو علمت أنك تسمعه لحبرته لك تحبيرًا، أي حسنته، وزينته بصوتي تزيينًا، وهذا الحديث يرد على من قال إن قوله: «زينوا القرءان بأصواتكم» من باب القلب، أي زينوا أصواتكم بالقرءان، فإن القلب، لا وجه له)** بل له وجه، لأنه ورد كذلك أخرج الحاكم عن البراء مرفوعًا: «زينوا أصواتكم بالقرءان، فإن الصوت الحسن يزيد القرءان حسنًا».

(قال ابن الأثير: ويؤيد ذلك) أي حمله على أن الصوت يحسن القرءان **(تأييدًا، لا شبهة فيه حديث ابن عباس)** إنما رواه البزار، والبيهقي، عن أنس، والطبراني، عن أبي هريرة **(أن رسول الله ﷺ قال: «لكل شيء حلية وحلية القرءان حسن الصوت)** لأن الحلية حليتان حلية تدرك بالعين وحلية تدرك بالسمع ومرجع ذلك كله إلى جلاء القلب وذلك على قدر نية القارىء»، لكن هذا الحديث ضعفه ابن حبان، والذهبي، والحافظ النور الهيثمي من الوجهين، وبينوا وجه الضعف، فلا تأييد به **(والله أعلم)**.

(وقد اختلف العلماء في هذه المسألة اختلافًا كثيرًا يطول ذكره، وفصل) أي قطع **(النزاع في ذلك أن يقال التطريب، والتغني على وجهين أحدهما، ما اقتضته الطبيعة، وسمحت به من غير تكلف، ولا تمرين)** اعتياد، ومداومة **(ولا تعليم)** من معلم **(بل إذا خلى في ذلك، وطبعه)** مفعول معه **(واسترسلت طبيعته)** أي استمرت في العمل على حالها **(جاءت**

فهذا جائز وإن أعانته طبيعته على فضل تزيين وتحسين، كما قال أبو موسى للنبي ﷺ: لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرًا. والحزين ومن هاجه الطرب والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب في القراءة. ولكن النفوس وتستجليه وتستملحه لموافقة الطبع وعدم التكلف والتصنع، فهو مطبوع لا متطبع، وكلف لا متكلف، فهذا هو الذي كان السلف يفعلونه ويسمعونه، وهو التغني المحمود، وهو الذي يتأثر به التالي والسامع.

والوجه الثاني: ما كان من ذلك صناعة من الصنائع، ليس في الطباع السماحة به، بل لا يحصل إلا بتكلف وتضنع وتمرن، كما يتعلم أصوات الغناء بأنواع الألحان البسيطة والمركبة على إيقاعات مخصوصة وأوزان مخترعة لا تحصل إلا بالتعلم والتكلف، فهذه هي التي كرهها السلف وعابوها وأنكروا القراءة بها

بذلك التطريب والتلحين، فهذا جائز، وإن أعانته طبيعته على فضل) أي زيادة **(تحسين وتزيين)** مبالغة، فيما قبله **(كما قال أبو موسى للنبي ﷺ: لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرًا، والحزين، ومن هاجه)** حركه **(الطرب، والحب)** ميل القلب للمحبوب لمعنى يستحسنه فيه **(والشوق)** نزاع النفس مصدر شاقة **(لا يملك من نفسه رفع التحزين والتطريب في القراءة، ولكن النفوس تقبله، وتستجلبه)** بجيم، وموحدة **(وتستملحه)** أي تعده مليحًا **(لموافقة الطبع، وعدم التكلف، والتصنع، فهو مطبوع، لا متطبع)** بضم الميم، وكسر الباء المشددة، أي متشبه **(وكلف)** بكسر اللام، أي محب لذلك مولع به **(لا متكلف)** بكسر اللام مشددة، أي طالب أن تكون تلك الصفة قائمة به **(فهذا هو الذي كان السلف يفعلونه، ويسمعونه، وهو التغني المحمود الذي يتأثر به التالي)** القارىء **(والسامع)** له.

(والوجه الثاني، ما كان من ذلك صناعة من الصنائع ليس في الطباع) الجبلة التي خلق عليها **(السماحة به، بل لا يحصل، إلا بتكلف، وتصنع، وتمرن، كما يتعلم أصوات الغناء بأنواع الألحان البسيطة، والمركبة على إيقاعات مخصوصة، وأوزان مخترعة، لا تحصل، إلا بالتعلم، والتكلف، فهذه)** أي القراءة على هذه الحالة **(هي التي كرهها السلف، وأنكروا القراءة بها)**.

زاد في شرحه للبخاري عقب نحو هذا، وقد علم، مما ذكرنا أن ما أحدثه المكلفون بمعرفة الأوزان، والموسيقى في كلام اللّه من الألحان، والتطريب، والتغني المستعمل في الغناء بالغزل على إيقاعات مخصوصة، وأوزان مخترعة أن ذلك من أشنع البدع، وأسوئها، وأنه يوجب

وبهذا التفصيل يزول الاشتباه، ويتبين الصواب من غيره، وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعًا أنهم برآء من القراءة بألحان الموسيقى المكلفة التي هي على إيقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة، وأنهم اتقى لله من أن يقرؤوا بها ويسوغوها، ويعلم قطعًا أنهم كانوا يقرؤون بالتحزين والتطريب، ويحسنون أصواتهم بالقرءان، ويقرؤونه بسجاياهم تارة، وتطريبًا أخرى، وهذا أمر في الطباع، ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضي الطباع له، بل أرشد إليه وندب إليه ﷺ، وأخبر عن استماع الله لمن قرأ به، وقال: «ليس منا من لم يتغن بالقرءان» وليس المراد الاستغناء به عن غيره كما ظنه بعضهم، ولو كان كذلك لم يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معنى. والمعروف في كلام العرب أن التغني إنما هو الغناء الذي هو حسن الصوت بالترجيع، كما قال الشاعر:

تغن بالشعر أما كنت قائله إن الغناء لهذا الشعر مضمار

على سامعهم النكير، وعلى التالي التعزير (**وبهذا التفصيل يزول الاشتباه، ويتبين الصواب من غيره، وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعًا، بأنهم برءاء**) جمع بريء (**من القراءة بألحان الموسيقى**) بكسر القاف (**المكلفة التي هي على إيقاعات، وحركات موزونة معدودة محدودة، وأنهم أتقى للّه من أن يقرؤوا بها، ويسوغوها**) أي يجوزوها (**ويعلم قطعًا، أنهم كانوا يقرؤون بالتحزين، والتطريب، ويحسنون أصواتهم بالقرءان، ويقرؤونه بسجاياهم**) بسين، وجيم جمع سجية، أي بطبائعهم (**تارة**) وفي نسخة بشجي، بمعجمة، وجيم مقصور، أي حزن (**وتطريب أخرى**) بأن يقصدوا تحسين قراءتهم مع مراعاة الأنغام المقتضية لذلك (**وهذا أمر في الطباع، ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضي**) أي طلب (**الطباع له، بل أرشد إليه، وندب إليه ﷺ، وأخبر عن استماع اللّه تعالى لمن قرأ به**) بقوله: «ما أذن اللّه لشيء» الحديث (**وقال ليس منا**) أي على سنتنا وهدينا (**من لم يتغن بالقرءان، وليس المراد الاستغناء به عن غيره، كما ظنه بعضهم**) بل معناه من لم يحسن صوته به (**ولو كان كذلك لم يكن لذكر حسن الصوت، والجهر به**) في حديث ما أذن اللّه لشيء، كإذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرءان، أي يجهر به (**معنى والمعروف في كلام العرب أن التغني، إنما هو الغناء**) بكسر المعجمة، والمد (**الذي هو حسن الصوت بالترجيع، قال الشاعر:**)

(**تغن بالشعر أما كنت قائله إن الغناء لهذا الشعر مضمار**)

أي كالميدان الذي تجري فيه الخيل، فيظهر فيها الحسن من غيره يغني، أنه إذا استعمل

وروى ابن أبي شيبة عن عقبة بن عامر مرفوعًا: «تعلموا القرءان وتغنوا به واكتبوه» الحديث. والله أعلم.

وقد صح أنه ﷺ سمع أبا موسى الأشعري يقرأ فقال: «لقد أوتي هذا مزمارًا من مزامير آل داود». يعني من مزامير داود نفسه، كما ذكره أهل المعاني. وفي طريق آخر ـ كما تقدم ـ أن أبا موسى قال: يا رسول الله، لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرًا.

قال ابن المنير: فهذا يدل على أنه كان يستطيع أن يتلو أشجى من المزامير

على هذا الوجه حصل به بسط نفس، كاللذة الحاصلة للمتسابقين في الميدان، لكن رجح التور بشتي القول، بأن المراد به الاستغناء، واعترض الأول، بأن المعنى ليس من أهل سنتنا، أو ممن تبعنا في أمرنا، وهو وعيد، ولا خلاف بين الأمة أن قارىء القرءان مثاب في غير تحسين صوته، فكيف يجعل مستحقًا للوعيد.

قال الطيبي: ويمكن حمله على معنى التغني، أي ليس منا معاشر الأنبياء من لم يحسن صوته بالقرءان، ويسمع الله منه، بل يكون من جملة من هو نازل عن مرتبتهم، فيثاب على قراءته، كسائر المسلمين، لا على تحسين صوته، كالأنبياء، ومن تعبهم فيه.

(وروى ابن أبي شيبة) وأحمد برجال الصحيح **(عن عقبة بن عامر)** الجهني **(مرفوعًا تعلموا القرءان)** أي احفظوه، وتفهموه **(وتغنوا به)** أي اقرؤوه بتحزن، وترقيق، وحسن صوت، وليس المراد قراءته بالألحان، والنغمات **(واكتبوه الحديث)** بقيته، فوالذي نفسي بيده، لهو أشد تفلتًا من المخاض في العقل.

(والله أعلم) بمراد رسوله **(وقد صح)** في الصحيحين، وغيرهما **(أنه ﷺ سمع أبا موسى الأشعري يقرأ، فقال: «لقد أوتي هذا»**.

وفي رواية للبخاري: «يا أبا موسى، لقد أوتيت **(مزمارًا من مزامير آل داود»)** في حسن الصوت بالقراءة **(يعني من مزامير داود نفسه، كما ذكره أهل المعاني)** فآل مقحمة، لأنه لم يرو أن أحدًا من آل داود أعطى من حسن الصوت ما أعطى داود، والمزامير جمع مزمار، بكسر الميم الآلة المعروفة أطلق اسمها على الصوت للمشابهة، فشبه حسن صوته، وحلاوة نغمته بصوت المزمار **(وفي طريق آخر، كما تقدم أن أبا موسى، قال: يا رسول الله، لو علمت أنك تسمع لحبرته)** حسنته **(لك تحبيرًا)** تحسينًا.

(قال ابن المنير: فهذا يدل على أنه كان يستطيع أن يتلو أشجى) أي أشد **(من**

عند المبالغة في التحبير، لأنه قد تلا مثلها وما بلغ الحد، فكيف لو بلغ حد استطاعته.

وقد كان داود إذا أراد أن يتكلم على بني إسرائيل يجوع سبعة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا يأتي النساء، ثم يأمر سليمان فينادي في الضواحي والنواحي والآكام والأودية والجبال: إن داود يجلس يوم كذا، ثم يخرج له منبرًا إلى الصحراء، فيجلس عليه، وسليمان قائم على رأسه، فتأتي الإنس والجن والطير والوحش والهوام والعذارى والمخدرات يسمعون الذكر، فيأخذ في الثناء على الله بما هو أهله، فتموت طائفة من المستمعين، ثم يأخذ في النياحة على المذنبين فتموت طائفة، فإذا استحر الموت بالخلق قال له سليمان: يا نبي الله، قد استحر الموت بالناس، وقد مزقت المستمعين كل ممزق، فيخر داود مغشيًا عليه، فيحمل على سريره إلى بيته، وينادي منادي سليمان: أيها الناس، من كان له مع داود قريب أو

المزامير) في إدخال الحالة الحاصلة للسامع عند سماع المزامير **(عند المبالغة في التحبير، لأنه قد تلا مثلها)** بنص المصطفى **(وما بلغ الحد، فكيف، لو بلغ حد استطاعته)** وقد روى ابن أبي داود بسند صحيح، عن أبي عثمان النهدي قال: دخلت دار أبي موسى الأشعري، فما سمعت صوت صنج، ولا بربط، ولا ناي أحسن من صوته الصنج، بفتح الصاد المهملة، فنون ساكنة، فجيم آلة من نحاس، كالطبقتين يضرب بأحدهما على الآخر، ويربط بموحدتين بينهما آخره، طاء مهملة توزن جعفر فارسي معرب آلة، كالعود، والناي، بنون بغير همز المزمار **(وقد كان داود، إذا أراد أن يتكلم على بني إسرائيل)** أي يعظهم، ويذكرهم بأحوال الآخرة **(يجوع سبعة أيام، لا يأكل، ولا يشرب، ولا يأتي النساء ثم، يأمر سليمن)** ابنه **(فينادي في الضواحي)** بضاد معجمة **(والنواحي)** عطف تفسير **(والآكام، والأودية، والجبال)** مر بيانها في الاستسقاء **(أن داود يجلس يوم، كذا، ثم يخرج له منبرًا)** أي شيئًا مرتفعًا **(إلى الصحراء، فيجلس عليه، وسليمن قائم على رأسه، فتأتي الإنس، والجن، والطير، والوحش، والهوام، والعذارى)** جمع عذراء، أي الأبكار **(والمخدرات يسمعون الذكر، فيأخذ في الثناء على اللّه، بما هو أهله، فتموت طائفة من المستمعين)** شوقًا إليه تعالى **(ثم يأخذ في النياحة على المذنبين، فتموت طائفة)** من المذنبين خوفًا منه سبحانه **(فإذا استحر الموت بالخلق)** أي انتشر فيهم، وكثر **(قال له سليمن: يا نبي اللّه، قد استحر)** بفوقية، فجيم **(الموت بالناس، وقد مزقت المستمعين كل ممزق)** أي فرقتهم تفريقًا تامًا، فممزق مصدر ميمي **(فيخر داود مغشيًا عليه، فيحمل على سريره إلى بيته، وينادي سليمن من كان له مع داود قريب، أو**

حميم فليخرج لافتقاده، فكانت المرأة تأتي بالسرير فتقف على زوجها أو أبيها أو أخيها، فتدخل به المدينة، فإذا أفاق داود في اليوم الثاني قال: يا سليمان، ما فعل عباد بني إسرائيل؟ فيقول له سليمان: قد مات فلان وفلان وهلم جرًا. فيضع داود يده على رأسه وينوح ويقول: يا ربَّ داود، أغضبان أنت على داود حتى إنه لم يمت فيمن مات خوفًا منك أو شوقًا إليك؟ فلا يزال ذلك دأبه إلى المجلس الآخر، وأقام داود على ذلك ما شاء الله تعالى.

ولا يظن مما ذكرته من حال بني إسرائيل أنهم في ذلك أعلى من هذه الأمة، فأما المزامير فحسبك ما ذكر من حال أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وأما الموت من الموعظة شوقًا أو خوفًا فلنا فيه طريقان:

أحدهما: أن نقول إن القوة التي أوتيتها هذه الأمة تقاوم الأحوال الواردة عليها فتتماسك الحياة، فلا تفنى القوة الجسمانية بل القوة الروحانية، والتأييدات الإلٰهية. فلفرط قوة هذه الأمة -إن شاء الله تعالى- تقارب عند سلفها الصالح ما بين حال سماع الموعظة وحال عدم سماعها، لتوالي أحوال الذكر وأطوار اليقين.

حميم) أي شقيق **(فليخرج لافتقاده، فكانت المرأة تأتي بالسرير، فتقف على زوجها، أو أبيها، أو أخيها، فتدخل به المدينة، فإذا أفاق داود في اليوم الثاني، قال: يا سليمٰن ما فعل عباد)** جمع عابد **(بني إسرٰئيل، فيقول له: قد مات فلان، وفلان)** يسميهم بأسمائهم **(وهلم جرًا، فيضع داود يده على رأسه، وينوح، ويقول: يا رب داود أغضبان أنت على داود، حتى أنه لم يمت، فيمن مات خوفًا منك، وشوقًا إليك، فلا يزال ذلك دأبه)** عادته **(إلى المجلس الآخر، وأقام داود على ذلك، ما شاء اللّه تعالى)** أي مدة مشيئته تعالى ذلك **(ولا يظن مما ذكرته من حال بني إسرٰئيل)** في هذه القصة **(أنهم في ذلك أعلى من هذه الأمة، فأما المزامير، فحسبك)** كافيك **(ما ذكر من حال أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنه)** وهو واحد **(وأما الموت من الموعظة شوقًا، أو خوفًا، فلنا فيه طريقان أحدهما أن نقول إن القوة التي أوتيتها، هذه الأمة)** المحمدية **(تقاوم الأحوال الواردة عليها، فتتماسك الحياة، فلا تفنى القوة الجسمانية)** بكسر الجيم **(بل القوة الروحانية)** بضم الراء **(والتأييدات الإلٰهية)** باقية مانعة لها من الفناء، فحذف الخبر للعلم به، مما قبله **(فلفرط قوة هذه الأمة إن شاء اللّه تعالى)** للتبرك متعلق، بقوله **(تقارب)** ولو قال يتقارب كان أولى **(عند سلفها الصالح، ما بين حال سماع الموعظة، وحال عدم سماعها لتوالي الذكر، وأطوار اليقين، وقد قال بعضهم)**

وقد قال بعضهم: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا. فتماسك قوة السلف عند واردات الأحوال هو الذي فرق بينهم وبين من قبلهم. ألا ترى أن داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ـ وهما أصحاب المزامير ـ لم يتفق لهما الموت كما اتفق لمن مات، وما ذلك من تقصيرهما في الخوف والشوق، ولكن من القوة الربانية التي أمدهما بها. ولا خلاف أن داود عليه الصلاة السلام وإن لم يمت من الذكر أفضل ممن مات من أمته، وأما نوحه على كونه لم يمت فذلك من التواضع الذي يزيده شوقًا، لا من التقصير عن آحاد أمته، بل لارتفاعه عنهم درجات وزلفى، وإلى هذه القوة الإلٰهية أشار أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقد رأى إنسانًا يبكي من الموعظة فقال: هكذا كنا حتى قست القلوب. عبر عن القوة بالقسوة تواضعًا، ومرتبته بحمد الله محفوظة ومنزلته مرفوعة.

علي بن أبي طالب علي، ما في المسايرة لابن الهمام، وغيرها، أو عامر بن قيس التابعي على ما في الرسالة القشيرية، وقد يكون عليّ أول من قالها، وعامر تمثل بها **(لو كشف الغطاء)** عن أحوال الآخرة، والحشر، والنشر، والوقوف بين يدي اللّه تعالى، وغيرها **(ما ازددت)** فيها **(يقينًا)** ليقيني بها، فعبر عن حالته التي هو عليها من غلبة أحوال الآخرة على قلبه باليقين، فأخبر، أنه لو عاين ذلك، ما ازداد يقينًا لتحققه له، قاله الأنصاري شيخ الإسلام، وقال غيره: لأنه حصل عنده من البراهين القطعية على حقيقة التوحيد، ومتعلقاته، والإيمان، وصدق الرسل، فيما جاؤا به ما لا يزيد اليقين فيه عند رؤيته ذلك عيانًا **(فتماسك قوة السلف عند واردات الأحوال هو الذي فرق بينهم، وبين من قبلهم، ألا ترى أن داود، وسليمٰن عليهما الصلاة والسلام، وهما أصحاب المزامير)** إنما صاحبها داود، كما مر، فلعل نسبتها لسليمٰن أيضًا، لأنه كان يسمعها من أبيه، ولم يتغير حاله **(لم يتفق لهما الموت، كما اتفق لمن مات، وما ذلك من تقصيرهما في الخوف، والشوق، ولكن من القوة الربانية التي أمدهما)** اللّه تعالى **(بها، ولا خلاف أن داود عليه الصلاة والسلام، وإن لم يمت من الذكر أفضل، ممن مات من أمته)** إذ محال أن يبلغ ولي رتبة نبي **(وأما نوحه على كونه، لم يمت، فذلك من التواضع الذي يزيده شوقًا، لا من التقصير عن آحاد أمته، بل لارتفاعه عنهم درجات، وزلفى)** قربى **(وإلى هذه القوة الإلٰهية أشار أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه، وقد رأى إنسانًا يبكي من الموعظة، فقال: هكذا كنا حتى قست القلوب عبر عن القوة بالقسوة تواضعًا، ومرتبته بحمد اللّه محفوظة، ومنزلته مرفوعة)** فليست عنده قسوة **(والطريق الثاني أن نقول، قد روى، ما لا يحصى كثرة عن هذه**

والطريق الثاني: أن نقول: قد روي ما لا يحصى كثرة عن هذه الأمة مثل ما اتفق في مجلس داود عليه الصلاة والسلام من موت المستمعين للذكر في مجلس السماع قديمًا وحديثًا، ولأبي إسحٰق الثعلبي جزء في قتلى القرءان رويناه، وعندي من ذلك جملة أريد تدوينها، بل قد روي عن كثير من المريدين أنهم ماتوا بمجرد النظر إلى المشايخ، كما حكي أن مريدًا لأبي تراب النخشبي كان يتجلى له الحق تعالى في كل يوم مرات، فقال له أبو تراب: لو رأيت أبا يزيد البسطامي لرأيت أمرًا عظيمًا، فلما ارتحل المريد مع شيخه أبي تراب النخشبي لأبي يزيد ووقع بصر المريد عليه وقع ميتًا، فقال له أبو تراب يا أبا يزيد نظرة منك قتلته، وقد كان يدعي رؤية الحق تعالى فقال له أبو يزيد قد كان صاحبك صادقًا، وكان

الأمة) من الأخبار، والقصص **(مثل ما اتفق في مجلس داود عليه الصلاة والسلام من موت المستمعين للذكر في مجلس السماع قديمًا، وحديثًا، ولأبي إسحٰق)** أحمد بن محمد بن إبراهيم **(الثعلبي)** ويقال له الثعالبي النيسابوري صاحب التفسير والعرائس.

قال الذهبي: كان حافظًا رأسًا في التفسير، والعربية متين الزهادة، والديانة مات سنة سبع وعشرين، أو سبع وثلاثين وأربعمائة **(جزء قتلى القرءان)** أي مؤلف في بيان من قتل عند سماع القرءان **(وعندي من ذلك جملة أريد تدوينها، بل قد روي عن كثير من المريدين، أنهم ماتوا بمجرد النظر إلى المشايخ، كما حكي أن مريدًا، لأبي تراب النخشبي)** بفتح النون، وسكون الخاء، وفتح الشين المعجمة نسبة إلى نخشب بلدة، بما وراء النهر، واسمه عسكر بن حصين، واشتهر بكنيته، فلم يعرف، إلا بها جمع بين العلم، والدين، والزهد، والتصوف، والتقشف، والتوكل، والتبتل، ووقف بعرفة خمسًا وخمسين وقفة، وصحب حاتمًا الأصم، والخواص، والطبقة، وعند أحمد بن حنبل، وغيره مات سنة خمس وأربعين ومائتين. **(كان يتجلى له)** لذلك المريد **(الحق تعالى في كل يوم مرات، فقال له أبو تراب، لو رأيت أبا يزيد)** اسمه طيفور بن عيسى **(البسطامي)** نادرة زمانه حالاً، وأنفاسًا، وورعًا، وعلمًا، وزهدًا، وتقًى، وأفردت ترجمته بتصانيف حافلة، ومات سنة إحدى وستين ومائتين عن ثلاث وسبعين سنة **(لرأيت أمرًا عظيمًا)** فلم يزل يشوقه إليه **(فلما ارتحل المريد مع شيخه أبي تراب النخشبي لأبي يزيد)** فقيل أنه في الغيضة مع السباع، وكان يأوي إليها، فقعدا على طريقه، فلما مر **(ووقع بصر المريد عليه وقع ميتًا، فقال له أبو تراب: يا أبا يزيد نظرة)** حصلت له **(منك)**، أو نظرة منه إليك **(قتلته، وقد كان يدعي رؤية الحق تعالى، فقال له أبو يزيد، قد كان صاحبك صادقًا، وكان الحق يتجلى له**

الحق يتجلى له على قدر مقامه، فلما رآني تجلى له على قدر ما رأى، فلم يطق فمات.

واصطلاح أهل الطريق في التجلي معروف، وحاصله: رتبة من المعرفة جلية علية ولم يكونوا يعنون بالتجلي رؤية البصر التي قيل فيها لموسى عليه الصلاة والسلام -على خصوصيته- ﴿لن تراني﴾ والتي قيل فيها على العموم لا تدركه الأبصار. وإذا فهمت أن مرادهم الذي أثبتوه غير المعنى الذي حصل منه الناس على اليأس في الدنيا، ووعد به الخواص في الآخرة، فلا ضير بعد ذلك عليك. ولا طريق لسوء الظن بالقوم إليك، والله متولي السرائر. انتهى.

وإذا علمت هذا فاعلم أن السماع في طريق القوم معروف، وفي الجواذب إلى المحبة معدود موصوف، وقد نقل إباحته أبو طالب في «القوت» عن جماعة من الصحابة كعبد الله بن جعفر، وابن الزبير، والمغيرة بن شعبة ومعاوية، وكذا عن

على قدر مقامه، فلما رآني تجلى له على قدر ما رأى) لم يقل على قدري تأدبًا، وخوفًا من رؤية نفسه فوق غيره **(فلم يطق، فمات)** فلا عجب **(واصطلاح أهل الطريق)** كما قال العلامة ابن المنير **(في التجلي معروف، وحاصله رتبة من المعرفة جلية)** ظاهرة **(علية)** عالية القدر، وحالة بين النوم، واليقظة سوية، والإيمان يزيد، وينقص كذا في كلام ابن المنير **(ولم يكونوا)** لفظ ابن المنير، ولا تظنهم **(يعنون بالتجلي رؤية البصر التي قيل فيها لموسى عليه الصلاة والسلام على خصوصيته لن تراني، والتي قيل فيها على العموم، لا تدركه الأبصار، وإذا فهمت أن مرادهم الذي أثبتوه غير المعنى الذي حصل منه الناس على اليأس في الدنيا)** إلا نبينا ﷺ على الأصح، كما مر في المعراج **(ووعد به الخواص في الآخرة)** أي المؤمنون **(فلا ضير بعد ذلك عليك، ولا طريق لسوء الظن بالقوم إليك، والله متولي السرائر ا هـ)**.

قال السبكي: وكلام ابن المنير هذا يقرب من قول شيخه العز بن عبد السلام في قواعده التجلي، والمشاهدة عبارة عن العلم، والعرفان، والقوم، لا يقتصرون في تفسير التجلي على العلم، ولا يعنون به الرؤية، ثم لا يفصحون، بما يعنون، بل يلوحون تلويحًا، ولم يفصح القشيري بتفسيره، ولعله خاف على فهم من ليس من أهل الطريق **(وإذا علمت هذا، فاعلم أن السماع في طريق القوم معروف، وفي الجواذب إلى المحبة معدود موصوف، وقد نقل إباحته أبو طالب)** المكي **(في القوت)** أي كتابه المسمى قوت القلوب **(عن جماعة من الصحابة كعبد الله بن جعفر)** الهاشمي **(وابن الزبير)** الأسدي **(والمغيرة بن شعبة)** الثقفي **(ومعٰوية)**

الجنيد، والسري وذو النون، واحتج له الغزالي في «الإحياء» بما يطول ذكره، خصوصًا في أوقات السرور المباحة، تأكيدًا له وتهييجًا، كعرس وقدوم غائب، ووليمة وعقيقة وحفظ القرءان، وختم درس وكتاب وتأليف.

وفي الصحيحين من حديث عائشة: أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدفقان وتضربان، ورسول الله ﷺ متغش بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف ﷺ عن وجهه وقال: دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد. وفي رواية: دخل

الأموي (وكذا) نقله (عن الجنيد) شيخ الطائفة (والسري) السقطي (وذو النون) المصري **(واحتج له الغزالي في الإحياء بما يطول ذكره خصوصًا في أوقات السرور المباحة تأكيدًا له، وتهييجًا لعرس)** زواج **(وقدوم غائب، ووليمة، وعقيقة)** لمولود **(وحفظ قرءان، وختم درس، وكتاب، و)** ختم **(تأليف)** في علم شرعي، أو آلته.

(وفي الصحيحين من حديث عائشة؛ أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان) زاد في رواية: من جواري الأنصار، وللطبراني عن أم سلمة: إحداهما لحسان، وفي الأربعين للسلمي؛ أنهما لعبد الله بن سلام ولابن أبي الدنيا وحمامة وصاحبتها تغنيان وإسناده صحيح.

قال الحافظ: ولم أقف على تسمية الأخرى، لكن يحتمل أن اسمها زينب ولم يذكر حمامة المصنفون في الصحابة وهي على شرطهم، وفي الإصابة: زينب الأنصارية غير منسوبة، جاء أنها كانت تغني بالمدينة.

رواه ابن طاهر في الصفوة عن جابر: **(في أيام منى تدففان)** بفاءين **(وتضربان)** بالدف عطف تفسير، ولمسلم: تغنيان بدف، وللنسائي: بدفين، والدف بضم الدال على الأشهر وتفتح، ويقال له أيضًا الكربال بكسر الكاف وهو الذي لا جلاجل فيه، فإن كانت فيه فهو المزهر **(ورسول الله ﷺ متغش)** بغين وشين معجمتين، أي مستتر، ولمسلم: تسجى، أي: التف **(بثوبه)** إعراضًا عن ذلك، لأن مقامه يقتضي الارتفاع عن الإصغاء إلى ذلك، لكن عدم إنكاره دال على جوازه على الوجه الذي أقره، إذ لا يقر على باطل، والأصل التنزه عن اللعب واللهو، فيقتصر على ما ورد فيه النص وقتًا وكيفية تقليلاً لمخالفة الأصل **(فانتهرهما)** أي: الجاريتين، أي: زجرهما **(أبو بكر)**.

وفي الرواية الثانية: فانتهرني، أي: عائشة، ويجمع بأنه شرك بينهن في الانتهار والزجر، أما عائشة فلتقريرها، وأما الجاريتان فلفعلهما **(فكشف ﷺ عن وجهه)** الثوب **(وقال: دعهما يا أبا بكر فإنها)** أي: هذه الأيام **(أيام عيد)** وتلك الأيام أيام منى، هذا باقي الحديث، أضافها إلى العيد ثم إلى منى إشارة إلى الزمان ثم المكان، ففيه تعليل الأمر بتركهما وإيضاح خلاف ما ظنه

على رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء يوم بعاث ـ بضم الموحدة والعين المهملة آخره مثلثة ـ اسم حصن الأوس، وبالمعجمة تصحيف، أي تنشدان الأشعار التي قيلت يوم بعاث، وهو حرب كان بين الأنصار، فاضطجع على الفراش وحول

الصديق أنهما فعلتا ذلك بغير علمه ﷺ، لأنه ظنه نائماً، فأنكر على بنته لما تقرر عنده من منع الغناء واللهو، فبادر بالإنكار نيابة عن النبي ﷺ، فأوضح له الحال وعرفه الحكم مقرونًا ببيان الحكمة بأنه يوم سرور شرعي فلا ينكر فيه هذا كما لا ينكر في الأعراس، وبهذا زال إشكال كيف أنكر الصديق ما أقره النبي ﷺ.

(وفي رواية) في الصحيحين أيضًا عن عائشة، قالت: **(دخل علي رسول الله ﷺ)** أيام منى **(وعندي جاريتان)** من جواري الأنصار **(تغنيان)** ترفعان أصواتهما **(بغناء)** بكسر المعجمة والمد **(يوم بعاث بضم ــ الموحدة والعين المهملة آخره مثلثة ــ اسم حصن للأوس)** كما قال أبو موسى المديني في ذيل الغريب وصاحب النهاية، وفي كتاب أبي الفرج الأصبهاني أنه موضع في ديار بني قريظة فيه أموالهم وكان موضع الوقعة في مزرعة لهم هناك ولا منافاة بين القولين، وقال البكري: هو موضع من المدينة على ليلتين، قال في المطالع: الأشهر فيه ترك الصرف **(وبالمعجمة تصحيف)**.

قال عياض ومن تبعه: أعجمها أبو عبيد وحده، وفي الكامل لابن الأثير: أعجمها صاحب العين، يعني: الخليل وحده، وكذا حكاه البكري عن الخيل، وجزم أبو موسىٰ في ذيل الغريب بأنه تصحيف **(أي: تنشدان الأشعار التي قيلت يوم بعاث)**.

وفي رواية في الصحيح: تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث، أي: قال بعضهم لبعض من فخر أو هجاء، وللبخاري في الهجرة بما تعاذفت بمهملة وزاي وفاء من العزف وهو الصوت الذي له دوي، وفي رواية: تقازفت بقاف بدل العين وذال معجمة بدل الزاي من القذف وهو هجاء بعضهم لبعض، ولأحمد تذاكر أن يوم بعاث يوم قتل فيه صناديد الأوس والخزرج **(وهو حرب كان بين الأنصار)** الأوس، والخزرج قبل الإسلام، سببه أن الأوس والخزرج لما نزلوا المدينة وجدوا اليهود متوطنين بها، فخالفوهم وكانوا تحت قهرهم، ثم غلبوا على اليهود بمساعدة ملك غسان، فلم يزالوا متفقين إلى أن قتل أوسي حليفًا للخزرج، فوقعت بينهم حروب دامت مائة وعشرين سنة آخرها يوم بعاث قبل الهجرة بثلاث سنين على المعتمد، وقيل: بخمس وكان رئيس الأوس حضير والد أسيد، ويقال له حضير الكتائب، وجرح يومئذٍ ثم مات بعد مدة ورئيس الخزرج عمرو بن النعمان جاءه سهم فصرعه، فهزموا بعد أن كانوا ظهروا فكانت الغلبة للأوس **(فاضطجع)** ﷺ **(على الفراش وحول وجهه)** إعراضًا عن ذلك **(فدخل أبو بكر)** زائرًا لابنته

وجهه، فدخل أبو بكر فانتهرني وانتهر الجاريتين وقال: مزمارة الشيطان عند رسول الله ﷺ فأقبل عليه ﷺ وقال: «دعهما».

واستدل جماعة من الصوفية بهذا الحديث على إباحة الغناء وسماعه بآلة وبغير آلة.

وتعقب: بما في الحديث الآخر عند البخاري عن عائشة: «وليستا بمغنيتين» فنفت عنهما من طريق المعنى ما أثبتته لهما باللفظ، لأن الغناء يطلق على رفع الصوت وعلى الترنم وعلى الحداء، ولا يسمى فاعله مغنيًا، وإنما يسمى بذلك من ينشد بتمطيط وتكسير وتهييج وتشويق لما فيه من تعريض بالفواحش أو تصريح.

قال القرطبي: قولها ـ يعني عائشة ـ: «ليستا بمغنيتين» أي ليستا ممن يعرف الغناء كما تعرفه المغنيات المعروفات بذلك. قال: وهذا منها تحرز عن الغناء

(فانتهرني:) زجرني لإقراري لذلك **(وانتهر الجاريتين)** أيضًا لتعاطيهما **(وقال مزمارة:)** بكسر الميم، وضبطه عياض بضمها وحكى فتحها، يعني الغناء أو الدف، لأن المزمارة والمزمار مشتق من الزمير وهو صوت له صفير ويطلق على الصوت الحسن وعلى الغناء، سميت به الآلة التي يزمر بها، وأضافها إلى **(الشيطان)** لأنها تلهي فتشغل القلب عن الذكر، وعند أحمد، فقال: يا عباد الله أبمزمور الشيطان **(عند رسول الله ﷺ)** قال القرطبي: المزمور الصوت ونسبته إلى الشيطان ذم على ما ظهر لأبي بكر **(فأقبل عليه ﷺ)** بعد أن كشف الثوب عن وجهه **(وقال: دعهما:)** اتركهما، زاد في رواية في الصحيح: «إن لكل قوم عيدًا وهذا عيدنا»، **(واستدل جماعة من الصوفية بهذا الحديث على إباحة الغناء وسماعه بآلة وبغير آلة، وتعقب بما في الحديث الآخر)** أي: الرواية الأخرى وإلاَّ فهو حديث واحد **(عند البخاري عن عائشة:)** دخل عليّ أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث **(وليستا بمغنيتين، فنفت عنهما من طريق المعنى ما أثبتته لهما باللفظ، لأن الغناء)** بزنة كتاب **(يطلق على رفع الصوت وعلى الترنم)** ترجيع الصوت.

زاد الحافظ: الذي تسميه العرب النصب بفتح النون وسكون المهملة **(وعلى الحداء)** بضم الحاء وكسرها والدال المهملة والمد الغناء للإبل **(ولا يسمى فاعله مغنيًا، وإنما يسمى بذلك من ينشد بتمطيط وتكسير وتهييج)** تحريك **(وتشويق لما فيه تعريض بالفواحش أو تصريح)**.

(قال القرطبي) في المفهم **(قولها، يعني عائشة: ليستا بمغنيتين، أي: ليستا ممن يعرف الغناء كما تعرفه المغنيات المعروفات بذلك، قال: وهذا منها تحرز)** أي: تحفظ **(عن**

المعتاد عند المشتهرين به، وهو الذي يحرك الساكن، ويبعث الكامن، وهذا إذا كان في شعر فيه وصف محاسن النساء أو الخمر أو غيرهما من الأمور المحرمة لا يختلف في تحريمه. قال: وأما ما ابتدعه الصوفية في ذلك فمن قبيل ما لا يختلف في تحريمه، لكن النفوس الشهوانية غلبت على كثير ممن ينسب إلى الخير، حتى لقد ظهرت في كثير منهم فعلات المجانين والصبيان، حتى رقصوا بحركات متطابقة، وتقطيعات متلاحقة، وانتهى التواقح بقوم منهم إلى أن جعلوها من باب القرب وصالح الأعمال، وأن ذلك يثمر سنيّ الأحوال، وهذا على التحقيق من آثار الزندقة. انتهى.

والحق: أن السماع إذا وقع بصوت حسن، بشعر متضمن للصفات العلية أو

الغناء المعتاد عند المشتهرين به وهو الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن) المخفي **(وهذا)** النوع **(إذا كان في شعر فيه وصف محاسن النساء أو الخمر أو غيرهما من الأمور المحرمة لا يختلف في تحريمه)**.

(قال) القرطبي: **(وأما ما ابتدعه الصوفية في ذلك فمن قبيل ما لا يختلف في تحريمه، لكن النفوس الشهوانية)** نسبة إلى الشهوة وهي اشتياق النفس إلى الشيء **(غلبت على كثير ممن ينسب إلى الخير)** الصلاح والعبادة **(حتى لقد ظهرت في كثير منهم فعلات المجانين:)** جمع مجنون، وفي نسخة: المجان جمع ماجن، أي: هازل، والأولى هي التي في الفتح عن القرطبي وهي أبلغ وأنسب بقوله: **(والصبيان حتى رقصوا بحركات متطابقة)** متوافقة غير متخالفة **(وتقطيعات متلاحقة)** متتابعة تتبع بعضها في الانسجام.

(وانتهى التواقح) بفوقية وقاف قلة الحياء من الوقاحة بفتح الواو **(بقوم منهم إلى أن جعلوها من باب القرب:)** جمع قربة **(وصالح الأعمال)** أي: الأعمال الصالحة **(وأن ذلك يثمر سني)** بسين ونون، أي: مرتفع **(الأحوال وهذا على التحقيق من آثار الزندقة)** بزاي ونون وقاف اسم من تزندق.

في نسخة: الزبرقة بالزاي وسكون الموحدة وفتح الراء وقاف، أي: التشبه بمن يحسن نفسه بأمور باطلة، والذي في الفتح الزندقة، وزاد: وقول أهل المخزقة. **(انتهى)** كلام القرطبي، وسلمه الحافظ وقال: ينبغي أن يعكس مرادهم ويقرأ سني عوض النون المكسورة بغير همز سيء بمثناة تحتية ثقيلة مهموزًا. انتهى.

(والحق أن السماع إذا وقع بصوت حسن بشعر متضمن للصفات العلية) للّه سبحانه

النعوت النبوية المحمدية، عريًا عن الآلات المحرمة، والحظوظ الخبيثة الغبية، والشبه الدنية، وأثار كامن المحبة الشريفة العلية، وضبط السامع نفسه ما أمكنه، بحيث لا يرفع صوته بالبكاء، ولا يظهر التواجد وهو يقدر على ضبط نفسه ما أمكنه مع العلم بما يجب لله ورسوله ويستحيل، لئلا ينزل ما يسمعه على ما لا يليق، كان من الحسن في غاية، ولتمام تزكية النفس نهاية. نعم تركه والاشتغال بما هو أعلى أسلم لخوف الشبهة، وللخروج من الخلاف، إلا نادرًا.

وقد نقل عن الإمام الشافعي ومالك وأبي حنيفة وجماعة من العلماء ألفاظ تدل على التحريم، ولعل مرادهم ما كان فيه تهييج شيطاني، وإذا كان النظر في السماع باعتبار تأثيرهَ في القلوب، لم يجز أن يحكم فيه مطلقًا بإباحة ولا تحريم، بل يختلف ذلك بالأشخاص، واختلاف طرق النغمات، فحكمه حكم ما في القلب، وهو لمن يرتقي بربه ترقية مثير للكامن في النفوس من الأزل، حين خاطبنا الحق تعالى بقوله: ﴿**ألست بربكم**﴾ فما كان في القلب من رقة ووجد وحقيقة

(**أو النعوت النبوية المحمدية عريًا**) خاليًا (**عن الآلات المحرمة والحظوظ الخبيثة الغبية**) بغين معجمة قليلة الفطنة (**والشبه الدنية**) الخسيسة (**وأثار**) حرك (**كامن**) مخفي (**المحبة الشريفة العلية**) المرتفعة القدر (**وضبط**) حفظ (**السامع نفسه ما أمكنه بحيث لا يرفع صوته بالبكاء ولا يظهر التواجد**) الأخلاق الباطنة (**وهو يقدر على ضبط**) أي: حفظ (**نفسه ما أمكنه مع العلم بما يجب لله ورسوله ويستحيل**) في حق كل منهما (**لئلا ينزل ما يسمعه على ما لا يليق كان من الحسن في غاية ولتمام تزكية النفس**) تطهيرها (**نهاية نعم تركه والاشتغال بما هو أعلى أسلم لخوف الشبهة وللخروج من الخلاف إلا نادرًا**) مستثنى من تركه.

(**وقد نقل عن الإمام الشافعي وملك وأبي حنيفة وجماعة من العلماء ألفاظ تدل على التحريم، ولعل مرادهم ما كان فيه تهييج شيطاني**) لا ملطقًا (**وإذا كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلوب لم يجز أن يحكم فيه مطلقًا بإباحة ولا تحريم**) لأنه كلام (**بل يختلف ذلك بالأشخاص واختلاف طرق النغمات، فحكمه حكم ما في القلب وهو لمن يرتقي بربه ترقية**).

وفي نسخة: وهي لمن بقي بربه، أي: متعلقًا بمرضاة ربه فكان بقاؤه بالتعلق بمرضاته في جميع أحواله (**مثير للكامن في النفوس من الأزل حين خاطبنا الحق تعالىٰ بقوله ﴿ألست بربكم﴾، فما كان في القلب من رقة ووجد**) شوق (**وحقيقة فهو من حلاوة ذلك الخطاب**

فهو من حلاوة ذلك الخطاب، والأعضاء كلها ناطقة بذكره، مستطيبة لاسمه، فالسماع من أكبر مصايد النفوس، وإذا اقترن بألحانه المناسبة، وكان الشعر متضمنًا لذكر المحبوب الحق، برز الكامن وذاعت الأسرار سيما في أرباب البدايات.

وقد شوهد تأثير السماع حتى في الحيوانات الغير الناطقة من الطيور والبهائم، فقد شوهد تدلي الطيور من الأغصان على أولى النغمات الفائقة، والألحان الرائقة، وهذا الجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثيرًا يستخف معه الأحمال الثقيلة، ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه المسافة الطويلة، وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه، فتراه إذا طالت عليه البوادي، وأعياه الإعياء تحت الحمل إذا سمع منادي الحداء يمد عنقه ويصغي سمعه إلى الحادي، ويسرع في سيره، وربما أتلف نفسه في شدة السير وثقل الحمل، وهو لا يشعر بذلك لنشاطه.

وقد حكي مما ذكره في «الإحياء» عن أبي بكر الدينوري: أن عبدًا أسود قتل جمالاً كثير بطيب نغمته إذا حداها، وكانت محملة أحمالاً ثقيلة، فقطعت مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة، وأنه حدا على جمل غيرها بحضرته، فهام الجمل

والأعضاء كلها ناطقة بذكره مستطيبة لاسمه، فالسماع من أكبر مصايد النفوس، وإذا اقترن بألحانه المناسبة وكان الشعر متضمنًا لذكر المحبوب الحق برز الكامن وذاعت) بذال معجمة وعين مهملة فشت أو انتشرت **(الأسرار سيما في أرباب البدايات، وقد شوهد تأثير السماع حتى في الحيوانات الغير الناطقة من الطيور والبهائم فقد شوهد تدلي الطيور من الأغصان)** للأشجار **(على أولى النغمات الفائقة والألحان الرائقة وهذا الجمل)** بالجيم **(مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثرًا يستخف معه الأحمال الثقيلة ويستقصر)** بسين التأكيد **(لقوة نشاطه في سماعه المسافة الطويلة وينبعث فيه من النشاط)** الخفة والإسراع **(ما يسكره ويولهه)** يحيره **(فتراه إذا طالت عليه البوادي:)** جمع بادية **(وأعياه الإعياء)** التعب **(تحت الحمل)** بكسر الحاء المهملة وسكون الميم المحمول عليه **(إذا سمع منادي الحداء يمد عنقه ويصغي)** يميل **(سمعه إلى الحادي ويسرع في سيره، وربما أتلف نفسه في شدة السير وثقل الحمل وهو لا يشعر بذلك لنشاطه)**.

(وقد حكي مما ذكره في الأحياء) للغزالي **(عن أبي بكر الدينوري أن عبدًا أسود قتل جمالاً كثيرة بطيب نغمته إذا حداها وكانت محملة أحمالاً ثقيلة فقطعت مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة)** من سرعة السير **(وأنه حدا على جمل غيرها بحضرته، فهام الجمل وقطع**

وقطع حباله وحصل له ما غيبه عن حسه، حتى خر لوجهه.

فتأثير السماع محسوس، ومن لم يحركه فهو فاسد المزاج، بعيد العلاج، زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال. وإذا كانت هذه البهائم تتأثر بالنغمات، فتأثير النفوس النفسانية أولى. وقد قال:

نعم لولاك ما ذكر العقيق ولا جابت له الفلوات نوق
نعم أسعى إليك على جفوني تدانى الحي أو بعد الطريق
إذا كانت تحن لك المطايا فماذا يفعل الصب المشوق

فزبدة السماع تلطيف السر، ومن ثم وضع العارف الكبير سيدي علي الوفوي حزبه المشهور على الألحان والأوزان اللطيفة، تنشيطًا لقلوب المريدين وترويحًا لأسرار السالكين، فإن النفوس ـ كما قدمناه ـ لها حظ من الألحان، فإذا قيلت هذه الواردات السنية الفائضة من الموارد النبوية المحمدية بهذه الأنغام الفائقة والأوزان الرائقة، بشربتها العروق، وأخذ كل عضو نصيبه من ذلك المدد الوفوي المحمدي، فأثمرت شجرة خطاب الأزل بما سقيته من موارد هذه اللطائف

حباله) المربوط بها **(وحصل له ما)** أي: شيء **(غيبه عن حسه حتى خر)** أي: سقط **(لوجهه)** أي: عليه **(فتأثير السماع محسوس)** مشاهد بحاسة البصر **(ومن لم يحركه فهو فاسد المزاج)** بكسر الميم الطبع **(بعيد العلاج)** معنى أنه لا ينفع فيه بسهولة **(زائد في غلظ الطبع وكثافته)** بمثلثة عطف مسا وحسنه اختلاف اللفظ **(على الجمال)** الموصوفة بالبلادة **(وإذا كانت هذه البهائم تتأثر بالنغمات، فتأثير النفوس النفسانية أولى)** وأنشد المصنف لغيره:

(نعم لولاك ما ذكر العقيق ولا جابت له الفلوات نوق
نعم أسعى إليك على جفوني تدانى الحي أو بعد الطريق
إذا كانت تحن لك المطايا فماذا يفعل الصب المشوق)

(فزبدة السماع تلطيف السر) أي: ترقيقه **(ومن ثم وضع العارف الكبير سيدي علي)** بن العارف الكبير سيدي محمد **(الوفوي، حز به المشهور على الألحان والأوزان اللطيفة تنشيطًا لقلوب المريدين وترويحًا)** بالحاء المهملة **(لأسرار السالكين، فإن النفوس كما قدمناه لها حظ)** نصيب **(من الألحان، فإذا قيلت)** أي: ذكرت **(هذه الواردات السنية الفائضة من الموارد النبوية المحمدية)** صفات للحزب الشريف **(بهذه الأنغام الفائقة والأوزان الرائقة بشربتها العروق وأخذ كل عضو نصيبه من ذلك المدد الوفوي المحمدي فأثمرت شجرة)**

عوارف المعارف.

تنبيه: زعم بعضهم أن السماع أدعى للوجد من التلاوة وأظهر تأثيرًا.

والحجة في ذلك: أن جلال القرءان لا تحتمله القوى البشرية المحدثة، ولا تحتمله صفاتها المخلوقة، ولو كشف للقلوب ذرة من معناه لدهشت وتصدعت وتحيرت، والألحان مناسبة للطباع بنسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق، والشعر نسبته بنسبة الحظوظ، فإذا علقت الأشجان والأصوات بما في الأبيات من الإشارات واللطائف، شاكل بعضها بعضًا فكان أقرب إلى الحظوظ النفسانية وأخف على القلوب بمشاكلة المخلوق. قاله أبو نصر السراج.

المقصد العاشر

الفصل الأول

في إتمامه تعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته إلى حظيرة قدسه لديه ﷺ

بالرفع فاعل (**خطاب الأزل**) في ألست بربكم (**بما سقيته من موارد هذه اللطائف عوارف المعارف**) مفعول أثمرت (**تنبيه**) إيقاظ.

(**زعم بعضهم أن السماع أدعى للوجد**) الشوق (**من التلاوة**) للقرءان (**وأظهر تأثيرًا والحجة**) أي: الدليل (**في ذلك**) الزعم المذكور (**أن جلال القرءان لا تحتمله القوى البشرية المحدثة ولا تحتمله صفاتها المخلوقة**) لعدم المناسبة (**ولو كشف للقلوب ذرة**) أي: قدرها (**من معناه لدهشت وتصدعت**) انشقت (**وتحيرت والألحان مناسبة للطبائع بنسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق والشعر**) كذلك (**نسبته بنسبة الحظوظ، فإذا علقت الأشجان**) الهموم والأحزان (**والأصوات بما في الأبيات من الإشارات واللطائف شاكل**) ناسب (**بعضها بعضًا، فكان أقرب إلى الحظوظ النفسانية وأخف على القلوب بمشاكلة المخلوق**) فلذا كان أدعى للوجد بخلاف القرءان لجلالته لا مناسبة بينه وبين المخلوق (**قاله أبو نصر السراج**) وسبقه إلى معناه الجنيد وهو كما هو ظاهر احتجاج لكون السماع أدعى للوجد لا جواب عنه كما زعم.

(**المقصد العاشر: الفصل الأول: في إتمامه تعالىٰ نعمته عليه بوفاته**) متعلق بإتمامه (**ونقلته إلى حظيرة**) بظاء معجمة مشالة (**قدسه**) أي: الجنة (**لديه**) أي: عنده وهذا عطف مسبب على سبب (**ﷺ وزيارة قبره**) مقر الميت وأصله مصدر قبره إذا دفنه وهو هنا بمعنى المقبور فيه (**الشريف**) شرفًا ما

وزيارة قبره الشريف ومسجده المنيف وتفضيله في الآخره بفضائل الاوليات الجامعة لمزايا التكريم والدرجات العليات وتشريفه بخصائص الزلفى في مشهد مشاهد الأنبياء والمرسلين وتحميده بالشفاعة والمقام المحمود وانفراده بالسؤدد في مجمع مجامع الأولين والآخرين وترقيه في جنة عدن ارقى مدارج السعادة وتعاليه في يوم المزيد أعلى الحسنى وزيادة.

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

اعلم ـ وصلني الله وإياك بحبل تأييده، وأوصلنا بلطفه إلى مقام توفيقه وتسديده ـ أن هذا الفصل مضمونه يسكب المدافع من الأجفان، ويجلب الفجائع

ناله مكان سواه بحيث كان أفضل البقاع بإجماع **(ومسجده المنيف)** المرتفع في الشرف على غيره حتى المسجد الحرام أو إلا المسجد الحرام على القولين، **(وتفضيله في الآخرة بفضائل الأوليات)**: جمع أولـه، أي: بالأمور التي يتقدم وصفه بها على جميع الخلق، ككونه أول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع وأول من يقرع باب الجنة، وقال شيخنا: أي بفضائل الأمم المتقدمة مع أنبيائهم، أي: أنه جمع فيه من الفضائل ما تفرق في غيره، فكان في ذلك المشهد أتم الناس فضيلة وأكملهم. انتهى.

وتعسفه لا يخفى **(الجامعة لمزايا)** فضائل **(التكريم والدرجات)** المراتب **(العليات وتشريفه بخصائص الزلفى)** فعلى من أزلف، أي: القربى **(في مشهد مشاهد الأنبياء والمرسلين وتحميده بالشفاعة)** العظمى العامة **(والمقام المحمود)** الذي يقوم فيه لها فيحمده الأولون والآخرون، ولا شك أنه مغاير لها وإن احتوى عليها **(وانفراده بالسؤدد)** بضم السين وبالهمز، أي: السيادة، أي: المجد والشرف **(في مجمع)** بكسر الميم وفتحها مفرد **(مجامع)** يطلق على الجمع وعلى موضع الاجتماع كما في المصباح **(الأولين والآخرين وترقيه في جنة عدن)** إقامة **(أرقى)** أي: أعلى **(مدارج)** جمع درجة، وفي نسخة: معارج جمع معرج ومعراج **(السعادة)** أي أعلى مراتبها **(وتعاليه في يوم المزيد)** وهو يوم الجمعة في الجنة.

كما رواه الشافعي كما مر في الجمعة **(أعلى معالي الحسنى)** الجنة **(وزيادة)** النظر إلى وجه الله تعالىٰ و**(فيه ثلاثة فصول:)**

الفصل الأول: (اعلم وصلني الله وإياك بحبل تأييده وأوصلنا بلطفه إلى مقام توفيقه وتسديده) بسين مهملة **(أن هذا الفصل مضمونه يسكب المدامع من الأجفان ويجلب**

لإثارة الأحزان، ويلهب نيران الموجدة على أكباد ذوي الإيمان.

ولما كان الموت مكروهًا بالطبع، لما فيه من الشدة والمشقة العظيمة، لم يمت نبي من الأنبياء حتى يخير.

وأول ما أعلم النبي ﷺ من انقضاء عمره باقتراب أجله بنزول سورة ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح**﴾ [النصر/١]، فإن المراد من هذه السورة: إنك يا محمد إذا فتح الله عليك البلاد، ودخل الناس في دينك الذي دعوتهم إليه أفواجًا، فقد اقترب أجلك، فتهيأ للقائنا بالتحميد والاستغفار، فإنه قد حصل منك مقصود ما أمرت به، من أداء الرسالة والتبليغ، وما عندنا خير لك من الدنيا، فاستعد للنقلة إلينا.

وقد قيل أن هذه السورة آخر سورة، نزلت يوم النحر، وهو ﷺ بمنى في حجة الوداع، وقيل: عاش بعدها إحدى وثمانين يومًا. وعند ابن أبي حاتم من حديث ابن عباس: عاش بعدها تسع ليال. وعن مقاتل. سبعًا، وعن بعضهم: ثلاثًا.

الفجائع) أي: الآلام **(لإثارة الأحزان)** بسبب فقد رؤيته عليه الصلاة والسلام **(ويلهب نيران الموجدة)** الحزن **(على أكباد ذوي الإيمان ولما كان الموت مكروهًا بالطبع لما فيه من الشدة، والمشقة العظيمة لم يمت نبي من الأنبياء حتى يخير)** بضم الياء وفتح الخاء المعجمة كما في الصحيح من حديث عائشة، ويأتي في المتن: **(وأول ما أعلم النبي ﷺ من انقضاء عمره باقتراب أجله بنزول سورة ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾)** فتح مكة **(فإن المراد من هذه السورة إنك يا محمد إذا فتح الله عليك البلاد ودخل الناس في دينك الذي دعوتهم إليه أفواجًا)** جماعات **(فقد اقترب أجلك فتهيأ للقائنا بالتحميد والاستغفار، فإنه قد حصل منك مقصود ما أمرت به من أداء الرسالة والتبليغ)** لكل ما أمر بتبليغه **(وما عندنا خير لك من الدنيا)** كما قال: ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾ الآية **(فاستعد للنقلة إلينا، وقد قيل: إن هذه السورة آخر سورة نزلت يوم النحر وهو ﷺ بمنى في حجة الوداع)** ولذا خطب وودع الناس كما مر في الحج.

(وقيل: عاش بعدها إحدى وثمانين يومًا) إن كان قائل هذا يقول نزلت يوم النحر فلا يستقيم هذا العد إلاَّ على القول أنه توفي في ثاني ربيع الأول وأول يوم منه، أما على قول الجمهور أنه توفي ثاني عشر ربيع الأول فيكون عاش بعدها ثلاثًا وتسعين يومًا والأقوال الثلاثة مرت للمصنف في آخر المقصد الأول.

(وعند ابن أبي حاتم من حديث ابن عباس عاش بعدها تسع ليال) بفوقية فمهملة **(وعن مقاتل سبعًا)** بسين قبل الموحدة **(وعن بعضهم ثلاثًا ولأبي يعلى)** بإسناد ضعيف **(من حديث**

ولأبي يعلى من حديث ابن عمر: نزلت هذه السورة في أوسط أيام التشريق في حجة الوداع، فعرف رسول الله ﷺ أنه الوداع.

وفي حديث ابن عباس، عند الدارمي: لما نزلت: ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح**﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة، وقال: «نعيت إلي نفسي» فبكت، قال: «لا تبكي، فإنك أول أهلي لحوقًا بي، فضحكت». الحديث.

وروى الطبراني من طريق عكرمة، عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح**﴾ نعيت إلى رسول الله ﷺ نفسه، فأخذ بأشد ما كان قط اجتهادًا في أمره الآخرة.

وللطبراني أيضًا، من حديث جابر: لما نزلت هذه السورة قال النبي ﷺ لجبريل: «نعيت إلي نفسي». فقال له جبريل: ﴿**وللآخرة خير لك من الأولى**﴾ [الضحى/٤].

ابن عمر نزلت هذه السورة في أوسط أيام التشريق في حجة الوداع، فعرف رسول الله ﷺ أنه الوداع) فركب راحلته واجتمع الناس إليه فخطب الحديث وعلى تقدير صحة جميع هذه الأقوال، فيحتمل أن الرواة اختلف وقت سماعهم، فمنهم من سمعها قبل وفاته بإحدى وثمانين ومنهم بتسع ليال، وهكذا فكل أخبر عن وقت سماعه ظنًا أنه وقت نزولها.

(وفي حديث ابن عباس عند الدارمي: لما نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾، دعا رسول الله ﷺ فاطمة، وقال) لها حين جاءته، وفي نسخة: قال بلا واو، أي: فلما جاءته قال: **(نعيت إلى نفسي)** ببناء نعيت للمجهول **(فبكت)** أسفًا عليه **(قال: لا تبك)** وفي نسخة: لا تبكي بالياء للإشباع **(فإنك أول أهلي لحوقا بي فضحكت... الحديث)** وهو دال للقول بنزولها قبل موته بتسع أو سبع أو ثلاث لما في الصحيح أنه دعا فاطمة في مرض موته فسارها فبكت ثم سارها فضحكت إن فسرنا ما سارها به بنزول سورة النصر.

(وروى الطبراني من طريق عكرمة عن ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ ، نعيت) بضم النون **(إلى رسول الله ﷺ نفسه، فأخذ بأشد ما كان قط اجتهادًا في أمر الآخرة)** أي: أخذ باجتهاد أشد من الاجتهاد الذي كان يجتهده قبل **(وللطبراني أيضًا من حديث جابر: لما نزلت هذه السورة قال النبي ﷺ لجبريل: نعيت)** بفتح النون وتاء الخطاب، أو بضمها مبني للمفعول **(إلى نفسي فقال له جبريل: ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾ الآية)** أي الدنيا.

وروي في حديث ذكره ابن رجب في «اللطائف»: أنه تعبد حتى صار كالشن البالي.

وكان عليه الصلاة والسلام يعرض القرءان كل عام على جبريل مرة، فعرضه ذلك العام مرتين، وكان عليه الصلاة والسلام يعتكف العشر الأواخر من رمضان كل عام فاعتكف في ذلك العام عشرين، وأكثر من الذكر والاستغفار.

وقالت أم سلمة: كان ﷺ في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إلا قال: «سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه»، فقلت له: إنك تدعو بدعاء لم تكن تدعو به قبل اليوم فقال: «إن ربي أخبرني أني سأرى علمًا في

(وروي في حديث ذكره ابن رجب في اللطائف أنه ﷺ تعبد حتى صار كالشن) بفتح المعجمة وشد النون الجلد البالي، فجرد عن بعض معناه فاستعمله في الجلد بلا قيد، فوصفه بقوله: **(البالي)** والله أعلم بحال هذا الحديث.

فإن المفهوم من الأحاديث الصحيحة أنه لم يصل إلى هذه الحالة وإن زاد في العبادة إلى الغاية **(وكان عليه الصلاة والسلام يعرض)** بفتح الياء وكسر الراء يدارس **(القرءان كل عام على جبريل مرة، فعرضه ذلك العام مرتين)** في رمضان كما في الصحيحين في حديث عائشة عن فاطمة: أسر إليّ أن جبريل كان يعراضني القرءان في كل سنة مرة، وأنه عارضني الآن مرتين ولا أراه إلاً حضر أجلي، وفي رواية للشيخين أيضًا: بالجزم، ولفظه: فقالت: سارني أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت... الحديث وهو يرد على قوله أولاً أن أول علمه بانقضاء أجله نزول سورة النصر، فإنها نزلت يوم النحر على أبعد ما قيل والعرض في رمضان الذي قبله إلاً أن يقال الإعلام من سورة النصر ظاهر للأمر بالتسبيح والاستغفار، وقول جبريل له: ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾، بخلاف معارضة جبريل فليس فيها إفصاح بقرب أجله، لكنه فهمه من مخالفة عادته حيث كرره مرتين، أو أنه لما تأخر تحديث فاطمة بهذا حتى مات لم يعلم منه أنه أول ما أعلم به والذي ظهر الإعلام به أولاً إنما هو سورة النصر **(وكان عليه الصلاة والسلام يعتكف العشر الأواخر من رمضان كل عام فاعتكف في ذلك العام)** الذي قبض فيه **(عشرين وأكثر من الذكر والاستغفار)** لعلمه بانقضاء أجله والظاهر من إطلاق العشرين أنها متوالية فيكون العشر الوسط منها، ولما عارضه مرتين اعتكف مثلي ما كان يعتكف.

(وقالت أم سلمة: كان ﷺ في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إلاً قال: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، فقلت له: إنك تدعو بدعاء لم تكن تدعو به قبل اليوم) سمته دعاء نظرًا لقوله أستغفر الله... الخ.

أمتي، وأني إذا رأيته أن أسبح بحمده وأستغفره»، ثم تلا هذه السورة. رواه ابن جرير وابن خزيمة. وأخرج ابن مردويه من طريق مسروق عن عائشة نحوه.

وروى الشيخان من حديث عقبة بن عامر قال: صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء وللأموات، ثم طلع المنبر فقال: إني بين أيديكم فرط، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه وأنا في مقامي هذا، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، وإني لست أخشى

فغلبت أو أرادت بالدعاء ما فيه ثناء على اللّه سواء كان فيه طلب أم لا **(فقال: إن ربي أخبرني أني سأرى علمًا)** بفتحتين دليلاً **(في أمتي)** على وفاتي **(وأني)** أي: وأمرني أني **(إذا رأيته أن أسبح بحمده وأستغفره، ثم تلا هذه السورة)** يعني: وقد رأيته.

(رواه ابن جرير) محمد الطبري **(وابن خزيمة، وأخرج ابن مردويه من طريق مسروق)** بن الأجدع **(عن عائشة نحوه)** أي نحو حديث أم سلمة. **(وروى الشيخان من حديث عقبة)** بالقاف **(ابن عامر)** الجهني **(قال: صلى رسول اللّه ﷺ على قتلى أُحد)** زاد في رواية للشيخين: صلاته على الميت، أي: مثل صلاته، والمراد أنه دعا لهم بدعاء صلاة الميت، كقوله: وصلِ عليهم لا أنه صلى عليهم الصلاة المعهودة على الميت للإجماع على أنه لا يصلى على القبر **(بعد ثمانِ سنين)** فيه تجوز، لأن أحدًا كانت في شوال سنة ثلاث باتفاق والوفاة النبوية في ربيع الأول سنة إحدى عشرة فيكون سبع سنين ودون النصف فهو من جبر الكسر **(كالمودع للأحياء والأموات)** بصلاته على أهل أحد، وخرج إليهم كما في رواية في الصحيح: خرج يومًا فصلى على أهل أحد، ثم انصرف **(ثم طلع المنبر)** كالمودع للأحياء والأموات **(فقال: إني بين أيديكم فرط)** بفتح الفاء والراء المتقدم على الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها، أي: أنا سابقكم إلى الحوض كالمهيىء له لأجلكم وفيه إشارة إلى قرب وفاته وتقدمه على أصحابه **(وأنا عليكم شهيد)** أشهد بأعمالكم، فكأنه باق معهم لم يتقدمهم، بل يبقى بعدهم حتى يشهد بأعمال آخرهم فهو قائم بأمرهم في الدارين في حال حياته وموته.

وعند البزار: بسند جيد عن ابن مسعود رفعه: «حياتي خير لكم ومماتي خير لكم تعرض عليّ أعمالكم فما كان من حسن حمدت اللّه عليه وما كان من سيىء استغفرت اللّه لكم **(وإن موعدكم الحوض)** يوم القيامة **(وإني)** زاد في رواية: واللّه **(لأنظر إليه)** نظرًا حقيقيًا **(وأنا في مقامي)** بفتح الميم **(هذا)** الذي أنا قائم فيه، فهو على ظاهره وكأنه كشف له عنه في تلك الحالة، قاله الحافظ وغيره: ويقويه رواية في الصحيح: إني واللّه لأنظر إلى حوضي الآن، قال المصنف وغيره: فيه أن الحوض على الحقيقة وأنه مخلوق موجود الآن **(وإني قد أعطيت**

عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها».

وزاد بعضهم: «فتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم».

وعن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال: «إن عبدًا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، فاختار ما عنده»، فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: يا رسول الله، فديناك بآبائنا وأمهاتنا، قال: فعجبنا له، وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عند الله، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا. قال: فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا به، فقال النبي ﷺ:

مفاتيح خزائن الأرض) فيه إشارة إلى ما فتح لأمته من الملك والخزائن من بعده **(وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي)** أي: لا أخاف على جميعكم الإشراك، بل على مجموعكم لأنه قد وقع من بعضهم بعده: **(ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا)** بحذف إحدى التاءين **(فيها)** أي: الدنيا بدل اشتمال مما قبله، والمنافسة في الشيء الرغبة فيه وحب الانفراد به **(وزاد بعضهم)** أي: الرواة **(فتقتتلوا)** على المنافسة **(فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم)** وقد وقع ما قاله ﷺ: ففتحت على أمته بعده الفتوح وصبت عليهم الدنيا صبًا وتحاسدوا وتقاتلوا وكان ما كان، ولم يزل الأمر في ازدياد.

(وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر) قبل موته بخمس كما يأتي، وفي رواية: خطب الناس **(فقال: إن عبدًا خيره الله)** من التخيير **(بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا)** زينتها **(ما شاء)** أن يؤتيه منها، وفي نسخة: زهرة بدون من، لكن الذي في البخاري من، وفي مسلم: بدونها، لكن لم يقل ما شاء **(وبين ما عنده)** في الآخرة **(فاختار)** ذلك العبد **(ما عنده، فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا)**.

(قال) أبو سعيد: **(فعجبنا له)** وفي رواية: لبكائه **(وقال الناس)** متعجبين من تفديته لأنهم لم يفهموا المناسبة بين الكلامين **(انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله)** بالرفع فاعل يخبر **(ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه زهرة)**.

كذا في نسخ، وفي أخرى: من وهو الذي في الصحيح من زهرة **(الدنيا ما شاء وبين ما عنده وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا)** وللبخاري في الصلاة: فبكى أبو بكر، فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ إن يكن الله خير عبدًا بين... الخ، وجمع الحافظ؛ بأن أبا سعيد حدث نفسه بذلك، فوافق تحديث غيره به فنقل جميع ذلك.

(قال) أبو سعيد: **(فكان رسول الله ﷺ هو المخير)** بفتح التحتية المشددة والنصب

«إن أمنَّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام، لا يبقى في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر» رضي الله عنه. رواه البخاري ومسلم.

خبر كان، ولفظة هو ضمير فصل، ورواه أبو ذر بالرفع خبر المبتدأ، أعني هو والجملة في موضع نصب خبر كان (**وكان أبو بكر أعلمنا به**) أي بالنبي ﷺ، أو بالمراد من الكلام المذكور: فبكى حزنًا على فراقه (**فقال النبي ﷺ:**) زاد في رواية للبخاري: يا أبا بكر لا تبك (**إن أمن الناس**) بفتح الهمزة والميم وشد النون، أي: أكثرهم منة (**عليّ في صحبته وماله أبو بكر**) أفعل تفضيل من المن بمعنى العطاء والبذل، يعني: أن أبذل الناس لنفسه وماله لا من المانية التي تفسد الصنيعة، وأغرب الداودي: فشرحه على أنه من المانية، وقال: تقديره لو توجه لأحد الامتنان علي لتوجه لأبي بكر، والأول أولى، قاله الحافظ: (**ولو كنت متخذًا**) وقوله: (**من أهل الأرض**) ليس في الصحيحين في حديث أبي سعيد وإنما في البخاري في حديثه في بعض طرقه من أمتي، وفي روايات له بدونها نعم لفظ من أهل الأرض.

رواه مسلم، لكن من حديث ابن مسعود لا من حديث أبي سعيد (**خليلاً**) أرجع إليه في المهمات وأعتمد عليه في الحاجات، وفي رواية للبخاري: لو كنت متخذًا خليلاً غير ربي (**لاتخذت أبا بكر خليلاً**) لأنه أهل لذلك لولا المانع، فإن خلة الله لا تسع مخالة شيء غيره أصلاً (**ولكن أخوة**) بالرفع (**الإسلام**) جامعة بيني وبينه، ولتمامها: صرت معه لأخ، زاد في رواية: ومودته، أي: الإسلام.

وفي حديث ابن عباس عند البخاري: ولكن أخوة الإسلام أفضل، واستشكل بأن الخلة أفضل من أخوة الإسلام فإنها تستلزمها وزيادة، وأجيب بأن أفضل بمعنى فاضل، وبأن المراد مودة الإسلام مع النبي ﷺ أفضل من مودته مع غيره ولا يعكر عليه اشتراك جميع الصحابة في هذه الفضيلة مع أبي بكر، لأن رجحانه عليهم علم من غير هذا وأخوة الإسلام ومودته متقاربة بين المسلمين في نصر الدين وإعلاء كلمة الحق وتحصيل كثرة الثواب، ولأبي بكر من ذلك أكثره وأعظمه (**لا يبقى**) الذي في البخاري في أزيد من موضع كمسلم لا يبقين.

قال الحافظ وغيره بفتح أوله ونون التوكيد الثقيلة (**في المسجد خوخة**) بمعجمتين باب صغير ونسبة النهي إليها تجوز، لأن عدم بقائها لازم للنهي عن إبقائها وكأنه قال: لا تبقوها حتى تبقى، وقد رواه بعضهم بضم أوله وهو واضح، وكانوا قد اتخذوا في ديارهم أبوابًا صغارًا إلى المسجد، فأمر ﷺ بسدها كلها (**إلا خوخة أبي بكر**) إكرامًا له وتنبيهًا على أنه الخليفة بعده أو المراد المجاز فهو كناية عن الخلافة وسد أبواب المقالة دون التطرق والتطلع إليها، رجحه

ولمسلم من حديث جندب: سمعت النبي ﷺ يقول قبل أن يموت بخمس ليال.

وكأن أبا بكر رضي الله عنه فهم الرمز الذي أشار به النبي ﷺ من قرينة ذكره ذلك في مرض موته، فاستشعر منه أنه أراد نفسه، فلذلك بكى.

وما زال ﷺ يعرض باقتراب أجله في آخر عمره، فإنه لما خطب في حجة الوداع قال للناس: «خذوا عني مناسككم، فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا» وطفق

التوربشتي بأنه لم يصح عنده أن أبا بكر كان له منزل بجنب المسجد وإنما كان منزله بالسنح من عوالي المدينة، ورده الحافظ بأنه استدلال ضعيف، إذ لا يلزم من كون منزلة بالسنح أن لا يكون له دار مجاورة للمسجد، ومنزله الذي بالسنح هو منزل أصهاره من الأنصار، وقد كان له إذ ذاك زوجة أخرى وهي أسماء بنت عميس باتفاق وأم رومان على القول بأنها كانت باقية يومئذٍ.

وقد ذكر عمر بن شبة في أخبار المدينة أن دار أبي بكر الذي أذن له في إبقاء الخوخة فيها إلى المسجد كانت ملاصقة للمسجد ولم تزل بيده حتى احتاج إلى شيء يعطيه لبعض من وفد عليه، فباعها لام المؤمنين حفصة بأربعة آلاف درهم.

(رواه البخاري) في موضع **(ومسلم)** في الفضائل **(ولمسلم من حديث جندب: «سمعت النبي ﷺ يقول قبل أن يموت بخمس ليال:)** إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل» هذا بقية الحديث في مسلم، فليس المراد بقول ما مر من قوله إن عبدًا كما زعم من لم يقف على شيء، قال الحافظ: قد تواردت الأحاديث على نفي الخلة من النبي ﷺ لأحد.

وأما ما روي عن أبي بن كعب: أن أحدث عهدي بنبيكم قبل موته بخمس دخلت عليه وهو يقول: «إنه لم يكن نبي إلا وقد اتخذ من أمته خليلاً وإن خليلي أبو بكر ألا وإن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً».

أخرجه أبو الحسن الحربي في فوائده، فمعارض بحديث جندب المذكور، فإن ثبت حديث أبي أمكن الجمع بينهما بأنه لما برىء من ذلك تواضعًا لربه وإعظامًا ما له أذن الله تعالى له فيه في ذلك اليوم لما رأى من تشوقه إليه وإكرامًا لأبي بكر بذلك فلا يتنافى الخبر أن أشار إليه المحب الطبري.

وروى عن أبي أمامة نحو حديث أبي دون التقييد بالخمس أخرجه الواحدي في تفسيره والخبران واهيان **(وكأن أبا بكر رضي الله عنه فهم الرمز)** أي: الإشارة **(الذي أشار به ﷺ من قرينة ذكره ذلك في مرض موته فاستشعر منه أنه أراد نفسه، فلذلك بكى)** أسفًا وحزنًا **(وما زال ﷺ يعرض باقتراب أجله في آخر عمره، فإنه لما خطب في حجة الوداع قال**

يودع الناس، فقالوا: هذه حجة الوداع.

فلما رجع عليه الصلاة والسلام من حجه إلى المدينة جمع الناس بماء يدعى «خما» في طريقه بين مكة والمدينة، فخطبهم وقال: «أيها الناس، إنما أنا بشر مثلكم، يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب»، ثم حض عل التمسك بكتاب الله ووصى بأهل بيته.

قال الحافظ ابن رجب: وكان ابتداء مرضه عليه السلام في آخر شهر صفر، وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يومًا في المشهور.

وكانت خطبته التي خطب بها المذكورة في حديث أبي سعيد الذي قدمته في ابتداء مرضه الذي مات فيه، فإنه خرج ـ كما رواه الدارمي ـ وهو معصوب الرأس بخرقة، حتى أهوى إلى المنبر فاستوى عليه فقال: والذي نفسي بيده، إني

للناس: **خذوا عني مناسككم)** احفظوها واعملوا بها **(فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا وطفق)** أي: شرع **(يودع الناس، فقالوا: هذه حجة الوداع، فلما رجع عليه الصلاة والسلام من حجه)** أي: شرع في الرجوع **(إلى المدينة)** ليلاً في قوله: **(جمع الناس بماء يدعى)** يسمى **(خما)** بضم الخاء المعجمة وشد الميم غدير **(في طريقه بين مكة والمدينة)** على ثلاثة أيام من الجحفة يقال له: غدير خم **(فخطبهم وقال)** بعد أن حمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر كما في مسلم: **(أيها الناس)** الحاضرون أو أعم **(إنما أنا بشر)** وقوله **(مثلكم)** ليست في مسلم ولا في نقل السيوطي عنه وعن أحمد وعبد بن حميد، فكأن كاتبها سبقه قلمه لحفظ القرءان **(يوشك)** يقرب **(أن يأتيني رسول ربي)** يعني: ملك الموت **(فأجيب)** أي: أموت كنى عنه بالإجابة إشارة إلى أنه ينبغي تلقيه بالقبول -كأنه يجيب إليه باختياره **(ثم حض على التمسك بكتاب الله)** القرءان **(ووصى بأهل بيته)** ومر الحديث في مقصد المحبة السابع.

(قال الحافظ ابن رجب) عبد الرحمٰن الحنبلي: **(وكان ابتداء مرضه عليه السلام في آخر شهر صفر)** يوم الاثنين أو السبت أو الأربعاء كما يأتي **(وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يومًا في المشهور)** يأتي مقابله قريبًا **(وكانت خطبته التي خطب بها المذكورة في حديث أبي سعيد الذي قدمته)** آنفًا **(في ابتداء مرضه الذي مات فيه، فإنه خرج كما رواه الدارمي)** عبد الله بن عبد الرحمٰن عن أبي سعيد، قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في المسجد **(وهو معصوب الرأس بخرقة)** من الصداع **(حتى أهوى)** ارتفع صاعدًا **(إلى المنبر فاستوى)** جلس **(عليه، فقال والذي نفسي بيده)** قسم كان يقسم به كثيرًا وفيه الحلف على الأمر المحقق من

لأنظر إلى الحوض في مقامي هذا»، ثم قال: «إن عبدًا عرضت عليه الدنيا».. الخ، ثم هبط عنه فما رؤي عليه حتى الساعة.

فلما عرّض على المنبر باختياره اللقاء لله تعالى على البقاء، ولم يصرح خفي المعنى على كثير ممن سمع، ولم يفهم المقصود غير صاحبه الخصيص به، ثاني اثنين إذ هما في الغار، وكان أعلم الأمة بمقاصد الرسول ﷺ، فلما فهم المقصود من هذه الإشارة بكى وقال: بل نفديك بأموالنا وأنفسنا وأولادنا، فسكّن الرسول ﷺ جزعه، وأخذ في مدحه والثناء عليه على المنبر، ليعلم الناس كلهم فضله، فلا يقع عليه اختلاف في خلافته فقال: «إن أمنّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر» ـ رضي الله عنه ـ ثم قال ﷺ: «لو كنت متخذًا من أهل الأرض

غير استحلاف لمزيد التأكيد (**أني لأنظر إلى الحوض**) نظرًا حقيقيًا (**في مقامي**) بفتح الميم (**هذا، ثم قال: إن عبدًا عرضت عليه الدنيا إلى آخره**) بقيته وزينتها فاختار الآخرة فلم يفطن لها غير أبي بكر، فذرفت عيناه، فبكى ثم قال: بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأولادنا وأموالنا يا رسول الله (**ثم هبط عنه**) نزل عن المنبر (**فما رؤي عليه**) بضم الراء وهمزة مكسورة وفتح الياء وبكسر الراء ومد الهمزة (**حتى الساعة**) أي: فما قام عليه بعد في حياته والمراد بالساعة القيامة، قاله المصنف: (**فلما عرض على المنبر باختياره اللقاء لله تعالى على البقاء**) في الدنيا (**ولم يصرح خفي المعنى على كثير ممن سمع**) كلامه (**ولم يفهم المقصود غير صاحبه الخصيص به**) زيادة على غيره (**ثاني اثنين**) حال من قوله، إذ أخرجه الذين كفروا، أي: أحد اثنين والآخر أبو بكر (**إذ**) بدل من إذ قبله (**هما في الغار**) ثقب في جبل ثور (**وكان أعلم الأمة بمقاصد الرسول ﷺ، فلما فهم المقصود من هذه الإشارة بكى، وقال: بل نفديك بأموالنا وأنفسنا وأولادنا، فسكن الرسول ﷺ جزعه**) ضعف قوته وعدم صبره على ما حل به (**وأخذ في مدحه والثناء عليه**) عطف مساو (**على المنبر ليعلم الناس كلهم فضله، فلا يقع عليه اختلاف في خلافته، فقال: إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر**).

وفي رواية في الصحيح أيضًا: أن من أمن الناس، فقيل من زائدة على رأي الكسائي فلا خلف، أو يحمل على أن لغيره مشاركة ما في الأفضلية، لكنه مقدم في ذلك بدليل السياق المتقدم والمتأخر، ويؤيده حديث أبي هريرة عند الترمذي: ما لأحد عندنا يد إلا كافأناه عليها ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يدًا يكافئه الله بها يوم القيامة، فدل ذلك على ثبوت يد لغيره إلا أن لأبي بكر رجحانًا، وحاصله أنه حيث أطلق أراد أنه أرجحهم، وحيث لم يطلق أراد الإشارة إلى من شاركه (**ثم قال ﷺ لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً**) زاد في رواية: غير ربي

خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام»، لما كان ﷺ لا يصلح له أن يخالل مخلوقًا، فإن الخليل من جرت محبة خليله منه مجرى الروح ولا يصلح هذا لبشر، كما قيل:

قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلاً

أثبت له أخوة الإسلام، ثم قال ﷺ: «لا يبقى في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر»، إشارة إلى أن أبا بكر هو الإمام بعده، فإن الإمام يحتاج إلى سكنى المسجد والاستطراق فيه بخلاف غيره، وذلك من مصالح المسلمين المصلين، ثم أكد هذا المعنى بأمره صريحًا أن يصلي بالناس أبو بكر رضي الله عنه، فروجع في ذلك وهو يقول: «مروا أبا بكر أن يصلي بالناس»، فولاه إمامة الصلاة، ولذا قال الصحابة عند بيعة أبي بكر: رضيه رسول الله ﷺ لديننا أفلا

(لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام) أي حاصلة، وتقدم أن لفظ من أهل الأرض ليس في الصحيحين ولا أحدهما من حديث أبي سعيد، وإنما في بعض طرقه عند البخاري من أمتي، وإن لفظ من أهل الأرض إنما رواه مسلم عن ابن مسعود عن النبي ﷺ، قال: لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلاً لاتخذت ابن أبي قحافة خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله **(لما كان ﷺ لا يصلح له أن يخالل مخلوقًا، فإن الخليل من جرت محبة خليله منه مجرى الروح ولا يصلح هذا لبشر، كما قيل:)**

قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا

ومر الخلاف في مقصد المحبة: هل هي والخلة متساويان أو المحبة أرفع أو الخلة **(أثبت له أخوة الإسلام، ثم قال ﷺ لا يبقى في المسجد خوخة إلاَّ)** خوخة **(سدت)** فحذف المستثنى والفعل صفته، لكن لم يقع في الصحيحين بهذا اللفظ؛ فإنه إنما وقع في بعض طرقه عند البخاري لا يبقين في المسجد باب إلاَّ سد إلا باب أبي بكر.

أما رواية: خوخة فليس فيها إلا سدت، وإنما فيهما كما مر لا يبقين في المسجد خوخة **(إلاَّ خوخة أبي بكر إشارة إلى أن أبا بكر هو الإمام بعده، فإن الإمام يحتاج إلى سكنى المسجد والاستطراق فيه بخلاف غيره وذلك من مصالح المسلمين المصلين)** فإبقاؤها مصلحة عامة **(ثم أكد هذا المعنى بأمره صريحًا أن يصلي بالناس أبو بكر، فروجع في ذلك وهو يقول: مروا أبا بكر أن يصلي بالناس)** والمراجع له عائشة وحفصة كما يأتي **(فولاه إمامة الصلاة)**.

نرضاه لدنيانا.

(ولذا قال الصحابة عند بيعة أبي بكر: رضيه رسول الله ﷺ لديننا) أي: الصلاة لأنها عماد الدين **(أفلا نرضاه لدنيانا)** وفيه إشارة قوية إلى استحقاقه الخلافة، لا سيما وقد ثبت أن ذلك كان في الوقت الذي أمرهم فيه أن لا يؤمهم إلاَّ أبو بكر، قاله الخطابي وابن بطال وغيرهما: وجاء في سد الأبواب أحاديث يخالف ظاهرها حديث الباب، فلأحمد والنسائي بإسناده قوي عن سعد بن أبي وقاص: أمر ﷺ بسد الأبواب الشارعة في المسجد وترك باب علي.

زاد الطبراني في الأوسط: برجال ثقات فقالوا: يا رسول الله سددت أبوابنا، فقال: ما سددتها ولكن الله سدها، ولأحمد والنسائي والحاكم برجال ثقات عن زيد بن أرقم: كان لنفر من الصحابة أبواب شارعة في المسجد، فقال ﷺ: سدوا هذه الأبواب إلا باب علي، فتكلم ناس في ذلك، فقال ﷺ: إني والله ما سددت شيئًا ولا فتحته، ولكن أمرت بشيء فاتبعته.

وعند أحمد والنسائي برجال ثقات عن ابن عباس: أمر ﷺ بأبواب المسجد فسدت غير باب علي، فكان يدخل المسجد وهو جنب ليس له طريق غيره، وللطبراني عن جابر بن سمرة: «أمر ﷺ بسد الأبواب كلها غير باب علي، فربما مر فيه وهو جنب»، ولأحمد بإسناد حسن عن ابن عمر: لقد أعطى علي ثلاث خصال، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم، زوجه ﷺ ابنته وولدت له، وسد الأبواب إلا بابه في المسجد، وأعطاه الراية يوم خيبر، وهذه أحاديث يقوي بعضها بعضاً وكل طريق منها صالح للحجة فضلاً عن جموعها.

وأوردها ابن الجوزي في الموضوعات وأعلها بما لا يقدح وبمخالفتها للأحاديث الصحيحة في باب أبي بكر، وزعم أنها من وضع الرافضة قابلوا بها الحديث الصحيح، فأخطأ في ذلك خطأً شنيعًا فاحشًا، فإنه سلك رد الأحاديث الصحيحة بتوهمه المعارضة مع أن الجمع بين القضيتين ممكن، كما أشار إليه البزار بما دل عليه حديث أبي سعيد عند الترمذي أن النبي ﷺ قال لعلي: «لا يحل لأحد أن يطرق هذا المسجد جنبًا غيري وغيرك»، والمعنى أن باب علي كان إلى جهة المسجد ولم يكن لبيته باب غيره، فلذا لم يؤمر بسده، ويؤيده ما أخرجه إسمعيل القاضي عن المطلب بن عبد الله بن حنطب أن النبي ﷺ لم يأذن لأحد أن يمر في المسجد وهو جنب إلا لعلي بن أبي طالب، لأن بيته كان في المسجد، ومحصل الجمع أنه أمر بسد الأبواب مرتين، ففي الأولى استثنى باب علي لما ذكر، وفي الأخرى باب أبي بكر، لكن إنما يتم بحمل باب علي على الباب الحقيقي وباب أبي بكر على المجازي، أي: الخوخة كما في بعض طرقه وكأنهم لما أمروا بسدها سدوها وأحدثوا خوخًا يستقربون الدخول إلى المسجد منها، فأمروا بعد ذلك بسدها، فهذا لا بأس به في الجمع، وبه جمع الطحاوي والكلاباذي وصرح بأن بيت أبي بكر كان له باب خارج المسجد وخوخة إلى داخل المسجد وبيت علي لم يكن له باب إلا من

وكان ابتداء مرض رسول الله ﷺ في بيت ميمونة، كما ثبت في رواية معمر عن الزهري، وفي سيرة أبي معشر: كان في بيت زينب بنت جحش، وفي سيرة سليمان التيمي كان في بيت ريحانة، والأول هو المعتمد.

وذكر الخطابي أنه ابتدأ به يوم الإثنين، وقيل يوم السبت، وقال الحاكم أبو أحمد: يوم الأربعاء، واختلف في مدة مرضه، فالأكثر أنها ثلاثة عشر يومًا كما مر وقيل: أربعة عشر، وقيل: اثنا عشر، وذكرهما في الروضة، وصدر بالثاني، وقيل عشرة أيام، وبه جزم سليمان التيمي في مغازيه، وأخرجه البيهقي بإسناد صحيح.

وفي البخاري: قالت عائشة: لما ثقل برسول الله ﷺ واشتد به وجعه استأذن أزواجه في أن يمرض في بيتي فأذّن له، فخرج وهو بين رجلين تخط رجلاه في

داخل المسجد. انتهى، ملخصًا من فتح الباري.

(وكان ابتداء) اشتداد **(مرض رسول اللّه ﷺ في بيت ميمونة كما ثبت في رواية معمر عن الزهري)** عن عبيد اللّه بن عبد اللّه عن عائشة: أول ما اشتكى النبي ﷺ في بيت ميمونة الحديث في الصحيحين، وأما ابتداؤه الحقيقي فكان في بيت عائشة كما يأتي **(وفي سيرة أبي معشر)** نجيح بن عبد الرحمٰن: **(كان في بيت زينب بنت جحش وفي سيرة سليمٰن التيمي كان في بيت ريحانة والأول)** بيت ميمونة **(هو المعتمد)** كما قال الحافظ لأنه الذي في الصحيحين مسندًا.

(وذكر الخطابي؛ أنه ابتدأ به) المرض **(يوم الاثنين، وقيل: يوم السبت، وقال الحاكم أبو أحمد)** شيخ الحاكم أبي عبد اللّه **(يوم الأربعاء، واختلف في مدة مرضه، فالأكثر أنها ثلاثة عشر يومًا)** وهو المشهور **(كما مر، وقيل: أربعة عشر، وقيل: اثنا عشر، وذكرهما)** أي: القولين **(في الروضة وصدر بالثاني)** الذي هو اثنا عشر **(وقيل: عشرة أيام، وبه جزم سليمٰن التيمي في مغازيه، وأخرجه البيهقي بإسناد صحيح)** عنه، وجمع شيخنا بجواز اختلاف أحواله في ابتداء مرضه، فذكر كل منهم اليوم الذي علم بحصول ما رآه من حاله وشدة مرضه التي انقطع بها عن الخروج في بيت عائشة: كانت سبعة أيام على ما يأتي وما زاد عليها قبل اشتداده الذي انقطع به ﷺ.

(وفي البخاري) ومسلم **(قالت عائشة: لما ثقل برسول اللّه ﷺ واشتد به وجعه)** عطف تفسير يقال ثقل مرضه إذا اشتد وركضت أعضاؤه عن الحركة، قال عياض: العرب تسمى كل مرض وجعًا **(استأذن أزواجه في أن يمرض)** بضم أوله وفتح الميم وشد الراء **(في بيتي فأذن)** بفتح الهمزة وكسر المعجمة وشد النون، أي: الأزواج **(له)** ﷺ.

الأرض بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر. قال عبيد الله فأخبرت عبد الله بالذي قالت عائشة فقال لي عبد الله ابن عباس: هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة؟ قال: قلت لا، قال ابن عباس: هو علي بن أبي طالب. الحديث.

وفي رواية مسلم عن عائشة: فخرج بين الفضل بن العباس ورجل آخر.

وفي أخرى: بين رجلين أحدهما أسامة. وعند الدارقطني: أسامة والفضل، وعند ابن حبان في أخرى: بريرة ونوبة ـ بضم النون وسكون الواو ثم موحدة ـ قيل: وهو اسم أمة، وقيل: هو عبد. وعند ابن سعد من وجه آخر: بين الفضل وثوبان.

قال الكرماني وروي بضم الهمزة وكسر الذال وخفة النون مبني للمجهول (**فخرج وهو بين رجلين تخط رجلاه في الأرض**) أي: لا يقدر على تمكينهما منها لشدة مرضه (**بين عباس بن عبد المطلب**) عمه (**وبين رجل آخر، قال عبيد الله:**) بضم العين ابن عبد الله بفتحها ابن عتبة بضمها وإسكان الفوقية راوي الحديث عن عائشة (**فأخبرت عبد الله**) ابن عباس مستفهمًا للعرض عليه (**بالذي قالت عائشة، فقال لي عبد الله بن عباس: هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة**).

وفي رواية للشيخين: فدخلت على عبد الله بن عباس، فقلت له: ألا أعرض عليك ما حدثتني عائشة عن مرض رسول الله ﷺ، قال: هات، فعرضت عليه حديثها فما أنكر منه شيئًا، غير أنه قال: أسمت لك الرجل الذي كان مع العباس (**قلت: لا قال ابن عباس هو علي بن أبي طالب**) زاد الإسمعيلي: ولكن عائشة لا تطيب له نفسًا بخير، وعند ابن إسحق: ولكن لا تقدر أن تذكره بخير. انتهى.

وذلك لما جبل عليه الطبع البشري، فلا إزراء في ذلك عليها ولا على علي رضي الله عنهما... (**الحديث**).

(**وفي رواية مسلم عن عائشة: فخرج بين الفضل بن العباس**) أكبر ولده (**ورجل آخر**) هو علي كما في بقية هذه الرواية أيضًا.

(**وفي**) رواية (**أخرى**) لغير مسلم كما في شروحه (**بين رجلين، أحدهما أسامة**) بن زيد (**وعند الدارقطني أسامة والفضل**) بن عباس (**وعند ابن حبان في أخرى: بريرة ونوبة ـ بضم النون وسكون الواو، ثم موحدة ـ**) كما ضبطه ابن ماكولا (**قيل: وهو اسم أمة**) واحدة الإماء (**وقيل: هو عبد**) أسود، ذكر وبه جزم سيف، ويؤيده رواية ابن خزيمة: فخرج بين بريرة ورجل آخر فوهم من ذكر نوبة في النساء الصحابيات، قاله الحافظ.

(**وعند ابن سعد**) محمد (**من وجه آخر بين الفضل وثوبان**) بمثلثة مولاه ﷺ (**وجمعوا**

وجمعوا بين هذه الروايات على تقدير ثبوتها بأن خروجه تعدد، فتعدد من اتكأ عليه.

وعن عائشة رضي الله عنها، أنه ﷺ قال لنسائه: إني لا أستطيع أن أدور في بيوتكن، فإن شئتن أذنتن لي. رواه أحمد.

وفي رواية هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة: أنه ﷺ كان يقول: أين أنا غدًا؟ أين أنا غدًا؟ يريد يوم عائشة. حرصًا على أن يكون في بيت عائشة.

وذكر ابن سعد بإسناد صحيح عن الزهري: أن فاطمة هي التي خاطبت أمهات المؤمنين بذلك فقالت لهن: إنه يشق عليه الاختلاف.

وفي رواية ابن أبي مليكة عن عائشة أن دخوله عليه الصلاة والسلام بيتها كان يوم الإثنين، وموته يوم الإثنين الذي يليه.

وفي مرسل أبي جعفر عند ابن أبي شيبة: أنه ﷺ قال: «أين أكون أنا غدًا»،

بين هذه الروايات على تقدير ثبوتها بأن خروجه تعدد، فتعدد من اتكأ عليه) وهو أولى ممن قال: تناوبوا في صلاة واحدة، هذا بقية ما ذكره الحافظ هنا في الوفاة.

(وعن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ قال لنسائه: إني لا أستطيع أن أدور) أطوف عليكن **(في بيوتكن، فإن شئتن أذنتن لي)** في أن أكون في بيت عائشة **(رواه أحمد)** وفيه مزيد لطفه وحسن عشرته، فإنه ﷺ لم يكتف بأنه لا يستطيع الدوران مع أنه عذر ظاهر حتى أنه علق الإذن على مشيئتهن.

(وفي رواية هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقول) وفي رواية: يسأل **(أين أنا غدًا؟ أين أنا غدًا؟)** مرتين **(يريد يوم عائشة حرصًا على أن يكون في بيت عائشة)** قال ابن التين في الرواية الأخرى أن أزواجه أذن له أن يقيم عند عائشة فظاهره يخالف هذا، ويجمع باحتمال أنهن أذن له بعد أن صار إلى يومها، يعني: فيتعلق الإذن بالمستقبل وهو جمع حسن، قاله الحافظ.

(وذكر ابن سعد بإسناد صحيح عن الزهري أن فاطمة) الزهراء **(هي التي خاطبت أمهات المؤمنين بذلك)** أي: الاستئذان **(فقالت لهن أنه يشق:)** يصعب **(عليه الاختلاف)** بالمجيء والرواح من حجرة إلى أخرى.

(وفي رواية ابن أبي مليكة) بضم الميم اسمه عبد الله **(عن عائشة أن دخوله عليه الصلاة والسلام بيتها كان يوم الاثنين وموته يوم الاثنين الذي يليه)** فاختصت بسبعة أيام.

(وفي مرسل أبي جعفر عند ابن أبي شيبة أنه ﷺ قال: أين أكون غدًا؟، كررها) أي:

كررها مرتين، فعرف أزواجه أنه إنما يريد عائشة، فقلن: يا رسول الله، قد وهبنا أيامنا لأختنا عائشة.

وفي رواية هشام بن عروة عن أبيه ـ عن الإسماعيلي ـ كان يقول: «أين أنا غدًا» حرصًا على بيت عائشة، فلما كان يومي أذن له نساؤه أن يمرض في بيتي.

وعن عائشة: أتى رسول الله ﷺ ذات يوم من جنازة بالبقيع، وأنا أجد صداعًا في رأسي، وأنا أقول: وارأساه، فقال: «بل أنا وارأساه»، ثم قال: ما ضرك لو مت قبلي فغسلتك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك، فقالت: لكأني بك والله لو فعلت ذلك، لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك، فتبسم ﷺ، ثم بدأ في وجعه الذي مات فيه. رواه أحمد والنسائي.

هذه المقالة **(مرتين فعرف)** وفي نسخة: فعرفنا على لغة أكلوني البراغيث **(أزواجه أنه إنما يريد عائشة، فقلن: يا رسول الله قد وهبنا أيامنا لأختنا عائشة)**.

(وفي رواية هشام بن عروة عن أبيه عند الإسمعيلي: كان ﷺ يقول: أين أنا غدًا؟ حرصًا على بيت عائشة) أي: على أن يكون في بيتها كما في رواية **(فلما كان يومي أذن له نساؤه أن يمرض في بيتي)** ويمكن الجمع بين هذه الروايات بأنه كان يقول أين أنا غدًا؟، قبل يوم عائشة، وأمر فاطمة أن تستأذنهن، فأخبرتهن بذلك، فلما كان يوم عائشة قال وهن عنده: أين أنا غدًا؟، وكررها، ففهم أزواجه أنه يريد عائشة، وأكد ذلك قول فاطمة؛ أنه يشق عليه الاختلاف، فوهبن أيامهن لعائشة، فقال ﷺ زيادة في تطييب قلوبهن أني لا أستطيع... الخ.

وكان ذلك في يومها كما قالت: فلما كان في يومي أذن له نساؤه أن يمرض في بيتي، هكذا ظهر لي.

(وعن عائشة: أتى رسول الله ﷺ ذات يوم من جنازة) لبعض أصحابه **(بالبقيع)** بموحدة مقبرة المدينة **(وأنا أجد صداعًا في رأسي)** جملة حالية **(وأنا أقول: وارأساه)** ندبت نفسها وأشارت إلى الموت، قاله الطيبي: كأنها فهمت أن وجع رأسها يتولد منه الموت **(فقال)** ﷺ مشيرًا إلى أنها لا تموت منه بالإضراب **(بل أنا وارأساه، ثم قال)** مشيرًا إلى أنها لو ماتت قبله لكان خيرًا لها **(ما ضرك لو مت قبلي فغسلتك)** بنفسي على ظاهره، ففيه أن الزوج أحق بتغسيل زوجته **(وكفنتك وصليت عليك ودفنتك، فقالت: لكأني بك والله لو فعلت)** أي: لو قام بي **(ذلك)** فهو وبضم التاء أو بفتحها خطابًا، أي: لو فعلت الغسل وما بعده **(لقد رجعت إلى بيتي فأعرست)** من أعرس، أي: غشى **(فيه ببعض نسائك، فتبسم ﷺ ثم بدأ في وجعه الذي مات فيه، رواه أحمد والنسائي)** من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عنها.

وفي البخاري، قالت عائشة: وارأساه فقال ﷺ ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك، فقالت عائشة: واثكلياه، والله إني لأظنك تحب موتي، فلو كان ذلك لظللت آخر يومك معرسًا ببعض أزواجك، فقال ﷺ: بل أنا وارأساه، لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون، ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون.

(وفي البخاري) في الطب والأحكام: **(قالت عائشة: وارأساه)** من الصداع ظنًا أنه قد يتولد منه الموت **(فقال ﷺ ذاك)** بكسر الكاف، أي: موتك كما يدل عليه السياق **(لو كان وأنا حيّ)** الواو للحال **(فأستغفر لك وأدعو لك)** بكسر الكاف فيهما **(فقالت عائشة: واثكلياه)** بضم المثلثة وسكون الكاف وكسر اللام مصححًا عليها في الفرع بعدها تحتية خفيفة فألف فهاء ندبة، وفي بعض الأصول بفتح اللام ولم يذكر الحافظ ابن حجر غيرها، وتعقبه العيني فقال: ليس كذلك لأن ثكلياه إما أن يكون مصدرًا أو صفة للمرأة التي فقدت ولدها، فإن كان مصدرًا فالثاء مضمومة واللام مكسورة، وإن كان صفة فالثاء مفتوحة واللام كذلك، قال في القاموس: الثكل بالضم الموت والهلاك وفقدان الحبيب أو الولد. انتهى.

وليست حقيقته مرادة هنا بل هو كلام يجري على ألسنتهم عند حصول المصيبة أو توقعها، قاله المصنف: **(والله إني لأظنك تحب موتي)** فهمت ذلك من قوله: لو كان وأنا حي **(فلو كان ذلك)** أي: موتي، وفي رواية: ذاك بلا لام **(لظللت)** بفتح اللام والظاء المعجمة وكسر اللام الأولى وسكون الثانية، أي: لدنوت وقربت **(آخر يومك)** من موتي حال كونك **(معرسًا)** بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الراء المشددة فسين مهملة اسم فاعل وبسكون العين وخفة الراء من أعرس بالمرأة إذا بنى بها أو غشيها **(ببعض أزواجك)** ونسيتني **(فقال ﷺ: بل أنا وارأساه)** قال المصنف هكذا في الأصول المعتمدة التي وقفت عليها بإثبات، بل الإضرابية **(لقد همـمت أو أردت)** بالشك من الراوي **(أن أرسل إلى أبي بكر)** الصديق **(وابنه)** عبد الرحمٰن **(فأعهد)** بفتح الهمزة والنصب عطفًا على أرسل، أي: أوصي بالخلافة إلى أبي بكر كراهية **(أن يقول القائلون)** الخلافة لفلان أو يقول واحد منهم الخلافة لي وأن مصدرية والمقول محذوف **(أو يتمنى المتمنون)** أن تكون الخلافة لهم فأعينه قطعًا للنزع، وقد أراد الله تعالى أن لا يعهد ليؤجر المسلمون على الاجتهاد والمتمنون بصم النون جمع متمن بكسرها، وقال ابن التين: ضبط بفتح النون وإنما هو بضمها، لأن الأصل المتمنيون بزنة المتطهرون استثقلت الضمة على الياء فحذفت فاجتمع ساكنان الياء والواو فحذفت الياء لذلك وضمت النون لأجل الواو إذ لا يصح واو قبلها كسرة. انتهى.

وقوله: «بل أنا ورأساه» إضراب، يعني: دعي ذكر ما تجدينه من وجع رأسك واشتغلي بي.

فإن قلت: قد اتفقوا على كراهة شكوى العبد كربه، وروى أحمد في الزهد عن طاووس أنه قال: أنين المريض شكوى، وجزم أبو الطيب وابن الصباغ وجماعة من الشافعية أن تأوه المريض مكروه.

قلت: تعقبه النووي فقال: هذا ضعيف أو باطل، فإن المكروه ما ثبت فيه

وأقره الحافظ، ورده العيني فقال: فتح النون هو الصواب وهو الأصل كما في قوله المسمون، إذ لا يقال فيه بضم الميم وتشبيه القائل المذكور بالمتطهرون غير مستقيم، لأن هذا صحيح وذاك معتل اللام وكل هذا عجز وقصور عن قواعد علم التصريف.

كذا قال وأقره المصنف ورده شيخنا بأن الصواب خلافه لما علل به وأما تشبيهه بالمسمون فهو من اشتباه اسم الفاعل باسم المفعول، فإن النون في اسم الفاعل مكسورة ومفتوحة في اسم المفعول فيفعل فيها ما ذكر وقياس اسم الفاعل من سمى المسمون بضم الميم الثانية جمع المسمى.

وفي التقريب قال الأزهري: تميت الشيء قدرته والفاعل متمن والجمع متمنون بضم النون والأصل متمنيون ومثله قاضون وأصله قاضيون (**ثم قلت: يأبى الله**) إلا خلافة أبي بكر (**ويدفع المؤمنون**) خلافة غيره لاستخلافي له في الإمامة الصغرى (**أو**) قال ﷺ (**يدفع الله**) خلافة غيره (**ويأبى المؤمنون**) **إلا** خلافته، شك الراوي في التقديم والتأخير.

وفي رواية لمسلم: ادعو إليّ أبا بكر أكتب له كتابًا فإني أخاف أن يتمنى متمنٍ ويأبى الله والمؤمنون إلاّ أبا بكر وللبزار معاذ الله أن يختلف الناس على أبي بكر، ففيه إشارة إلى أن المراد الخلافة وهو الذي فهمه البخاري وبوّب عليه في كتاب الأحكام باب الاستخلاف.

قال الكرماني: وفائدة إحضار ابن الصديق معه في العهد بالخلافة ولم يكن له فيها دخل أن المقام مقام طيب قلب عائشة، كأنه قيل: كما أن الأمر مفوض إلى أبيك كذلك الائتوار في ذلك بحضرة أخيك فأقاربك هم أهل مشورتي.

(**وقوله: بل أنا وارأساه إضراب بمعنى دعي ما تجدينه من وجع رأسك واشتغلي بي**) فإنك لا تموتين في هذه الأيام من هذا الوجع بل تعيشين بعدي، علم ذلك بالوحي.

(**فإن قلت: قد اتفقوا على كراهة شكوى العبد كربه، وروى أحمد**) الإمام (**في**) كتاب (**الزهد عن طاوس**) بن كيسان اليماني؛ (**أنه قال: أنين المريض**): تأوه وتوجعه (**شكوى**).

(**وجزم أبو الطيب وابن الصباغ وجماعة من الشافعية؛ أن تأوه:**) توجع (**المريض مكروه**) تنزيهًا (**قلت: تعقبه النووي، فقال: هذا ضعيف أو باطل، فإن المكروه ما ثبت فيه**

نهي مخصوص، وهذا لم يثبت فيه ذلك، ثم احتج بحديث عائشة هذا، ثم قال: فلعلهم أرادوا بالكراهة خلاف الأولى، فإنه لا شك أن اشتغاله بالذكر أولى. انتهى.

قال في فتح الباري: ولعلهم أخذوه بالمعنى من كون كثرة الشكوى تدل على ضعف اليقين وتشعر بالتسخط للقضاء، وتورث شماتة الأعداء، وأما إخبار المريض صديقه أو طبيبه عن حاله فلا بأس اتفاقًا، فليس ذكر الوجع شكاية. فكم من ساكت وهو ساخط، وكم من شاك وهو راض، فالمعوَّل في ذلك على عمل القلب لا على نطق اللسان.

وقد تبين ـ كما نبه عليه في «اللطائف» ـ أن أول مرضه عليه الصلاة والسلام كان صداع الرأس، والظاهر أنه كان مع حمى، فإن الحمى اشتدت به في مرضه، فكان يجلس في مِخْضَب ويصب عليه الماء من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن، يتبرد بذلك.

وفي البخاري قالت: لما دخل بيتي واشتد وجعه قال: «أهريقوا عليَّ من

نهي مقصود) له بعينه ولم يصلح للتحريم **(وهذا لم يثبت فيه ذلك، ثم احتج بحديث عائشة هذا)** فإن قوله ﷺ: بل أنا وارأساه دليل على الجواز **(ثم قال النووي: فلعلهم أرادوا بالكراهة خلاف الأولى، فإنه لا شك أن اشتغاله)** أي: المريض **(بالذكر أولى. انتهى)**.

وأما حديث المريض: أنينه تسبيح فليس بثابت كما نقله السخاوي عن شيخه الحافظ **(قال في فتح الباري: ولعلهم أخذوه)** أي قولهم بالكراهة **(بالمعنى من كون كثرة الشكوى تدل على ضعف اليقين وتشعر بالتسخط)** أي: إظهار التألم وعدم الصبر **(للقضاء)** الذي أصابه مما يكرهه **(وتورث شماتة الأعداء)** فرحهم.

(وأما إخبار المريض صديقه أو طبيبه) الذي يداويه **(عن حاله فلا بأس به)** أي: يجوز **(اتفاقًا، فليس ذكر الوجع شكاية، فكم من ساكت وهو ساخط)** بقلبه **(وكم من شاك)** بلسانه **(وهو راضٍ)** بقلبه **(فالمعوَّل في ذلك على عمل القلب لا على نطق اللسان)** لأن القلب إذا صلح صلح الجسد كله.

(وقد تبين كما نبه عليه في اللطائف أن أول مرضه عليه الصلاة والسلام كان صداع الرأس، والظاهر أنه كان مع حمى، فإن الحمى اشتدت به في مرضه، فكان يجلس في مِخْضَب) بكسر الميم وإسكان الخاء وفتح الضاد المعجمتين الإجانة **(ويصب عليه الماء من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن يتبرد بذلك)** من الحمى.

(وفي البخاري قالت عائشة: لما دخل بيتي واشتد وجعه قال: أهريقوا) أي: صبوا

سبع قرب لم تحلل أوكيتهن، لعلي أعهد إلى الناس، فأجلسناه في مخضب لحفصة ـ زوج النبي ﷺ ـ ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب، حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن. الحديث.

وقد قيل في الحكمة في هذا العدد: أن له خاصية في دفع ضرر السم والسحر، وسيأتي إن شاء الله تعالى أنه عليه الصلاة والسلام قال: «هذا أوان انقطاع أبهري»، أي من ذلك السم. وتمسك بعض من أنكر نجاسة سؤر الكلب به، وزعم أن الأمر بالغسل منه سبعًا إنما هو لدفع السمية التي في ريقه.

وكانت عليه صلوات الله وسلامه عليه قطيفة، فكانت الحمى تصيب من يضع يده عليه من فوقها فقيل له في ذلك فقال: «إنا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف

(عليّ من سبع قرب لم تحلل) بضم الفوقية وسكون المهملة وفتح اللام خفيفة **(أوكيتهن)** جمع وكاء وهو رباط القربة **(لعلي أعهد إلى الناس)** أي: أوصي **(فأجلسناه في مخضب)** بكسر الميم بزنة منبر إناء يغتسل فيه **(لحفصة زوج النبي ﷺ، ثم طفقنا)** شرعنا **(نصب عليه من تلك القرب)** السبع **(حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن)** أي: كفوا عن الصب **(الحديث)** تتمته هنا في البخاري، قالت: ثم خرج إلى الناس فصلى لهم وخطبهم.

وفي حديث ابن عباس أنه ﷺ خطب في مرضه... الحديث وفيه أنه آخر مجلس جلسه، ولمسلم عن جندب أن ذلك كان قبل موته بخمس، قال الحافظ: فعليه يكون يوم الخميس، ولعله كان بعد اختلافهم عنده وقوله لهم قوموا فلعله وجد بعد ذاك خفة فخرج **(وقد قيل في الحكمة في هذا العدد)** أي: قوله من سبع قرب **(أن له)** أي: للعدد **(خاصية في دفع ضرر السم والسحر، وسيأتي إن شاء الله تعالى)** قريبًا **(أنه عليه الصلاة والسلام قال: هذا أوان)** بالفتح ظرفًا **(انقطاع أبهري)** بفتح فسكون **(من ذلك السم)** الذي أكله بخيبر **(وتمسك به بعض في أنكر نجاسة سؤر الكلب، وزعم أن الأمر بالغسل منه سبعًا إنما هو لدفع السمية التي في ريقه)**.

زاد الحافظ: وقد ثبت حديث من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر، وللنسائي في قراءة الفاتحة على المصاب سبع مرات وسنده صحيح، ولمسلم: القول لمن به وجع أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحذر سبع مرات، وفي النسائي: من قال عند مريض لم يحضر أجله أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك سبع مرات **(وكانت عليه صلوات الله وسلامه عليه قطيفة)** كساء له خمل **(فكانت الحمى تصيب من يضع يده عليه)** أي: المصطفى **(من فوقها)** أي: القطيفة لشدة حرارة الحمى **(فقيل له في ذلك، فقال: إنا)**

لنا الأجر»، رواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، كلهم من رواية أبي سعيد الخدري.

وقالت عائشة: ما رأيت أحدًا كان أشد عليه الوجع من رسول الله ﷺ.

وعن عبد الله قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك وعكًا شديدًا، فقلت: يا رسول الله، إنك توعك وعكًا شديدًا، قال: «أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم»، قلت: ذلك أن لك أجرين، قال: «أجل ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها». رواه البخاري.

معاشر الأنبياء (**كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الأجر**).

(**رواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، كلهم من رواية أبي سعيد الخدري**) سعد بن لملك بن سنان (**وقالت عائشة: ما رأيت أحدًا كان أشد عليه الوجع**) أي: المرض، والعرب تسمي كل مرض وجعًا (**من رسول اللّه ﷺ**) زيادة في أجره، وهذا الحديث رواه الشيخان.

(**وعن عبد اللّه**) بن مسعود **قال: دخلت على النبي ﷺ وهو**) أي: والحال أنه (**يوعك**) بفتح العين يحم (**وعكا شديدًا**) فمسسته (**فقلت: يا رسول اللّه إنك توعك وعكا**) بسكون العين وفتحها (**شديدًا، قال: أجل**) بفتح الجيم وسكون اللام مخففة، أي: نعم (**إني أوعك كما يوعك رجلان منكم**) لأنه كالأنبياء مخصوص بكمال الصبر.

قال ابن مسعود: (**قلت ذلك**) التضاعف (**إن لك لأجرين، قال: أجل ذلك كذلك**) فالبلاء في مقابلة النعمة، فمن كانت نعم اللّه عليه أكثر كان بلاؤه أشد (**ما من مسلم يصيبه أذى شوكة**) بالرفع بدل والتنكير للتقليل لا للجنس ليصح ترتب قوله: (**فما فوقها**) بالقاف عليه، وهو يحتمل وجهين فوقها في العظم ودونها في الحقارة، وعكس ذلك قاله في الفتح والكواكب، وفي رواية: أذى مرض فما سواه (**إلاَّ كفر اللّه بها**) وفي نسخة: به، أي: بالأذى، لكن الذي في البخاري بها، أي: بالشوكة (**سيئاته**) الصغائر أو الكبائر، حدث عن الكرم بما شئت (**ما تحط الشجرة ورقها**) وذلك زمن الخريف، فإنها حينئذٍ تتجرد عنها سريعًا لجفافها وكثرة هبوب الرياح.

زاد في حديث سعد بن أبي وقاص عند الدارمي، وصححه الترمذي وابن حبان: حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة، قال الطيبي: تحات ورق الشجر كناية عن إذهاب الخطايا شبه حالة المريض وإصابة المرض جسده، ثم محو السيئات عنه سريعًا بحملة الشجر وهبوب الرياح وتناثر الأوراق منها وتجردها عنها، فهو تشبيه تمثيلي لانتزاع الأمور والمتوهمة في المشبه

والوَعْك ـ بفتح الواو وسكون العين المهملة، وقد تفتح ـ: الحمي، وقيل: ألم الحمى، وقيل: إرعادها الموعك وتحريكها إياه. وعن الأصمعي: الوعك: الحر، فإن كان محفوظًا فلعل الحمى سميت وعكًا لحرارتها.

قال أبو هريرة: ما من وجع يصيبني أحب إليَّ من الحمى، إنها تدخل في كل مفصل من ابن آدم، وإن الله يعطي كل مفصل قسطًا من الأجر.

وأخرج النسائي، وصححه الحاكم، من حديث فاطمة بنت اليمان ـ أخت حذيفة ـ قالت: أتيت النبي ﷺ في نساء نعوده: فإذا سقاء يقطر عليه من شدة الحمى، فقال: «إن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

من المشبه به، فوجه الشبه الإزالة الكلية سريعًا لا الكمال والنقصان، لأن إزالة ذنوب الإنسان سبب كماله، وإزالة الأوراق عن الشجر سبب نقصانها.

(**رواه البخاري**) في مواضع عديدة من الطب، وكذا رواه مسلم في الطب (**والوعك ـ بفتح الواو وسكون العين المهملة وقد تفتح ـ الحمي**) نفسها (**وقيل: ألم الحمى، وقيل: إرعادها الموعوك وتحريكها إياه**).

(**وعن الأصمعي**) بفتح الميم عبد الملك بن قريب (**الوعك الحر، فإن كان محفوظًا**) عند أهل اللغة (**فلعل الحمى سميت وعكا لحرارتها، قال أبو هريرة: ما من وجع**) أي: مرض (**يصيبني أحب إليّ من الحمى، إنها تدخل في كل مفصل**) بزنة مسجد أحد مفاصل الإنسان (**من ابن ءادم، وإن الله يعطي كل مفصل قسطًا**) نصيبًا (**من الأجر**).

(**وأخرج النسائي وصححه الحاكم من حديث فاطمة بنت اليمان أخت حذيفة**) العبسية، ويقال اسمها خولة، روى عنها ابن أخيها أبو عبيد بن حذيفة؛ أنها (**قالت: أتيت النبي ﷺ في نساء نعوده، فإذا سقاء**) بكسر السين معلق (**يقطر**) ماؤه (**عليه من شدة**) ما يجد من حر (**الحمى، فقال: إن أشد**) هكذا الرواية في النسائي وغيره أشد (**الناس**) بدون من قبلها، فما في نسخ: إن من لا يصح ولا من جهة المعنى، لأن الأنبياء أشد على الإطلاق، وفي تاريخ البخاري مرفوعًا: أشد الناس بلاء في الدنيا نبي أو صفي، والذي في الإصابة والزيادات معزء، وللنسائي وغيره وبلفظ: أن أشد الناس (**بلاء**) في الدنيا (**الأنبياء ثم الذين يلونهم**) الأصفياء والصالحون (**ثم الذين يلونهم**) وهذا يفسره رواية الطبراني في الكبير عن فاطمة بنت اليمان نفسها مرفوعًا بلفظ: أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل.

قال القرطبي: أحب الله تعالى أن يبتلي أصفياءه تكميلاً لفضائلهم ورفعة لدرجاتهم عنده

وفي حديث عائشة: أنه ﷺ كان بين يديه علبة أو ركوة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه ويقول: «لا إله إلا الله إن للموت سكرات» الحديث رواه البخاري.

وروى أيضًا عن عروة أنه ﷺ قال: «ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم».

وفي رواية: «ما زالت أكلة خيبر تُعادّني».

وليس ذلك نقصًا في حقهم ولا عذابًا، بل كمال رفعة مع رضاهم بجميل ما يجريه الله عليهم، وقال العارف الجيلاني: إنما كان الحق يديم على أصفيائه البلايا والمحن ليكونوا دائمًا بقلوبهم في حضرته لا يغفلون عنه لأنه يحبهم ويحبونه، فلا يختارون الرخاء لأن فيه بعدًا عن محبوبهم، وأما البلاء فقيد للنفوس يمنعها من الميل لغير المطلوب، فإذا دام ذابت الأهوية وانكسرت القلوب، فوجدوا الله أقرب إليهم من حبل الوريد كما قال الله تعالى.

وفي بعض الكتب الإلهية أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي، أي: على الكشف منهم والشهود وإلاَّ فهو عند كل عبد انكسر قلبه أم لا.

(**وفي حديث عائشة أنه ﷺ كان بين يديه علبة**) بضم العين وسكون اللام وفتح الموحدة قدح ضخم من خشب (**أو ركوة**) بفتح الراء من جلد يشك عمر بن سعيد أحد رواته، كما في البخاري: (**فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: لا إله إلاَّ الله إن للموت سكرات:**) جمع سكرة وهي الشدة... (**الحديث**) باقية، ثم نصب يده فجعل يقول في الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده.

(**رواه البخاري:**) إن عائشة كانت تقول: إن من نعم الله عليّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي... الحديث، وفيه: وكان بين يديه ركوة إلى آخر ما هنا.

(**روى**) البخاري (**أيضًا**) لكن تعليقًا قال الحافظ: وصله البزار والحاكم والإسمعيلي (**عن عروة**) بن الزبير، عن عائشة؛ (**أنه ﷺ قال: ما أزال أجد ألم الطعام**) أي: أحس الألم في جوفي بسبب الطعام المسموم (**الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان**) بالرفع على الخبرية وهو الذي في الفرع وبالفتح لإضافته إلى مبني وهو الماضي، لأن المضاف والمضاف إليه كالشيء الواحد وهو في موضع رفع خبر المبتدأ، قاله المصنف واقتصر الحافظ على قوله: أوان بالفتح على الظرفية (**وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم**) بفتح السين وضمها.

(**وفي رواية**) لابن سعد بأسانيد متعددة في قصة الشاة التي سمت له بخيبر، وقال في آخرها: وعاش بعد ذلك ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي قبض فيه جعل يقول: (**ما زالت أكلة**

والأُكلة: بالضم، اللقمة التي أكل من الشاة. وبعض الرواة يفتح الألف، وهو خطأ لأنه عليه الصلاة والسلام لم يأكل منها إلا لقمة واحدة، قاله ابن الأثير.

ومعنى الحديث: أنه نقض عليه سم الشاة التي أهدتها له اليهودية، فكان ذلك يثور عليه أحيانًا.

والأبهر: عرق مستبطن بالصلب يتصل بالقلب، إذا انقطع مات صاحبه.

وقد كان ابن مسعود وغيره يرون أنه ﷺ مات شهيدًا من السم.

وعند البخاري أيضًا قالت: إن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح بيديه، فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه، طفقت أنفث عليه بالمعوذات التي كان ينفث وأمسح بيد النبي ﷺ عنه.

خيبر تُعادّني) بضم الفوقية وشد الدال المهملة، قال في النهاية، أي: تراجعني ويعاودني ألم سمها في أوقات معلومة يقال به عداد من ألم، أي: يعاوده في أوقات معلومة. انتهى، فنسخ تعاودني بزيادة واو قبل الدال تحريف وعند ابن سعد ما زلت أجد من الأكلة التي أكلتها بخيبر عدادًا حتى كان هذا أوان انقطاع أبهري وتوفي شهيدًا. انتهى.

(**والأُكلة بالضم**) للهمزة (**اللقمة التي أكل من الشاة وبعض الرواة بفتح الألف وهو خطأ لأنه عليه الصلاة والسلام لم يأكل منها إلا لقمة واحدة قاله ابن الأثير**) في النهاية (**ومعنى الحديث أنه نقض عليه سم الشاة التي أهدتها له اليهودية، فكان ذلك يثور عليه أحياناً**) حتى ينال رتبة الشهادة ومرت القصة مبسوطة في خيبر (**والأبهر**) بفتح الهمزة والهاء بينهما موحدة ساكنة (**عرق مستبطن بالصلب متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه**).

هكذا نقله في الفتح عن أهل اللغة، ثم قال: وقال الخطابي: يقال إن القلب متصل (**وقد كان ابن مسعود وغيره يرون أنه ﷺ مات شهيدًا من السم**) الذي تناوله بخيبر، ومن المعجزة أنه لم يؤثر فيه في وقته، لأنهم قالوا: إن كان نبيًا لم يضره وإن كان ملكًا استرحنا منه، فلما لم يؤثر فيه تيقنوا نبوته حتى قيل: إن اليهودية أسلمت ثم نقض عليه بعد ثلاث سنين لإكرامه بالشهادة.

(**وعند البخاري أيضًا، قالت**) عائشة: (**أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى**) أي: مرض (**نفث**) بمثلثة، أي تفل بغير ريق أو مع ريق خفيف (**على نفسه بالمعوّذات**) بكسر الواو المشددة (**ومسح**) أي: يقرأ ماسحًا (**بيديه**) عند قراءتها لتصل بركة القرءان إلى بشرته المقدسة (**فلما اشتكى**) مرض (**وجعه**) مرضه (**الذي توفي فيه طفقت**) أي: أخذت حال كوني (**أنفث عليه بالمعوذات التي كان ينفث**) بكسر الفاء (**وأمسح بيد النبي ﷺ عنه**) بركتها، وهذا

وفي رواية مالك: وأمسح بيده رجاء بركتها.

ولمسلم، فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسح بيد نفسه لأنها كانت أعظم بركة من يدي.

وأطلقت على السور الثلاث: المعوذات، تغليبًا.

وفي البخاري عن عائشة: دخل عبد الرحمٰن بن أبي بكر على النبي ﷺ وأنا مسندته إلى صدري، ومع عبد الرحمٰن سواك رطب يستن به، فأبده رسول الله ﷺ بصره، فأخذت السواك فقضمته ونفضته وطيبته، ثم دفعته إلى النبي ﷺ فاستن به، فما رأيته استن استنانًا قط أحسن منه. الحديث.

رواه البخاري في الوفاة من طريق يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة.

(وفي رواية ملك) عن ابن شهاب بهذا الإسناد عند البخاري في فضائل القرءان: **(وأمسح بيده)** ﷺ **(رجاء بركتها)** وفي رواية معمر عن ابن شهاب، بسنده عند البخاري في الطب: أمسح بعد نفسه **(ولمسلم)** من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: **(فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسح بيد نفسه لأنها كانت أعظم بركة من يدي)**.

وعند البخاري عن ابن أبي مليكة عن عائشة: فذهبت أعوذه، فرفع رأسه إلى السماء وقال: في الرفيق الأعلى، وللطبراني من حديث أبي موسىٰ: فأفاق وهي تمسح صدره وتدعو بالشفاء، فقال: لا ولكن أسأل اللّه الرفيق الأعلى **(وأطلقت على السور الثلاث)** الإخلاص والتاليتين لها **(المعوذات تغليبًا)** كما قال الحافظ إنه المعتمد، وعبارته: المراد بالمعوذات قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس، وجمع باعتبار أن أقل الجمع اثنان، أو باعتبار أن المراد الكلمات التي يقع بها التعويذ من السورتين، ويحتمل أن المراد هاتان السورتان مع سورة الإخلاص وأطلقت ذلك تغليبًا وهذا هو المعتمد.

(وفي البخاري عن عائشة: دخل عبد الرحمٰن بن أبي بكر على النبي ﷺ وأنا مسندته إلى صدري ومع عبد الرحمٰن سواك رطب) من جريد **(يستن)** بشد النون يستاك **(به)** قال الخطابي: أصله من السن، أي بالفتح، ومنه السن الذي يسن عليه الحديد **(فأبده رسول اللّه ﷺ بصره، فأخذت السواك)** من عبد الرحمٰن **(فقضمته ونفضته)** بالفاء والضاد المعجمة **(وطيبته، ثم دفعته إلى النبي ﷺ فاستن:)** استاك **(به، فما رأيته استن استنانًا قط أحسن منه... الحديث)** تمامه، فما عدا أن فرغ ﷺ رفع يده أو إصبعه، ثم قال: في الرفيق الأعلى ثلاثًا، ثم قضى وكانت تقول مات بين حاقنتي وذاقنتي.

وقولها: «فأبده» بتشديد الدال المهملة أي: مد نظره إليه.

وقولها: «فقضمته» ـ بكسر الضاد المعجمة ـ أي: لطوله ولإزالة المكان الذي تسوك به عبد الرحمٰن. «ثم طيبته»: أي لينته بالماء.

وفي رواية له أيضاً: قالت: إن من نعم الله تعالى عليّ أن جمع الله بين ريقي وريقه عند موته، دخل عليّ عبد الرحمٰن وبيده سواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت آخذه لك؟ فأشار برأسه: أن نعم.

وفي رواية: مر عبد الرحمٰن وفي يده جريدة رطبة، فنظر إليه ﷺ فظننت أن له بها حاجة، فأخذتها فمضغت رأسها ونفضتها ودفعتها إليه فاستن بها كأحسن ما

(وقولها: فأبده) بموحدة خفيفة و(بتشديد الدال المهملة، أي: مد نظره إليه) يقال: أبددت فلانًا النظر إذا طولته إليه.

وفي رواية الكشميهني: فأمده بالميم، قال المصنف: وهما بمعنى (وقولها: فقضمته) بفتح القاف و (بكسر الضاد المعجمة) أي: مضغته والقضم الأخذ بطرف الأسنان (أي: لطوله ولإزالة المكان الذي تسوك به عبد الرحمٰن، ثم طيبته، أي: لينته بالماء).

قال الحافظ: وحكى عياض أن الأكثر رووه بالصاد المهملة، أي: كسرته أو قطعته، حكى ابن التين رواية بالفاء والمهملة.

قال المحب الطبري: إن كان بالضاد المعجمة فيكون قولها: فطيبته تكرارًا، وإن كان بالمهملة فلا، لأنه يصير المعنى كسرته لطوله، أو لإزالة المكان الذي تسوك به عبد الرحمٰن، ويحتمل أن يكون طيبته تأكيدًا للينته.

(وفي رواية له) للبخاري (أيضًا، قالت) عائشة: (إن من نعم الله تعالى عليّ) بشد الياء (أن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته دخل عليّ عبد الرحمٰن) بن أبي بكر (وبيده سواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك، فأشار برأسه أن نعم) فيه العمل بالإشارة عند الحاجة وقوة فطنة عائشة.

وباقي هذا في البخاري: فتناولته فاشتد عليه، وقلت: ألينه لك، فأشار برأسه أن نعم، فلينته فأمره وبين يديه ركوة إلى آخر ما مر.

(وفي رواية) للبخاري أيضًا عن عائشة: (مر عبد الرحمٰن وفي يده جريدة رطبة، فنظر إليه ﷺ، فظننت أن له بها) بالجريدة (حاجة، فأخذتها فمضغت رأسها ونفضتها) بفاء ومعجمة

كان مستنًا، ثم ناولنيها فسقطت يده أو سقطت من يده، فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا، أول يوم من الآخرة.

وفي حديث خرجه العقيلي: أنه ﷺ قال لها في مرضه: ائتيني بسواك رطب فامضغيه ثم ائتيني به أمضغه لكي يختلط ريقي بريقك لكي يهون علي عند الموت.

قال الحسن: لما كرهت الأنبياء الموت هون الله عليهم ذلك بلقاء الله، وبكل ما أحبوا من تحفة أو كرامة، حتى إن نفس أحدهم لتنزع من بين جنبيه وهو محب لذلك، لما قد مثل له.

وفي المسند عن عائشة أيضًا: أن النبي ﷺ قال: «إنه ليهون علي الموت لأني رأيت بياض كف عائشة في الجنة». وخرجه ابن سعد وغيره مرسلاً: أنه ﷺ قال: «لقد رأيتها في الجنة، حتى ليهون عليَّ بذلك موتي كأني أرى كفيها»، يعني عائشة.

فقد كان ﷺ يحب عائشة حبًّ شديدًا، حتى لا يكاد يصبر عنها، فمثلت

(ودفعتها إليه، فاستن بها كأحسن ما كان مستنًا، ثم ناولنيها فسقطت يده أو سقطت) الجريدة **(من يده)** شك الراوي: **(فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم)** من أيامه ﷺ **(من الدنيا وأول يوم)** من أيامه **(من الآخرة)** عليه الصلاة والسلام.

(وفي حديث: خرجه العقيلي) بضم العين **(أنه ﷺ قال لها في مرضه: ائتيني بسواك رطب فامضغيه، ثم ائتيني به أمضغه لكي يختلط ريقي بريقك لكي يهون)** الأمر **(عليّ عند الموت)**.

وعند ابن عساكر: ما أبالي بالموت مذ علمت أنك زوجتي في الجنة **(قال الحسن)** البصري: **(لما كرهت الأنبياء الموت)** باعتبار الطبع البشري **(هون الله عليهم ذلك بلقاء الله وبكل ما أحبوا من تحفة)** وزان رطبة ما اتحفت به غيرك.

وحكى الصغاني: سكون الحاء أيضًا **(أو كرامة، حتى إن نفس أحدهم لتنزع من بين جنبيه وهو محب لذلك لما قد مثل له، وفي المسند)** للإمام أحمد **(عن عائشة أيضًا: أن النبي ﷺ قال: إنه ليهون)** بسكون الواو يسهل **(عليّ الموت)** أي: تطيب نفسي به وإن وجدت فيه شدة ومشقة **(لأني رأيت بياض كف عائشة في الجنة، وخرجه ابن سعد وغيره مرسلاً)** بدون ذكر عائشة **(أنه ﷺ قال: لقد رأيتها في الجنة حتى ليهون عليّ بذلك موتي كأني أرى كفيها، يعني عائشة، فقد كان عليه الصلاة والسلام يحب عائشة حبًا شديدًا**

له بين يديه في الجنة ليهون عليه موته، فإن العيش إنما يطيب باجتماع الأحبة، وقد سأله ﷺ رجل فقال: أي الناس أحب إليك؟ فقال: «عائشة» فقال: من الرجال: قال: «أبوها»، ولهذا قال لها: في ابتداء مرضها لما قالت: وارأساه وددت أن ذلك كان وأنا حي فأصلي عليك وأدفنك، فعظم ذلك عليها، وظنت أنه يحب فراقها، وإنما كان ﷺ يريد تعجيلها بين يديه ليقرب اجتماعهما.

ويروى أنه كان عنده ﷺ في مرضه سبعة دنانير، فكان يأمرهم بالصدقة بها ثم يغمى عليه، فيشتغلون بوجعه، فدعا بها فوضعها في كفه وقال: «ما ظن محمد بربه لو لقي الله وعنده هذه؟» ثم تصدق بها كلها، رواه البيهقي.

انظر إذا كان هذا سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين المغفور له ما تقدم

حتى لا يكاد يصبر عنها، فمثلت:) صورت **(له بين يديه في الجنة ليهون)** بسكون الواو يسهل **(عليه موته، فإن العيش إنما يطيب باجتماع الأحبة)** وقراءته بشد الواو تقتضي أنه خفف عليه في قبض روحه وهو خلاف قوله: إن للموت سكرات، وخلاف قول عائشة: لا أكره شدة الموت لأحد بعد النبي ﷺ **(وقد سأله ﷺ رجل)** هو عمرو بن العاصي لما أمره على ذات السلاسل على جيش فيهم أبو بكر وعمر، قال: فظننت أن لي منزلة عنده، فأتاه **(فقال: أي الناس)** هكذا الرواية في الصحيحين وغيرهما، فنسخة النساء تصحيف سببه خيال يقوم في العقل؛ أنه أنسب بالجواب **(أحب إليك)** زاد في رواية: فأحبه **(فقال: عائشة فقال: من الرجال)**.

وعند ابن خزيمة وابن حبان عن عمرو: فقلت: إني لست أعني النساء، إني أعني الرجال، فلو كان السؤال، أي: النساء ما صح أن عمرًا يقول هذا **(قال أبوها:)** فقلت: ثم من؟، قال: ثم عمر بن الخطاب فعد رجالاً، هذا تمامه في الصحيحين، زاد في رواية: سكت مخافة أن يجعلني في آخرهم **(ولهذا قال لها: في ابتداء مرضها، لما قالت: وارأساه وددت أن ذلك كان)** وجد **(وأنا حي فأصلي عليك وأدفنك، فعظم:)** شق **(ذلك عليها وظنت أنه يحب فراقها، وإنما كان عليه الصلاة والسلام يريد تعجيلها بين يديه ليقرب اجتماعهما، ويروى أنه كان عنده ﷺ في مرضه سبعة دنانير، فكان يأمرهم)** أي: من عنده **(بالصدقة بها، ثم يغمى عليه فيشتغلون بوجعه فدعا بها)** أي: أمر بإحضارها **(فوضعها في كفه وقال: ما ظن محمد بربه لو لقي الله تعالى)** مصدرية **(وعنده هذه، ثم تصدق بها كلها)** رغبة في الأجر وإعراضًا عن الدنيا.

(رواه البيهقي: أنظر إذا كان هذا سيد المرسلين) بالنصب خبر كان **(وحبيب رب العالمين، المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)** وجواب إذا محذوف، أي: تبرأ من الدنيا

من ذنبه وما تأخر، فكيف حال من لقي الله وعنده دماء المسلمين وأموالهم المحرمة، وما ظنه بربه تعالى.

وفي البخاري من طريق عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: دعا النبي ﷺ فاطمة في شكواه الذي قبض فيه، فسارَّها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارَّها فضحكت، فسألناها عن ذلك فقالت: سارَّني النبي ﷺ أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت، ثم سارَّني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت.

وفي رواية مسروق عن عائشة: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية النبي ﷺ، فقال: «مرحبًا يا بنتي» ثم، أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارَّها.

ولأبي داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم من طريق عائشة بنت

مع أنه إنما اكتسبها من أحل الحلال (**فكيف حال من لقي الله وعنده دماء المسلمين وأموالهم المحرمة وما ظنه بربه تعالى**) إن لم يتجاوز عنه ويرض عنه خصماؤه.

(**وفي البخاري**) ومسلم والنسائي (**من طريق عروة عن عائشة رضي الله عنها، قالت: دعا النبي ﷺ فاطمة**) بنته رضي الله عنها (**في شكواه:**) مرضه (**الذي قبض فيه**) بالتذكير على معنى شكوى للكشميهني، فيها بالتأيث على لفظها (**فسارها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارّها بشيء فضحكت:**) سقطت بشيء، الثانية لبعض رواة البخاري (**فسألناها عن**) سبب (**ذلك**) البكاء والضحك (**فقالت:**) بعد وفاته (**سارني النبي ﷺ أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت**) حزنًا عليه (**ثم سارني فأخبرني أني أول أهله**) ولبعض الرواة أول أهل بيته (**يتبعه**) بسكون الفوقية (**فضحكت**) فرحًا بقرب الاجتماع به.

(**وفي رواية**) الصحيحين والنسائي عن (**مسروق**) بن الأجدع (**عن عائشة**) قالت: (**أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها**) بكسر الميم (**مشية النبي ﷺ، فقال لها: مرحبًا يا بنتي**) بموحدة فألف وصل فموحدة ساكنة، ويوجد في بعض أصول البخاري: بابنتي بياء النداء بعدها ألف، وصوب الأول: (**ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله**) شك الراوي: (**ثم سارها**) لفظه، ثم أسر إليها حديثًا فبكت، فقلت لها: لم تبكين ثم أسر إليها حديثًا فضحكت، فقلت: ما رأيتك كاليوم فرحًا أقرب من حزن، فسألتها عما قال: فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ حتى قبض، فسألتها فقالت: أسر إليّ أن جبريل كان يعارضني القرءان كل سنة مرة وأنه عارضني الآن مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي وأنك أول أهلي لحاقًا بي فبكيت، فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين فضحكت لذلك.

(**ولأبي داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم من طريق عائشة بنت طلحة**) بن

طلحة عن عائشة قالت: ما رأيت أحدًا أشبه سمتًا وهديًا ودلاً برسول الله ﷺ في قيامها وقعودها من فاطمة. وكانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها وقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها فعلت ذلك، فلما مرض دخلت عليه فأكبت عليه فقبلته.

واتفقت الروايتان: على أن الذي سارَّها به أولاً فبكت، هو إعلامه إياها بأنه يموت من مرضه ذلك، واختلفا فيما سارَّها به فضحكت، ففي رواية عروة أنه: إخباره إياها بأنها أول أهله لحوقًا به، وفي رواية مسروق أنه: إخباره إياها أنها سيدة نساء أهل الجنة. وجعل كونها أول أهله لحوقًا به مضمومًا إلى الأول، وهو الراجح، فإن حديث مسروق يشتمل على زيادات ليست في حديث عروة، وهو من الثقات الضابطين.

ومما زاده مسروق: قول عائشة: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزن، فسألتها عن ذلك فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، حتى توفي

عبيد الله التيمية: كانت فائقة الجمال، روى لها الجميع **(عن عائشة)** أم المؤمنين، **(قالت: ما رأيت أحد أشبه سمتًا)** بفتح المهملة وسكون الميم وفوقية **(وهديًا)** بفتح فسكون **(ودلاً)** بفتح الدال المهملة وشد اللام، الثلاثة عبارة عن الحالة التي يكون عليها الإنسان من السكينة والوقار وحسن السيرة والطريقة واستقامة المنظر والهيبة كما في النهاية **(برسول الله ﷺ في قيامها وقعودها من فاطمة، وكانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها)** إجلالاً لها وفيه مشروعية القيام **(وقبلها)** حبًا لها **(وأجلسها في مجلسه)** تعظيمًا لها **(وكان)** ﷺ **(إذا دخل عليها)** في بيتها **(فعلت ذلك، فلما مرض دخلت)** فاطمة **(عليه، فأكبت عليه فقبلته)** حبًا وإشفاقًا **(واتفقت الروايتان على أن الذي سارها به أولاً فبكت هو إعلامه إياها بأنه يموت من مرضه ذلك، واختلفا)** أي: الروايتان **(فيما سارها به فضحكت، ففي رواية عروة؛ أنه إخباره إياها بأنها أول أهله لحوقًا به)**.

(وفي رواية مسروق): كما رأيت **(أنه إخباره إياها أنها سيدة نساء أهل الجنة وجعل كونها أول أهله لحوقًا به مضمومًا إلى الأول)** إخباره بأنه ميت من وجعه **(وهو الراجح، فإن حديث مسروق)** عن عائشة **(يشتمل على زيادات ليست في حديث عروة)** عنها **(وهو)**، أي: مسروق **(من الثقات الضابطين)** فزيادته مقبولة **(ومما زاده مسروق قول عائشة: ما رأيت كاليوم)** أي: كفرح اليوم **(فرحًا)** بفتح الراء أو التقدير ما رأيت فرحًا كفرح رؤيته اليوم **(أقرب من حزن)** بضم المهملة وسكون الزاي، ولأبي ذر بفتحهما **(فسألتها عن ذلك، فقالت: ما كنت لأفشي)** بضم

فسألتها فقالت: أسر إليّ أن جبريل كان يعارضني القرءان كل سنة مرة، وأنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وأنك أول أهل بيتي لحاقًا بي.

وفي رواية عائشة بنت طلحة من الزيادة: أن عائشة لما رأت بكاها وضحكها قالت: إن كنت لأظن أن هذه المرأة من أعقل النساء، فإذا هي من النساء.

ويحتمل تعدد القصة.

وفي رواية عروة الجزم أنه ميت من وجعه ذلك بخلاف رواية مسروق ففيها أنه ظن ذلك بطريق الاستنباط مما ذكره من معارضة القرءان.

وقد يقال: لا منافاة بين الخبرين إلا بالزيادة، ولا يمتنع أن يكون إخباره بكونها أول أهله لحوقًا به سببًا لبكائها ولضحكها معًا باعتبارين، فذكر كل من الراويين ما لم يذكر الآخر.

الهمزة (سر رسول الله ﷺ حتى توفي) متعلق بمحذوف تقديره، فلم تقل لي شيئًا حتى توفي **(فسألتها، فقالت: أسر إليّ أن)** بكسر الهمزة **(جبريل كان يعارضني:)** يدارسني **(القرءان كل سنة مرة، وأنه عارضني العام مرتين، ولا أراه)** بضم الهمزة، أي: لا أظنه **(إلا حضر أجلي وأنك أول أهل بيتي لحاقًا بي)**.

قال المصنف: بفتح اللام والحاء المهملة، قال الحافظ: وقد طوى عروة هذا كله.

(وفي رواية عائشة بنت طلحة) السابقة قريبًا **(من الزيادة؛ أن عائشة لما رأت بكاءها وضحكها، قالت: إن)** مخففة من الثقيلة، أي: إني **(كنت لأظن أن هذه المرأة)** أي فاطمة **(من أعقل النساء، فإذا هي من النساء)** لجمعها بين حزن وفرح لكنها معذورة، لأنه أخبرها بما يوجب كلا منهما **(ويحتمل تعدد القصة)** جمعًا بين روايتي مسروق وعروة.

(وفي رواية عروة) لفظ الفتح، ويؤيده، أي: هذه الاحتمال أن في رواية عروة **(الجزم أنه ميت من وجعه ذلك بخلاف رواية مسروق، ففيها أنه ظن ذلك بطريق الاستنباط مما ذكره من معارضة القرءان)** مرتين **(وقد يقال لا منافاة بين الخبرين)** خبر عروة وخبر مسروق **(إلا بالزيادة، ولا يمتنع أن يكون إخباره بكونها أول أهله لحوقًا به سببًا لبكائها وضحكها معًا باعتبارين)** فباعتبار أسفها على بقائها بعده مدة بكت وهو ما رواه مسروق، وباعتبار سرعة لحاقها به ضحكت وهو ما رواه عروة **(فذكر كل من الراويين)** مسروق وعروة **(ما لم يذكره الآخر)** وهذا الجمع أولى من احتمال التعدد، لأن الأصل عدمه.

وقد روى النسائي من طريق أبي سلمة عن عائشة في سبب البكاء أنه ميت، وفي سبب الضحك الأمرين الأخيرين.

ولابن سعد من رواية أبي سلمة عنها: أن سبب البكاء موته، وسبب الضحك لحاقها به.

وعند الطبراني -من وجه آخر- عن عائشة أنه قال لفاطمة: «إن جبريل أخبرني أنه ليس امرأة من نساء المؤمنين أعظم رزية منك، فلا تكوني أدنى امرأة منهن صبرًا».

وفي الحديث: إخباره ﷺ بما سيقع، فوقع كما قال ﷺ، فإنهم اتفقوا على أن فاطمة رضي الله عنها كانت أول من مات من أهل بيت النبي ﷺ بعده، حتى من أزواجه عليه الصلاة والسلام.

وقد كان ﷺ من شدة وجعه يغمى عليه في مرضه ثم يفيق، وأغمي عليه مرة فظنوا أن وجعه ذات الجنب فلدوه، فجعل يشير إليهم أن لا يلدوه، فقالوا:

(**وقد روى النسائي من طريق أبي سلمة**) ابن عبد الرحمن (**عن عائشة: في سبب البكاء أنه ميت، وفي سبب الضحك الأمرين الأخيرين**) أنها أول أهله لحاقًا به؛ وأنها سيدة نساء أهل الجنة، وهذا يؤيد الجمع الثاني.

(**ولابن سعد من رواية أبي سلمة، عنها**) أي عائشة: (**أن سبب البكاء موته وسبب الضحك لحاقها به**) فوافق رواية عروة.

(**وعند الطبراني من وجه آخر عن عائشة أنه ﷺ قال لفاطمة: إن**) بكسر الهمزة (**جبريل أخبرني أنه ليس امرأة من نساء المؤمنين أعظم رزية**) براء فزاي مصيبة (**منك، فلا تكوني أدنى:**) أقل (**امرأة منهن صبرًا**) وبهذا فضلت أخواتها لأنهن متن في حياته فكن في صحيفته، ومات هو في حياتها فكان في صحيفتها، ولا يقدر قدر ذلك إلاَّ اللّه تعالىٰ.

(**وفي الحديث**) معجزة، وهي (**إخباره ﷺ بما سيقع، فوقع كما قال، فإنهم اتفقوا على أن فاطمة أول من مات من أهل بيت النبي ﷺ بعده**) بستة أشهر على الصحيح (**حتى من أزواجه عليه الصلاة والسلام، وقد كان ﷺ من شدة وجعه يغمى عليه في مرضه ثم يفيق، وأغمي عليه مرة، فظنوا أن وجعه ذات الجنب فلدوه**) بإشارة أم سلمة وأسماء بنت عميس، كما رواه ابن سعد عن أبي بكر بن عبد الرحمٰن (**فجعل يشير إليهم أن لا يلدوه**) بضم اللام (**فقالوا: كراهية المريض للدواء**).

كراهية المريض للدواء، فلما أفاق قال: ألم أنهكم أن تلدوني؟ فقالوا: كراهية المريض للدواء، فقال: «لا يبقى أحد في البيت إلا لدَّ وأنا أنظر، إلا العباس فإنه لم يشهدكم». رواه البخاري.

واللدود، هو ما يجعل في جانب الفم من الدواء، فأما ما يصب في الحلق فيقال له: الوجور.

وفي الطبراني من حديث العباس: أنهم أذابوا قسطًا بزيت ولدوه به.

وفي قوله «لا يبقى أحد في البيت إلا لدَّ، الخ» مشروعية القصاص فيما يصاب به الإنسان، وفيه نظر: لأن الجميع لم يتعاطوا ذلك، وإنما فعل بهم ذلك عقوبة لهم لتركهم امتثال نهيه عما نهاهم عنه. قال ابن العربي: أراد أن لا يأتوا يوم

قال عياض: ضبطناه بالرفع، أي: هذا منه كراهية، وقال أبو البقاء: خبره مبتدأ محذوف، أي: هذا الامتناع كراهية، ويجوز النصب مفعول له، أي: نهانا لكراهية أو مصدر، أي: كرهه كراهية.

قال عياض: الرفع أوجه من النصب على المصدر (**فلما أفاق قال: «ألم أنهكم أن تلدوني»**) بإشارتي لكم بعدم فعل ذلك (**فقلنا:**) ظننا أنك إنما نهيت (**كراهية المريض للدواء**) لا لسبب يقتضي ترك اللد (**فقال: لا يبقى أحد في البيت إلا لدَّ**) بضم اللام مبني للمفعول، أي: إلاَّ فعل ذلك به تأديبًا حتى لا يعود (**وأنا أنظر**) جملة حالية، أي: في حال نظري إليهم (**إلاَّ العباس، فإنه لم يشهدكم**) أي: لم يحضركم حال اللد فلا يلد.

(**رواه البخاري واللدود**) بوزن صبور (**هو ما يجعل**) أي: يصب (**في جانب الفم**) بالمسعط (**من الدواء**) بيان لما (**فأما ما يصب في الحلق**) من الدواء (**فيقال له الوجور**) بفتح الواو بعدها جيم.

(**وفي الطبراني من حديث العباس**) بن عبد المطلب؛ (**أنهم أذابوا قسطًا**) بضم القاف العود الهندي (**بزيت ولدوه به**) صبوه من أحد شقي فمه (**وفي قوله: لا يبقى أحد في البيت إلا لدَّ... الخ**).

(**مشروعية القصاص فيما يصاب به الإنسان**) عمدًا (**وفيه نظر، لأن الجميع لم يتعاطوا ذلك وإنما فعل بهم ذلك**) أي: أمر بفعله (**عقوبة لهم لتركهم امتثال نهيه عما نهاهم عنه**) قال الحافظ: أما من باشره فظاهر، وأما من لم يباشره فلكونهم تركوا نهيهم عما نهاهم هو عنه، ويستفاد منه أن التأويل البعيد لا يعد ربه صاحبه، ثم فيه نظر أيضًا، لأن اللد وقع في معارضة. النهي.

القيامة وعليهم حقه فيقعوا في خطيئة عظيمة. وتعقب: بأنه كان يمكن أن يقع العفو، ولأنه كان لا ينتقم لنفسه، والذي يظهر أنه أراد بذلك تأديبهم لئلا يعودوا، فكان ذلك تأديبًا لا اقتصاصًا ولا انتقامًا.

قيل: وإنما كره اللدود مع أنه كان يتداوى، لأنه تحقق أنه يموت في مرضه، ومن تحقق ذلك كره له التداوي.

قال الحافظ ابن حجر: وفيه نظر، والذي يظهر أن ذلك كان قبل التخيير والتحقيق، وإنما أنكر التداوي لأنه كان غير ملائم لدائه، لأنهم ظنوا أن به ذات الجنب فداووه بما يلائمها، ولم يكن فيه ذلك، كما هو ظاهر في سياق الخبر.

وعند ابن سعد قال: كانت تأخذ رسول الله ﷺ الخاصرة، فاشتدت به فأغمي عليه، فلددناه، فلما أفاق قال: «كنتم ترون أن الله يسلط عليَّ ذات الجنب، ما كان الله ليجعل لها علي سلطانًا، والله لا يبقى أحد في البيت إلا لدَّ»، فما بقي أحد في البيت إلا لدَّ، ولددنا ميمونة وهي صائمة.

(قال ابن العربي: أراد أن لا يأتوا يوم القيامة وعليهم حقه فيقعوا في خطيئة عظيمة) وفي الفتح، عنه في خطب عظيم **(وتعقب بأنه كان يمكن أن يقع العفو)** وبعد وقوعه لا يبقى عليهم حق يطالبون به في القيامة **(ولأنه كان لا ينتقم لنفسه)** كما صح **(والذي يظهر أنه أراد بذلك تأديبهم لئلا يعودوا، فكان ذلك)** أي: لدهم **(تأديبًا لا اقتصاصًا ولا انتقامًا، قيل: وإنما كره اللدود)** أي: استعماله بصبهم في حلقه، وفي الفتح: اللد وهو أظهر **(مع أنه كان يتداوى، لأنه تحقق أنه يموت في مرضه، ومن تحقق ذلك كره له التداوي)** لعدم فائدته.

(قال الحافظ بن حجر: وفيه نظر) لاحتياج الكراهة إلى نهي مقصود والدواء وإن لم ينفع في دفع الموت قد ينفع في تخفيف الوجع حتى يقع الموت **(والذي يظهر أن ذلك كان قبل التخيير)** في البقاء في الدنيا ولقاء اللّه **(والتحقيق)** للموت باختياره اللقاء **(وإنما أنكر التداوي لأنه كان غير ملائم لدائه، لأنهم ظنوا أن به ذات الجنب، فداووه بما يلائمها، ولم يكن فيه ذلك)** المرض المسمى بذات الجنب **(كما هو ظاهر في سياق الخبر)**.

(وعند ابن سعد) محمد عن عائشة أنه **(قال: كانت تأخذ رسول اللّه ﷺ الخاصرة)** أي: وجعها **(فاشتدت به فأغمي عليه فلددناه، فلما أفاق)** من الإغماء **(قال: كنتم ترون أن اللّه يسلط علي ذات الجنب، ما كان اللّه ليجعل لها علي سلطانًا)** تسلطًا علي **(واللّه لا يبقى أحد في البيت إلاّ لد، فما بقي أحد في البيت إلاّ لد، ولددنا ميمونة)** أم المؤمنين

وروى أبو يعلى ـ بسند ضعيف فيه ابن لهيعة ـ من وجه آخر عن عائشة: أنه ﷺ مات من ذات الجنب.

وجمع بينهما: بأن ذات الجنب تطلق بإزاء مرضين: أحدهما ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن، والآخر ريح محتقن بين الأضلاع، فالأول هو المنفي هنا. وقد وقع في رواية الحاكم في المستدرك: ذات الجنب من الشيطان، والثاني هو ما أثبت هنا وليس فيه محذور كالأول.

وفي حديث ابن عباس عند البخاري: لما حُضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال، فقال النبي ﷺ: «هلموا أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده»، فقال بعضهم:

(وهي صائمة) امتثالاً لأمره وبرا لقسمه.

وروى عبد الرزاق بإسناد صحيح عن أسماء بنت عميس، قالت: أول ما اشتكى النبي ﷺ كان في بيت ميمونة، فاشتد مرضه حتى أغمي عليه، فتشاوروا في لده فلدوه، فلما أفاق قال: هذا فعل نساء جئن، أي: أتين من هنا، وأشار إلى الحبشة وكانت أسماء منهن، فقالوا: كنا نتهم بك ذات الجنب، فقال: ما كان الله ليقذفني به، لا يبقى أحد في البيت إلاَّ لد، قالت: فلقد التدت ميمونة وإنها لصائمة.

(وروى أبو يعلى بسند ضعيف فيه ابن لهيعة) بفتح اللام وكسر الهاء **(من وجه آخر عن عائشة؛ أنه ﷺ مات من ذات الجنب، وجمع)** الجامع الحافظ فلفظه: ظهر لي الجمع **(بينهما بأن ذات الجنب تطلق بإزاء)** أي: مقابل **(مرضين، أحدهما ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن والآخر ريح محتقن)** أي: محتبس **(بين الأضلاع، فالأول هو المنفي هنا)**.

(وقد وقع في رواية الحاكم في المستدرك: ذات الجنب من الشيطان) ولذا لم تسلط على حبيب الرحمٰن **(والثاني:)** الريح المحتقن **(هو ما أثبت هنا وليس فيه محذور كالأول)** فهي المراد بذات الجنب في هذه الرواية.

(وفي حديث ابن عباس عند البخاري) في مواضع، قال: **(لما حضر)** بضم الحاء المهملة وكسر الضاد المعجمة **(رسول الله ﷺ)** أي: حضره الموت، وفي إطلاق ذلك تجوز، فإن ذلك كان يوم الخميس كما عند البخاري في الجهاد وغيره وعاش بعد ذلك إلى يوم الاثنين.

قاله الحافظ: **(وفي البيت رجال)** من الصحابة **(فقال النبي ﷺ: هلموا أكتب لكم كتابًا لا تضلوا)** بلا نون على أن لا ناهية، وللكشميهني تضلون بالنون على أنها نافية **(بعده، فقال**

إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرءان، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف، قال رسول الله ﷺ قوموا عني. قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب ذلك لاختلافهم ولغطهم.

قال المازري: إنما جاز للصحابة الاختلاف في هذا الكتاب: مع صريح أمره لهم بذلك. لأن الأوامر قد يقارنها ما ينقلها من الوجوب، فكأنه ظهرت منه قرينة دلت على أن الأمر ليس على التحتم، بل على الاختيار، فاختلف اجتهادهم،

بعضهم:) هو عمر **(أن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع وعندكم القرءان حسبنا:)** كافينا **(كتاب الله)** فلا نكلف النبي ﷺ إملاء الكتاب في هذه الحالة، قال ذلك شفقة عليه **(فاختلف أهل البيت)** الذين كانوا فيه من الصحابة لا أهل بيته عليه الصلاة والسلام، قاله الحافظ **(واختصموا)** تنازعوا **(فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتابًا لا تضلوا)** بفتح فكسر **(بعده)** فيه إشعار بأن بعضهم كان مصممًا على الامتثال والرد على من امتنع منه **(ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف، قال رسول الله ﷺ: قوموا عني)** أي: عن جهتي، زاد في رواية في الصحيح: ولا ينبغي عندي التنازع، وفي أخرى: عند نبي تنازع.

قال الحافظ: ولما وقع منهم الاختلاف ارتفعت البركة كما جرت العادة بذلك عند وقوع التنازع والتشاجر، وقد مضى في الصيام أنه ﷺ خرج يخبرهم بليلة القدر، فرأى رجلين يختصمان، فرفعت.

(قال عبيد الله) بضم العين ابن عبد الله بفتحها، راوي هذا الحديث عن ابن عباس: **(فكان ابن عباس يقول: أن الرزيئة)** بفتح الراء وكسر الزاي بعدها ياء ساكنة ثم همزة، وقد تسهل وتشدد الياء، أي: المصيبة **(كل الرزيئة)** بالنصب على التأكيد **(ما حال)** أي: الذي حجز **(بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب ذلك لاختلافهم ولغطهم)** بفتح اللام والغين المعجمة، أي: أصواتهم.

(قال المازري: إنما جاز للصحابة الاختلاف في هذا الكتاب مع صريح أمره لهم بذلك) بقوله: هلموا أكتب، وفي رواية: ائتوني بكتاب أكتب **(لأن الأوامر قد يقارنها ما ينقلها من الوجوب، فكأنه ظهرت منه قرينة دلت على أن الأمر ليس على التحتم)** أي: القطع **(بل على الاختيار، فاختلف اجتهادهم)** في أن كتبه أولى للإيضاح والبيان، أو تركه اكتفاء بالقرءان

وصمم عمر على الامتناع لما قام عنده من القرائن بأنه ﷺ قال ذلك عن غير قصد جازم.

وقال النووي: اتفق العلماء على أن قول عمر: «حسبنا كتاب الله» من قوة فقهه ودقيق نظره، لأنه خشي أن يكتب أمورًا ربما عزوا عنها فيستحقوا العقوبة لكونها منصوصة، وأراد أن لا يسد باب الاجتهاد على العلماء، وفي تركه ﷺ الانكار على عمر إشارة إلى تصويبه، وأشار بقوله: «حسبنا كتاب الله» إلى قوله تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ [الأنعام/٣٨]، ولا يعارض ذلك قول ابن عباس: «إن الرزية الخ» لأن عمر كان أفقه منه قطعًا، ولا يقال إن ابن عباس لم يكتف بالقرءان مع أنه حبر القرءان، وأعلم الناس بتفسيره وتأويله، ولكنه قال أسفًا على

(وصمم عمر على الامتناع لما قام عنده من القرائن بأنه ﷺ قال ذلك من غير قصد جازم) وعزمه ﷺ كان إما بالوحي وإما بالاجتهاد، وكذلك تركه إن كان العزم بالوحي فبالوحي وإلا فبالاجتهاد أيضًا وفيه حجة لمن قال بالرجوع إلى الاجتهاد في الشرعيات، هذا باقي كلام المازري كما في الفتح، فمعنى قوله: من غير قصد جازم أنه قاله على وجه يفهم منه أنه لم يجزم بذلك، بل قاله مع التردد في الكتابة وتركها.

(وقال النووي: اتفق العلماء على أن قول عمر: حسبنا كتاب الله من قوة فقهه) أي: فهمه **(ودقيق نظره، لأنه خشي أن يكتب أمورًا ربما عجزوا عنها، فيستحقوا العقوبة لكونها منصوصة، وأراد أن لا يسد باب الاجتهاد على العلماء)** فيفوتهم ثواب الاجتهاد **(وفي تركه ﷺ الإنكار على عمر إشارة إلى تصويبه)** إذ لو تحتم لأنكر عليه ولم يتركه لاختلافهم، كما لم يترك التبليغ لمخالفة من خالفه ومعاداة من عاداه، وكما أمرهم حينئذٍ بقوله: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو: ما كنت أجيزهم... الحديث في الصحيح **(وأشار بقوله: حسبنا كتاب الله إلى قوله تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾)** [الأنعام/ ٣٨]، بناءً على أن المراد به القرءان، فإن فيه أمر الدين إما مفصلاً وإما مجملاً، وقيل: المراد اللوح المحفوظ لاشتماله على ما يجري في العلم من جليل ودقيق لم يهمل فيه أمر حيوان ولا جماد، ويحتمل أن يكون عمر قصد التخفيف عن رسول الله ﷺ لما رأى ما هو فيه من شدة الكرب وقامت عنده قرينة بأن ما أراد كتابته مما يستغنون عنه، إذ لو كان من غير هذا القبيل لم يتركه ﷺ لأجل اختلافهم، وهذا من جملة كلام النووي المنقول عنه في الفتح **(ولا يعارض ذلك قول ابن عباس؛ أن الرزيئة... الخ، لأن عمر كان أفقه)** أي: أفهم **(منه قطعًا و) لكن (لا يقال)** في تعليل كونه أفقه **(أن ابن عباس لم يكتف بالقرءان)** واكتفى به عمر،

ما فاته من البيان بالتنصيص عليه، لكونه أولى من الاستنباط، والله أعلم.

ولما اشتد به ﷺ وجعه قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»، فقالت له عائشة: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل رقيق، إذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء، قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» فعاودته بمثل مقالتها، فقال: «إنكن صواحبات يوسف، مروا أبا بكر فيلصل بالناس». رواه الشيخان وأبو حاتم واللفظ له.

وفي رواية: إن أبا بكر رجل أسِيْف.

وفي حديث عروة عن عائشة عند البخاري: فمر عمر فليصل بالناس، فقال: مروا أبا بكر فليصلِ بالناس، قالت: قلت لحفصة قولي له إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصل بالناس، ففعلت حفصة، فقال

كما قال ابن بطال: لأن عمر لم يرد أنه يكتفي به عن بيان السنة، بل لما قام عنده من القرينة وخشي مما يترتب على كتابة الكتاب فرأى أن الاعتماد على القرءان لا يترتب عليه شيء مما خافه وابن عباس لا يقال في حقه لم يكتف بالقرءان **(مع أنه حبر القرءان وأعلم الناس بتفسيره وتأويله، ولكنه قال)** ذلك **(أسفًا)** ولفظ الحافظ: ولكنه أسف **(على ما فاته من البيان بالتنصيص عليه لكونه أولى من الاستباط والله أعلم)** لا سيما وقد بقي ابن عباس حتى شاهد الفتن **(ولما اشتد به ﷺ وجعه قال: مروا)** بضمتين بوزن كلوا **(أبا بكر فليصل)** بسكون اللام الأولى، ويروى بكسرها مع زيادة ياء مفتوحة **(بالناس)** إمامًا **(فقالت له عائشة: يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق)** بقافين **(إذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء)** لرقة قلبه.

وفي رواية: إذا قرأ القرءان لا يملك معه **(قال: مروا أبا بكر فليصلِ بالناس، فعاودته مثل مقالتها، فقال: إنكن صواحبات يوسف)** والخطاب وإن كان بلفظ الجمع، فالمراد به عائشة فقط، كما أن صواحبات جمع والمراد زليخاء فقط **(مروا أبا بكر فليصلِ بالناس)**.

رواه الشيخان وأبو حاتم، واللفظ له) من حديث عائشة.

(وفي رواية) للشيخين من طريق الأسود، عنها أنها قالت: **(إن أبا بكر رجل أسيف)** بفتح الهمزة وكسر المهملة وسكون التحتية ففاء، أي: حزين.

(وفي حديث عروة عن عائشة عند البخاري) في الصلاة والاعتصام أنه ﷺ قال: مروا أبا بكر فليصلِ بالناس، فقالت عائشة: إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء **(فمر عمر فليصلِ بالناس، فقال: مروا أبا بكر فليصلِ بالناس، قالت: قلت لحفصة)** بنت عمر: **(قولي له)** ﷺ **(إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء)** لرقة قلبه وغلبة دمعه **(فمر عمر فليصلِ بالناس، ففعلت حفصة)** ذلك **(فقال رسول الله ﷺ: مه)** اسم فعل

صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس»، فقالت حفصة لعائشة: ما كنت لأصيب منك خيرًا.

والأسيف: بوزن فعيل، وهو بمعنى فاعل، من الأسف وهو شدة الحزن، والمراد به هنا، رقيق القلب.

ولابن حبان من رواية عاصم عن شقيق عن مسروق عن عاشة في هذا الحديث: قال عاصم: والأسيف الرقيق الرحيم، وصواحب: جمع صاحبة، والمراد: أنهن مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف ما في الباطن.

ثم إن هذا الخطاب، وإن كان بلفظ الجمع، فالمراد به واحدة وهي عائشة ووجه المشابهة بينهما في ذلك أن زليخا استدعت النسوة وأظهرت لهن الإكرام بالضيافة، ومرادها الزيادة على ذلك وهو أن ينظرن إلى حسن يوسف عليه الصلاة والسلام ويعذرنها في محبته، وأن عائشة أظهرت أن سبب إرادتها صرف الإمامة

مبني على السكون زجر بمعنى اكففي (**إنكن أنتن صواحب يوسف:**) جمع صاحبة (**مروا أبا بكر فليصلِ بالناس، فقالت حفصة لعائشة: ما كنت لأصيب منك خيرًا**) لأن كلامها صادف المرة الثالثة من المعاودة، وكان ﷺ لا يراجع بعد ثلاث، فلما أشار إلى الإنكار عليها بما ذكر وجدت حفصة في نفسها، لأن عائشة هي التي أمرتها بذلك، ولعلها تذكرت ما وقع لها أيضًا معها في قصة المغافير، قاله الحافظ: وقال ابن عبد البر فيه أن المكترب ربما قال قولاً يحمله عليه الحرج، إذ معلوم أن حفصة لم تعدم من عائشة خيرًا، وإذا كان هذا في السلف الصالح فأحرى من دونهم (**الأسيف ـ بوزن فعيل ـ وهو بمعنى فاعل من الأسف وهو شدة الحزن، والمراد به هنا رقيق القلب**) لتصريحها في روايات بأنه رقيق، فيحمل عليه قولها أسيف.

(**ولابن حبان من رواية عاصم**) بن سليمان الأحول البصري من رجال الجميع (**عن شقيق**) بن سلمة الكوفي من رجال، الكل (**عن مسروق عن عائشة في هذا الحديث**).

(**قال عاصم: والأسيف الرقيق الرحيم وصواحب: جمع صاحبة، والمراد أنهن مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف ما في الباطن، ثم إن هذا الخطاب وإن كان بلفظ الجمع، فالمراد به واحدة وهي عائشة**) وأما حفصة، فإنما قالته بأمرها (**ووجه المشابهة بينهما في ذلك أو زليخاء**) بفتح الزاي والمد، وقيل بضمها على هيئة المصغر.

قال ابن كثير: والظاهر أنه لقب (**استدعت النسوة وأظهرت لهن الإكرام بالضيافة ومرادها زيادة على ذلك، وهو أن ينظرن إلى حسن يوسف عليه الصلاة والسلام ويعذرنها**) بكسر الذال (**في محبته**) لأنهن قلن: قد شغفها حبًا إنا لنراها في ضلال مبين (**وأن عائشة**

عن أبيها لكونه لا يسمع المأمومين القراءة لبكائه. ومرادها زيادة على ذلك، وهو أن لا يتشاءم الناس به. وقد صرحت هي بذلك، كما عند البخاري في باب وفاته عليه الصلاة والسلام فقالت: لقد راجعته وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبدًا. وأن لا كنت أُرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به.

ونقل الدمياطي: أن الصديق صلى بالناس سبع عشرة صلاة.

وقد ذكر الفاكهي في «الفجر المنير» مما عزاه لسيف ابن عمر في كتاب

أظهرت أن سبب إرادتها صرف الإمامة عن أبيها لكونه لا يسمع المأمومين القراءة لبكائه ومرادها زيادة على ذلك، وهو أن لا يتشاءم الناس به) بشين معجمة والمد.

(وقد صرحت هي بذلك كما عند البخاري في باب وفاته عليه الصلاة والسلام) وكذا عند مسلم في الصلاة **(فقالت: لقد راجعته)** ﷺ في ذلك **(وما حملني على كثرة مراجعته إلاَّ أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه)** بهم **(أبدًا و)** ما حملني على ذلك **(أن لا)**.

زاد مسلم: أني **(كنت أرى)** بضم الهمزة، أي: أظن **(أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به)** بشين معجمة، أي: وما حملني عليه إلاَّ ظني عدم محبة الناس للقائم مقامه، وظني تشاءمهم به، فأردت أن يعدل ذلك رسول اللّه ﷺ عن أبي بكر، هذا باقيه في الصحيحين.

وفي رواية لمسلم: قالت واللّه ما بي إلاَّ كراهية أن يتشاءم الناس بأول من يقوم في مقامه ﷺ، فراجعته مرتين أو ثلاثًا.

(ونقل الدمياطي، أن الصديق صلى بالناس سبع عشرة صلاة) وفي مسند الدارمي من وجه آخر؛ أن أبا بكر هو الذي أمر عائشة أن تشير على النبي ﷺ أن يأمر عمر بالصلاة وكذا في مرسل الحسن عند ابن أبي خيثمة قال الحافظ: لكن لم يرد أبو بكر ما أرادت عائشة، بل قاله لعذره برقة قلبه أو لفهمه منها الإمامة العظمى وعلم ما في تحملها من الخطر وعلم قوة عمر على ذلك فاختاره والظاهر أنه لم يطلع على المراجعة وفهم من أمره بذلك تفويضه سواء باشر بنفسه أو استخلف.

(وقد ذكر الفاكهاني في) كتاب **(الفجر المنير)** في الصلاة على البشير النذير **(مما عزاه لسيف بن عمر)** التميمي، ويقال: الضبي الكوفي، ضعيف الحديث، عمدة في التاريخ: أفحش ابن حبان القول فيه مات في زمن الرشيد، روى له الترمذي.

قاله الحافظ **(في كتاب الفتوح)** وله كتاب الردة **(أن الأنصار لما رأوا رسول اللّه ﷺ**

«الفتوح» أن الأنصار لما رأوا رسول الله ﷺ يزداد وجعًا، أطافوا بالمسجد، فدخل العباس فأعلمه عليه الصلاة والسلام بمكانهم وإشفاقهم، ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك، ثم دخل عليه علي بن أبي طالب كذلك. فخرج ﷺ متوكئًا على علي والفضل والعباس أمامه، والنبي ﷺ معصوب الرأس يخط برجليه، حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر وثار الناس إليه، فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس، بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم، هل خلد نبي قبلي فيمن بعث إليه فأخلد فيكم؟ ألا إني لاحق بربي، وإنكم لاحقون به، فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيرًا، وأوصى المهاجرين فيما بينهم، فإن الله تعالى يقول: ﴿**والعصر إن الإنسان لفي خسر**﴾ ـ إلى آخرها ـ وإن الأمور تجري بإذن الله، ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله، فإن الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد، ومن غالب الله غلبه، ومن خادع الله خدعه، ﴿**فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض**

يزداد وجعًا أطافوا بالمسجد، فدخل العباس فأعلمه عليه الصلاة والسلام بمكانهم وإشفاقهم) خوفهم عليه الفقد **(ثم دخل عليه الفضل)** بن عباس **(فأعلمه بمثل ذلك، ثم دخل عليه علي بن أبي طالب كذلك)** أي: كدخول من قبله بأن ذكر له حال الأنصار **(فخرج ﷺ)** حال كونه **(متوكئًا على علي والفضل والعباس أمامه)** قدامه **(والنبي ﷺ معصوب الرأس)** من الوجع **(يخط برجليه)** بضم الخاء **(حتى جلس على أسفل مرقاة)** درجة **(من المنبر، وثار:)** اجتمع **(الناس إليه)** في المجلس **(فحمد الله وأثنى عليه)** بما هو أهله **(وقال: أيها الناس بلغني)** من الثلاثة المذكورين **(أنكم تخافون من موت نبيكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث إليه)** بالأفراد نظرًا للفظ من **(فأخلد فيكم)** بالنصب وفيه تسلية لهم وتذكير بقوله تعالى: (﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد**﴾ [الأنبياء/ ٣٤]، وما محمد إلاَّ رسول قد خلت من قبله الرسل إنك ميت **(ألا)** بالفتح والتخفيف **(وإني لاحق بربي، ألاَّ وإنكم لاحقون به وأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيرًا؛)** بأن تعرفوا حقهم وتنزلوهم منزلتهم **(وأوصى المهاجرين فيما بينهم)** بالدوام على التقوى وعمل الصالحات **(فإن الله تعالى يقول: ﴿والعصر﴾)** الدهر أو ما بعد الزوال إلى الغروب أو صلاة العصر **(﴿إن الإنسان﴾)** الجنس **(﴿لفي خسر﴾)** في تجارته وتلاها﴾ **(إلى آخرها)** وأنه قال إلى آخرها **(وأن الأمور تجري)** أي: تقع **(بإذن الله)** أي: بإرادته **(ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله، فإن الله عزّ وجلّ لا يعجل بعجلة)** أي: بسبب عجلة **(أحد)** فلا فائدة في الاستعجال بل فيه الهم والغم والنكال **(ومن غالب الله غلبه)** الله **(ومن خادع الله خدعه)** والمفاعلة في الأمرين ليست مرادة، بل هي نحو: عافاك الله وإنما

وتقطعوا أرحامكم﴾ [محمد/٢٢]، وأوصيكم بالأنصار خيرًا، فإنهم الذين تبوَّؤا الدار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم، ألم يشاطروكم في الثمار؟ ألم يوسعوا لكم في الديار؟ ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة؟ ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم، ألا ولا تستأثروا عليهم، ألا وإني فرط لكم، وأنتم لاحقون بي، ألا وإن موعدكم الحوض، ألا فمن أحب أن يَرِدَه عليَّ غدًا فليكفف يده ولسانه، إلا فيما ينبغي، يا أيها الناس، إن الذنوب تغير النعم، وتبدل القِسَم، فإذا برَّ الناس، برَّهم أئمتهم، وإذا فجر الناس

عبر بالمفاعلة تشبيهًا بفعل المغالب والمخادع لمن هو مثله، كما قال تعالى: ﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلاَّ أنفسهم﴾ [البقرة/ ٩]، تشبيهًا لفعل المنافقين بفعل المخادع (**﴿فهل عسيتم﴾**) فهل يتوقع منكم (**﴿إن توليتم﴾**) أمور الناس وتأمرتم عليهم أو أعرضتم وتوليتم عن الإسلام (**﴿أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾**) تشاجرا على الدنيا وتجاذبا لها أو رجوعًا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور ومقاتلة الأقارب، والمعنى أنهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا أحقاء بأن يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم.

قاله البيضاوي: ولا يخفى مناسبة تلاوته لهذه الآية في هذا المقام (**وأوصيكم بالأنصار خيرًا، فإنهم الذين تبوَّؤا الدار**) أي: اتخذوا المدينة وطنًا سميت دارًا لأنها دار الهجرة (**والإيمان**) أي: ألفوه فنصب بعامل خاص أو بتضمين تبؤوا معنى لزموا أو يجعل الإيمان منزلاً مجازًا لتمكنهم فيه، فجمع في تبوؤوا بين الحقيقة والمجاز (**من قبلكم أن تحسنوا إليهم**) بدل من خيرًا، ثم بين أن أمره به لمكافأتهم بقوله: (**ألم يشاطروكم في الثمار**) بإعطائكم نصف ثمارهم والاستفهام للتقرير (**ألم يوسعوا لكم في الديار ألم يؤثروكم**) يقدموكم (**على أنفسهم وبهم الخصاصة**) الحاجة إلى ما يؤثرون به (**ألاَ فمن ولي أن يحكم بين رجلين**) منهم (**فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم**) في غير الحدود، وعبر بالجمع إشارة إلى أن المراد جنس رجلين أو على أن أقل الجمع إثنان (**ألا**) بالفتح مخففًا (**ولا تستأثروا عليهم**) بتقديم أنفسكم وتميزكم بالأمور الدنيوية دونهم (**ألا وإني فرط**) بفتحتين سابق (**لكم**) أهيىء لكم حوائجكم (**وأنتم لاحقون بي، ألا وإن موعدكم الحوض**) في القيامة (**ألا فمن أحب أن يرده عليَّ غدًا**) عبر به لأن كل ما هو آتٍ قريب (**فليكفف يده ولسانه إلا فيما ينبغي**) وخصهما لأنهما أغلب ما يحصل الفعل وإلا فباقي الأعضاء، كذلك (**يا أيها الناس إن الذنوب تغير النعم**) كما قال تعالى: ﴿إنَّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ [الرعد/ ١١] (**وتبدل القسم فإذا بر الناس برَّهم أئمتهم، وإذا فجروا عقوهم**) أي: عقهم أئمتهم بمخالفة مطلوبهم وقطع الإحسان

عقوهم».

وفي حديث أنس عند البخاري: قال: مرَّ أبو بكر والعباس بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون، فقال: ما يبكيكم؟ فقالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا، فدخل أحدهما على النبي ﷺ فأخبره بذلك، فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد، فصعد المنبر ـ ولم يصعده بعد ذلك اليوم ـ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فأقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم».

إليهم وغير ذلك.

(**وفي حديث أنس عند البخاري، قال: مرَّ أبو بكر**) الصديق (**والعباس**) بن عبد المطلب (**بمجلس من مجالس الأنصار**) وذلك في مرضه ﷺ الذي توفي فيه (**وهم يبكون**) جملة حالية (**فقال: ما يبكيكم**) بأفراد، قال عند البخاري: فما في نسخة فقالا غير صحيحة، فقد قال الحافظ: لم أقف على الذي خاطبهم بذلك هل هو أبو بكر أو العباس، ويظهر لي أنه العباس (**فقالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا**) الذي كنا نجلسه معه ونخاف أن يموت من هذا المرض ونفقد مجلسه، فبكينا لذلك (**فدخل أحدهما**) ليست في البخاري، إنما فيه: فدخل فقط.

قال الحافظ: كذا أفرد بعد أن ثنى، والمراد به من خاطبهم، وقدمت رجحان أنه العباس. انتهى، ومراده بقوله: ثنى، أي في قوله مر أبو بكر والعباس، فكان أصل المصنف، أي: أحدهما بأي التفسيرية (**على النبي ﷺ، فأخبره بذلك**) الذي وقع من الأنصار (**فخرج النبي ﷺ، و**) الحال أنه (**قد عصب**) بخفة الصاد المهملة (**على رأسه حاشية برد**) بضم الموحدة وسكون الراء نوع من الثياب معروف.

وفي رواية المستملي: بردة بزيادة هاء التأنيث وحاشية مفعول عصب (**فصعد**) بكسر العين (**المنبر ولم يصعده**) بفتحها (**بعد ذلك**) اليوم (**فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي**) بفتح الكاف وكسر الراء والشين المعجمة (**وعيبتي**) بفتح العين المهملة وسكون التحتية وفتح الموحدة وتاء تأنيث (**وقد قضوا الذي عليهم**) من الإيواء ونصره ﷺ كما بايعوه ليلة العقبة (**وبقي الذي لهم**) وهو دخول الجنة كما وعدهم عليه السلام، فإنهم بايعوه على إيوائه ونصره على أن لهم الجنة، قاله المصنف تبعًا للحافظ، ويحتمل أن الذي لهم أعم من الجنة التي وعدهم بها وإكرامهم في الدنيا.

ويؤيده أن المراد الوصية بهم في الدنيا، وما في الرواية التي قبله وقوله: (**فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم**) في غير الحدود (**وقوله: كرشي وعيبتي، أي: موضع سري،**

وقوله «كرشي وعيبتي» أي موضع سري أراد أنهم بطانته وموضع أمانته، والذين يعتمد عليهم في أموره. واستعار الكرش والعيبة لذلك. لأن المجتر يجمع علفه في كرشه، والرجل يجمع ثيابه في عيبته، وقيل: أراد بالكرش الجماعة، أي جماعتي وصحابتي. يقال: عليه كرش من الناس، أي جماعة، قاله في النهاية.

وذكره الواحدي بسند وصله لعبد الله بن مسعود قال: نعى لنا رسول الله ﷺ نفسه قبل موته بشهر، فلما دنا الفراق جمعنا في بيت عائشة فقال: «حياكم الله بالسلام، رحمكم الله، جبركم الله، رزقكم الله، نصركم الله، رفعكم الله، آواكم الله، أوصيكم بتقوى الله، وأستخلفه عليكم، وأحذركم الله، إني لكم منه نذير مبين، أن لا تعلوا على الله في بلاده وعباده فإنه قال لي ولكم: ﴿**تلك الدار**

أراد أنهم بطانته) أي: موضع سره **(وموضع أمانته والذين يعتمد عليهم في أموره)**.

قال القزاز: المثل بالكرش لأنه مستقر غذاء الحيوان الذي يكون فيه نماؤه **(واستعار الكرش و لعيبة لذلك، لأن المجتر يجمع علفه في كرشه والرجل يجمع ثيابه في عيبته)** وهي اسم لما يجمع فيه الثياب، وفي الفتح ما يحرز فيه الرجل نفيس ما عنده **(وقيل: أراد بالكرش الجماعة، أي: جماعتي وصحابتي، يقال عليه كرش من الناس، أي: جماعة، قاله في النهاية)**.

قال ابن دريد هذا من كلامه ﷺ الموجز الذي لم يسبق إليه وقال غيره الكرش بمنزلة المعدة للإنسان والعيبة مستودع الثياب والأول أمر باطن والثاني أمر ظاهر، فكأنه ضرب المثل بهما في إرادة اختصاصهم بأموره الظاهرة والباطنة والأول أولى وكل من الأمرين مستودع لما يخفى فيه، قاله الحافظ.

(وذكره الواحدي بسند وصله لعبد اللّه بن مسعود قال: نعى) بالنون **(لنا)** أي أخبر **(رسول اللّه ﷺ نفسه)** أي: أخبر بموته **(قبل موته بشهر، فلما دنا الفراق جمعنا في بيت عائشة، فقال: حياكم اللّه)** أصله الدعاء بالحياة، ثم استعمل شرعًا في دعاء خاص وهو السلام، كما قال **(بالسلام: رحمكم اللّه)** أتاكم اللّه رحمته التي وسعت كل شيء **(جبركم اللّه)** بالجيم أصلحكم **(رزقكم اللّه)** الحلال على ما هو اللائق في مقام الدعاء وإن كان الرزق أعم عند أهل السنّة **(نصركم اللّه)** أي: أعانكم **(رفعكم اللّه)** أي: رفع قدركم بين العباد ورفع أعمالكم بأن يتقبلها منكم **(آواكم اللّه)** بالمد والقصر والمد أشهر، أي ضمكم إلى رحمته ورضوانه وإلى ظل عرشه يوم القيامة **(أوصيكم بتقوى اللّه وأستخلفه عليم وأحذركم اللّه إني لكم منه نذير مبين)** بين الإنذار **(أن لا تعلوا)** تتكبروا **(على اللّه في بلاده)** بترك ما أمركم به وفعل ما نهاكم

الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا والعاقبة للمتقين﴾ [القصص/٨٣]، وقال: **﴿أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾** [الزمر/٦٠]، قلنا يا رسول الله، متى أجلك؟ قال: «دنا الفراق، والمقلب إلى الله وإلى جنة المأوى»، قلنا: يا رسول الله، من يغسلك؟ قال: «رجال أهل بيتي الأدنى فالأدنى»، قلنا يا رسول الله، فيم نكفنك؟ قال: «في ثيابي هذه وإن شئتم في بياض ثياب مصر، أو حلة يمنية، قلنا: يا رسول الله، من يصلي عليك؟ قال: إذا أنتم غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري هذا على شفير قبري، ثم اخرجوا عني ساعة، فإن أول من يصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت ومعه جنود من الملائكة، ثم ادخلوا عليّ فوجًا فوجًا، فصلوا عليّ وسلموا تسليمًا، وليبدأ بالصلاة عليّ رجال أهل بيتي، ثم نسائهم، ثم أنتم، واقرؤوا السلام على من غاب من أصحابي ومن تبعني على

عنه **(وعباده)** بظلمهم **(فإنه قال: لي ولكم ﴿تلك الدار الآخرة﴾)** أي: الجنة **(﴿نجعلها للذين لا يريدون علوًا في الأرض﴾)** بالبغي **(﴿ولا فسادًا﴾)** بعمل المعاصي **(﴿والعاقبة﴾)** المحمودة **(﴿للمتقين﴾)** عقاب الله بعمل الطاعات **(وقال: ﴿أليس في جهنم مثوى﴾)** مأوى **(﴿للمتكبرين﴾)** عن الإيمان، كما قال في الآية الأخرى ﴿مثوى للكافرين﴾ [العنكبوت/٦٨، الزمر/ ٣٢]، والمراد؛ أن لهم فيها المأوى **(قلنا: يا رسول الله متى أجلك؟، قال: دنا)** قرب **(الفراق)** للدنيا **(والمنقلب)** الرجوع **(إلى الله وإلى جنة المأوى)** الإقامة **(قلنا: يا رسول الله من يغسلك؟)** بكسر السين من باب ضرب ويثقل للمبالغة **(قال: رجال أهل بيتي الأدنى فالأدنى)** الأقرب فالأقرب **(قلنا: يا رسول الله فيم نكفنك؟، قال في ثيابي هذه)** التي علي **(وإن شئتم في ثياب بياض مصر)** أي: في الثياب البيض التي جاءته من مصر.

روى ابن عبد الحكم أن المقوقس أهدى له عليه الصلاة والسلام في جملة الهدية عشرين ثوبًا من قباطي مصر، وأنها بقيت حتى كفن في بعضها، والصحيح ما في الصحيح عن عائشة أنه كفن في ثياب يمانية كما يأتي **(أو حلة يمنية)** من اليمن **(قلنا: يا رسول الله من يصلي عليك)**.

(قال: إذا أنتم غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري هذا على شفير) بمعجمة وفاء، أي حرف **(قبري، ثم اخرجوا عني ساعة)** قدرًا من الزمان **(فإن أول من يصلي عليّ جبريل، ثم ميكئيل ثم إسرافيل، ثم ملك الموت ومعه جنود)** جماعة **(من الملاكة، ثم ادخلوا عليّ فوجًا فوجًا)** جماعة بعد جماعة بفتح فسكون مفرد أفواج وجمع الجمع أفاويج **(فصلوا عليّ وسلموا تسليمًا، وليبدأ بالصلاة عليّ رجال أهل بيتي)** عليّ والعباس ونحوهما **(ثم**

ديني»، من يومي هذا إلى يوم القيامة، قلنا: يا رسول الله، من يدخلك قبرك؟ قال: أهلي مع ملائكة ربي. وكذا رواه الطبراني في «الدعاء» وهو واه جدًا.

وقالت عائشة: كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول: «إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يُحيَّا أو يخير». فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذي غشي عليه، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال: «اللهم في الرفيق الأعلى»، فقلت: إذًا لا يختارنا، فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح.

وفي رواية: أنها أصغت إليه قبل أن يموت، وهو مُستند إليّ ظهره يقول:

نساؤهم، ثم أنتم) أي: باقي الصحابة الموجودين بالمدينة **(واقرؤوا)** بلغوا **(السلام)** عني **(على من غاب من أصحابي)**.

قال ابن الأثير: يقال اقرىء فلانًا السلام واقرأ عليه السلام، كأنه حين يبلغه سلامه يحمله على أن يقرأ السلام، ويرده: **(ومن تبعني على ديني من يومي هذا إلى يوم القيامة، قلنا: يا رسول الله من يدخلك قبرك؟، قال أهلي:)** أقاربي **(مع ملائكة ربي)**.

(وكذا رواه الطبراني في) كتاب **(الدعاء وهو واهٍ)** أي: ضعيف **(جدًا)** من وهي الحائط إذا مال للسقوط فلا ينتفع به **(وقالت عائشة: كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيا)** بضم التحتية وشد الثانية مفتوحة بينهما حاء مهملة مفتوحة، أي يسلم إليه الأمر أو يملك في أمره أو يسلم عليه تسليم الوداع **(أو يخير)** بين الدنيا والآخرة والشك من الراوي، قاله المصنف.

وفي رواية للبخاري: لا يموت نبي حتى يخير بين الدنيا والآخرة **(فلما اشتكى)** أي: مرض **(وحضره القبض ورأسه على فخذي غشي عليه، فلما أفاق شخص)** بفتح المعجمتين، أي: ارتفع **(بصره نحو سقف البيت، ثم قال: اللهم)** اجعلني **(في الرفيق الأعلى)** أو في بمعنى مع **(فقلت: إذًا لا يختارنا)** من الاختيار، وللأكثر لا يجاورنا من المجاورة **(فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا)** به **(وهو صحيح)**.

وعند أبي الأسود في المغازي عن عروة؛ أن جبريل نزل إليه في تلك الحالة فخيره، زاد في رواية للبخاري: قالت، أي عائشة: فكانت آخر كلمة تكلم بها اللهم في الرفيق الأعلى.

(وفي رواية) للبخاري عن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن عائشة **(أنها)** سمعت النبي ﷺ و **(أصغت)** بسكون الصاد المهملة وفتح الغين المعجمة، أي أمالت معها **(إليه قبل أن يموت**

«اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى» رواه البخاري من طريق الزهري عن عروة.

وما فهمته عائشة من قوله عليه الصلاة والسلام: «اللهم في الرفيق الأعلى» أنه خير، نظير فهم أبيها رضي الله عنه من قوله عليه الصلاة والسلام: «إن عبدًا خيره الله ما بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده» أن العبد المراد هو النبي ﷺ كما قدمته. ذكره الحافظ ابن حجر.

وعند أحمد من طريق المطلب بن عبد الله عن عائشة: أن النبي ﷺ كان يقول: ما من نبي يقبض إلا يرى الثواب ثم يخير.

ولأحمد أيضًا، من حديث أبي مويهة قال: قال لي رسول الله ﷺ: أوتيت مفاتيح خزائن الأرض والخلد ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة فاخترت

وهو مستند إلى ظهره) فسمعته **(يقول: اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني)** بهمزة قطع **(بالرفيق الأعلى)**.

(رواه البخاري من طريق الزهري عن عروة) عن عائشة: وصوابه تقديم هذا على قوله، وفي رواية: إذ هو الذي في البخاري من هذا الطريق، أما هذه الرواية فإنما رواها البخاري من طريق عباد عنها كما علم **(وما فهمته عائشة من قوله عليه الصلاة والسلام: اللهم في الرفيق الأعلى؛ أنه خير)** بين الدنيا والارتحال إلى الآخرة **(نظير فهم أبيها رضي الله عنه من قوله عليه الصلاة والسلام: إن عبدًا خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عنده؛ أن العبد المراد هو النبي ﷺ كما قدمته)**.

(ذكره الحافظ ابن حجر) بلفظ فائدة **(وعند أحمد من طريق المطلب بن عبد الله)** بن المطلب بن حنطب المخزومي **(عن عائشة؛ أن النبي ﷺ كان يقول: ما من نبي يقبض، إلا يرى الثواب)** الذي أعد له في الآخرة **(ثم يخير)** بضم أوله وفتح الخاء المعجمة بين البقاء في الدنيا والارتحال إلى الآخرة.

(ولأحمد أيضًا من حديث أبي مويهة) ويقال: أبو موهية وأبو موهوية وهو قول الواقدي مولى النبي ﷺ: كان من مولدي مزينة، روى عنه عبد الله بن عمرو بن العاص وهو من أقرانه، ذكره صاحب الإصابه في الكنى ولم يذكر له اسمًا فاسمه كنيته **(قال: قال لي رسول الله ﷺ أوتيت)** بالبناء للمفعول **(مفاتيح خزائن الأرض والخلد)** البقاء في الدنيا إلى انقضائها **(ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي)** عاجلاً **(والجنة، فاخترت لقاء ربي والجنة)** حبًا

لقاء ربي والجنة.

وعند عبد الرزاق من مرسل طاوس، رفعه: خيرت بين أن أبقى حتى أرى ما يفتح على أمتي، وبين التعجيل فاخترت التعجيل.

وفي رواية أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه عند النسائي، وصححه ابن حبان: فقال اسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل.

وظاهره: أن الرفيق، المكان الذي تحصل فيه المرافقة مع المذكورين، وقال ابن الأثير في «النهاية» الرفيق: جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين، وقيل: المراد به الله تعالى، يقال: الله رفيق بعباده من الرفق والرأفة، انتهى، وقيل: المراد

في لقاء اللّه وزهدًا في الدنيا مع أن الجنة معطاة له على التخييرين.

(وعند عبد الرزاق من مرسل طاوس، رفعه: خيرت بين أن أبقى حتى أرى ما يفتح على أمتي) من المدائن والفتوحات **(وبين التعجيل)** إلى لقاء اللّه تعالى **(فاخترت التعجيل)** شوقًا إلى اللّه تعالى.

(وفي رواية أبي بردة:) قيل اسمه عامر، وقيل الحارث **(بن أبي موسى)** الأشعري، المتوفى في سنة أربع ومائة، وقيل: غير ذلك، وقد جاوز ثمانين سنة **(عن أبيه عند النسائي، وصححه ابن حبان فقال)** ﷺ: **(أسأل اللّه الرفيق الأعلى الأسعد مع جبريل وميكئيل وإسرافيل).**

وفي رواية المطلب عن عائشة عند أحمد: فقال مع الرفيق الأعلى، مع الذين أنعم اللّه عليهم من النبيين... إلى قوله رفيقًا، قال الحافظ بعد ذكر هاتين الروايتين مقدمًا الثانية **(وظاهره؛ أن الرفيق المكان الذي تحصل فيه المرافقة مع المذكورين)** في الآية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ومن الملائكة الثلاثة المذكورين في الحديث لا معهم فقط، كما أوهمه تصرف المصنف.

(وقال ابن الأثير في النهاية: الرفيق جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين) فهو اسم جنس تشمل الواحد فما فوقه، والمراد الأنبياء ومن ذكر في الآية، وقد ختمت بقوله تعالى: ﴿وحسن أولئك رفيقًا﴾ [النساء/ ٦٩]، ونكتة الإتيان بهذه الكلمة بالأفراد الإشارة إلى أن أهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد نبه عليه السهيلي.

(وقيل: المراد به) بالرفيق **(اللّه تعالى)** لأنه من أسمائه تعالى كما في مسلم عن عائشة، وأبي داود عن عبد اللّه بن مغفل، رفعاه: «إن اللّه رفيق يحب الرفق»، وعزوه لأبي داود وحده تقصير **(يقال: اللّه الرفيق بعباده من الرفق والرأفة. انتهى).**

به حظيرة القدس.

وفي كتاب «روضة التعريف بالحب الشريف»: لما تجلى له الحق ضعفت العلاقة بينه وبين المحسوسات والحظوظ الضرورية من أداني معاني الترقيات البشرية، فكانت أحواله في زيادة الترقي، ولذلك روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: كل يوم لا أزداد فيه قربًا من الله فلا بورك لي في طلوع شمسه. وكلما فارق مقامًا واتصل بما هو أعلى منه لمح الأول بعين النقص، وسار على ظهر المحبة، ونعمت المطية لقطع هذه المراحل والمقامات والأحوال، والسفر إلى حضرة ذي الجلال، والاتصال بالمحبوب الذي كل شيء هالك إلا وجهه.

وهو يحتمل أن يكون صفة ذات كالحليم أو صفة فعل، وغلط الأزهري هذا القول لقوله: مع الرفيق ولا وجه لتغليطه، لأن تأويله على ما يليق بالله سائغ، قاله الحافظ.

(وقيل: المراد به) بالرفيق **(حظيرة القدس)** أي: الجنة، وبه جزم الجوهري وابن عبد البر وغيرهما، ويؤيده ما عند ابن إسحٰق: الرفيق الأعلى الجنة، قال الحافظ بعد أن ذكر خمس روايات صحاح، كلها بلفظ الرفيق الأعلى، وهذه الأحاديث ترد على من زعم أن الرفيق تغيير من الراوي، وأن الصواب الرقيع بالقاف والعين المهملة وهو من أسماء السماء. انتهى.

وفي كلام بعضهم: الرفيق الأعلى نهاية مقام الروح وهي الحضرة الواحدية، فالمسؤول إلحاقة بالمحل الذي ليس بينه وبينه أحد في الاختصاص، والقول بأن المراد إلحاقة بالملائكة ومن في الآية مردود بأن محله فوقهم، فكيف يسأل اللحاق بهم، وتعقب بأن المراد المحل الذي يحصل فيه مرافقتهم في الجملة على اختلاف درجاتهم، ويوجد في بعض نسخ المصنف هنا **(وفي كتاب روضة التعريف بالحب الشريف لما تجلى)** ظهر **(له الحق)** تعالى ليلة المعراج حتى رآه بعيني رأسه على الصحيح **(ضعفت العلاقة بينه وبين المحسوسات)** الأشياء المشاهدة بحاسة البصر **(والحظوظ الضرورية من أداني)** أقاصي **(معاني الترقيات البشرية، فكانت أحواله)** عليه الصلاة والسلام **(في زيادة الترقي)** فلذا بادر باختيار اللقاء على البقاء شوقًا لرؤية محبوبه الذي رآه سابقًا **(ولذلك روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: كل يوم لا أزداد فيه قربًا من الله فلا بورك لي في طلوع شمسه، وكلما فارق مقامًا واتصل بما هو أعلى منه لمح الأول بعين النقص)** عن الأعلى وإن كان كمالاً **(وسار على ظهر المحبة ونعمت المطية)** هي **(لقطع هذه المراحل والمقامات والأحوال)** عطف تفسير للمراحل **(والسفر إلى حضرة ذي الجلال والاتصال بالمحبوب الذي كل شيء هالك إلا وجهه)** فبادر باختيار الموت ليظفر عاجلاً باللقاء، وإذا قيل في وجه ترديد موسىٰ للمصطفى ليلة المعراج ليظفر بتكرار

قال السهيلي: الحكمة في اختتام كلامه ﷺ بهذه الكلمة، كونها تتضمن التوحيد والذكر بالقلب، حتى يستفاد منها الرخصة لغيره أنه لا يشترط أن يكون الذكر باللسان، لأن بعض الناس قد يمنعه من النطق مانع، فلا يضره ذلك إذا كان قلبه عامرًا بالذكر، انتهى ملخصًا.

قال الحافظ ابن رجب: وقد روي ما يدل على أنه قبض ثم رأى مقعده من الجنة ثم ردت إليه نفسه ثم خير. ففي المسند قالت - يعني عائشة - كان النبي ﷺ يقول: ما من نبي إلا تقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم ترد إليه نفسه فيخير بين أن ترد إليه إلى أن يلحق، فكنت قد حفظت ذلك عنه، وإني لمسندته إلى صدري، فنظرت إليه حين مالت عنقه، فقلت: قضى، قالت: فعرفت الذي قال، فنظرت إليه حين ارتفع ونظر، فقلت: إذًا والله لا يختارنا، فقال: مع الرفيق الأعلى

رؤية من قد رأى، فما بالك بمن رأى بنفسه، وقد سقط هذا من غالب نسخ المصنف وليس من مسموعنا، وقد بينا وجه ذكره هنا.

(قال السهيلي: الحكمة في اختتام كلامه ﷺ بهذه الكلمة كونها تتضمن التوحيد) لدلالتها على قطع العلائق عن غيره سبحانه وتعالى حيث قصر نظره على طلب الرفيق الأعلى على كل تفسيراته **(والذكر بالقلب)** لأن الرفيق مفرد وهو يستدعي تقديرًا في الكلام كأن يقال: أسألك مجاورة الرفيق ونحوه.

هذا وإن لم يذكر باللسان فهو مستحضر بالقلب **(حتى يستفاد منها الرخصة لغيره أنه لا يشترط أن يكون الذكر باللسان)** عند الموت **(لأن بعض الناس قد يمنعه من النطق مانع)** كعقل اللسان عنه **(فلا يضره ذلك إذا كان قلبه عامرًا بالذكر. انتهى ملخصًا)** كلام السهيلي.

(قال الحافظ ابن رجب: وقد روي ما يدل على أنه قبض ثم رأى مقعده من الجنة، ثم ردت إليه نفسه ثم خير، ففي المسند) للإمام أحمد من طريق المطلب بن عبد الله **(قالت، يعني عائشة: كان النبي ﷺ يقول)** وهو صحيح **(ما من نبي)** أراد به ما يشمل الرسول **(إلا تقبض نفسه، ثم يرى الثواب)** الذي أعده الله له **(ثم ترد إليه نفسه فيخير بين أن ترد إليه إلى أن يلحق، فكنت قد حفظت ذلك عنه)** في صحته **(وإني لمسندته إلى صدري، فنظرت إليه حين مالت عنقه، فقلت: قضى)** أي مات **(قالت)** عائشة: **(فعرفت الذي قال)** هو ما حفظته عنه **(فنظرت إليه حين ارتفع)** بصره **(ونظر)** إلى جهة سقف البيت **(فقلت: إذًا والله لا يختارنا)** أي لا يريد البقاء فينا **(فقال: مع الرفيق الأعلى في الجنة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين**

والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

وفي البخاري من حديث عروة عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ ـ وهو صحيح ـ يقول: «إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يُحيًا أو يخير»، فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة غشي عليه، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال: «اللهم في الرفيق الأعلى».

ونبه السهيلي على أنه النكتة في الإتيان بهذه الكلمة بالإفراد، الإشارة إلى أن أهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد.

والصديقين:) أفاضل أصحاب الأنبياء لمبالغتهم في الصدق والتصديق **(والشهداء:)** القتلى في سبيل اللّه **(والصالحين)** غير من ذكر **(وحسن أولئك رفيقًا)** أي: رفقاء في الجنة، بأن يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم وإن كان مقرهم في درجات عالية بالنسبة إلى غيرهم.

(وفي البخاري من حديث) الزهري، عن **(عروة، عن عائشة قالت: كان رسول اللّه ﷺ وهو صحيح يقول: إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة)** وصريحه أن ذلك من خواص الأنبياء، ولا يخالفه حديث الصحيحين: إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي... الحديث للفرق بأن الأنبياء تعرض عليهم، ثم يخيرون بخلاف غيرهم فلا يخيرون وإن كان العرض عليهم قبل الموت كما هو مفاد الحديث الصحيح، فالخصوصية، أيضًا عرضه حال الحياة بخلاف غيرهم **(ثم يحيا)** بضم أوله وفتح المهملة وتشديد التحتانية بعدها **(أو يخير)** شك الراوي هل قال يحيا أو قال يخير؟، قاله الحافظ: **(فلما اشتكى)** مرض **(وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة)**.

كذا في البخاري: وكأنه التفات، وقدمه المصنف على فخذي بالمعنى: **(غشي)** أي: أغمي **(عليه، فلما أفاق شخص)** ارتفع **(بصره)** بالرفع فاعل **(نحو سقف البيت، ثم قال: اللهم)** اجعلني **(في الرفيق الأعلى)** وفي بمعنى: مع أي مع الجماعة الذين يحمد مرافقتهم، وهذا الحديث مر قريبًا وكأنه أعاده، لأن ابن رجب ذكره كالمعارض لما قبله عن المسند، ويمكن الجمع بينهما بحمل قبض نفسه على شدة الاستغراق في رؤية الثواب حتى كأنه قبض، فلا يخالف حديث البخاري الصريح في أن التخيير قبل القبض.

(ونبه السهيلي على أن النكتة في الإتيان بهذه الكلمة) أي: لفظ الرفيق **(بالإفراد الإشارة إلى أن أهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد)** وهي نكتة في الآية والحديث جميعًا.

وفي صحيح ابن حبان عنها قالت: أغمي على رسول الله ﷺ ورأسه في حجري. فجعلت أمسحه وأدعو له بالشفاء، فلما أفاق قال: «أسأل الله الرفيق الأعلى مع جبريل وميكائيل وإسرافيل».

ولما احتضر ﷺ، اشتد به الأمر، قالت عائشة: ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على النبي ﷺ، قالت: وكان عنده قدح من ماء، فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول: «اللهم أعني على سكرات الموت».

وفي رواية: فجعل يقول: «لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات».

قال بعض العلماء: فيه أن ذلك من شدة الآلام والأوجاع لرفعة منزلته.

وقال الشيخ أبو محمد المرجاني: تلك السكرات سكرات الطرب، ألا ترى إلى قول بلال حين قال له أهله وهو في السياق: واكرباه، ففتح عينيه وقال:

(وفي صحيح ابن حبان، عنها) أي عائشة **(قالت: أغمي على رسول الله ﷺ ورأسه في حجري، فجعلت أمسحه)** أي: صدره كما في رواية الطبراني **(وأدعو له بالشفاء، فلما أفاق قال:)** زاد الطبراني لا، ولكن **(أسأل الله الرفيق الأعلى مع جبريل ومكيئيل وإسرافيل)** وهذا يؤيد أنه خير قبل الموت **(ولما احتضر ﷺ اشتد به الأمر، قالت عائشة: ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على النبي ﷺ)** زيادة في رفع درجاته.

(قالت) عائشة: **(وكان عنده)** ﷺ **(قدح من ماء)** أي: فيه ماء **(فيدخل يده في القدح، ثم يمسح وجهه بالماء ويقول: اللهم أعني على سكرات الموت:)** شدائده.

(وفي رواية: فجعل يقول لا إله إلاَّ الله إن للموت لسكرات، قال بعض العلماء فيه أن ذلك من شدة الآلام والأوجاع لرفعة منزلته) وقد قالت عائشة: لا أكره شدة الموت لأحد بعد النبي ﷺ.

(وقال الشيخ أبو محمد المرجاني: تلك السكرات سكرات الطرب) الفرح **(ألاَّ ترى إلى قول بلال:)** أول من أسلم في أحد الأقوال: **(لما قال له أهله وهو في السياق)** النزع **(واحرباه)** بفتح المهملة والراء والموحدة من الحرب بفتحتين نهب مال الإنسان وتركه لا شيء له.

وروي بضم الحاء وزاي ساكنة، وروي واحوباه بفتح الحاء وسكون الواو من الحوب وهو الإثم والمراد ألمها بشدة جزعها عليه أو من الحوبة، أي: رقة القلب **(ففتح عينيه وقال:**

واطرباه، غدًا ألقى الأحبة محمدًا وصحبه، فإذا كان هذا طربه وهو في هذا الحال بلقاء محبوبه وهو النبي ﷺ وحزبه، فما بالك بلقاء النبي ﷺ لربه تعالى: ﴿**فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين**﴾ وهذا موضع تقصر العبارة عن وصف بعضه.

وفي حديث مرسل ذكره الحافظ ابن رجب: أنه ﷺ قال: «اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والأنامل والقصب، فأعني عليه وهونه علي».

وعند الإمام أحمد والترمذي من طريق القاسم عنها قالت: ورأيته وعنده قدح فيه ماء وهو يموت، فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول: «اللهم أعني على سكرات الموت».

واطرباه غدًا ألقى الأحبة محمدًا وصحبه).

وفي رواية: وحزبه (**فإذا كان هذا طربه وهو في هذا الحال**) السياق (**بلقاء محبوبه وهو النبي ﷺ وحزبه، فما بالك بلقاء النبي ﷺ لربه تعالىٰ**) استفهام تعجبي، واستدل على ذلك بقوله تعالىٰ: (**فلا تعلم نفس**) لا ملك مقرب ولا نبي مرسل (**ما أخفي**) خبيء (**لهم من قرة أعين**﴾) [السجدة/ ١٧]، ما تقربه عيونهم.

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة، يرفعه: «قال اللّه تعالىٰ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم فلا تعلم نفس... الآية، وأخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود، قال: أنه لمكتوب في التوراة لقد أعد اللّه للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر ولم يعلم ملك مقرب ولا نبي مرسل وأنه لفي القرءان ﴿فلا تعلم نفس﴾ الآية (**وهذا موضع تقصر العبارة عن وصف بعضه**) إذ لا يعلمه إلاّ اللّه.

(**وفي حديث مرسل ذكره الحافظ ابن رجب**) عبد الرحمٰن الحنبلي؛ (**أنه عليه الصلاة والسلام قال: اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب**) بعين مهملة (**والأنامل والقصب**) بالقاف عظام اليدين والرجلين ونحوهما (**فأعني عليه**) أي: على أخذ الروح، أي: على المشقة الحاصلة عند أخذه (**وهونه عليّ**) يسره وسهله.

(**وعند الإمام أحمد والترمذي من طريق القسم**) بن محمد (**عنها**) أي عائشة (**قالت: ورأيته وعنده قدح فيه ماء وهو يموت فيدخل يده في القدح،ثم يمسح وجهه بالماء،ثم يقول: اللهم أعني على سكرات الموت**) شدائده (**ولما غشاه الكرب**) الشدة (**قالت فاطمة رضي**

ولما غشاه الكرب، قالت فاطمة رضي الله عنها: واكرب أبتاه، فقال لها: «لا كرب على أبيك بعد اليوم»، رواه البخاري.

قال الخطابي: زعم من لا يعد من أهل العلم: أن المراد بقوله عليه الصلاة والسلام «لا كرب على أبيك بعد اليوم» أن كربه كان شفقة على أمته، لما علم من وقوع الاختلاف والفتن بعده، وهذا ليس بشيء، لأنه كان يلزم أن تنقطع شفقته على أمته بموته، والواقع أنها باقية إلى يوم القيامة، لأنه مبعوث إلى من جاء بعده، وأعمالهم تعرض عليه، وإنما الكلام على ظاهره، وإن المراد بالكرب ما كان يجده عليه الصلاة والسلام من شدة الموت، وكان فيما يصيب جسده من الآلام كالبشر ليتضاعف له الأجر، انتهى.

وروى ابن ماجه: أنه ﷺ قال لفاطمة: إنه حضر من أبيك ما الله تعالى بتارك منه أحدًا لموافاة يوم القيامة.

الله عنها: واكرب أبتاه) بألف الندبة والهاء ساكنة للوقف، وللنسائي: واكرباه.

قال الحافظ والأول أصوب لقوله **(فقال لها: لا كرب على أبيك بعد اليوم)** وهذا يدل على أنها لم ترفع صوتها وإلاَّ لنهاها.

(رواه البخاري) من أفراده عن أنس عن فاطمة **(قال الخطابي: زعم من لا يعد من أهل العلم)** لغباوة فهمه **(أن المراد بقوله عليه السلام: لا كرب على أبيك بعد اليوم، أن كربه كان شفقة على أمته لما علم من وقوع الاختلاف والفتن بعده، وهذا ليس بشيء لأنه كان)** زائدة **(يلزم)** من ذلك **(أن تنقطع شفقته على أمته بموته، والواقع أنها باقية إلى يوم القيامة لأنه)** حي في قبره و **(مبعوث إلى من جاء بعده، وأعمالهم تعرض عليه)** فما وجده حسنًا حمد اللّه عليه وما وجده سيئًا استغفر لهم كما ورد عنه **(وإنما الكلام على ظاهره وأن المراد بالكرب ما كان يجده عليه السلام من شدة الموت وكان فيما يصيب جسده من الآلام كالبشر ليتضاعف له الأجر. انتهى)**.

وملخصه أن هذا الزاعم تخيل أن شدة الموت لا تصيبه كغيره، فصرف الكرب إلى الشفقة وما علم ما لزم عليه من انقطاعها مع أنها لا تنقطع وخفي عليه أنه في الآلام الحسية كغيره.

(وروى ابن ماجه أنه ﷺ قال لفاطمة أنه) أي الحال والشأن **(حضر من أبيك)** أي: عنده **(ما)** نافية وفاعل حضر محذوف، أي: أمر ليس **(اللّه بتارك منه أحدًا لموافاة)** أي إتيان، أي؛ أنه مستمر لكل أحد إلى **(يوم القيامة)** أي: قربها هذا على ما في نسخ المصنف، وفيه

وفي البخاري من حديث أنس بن مالك: أن المسلمين بينما هم في صلاة الفجر من يوم الإثنين، وأبو بكر يصلي بهم لم يفجأهم إلا رسول الله ﷺ قد كشف ستر حجرة عائشة، فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة، قال أنس: وهمَّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحًا برسول الله ﷺ، فأشار إليهم بيده ﷺ أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر.

سقط وتقصير في العزو، فإن الحديث رواه البخاري والترمذي في الشمائل، عن أنس: لما وجد ﷺ من كرب الموت ما وجد، قالت فاطمة: واكرباه، فقال ﷺ: لا كرب على أبيك بعد اليوم إنه قد حضر من أبيك ما ليس اللّه بتارك منه أحدًا لموافاة يوم القيامة، فسقط من قلم المصنف لفظ ليس بعد ما وألف الموافاة.

قال الشراح: ما، أي أمر عظيم فاعل حضر ليس اللّه بتارك منه، أي: من الوصول إليه أحدًا، وذلك الأمر العظيم هو الموافاة يوم القيامة، أي: الحضور ذلك اليوم المستلزم للموت قبله، وقيل: الموافاة فاعل تارك، أي: لا يترك الموت أحدًا لا يصل إليه، ثم بين ذلك الأمر الذي يوصل الموت إليه كل أحد بقوله: يوم القيامة الواصل إليه كل ميت وفيه ركاكة والقصد تسليتها بأنه لا كرب عليه بعد اليوم، وأما اليوم فقد حضره ما هو مقرر عام لجميع الخلق، فينبغي أن ترضي وتسلمي.

(**وفي البخاري من حديث أنس بن مٰلك أن المسلمين بينما هم**) بميم ودونها روايتان (**في صلاة الفجر**) الصبح (**من يوم الاثنين وأبو بكر يصلي بهم**) وفي رواية لهم، أي لأجلهم إمامًا (**لم يفجأ هم إلاَّ رسول اللّه ﷺ قد كشف ستر حجرة عائشة، فنظر إليهم وهم في صفوف**) ولأبي ذر وهم صفوف في (**الصلاة، ثم تبسم يضحك**) حال مؤكدة، لأن تبسم بمعنى يضحك وأكثر ضحك الأنبياء التبسم، وكان ضحكه فرحًا باجتماعهم على الصلاة وإقامة الشريعة واتفاق الكلمة (**فنكص**) بصاد مهملة، أي تأخر (**أبو بكر على عقبيه**) بالتثنية (**ليصل الصف**) أي يأتي إليه (**وظن أن رسول اللّه ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة**) بهم إمامًا (**قال أنس: وهمَّ**) بشد الميم (**المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم**) بأن يخرجوا منها (**فرحًا برسول اللّه ﷺ، فأشار إليهم بيده ﷺ أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر**).

قال الحافظ: فيه أنه لم يصلِّ معهم ذلك اليوم، وما رواه البيهقي عن حميد عن أنس: آخر صلاة صلاها ﷺ مع القوم الحديث وفسرها بأنها صلاة الصبح، فلا يصح الحديث الباب،

وفي رواية أبي اليمان عن شعيب، عند البخاري، في «الصلاة»: فتوفي من يومه ذلك. وكذا في رواية معمر عنده أيضًا. في حديث أنس: لم يخرج إلينا ﷺ ثلاثًا، فأقيمت الصلاة، فذهب أبو بكر يتقدم، فقال نبي الله ﷺ بالحجاب فرفعه، فلما وضحه لنا وجه رسول الله ﷺ ما نظرنا منظرًا كان أعجب إلينا من وجه رسول الله ﷺ حين وضح لنا، قال: فأومأ رسول الله ﷺ إلى أبي بكر أن يتقدم وأرخى الحجاب. الحديث رواه الشيخان.

وعنه أن أبا بكر كان يصلي بهم في وجع النبي ﷺ الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الإثنين، وهم صفوف في الصلاة، كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة،

ويشبه أن الصواب أنها صلاة الظهر، وهذا الحديث في البخاري هنا من طريق عقيل عن ابن شهاب عن أنس.

(وفي رواية أبي اليمان) الحكم بن نافع شيخ البخاري **(عن شعيب)** بن أبي حمزة، عن الزهري، عن أنس **(عند البخاري في الصلاة: فتوفي من يومه ذلك)** قرب الزوال **(وكذا في رواية معمر)** عن الزهري، عن أنس **(عنده)** أي البخاري **(أيضًا:)** في غير هذا الموضع ومعمر هو ابن راشد أحد أصحاب ابن شهاب، فنسخة أبي معمر تحريف **(وفي حديث أنس لم يخرج إلينا ﷺ ثلاثًا)** من الأيام وكان ابتداؤها من حين خرج فصلى بهم قاعدًا **(فأقيمت الصلاة فذهب، أبو بكر يتقدم، فقال نبي الله ﷺ)** من إجراء قال مجرى فعل وهو كثير، أي أخذ **(بالحجاب)** الستر الذي على الحجرة **(فرفعه، فلما وضح)** أي: ظهر **(لنا وجه رسول الله ﷺ، فما نظرنا منظرًا)** بفتح الميم والظاء المعجمة بينهما نون ساكنة، أي شيئًا ننظر إليه **(قط كان أعجب إلينا من وجه رسول الله ﷺ حين وضح:)** ظهر **(لنا)**.

(قال) أنس: **(فأومأ رسول الله ﷺ إلى أبي بكر أن يتقدم)** إلى الصلاة ليؤمهم **(وأرخى الحجاب)** قال الحافظ: ليس مخالفًا لقوله في أوله فتقدم أبو بكر، بل في السياق حذف يظهر من قوله في رواية الزهري، فنكص أبو بكر، والحاصل أنه تقدم، ثم ظن أنه ﷺ يخرج فتأخر، فأشار إليه حينئذٍ أن يرجع إلى مكانه... **(الحديث)** تمامه: فلم يقدر عليه حتى مات ﷺ.

(رواه الشيخان) ففيه أن الصديق استمر خليفة على الصلاة حتى مات المصطفى لا كما زعمت الشيعة أنه عزله بخروجه وتخلف أبو بكر، ودليله يرد عليهم **(وعنه)** أي: أنس **(أن أبا بكر كان يصلي بهم)** وفي رواية لهم، أي: لأجلهم إمامًا في المسجد النبوي **(في وجع النبي ﷺ الذي توفي فيه حتى إذا كان يوم الإثنين)** برفع يوم فكان تامة ونصبه خبر لكان ناقصة **(وهم صفوف في الصلاة)** جملة حالية **(كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة، فنظرنا إليه)**

فنظرنا إليه وهو قائم، كأن وجهه ورقة مصحف مثلث الميم، ثم تبسم ﷺ ضاحكًا. الحديث رواه مسلم.

وقد جزم موسى بن عقبة عن ابن شهاب، أنه ﷺ مات حين زاغت الشمس، وكذا لأبي الأسود عن عروة.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: لما بقي من أجل رسول الله ﷺ ثلاث، نزل عليه جبريل، فقال: يا محمد إن الله قد أرسلني إليك إكرامًا لك، وتفضيلاً لك، وخاصة لك، يسألك عما هو أعلم به منك يقول: كيف تجدك؟ فقال: «أجدني يا جبريل مغمومًا، وأجدني يا جبريل مكروبًا»، ثم أتاه في اليوم الثاني فقال له مثل ذلك، ثم جاءه في اليوم الثالث فقال له مثل ذلك، ثم استأذن فيه ملك

لفظ مسلم، فنظر إلينا (**وهو قائم كأن وجهه ورقة**) بفتح الراء (**مصحف مثلث الميم**) كناية عن الجمال البارع وحسن البشرة وصفاء الوجه واستنارته (**ثم تبسم ﷺ ضاحكًا**) فرحًا باجتماعهم على الصلاة واتفاق كلمتهم وإقامة شريعته، ولهذا استنار وجهه الوجيه، لأنه كان إذا سر استنار وجهه... (**الحديث**) ذكر في بقيته نحو ما مر في رواية البخاري من همهم بالخروج ونكوص أبي بكر إلى آخره.

(**رواه مسلم**) من طريق صالح عن الزهري، قال: حدثني أنس فذكره، وفي آخره أيضًا: فتوفي من يومه ذلك (**وقد جزم موسى بن عقبة عن**) شيخه (**ابن شهاب بأنه ﷺ مات حين زاغت الشمس**) بزاي ومعجمة، أي مالت (**وكذا لأبي الأسود**) محمد بن عبد الرحمٰن (**عن عروة**) بن الزبير وجزم ابن إسحٰق بأنه مات حين اشتد الضحاء أي بالفتح والمد ويخدش فيه قوله وتوفي من آخر ذلك اليوم ويجمع بينهما بأن إطلاق الآخر بمعنى ابتداء الدخول في أول النصف الثاني من النهار وذلك عند الزوال واشتداد الضحاء يقع قبل الزوال ويستمر حتى يتحقق زوال الشمس ويؤيد هذا الجمع ما ذكره ابن شهاب وعروة أنه مات حين زاغت الشمس.

كذا قال الحافظ مع أن لفظ أنس عند الشيخين فتوفي من يومه ذلك ليس فيهما لفظ آخر الذي خدش به فهو صادق باشتداد الضحاء وبالزوال نعم جمعه بين هذين بما ذكر متجه. (**وعن جعفر**) الصادق (**بن محمد**) الباقر (**عن أبيه**) محمد بن علي بن الحسين (**قال: لما بقي من أجل رسول الله ﷺ ثلاث نزل عليه جبريل، فقال يا محمد إن الله قد أرسلني إليك إكرامًا لك وتفضيلاً لك، وخاصة**) تخصيصًا (**لك يسألك عما هو أعلم به منك، يقول: كيف تجدك؟**) أي تجد نفسك في هذا الوقت (**فقال: أجدني يا جبريل مغمومًا، وأجدني يا جبريل مكروبًا، ثم أتاه في اليوم الثاني، فقال له مثل ذلك**) الذي قاله في اليوم الأول (**ثم أتاه في**

الموت فقال جبريل: يا محمد، هذا ملك الموت يستأذن عليك، ولم يستأذن على آدمي قبلك، ولا يستأذن على آدمي بعدك، قال: «ائذن له»، فدخل ملك الموت فوقف بين يديه فقال: يا رسول الله، إن الله عز وجل أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك في كل ما تأمر، إن أمرتني أن أقبض روحك قبضتها، وإن أمرتني أن أتركها تركتها، فقال جبريل: يا محمد، إن الله قد اشتاق إلى لقائك، قال ﷺ: «فامض يا ملك الموت لما أمرت به»، فقال جبريل: يا رسول الله، هذا آخر موطئي من الأرض، إنما كنت حاجتي من الدنيا. فقبض روحه، فلما توفي ﷺ، وجاءت

اليوم الثالث).

وفي رواية: فلماكان في اليوم الثالث هبط جبريل ومعه ملك الموت ومعهما ملك آخر يسكن الهواء لم يصعد إلى السماء قط، ولم يهبط إلى الأرض قط، يقال له إسمعيل موكل على سبعين ألف ملك، كل ملك على سبعين ألف ملك، فسبقهم جبريل **(فقال له مثل ذلك)** القول المذكور **(ثم استأذن فيه)** اليوم الثالث **(ملك الموت)** وجبريل عنده **(فقال جبريل: يا محمد)** وفي نسخة: يا أحمد **(هذا ملك الموت يستأذن)** يطلب الإذن في الدخول **(عليك ولم يستأذن على ءادمي قبلك ولا يستأذن على ءادمي بعدك)** فهو تخصيص لك على الجميع **(قال: ائذن له فدخل ملك الموت)**.

وفي حديث ابن عباس عند الطبراني أنه قال: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته إن ربك يقرئك السلام **(فوقف بين يديه فقال: يا رسول الله إن الله عزّ وجلّ أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك في كل ما تأمر)** به **(إن أمرتني أن أقبض روحك قبضتها، وإن أمرتني أن أتركها تركتها)**.

زاد في رواية، قال: وتفعل ذلك يا ملك الموت؟، قال: نعم أمرت أن أطيعك في كل ما أمرتني **(فقال جبريل: يا محمد إن الله قد اشتاق إلى لقائك، قال ﷺ فامض يا ملك الموت لما أمرت به)** من قبض روحي إن شئت، فإني اخترت ذلك **(فقال جبريل يا رسول الله هذا آخر موطئي من الأرض إنما كنت حاجتي من الدنيا)**.

وفي حديث أبي هريرة عند ابن الجوزي: وهذا آخر عهدي بالدنيا بعدك والمنفي نزوله بالوحي المتجدد، فلا ينافي ما ورد في أحاديث أنه ينزل ليلة القدر ويحضر قتال المسلمين مع الكفار ويحضر من مات على طهارة من المسلمين، ويأتي مكة والمدينة بعد خروج الدجال ليمنعه من دخولهما، وفي زمن عيسى عليه السلام لا بشرع جديد، وتفصيل ذلك يطول **(فقبض روحه)** الزكية **(فلما توفي ﷺ وجاءت التعزية)** إسناد مجازي، أي أهل التعزية **(سمعوا صوتًا**

التعزية سمعوا صوتًا من ناحية البيت. السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، كل نفس ذائقة الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة، إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفًا من كل هالك، ودركًا من كل فائت، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، فإنما المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقال علي: أتدرون من هذا؟ هو الخضر عليه السلام. رواه البيهقي في دلائل النبوة.

وفي تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي: وذكر التعزية المذكورة عن ابن عمر، مما ذكره في الإحياء وأن النووي أنكر وجود الحديث المذكور في كتب الحديث، وقال: إنما ذكره الأصحاب ثم قال العراقي: قد رواه الحاكم في المستدرك من حديث أنس ولم يصححه، ولا يصح.

ورواه ابن أبي الدنيا عن أنس أيضًا قال: لما قبض رسول الله ﷺ اجتمع

من ناحية البيت: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته).

زاد في حديث ابن عمر عند البلاذري: فرددنا عليه مثل ذلك، فقال: (**كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم**) جزاء أعمالكم (**يوم القيامة، إن في الله عزاء**) تسلية (**من كل مصيبة وخلفًا من كل هالك**) ميت (**ودركًا من كل فائت، فبالله فثقوا:**) اعتمدوا (**وإياه فارجوا، فإنما المصاب**).

وفي لفظ: فإن المصاب (**من حرم الثواب**) الذي أعده الله تعالى له بعدم الصبر ومزيد الجزع لأنه فاته (**والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته**) ختم بالسلام كما بدأ به (**فقال علي: أتدرون من هذا؟**) فكأنهم قالوا لا ندري، فقال: (**هو الخضر**) بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين (**عليه السلام**).

(**رواه البيهقي في دلائل النبوة، وفي تخريج أحاديث الأحياء**) للغزالي (**للحافظ العراقي**) زين الدين عبد الرحيم: (**وذكر التعزية المذكورة عن ابن عمر مما ذكره في الأحياء؛ وأن النووي أنكر وجود الحديث المذكور في كتب الحديث، وقال: إنما ذكره الأصحاب**) يعني علماء الشافعية في كتب الفقه بلا إسناد (**ثم قال العراقي**) تعقبًا على نفي النووي: (**قد رواه الحاكم في المستدرك من حديث أنس ولم يصححه**) أي: لم يصرح بقوله: صحيح وإن كان موضوع كتابه المستدرك في الأحاديث الصحيحة الزائدة على الصحيحين (**ولا يصح**) لضعف سنده، ولكنه وجد في كتاب مشهور من كتب الحديث وإن كان ضعيف السند.

(**ورواه ابن أبي الدنيا عن أنس، قال: لما قبض رسول الله ﷺ اجتمع أصحابه حوله**

أصحابه حوله يبكون، فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين في إزار ورداء، يتخطى أصحاب رسول الله ﷺ حتى أخذ بعضادتي باب البيت فبكى على رسول الله ﷺ، ثم أقبل على أصحابه فقال: إن في الله عزاء من كل مصيبة، وعوضًا من كل فان. الحديث. وفيه. ثم ذهب الرجل، فقال أبو بكر: عليَّ بالرجل، فنظروا يمينًا وشمالاً فلم يروا أحدًا، فقال أبو بكر: لعل هذا الخضر، جاء يعزينا، ورواه ابن أبي الدنيا أيضًا من حديث علي بن أبي طالب، وفيه محمد بن جعفر الصادق، تكلم فيه، وفيه انقطاع بين علي بن الحسين وبين جده علي، والمعروف عن علي بن الحسين مرسلاً من غير ذكر علي، كما رواه الشافعي في الأم وليس فيه ذكر للخضر عليه السلام.

قال البيهقي: قوله: إن الله اشتاق إلى لقائك، معناه: قد أراد لقاءك بأن يردك من دنياك إلى معادك زيادة في قربك وكرامتك.

يبكون) بلا رفع صوت **(فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين في إزار ورداء يتخطى أصحاب رسول الله ﷺ حتى أخذ بعضادتي)** بكسر العين وضاد معجمة تثنية عضادة، أي: جانبي **(باب البيت، فبكى رسول الله)** بنصبه مفعول بكى.

(وفي نسخة: بكى على رسول الله ﷺ ثم أقبل على أصحابه فقال: إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضًا من كل، فان الحديث وفيه: ثم ذهب الرجل، فقال أبو بكر) الصديق **(علي بالرجل)** أي: ائتوني به **(فنظروا يمينًا وشمالاً فلم يروا أحدًا، فقال أبو بكر: لعل هذا الخضر جاء يعزينا)**.

(ورواه ابن أبي الدنيا أيضًا من حديث علي بن أبي طالب وفيه محمد بن جعفر الصادق تكلم فيه وفيه انقطاع بين علي بن الحسين جده علي) بن أبي طالب لأنه لم يدركه، فالحديث ضعيف وأيما كان فكيف ينكر وجوده في كتب الحديث، وقد وجد في أكثر من كتاب **(والمعروف عن علي بن الحسين مرسلاً من غير ذكر علي)** بن أبي طالب **(كما)** **(رواه الشافعي في الأم وليس فيه ذكر للخضر عليه الصلاة والسلام)**.

(قال البيهقي: قوله إن الله اشتاق إلى لقاءك، معناه: قد أراد لقاءك) لاستحالة الحقيقي الذي هو نزاع النفس إلى الشيء في حقه تعالىٰ **(بأن يردك من دنياك إلى معادك زيادة في قربك وكرامتك. انتهى)**.

وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس قال: جاء ملك الموت إلى النبي ﷺ في مرضه ورأسه في حجر علي، فاستأذن فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال له: ارجع فإنا مشاغيل عنك، فقال ﷺ: «هذا ملك الموت، ادخل راشدًا»، فلما دخل قال: إن ربك يقرئك السلام. فبلغني أن ملك الموت لم يسلم على أهل بيت قبله ولا يسلم بعده.

وقالت عائشة: توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري، وفي رواية: بين حافنتي وذاقنتي. رواه البخاري.

والحاقنة: بالحاء المهملة والقاف والنون، أسفل من الذقن.

والذاقنة: طرف الحلقوم.

والسَحْر: بفتح السين وسكون الحاء المهملتين، وهو الصدر. والنَحْر: بفتح

(**وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس، قال: جاء ملك الموت إلى النبي ﷺ في مرضه**) الذي توفي فيه (**ورأسه في حجر عليّ، فاستأذن فقال: السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته، فقال له: ارجع فإنا مشاغيل عنك، فقال ﷺ: هذا ملك الموت أدخل راشدًا، فلما دخل قال: إن ربك يقرئك السلام**) والظاهر المتبادر أن قوله: (**فبلغني أن ملك الموت لم يسلم على أهل بيت قبله ولا يسلم بعده**) من قول ابن عباس، والجزم بأنه من كلام الطبراني يحتاج إلى دليل لأنه خلاف المتبادر (**وقالت عائشة:**) إن من نعم اللّه عليّ أن رسول اللّه ﷺ (**توفي في بيتي وفي يومي**) الذي كان يدور علي فيه (**وبين سحري ونحري**) بفتح فسكون فيهما كما يأتي.

(**وفي رواية**) عنها: مات (**بين حافنتي وذاقنتي**) بذال معجمة وقاف مكسورة، قال الحافظ: وهذا لا يعارض حديثها السابق أن رأسه كان على فخذها، لأنه محمول على أنها رفعته من فخذها إلى صدرها.

(**رواه**) أي: المذكور من الروايتين (**البخاري، والحاقنة ـ بالحاء المهملة والقاف ـ**) المكسورة (**والنون**) المفتوحة (**أسفل من الذقن، والذاقنة طرف الحلقوم**) وفي الفتح: الحاقنة ما سفل من الذقن، والذاقنة ما علا منه، أو الحاقنة نقرة الترقوة وهما حاقنتان، ويقال الحاقنة: المظهر من الترقوة والحلق، وقيل: ما دون الترقوة من الصدر، وقيل: هي تحت السرة، وقال ثابت: الذاقنة طرف الحلقوم (**والسحر ـ بفتح السين وسكون الحاء المهملتين ـ هو الصدر**) وهو في الأصل الرئة كما في الفتح (**والنحر ـ بفتح النون وسكون الحاء المهملة ـ**) موضع

النون وسكون الحاء المهملة.

والمراد: أنه ﷺ توفي ورأسه بين عنقها وصدرها.

وهذا لا يعارضه ما أخرجه الحاكم وابن سعد من طرق: أنه ﷺ مات ورأسه في حجر علي، لأن كل طريق منها ـ كما قال الحافظ ابن حجر ـ لا يخلو عن شيء، فلا يلتفت لذلك والله أعلم.

القلادة من الصدر كما في الصحاح، قال الحافظ: والمراد به موضع النحر، وأغرب الداودي فقال: هو ما بين الثديين، والحاصل أن ما بين الحاقنة والذاقنة هو ما بين السحر والنحر **(والمراد أنه ﷺ توفي ورأسه بين عنقها وصدرها)**.

وروى أحمد والبزار والحاكم بسند صحيح، عنها: لما خرجت نفسه لم أجد ريحًا قط أطيب منها، وروى البيهقي عن أم سلمة: وضعت يدي على صدر النبي ﷺ يوم مات، فمر بي جمع آكل وأتوضأ ما يذهب ريح المسك من يدي **(وهذا)** الحديث الصحيح **(لا يعارضه ما أخرجه الحاكم وابن سعد من طرق؛ أنه ﷺ مات ورأسه في حجر علي، لأن كل طريق منها كما قال الحافظ ابن حجر لا يخلو عن شيء)** أي: مقال في إسناده **(فلا يلتفت لذلك)** لمعارضته الحديث الصحيح، لكن لفظ الحافظ لا يخلو عن شيعي بكسر الشين مفرد الشيعة، فلا يلتفت إليهم، أي: إلى الشيعة إلاَّ أنه لما بينه لم يذكر فيهم شيعيًا، وقد رأيت بيان حال الأحاديث التي أشرت إليها دفعًا لتوهم التعصب.

روى ابن سعد عن جابر: سأل كعب الأحبار عليًا ما كان آخر ما تكلم به ﷺ؟، فقال: أسندته إلى صدري فوضع رأسه على منكبي، فقال: الصلاة الصلاة، فقال كعب: كذلك آخر عهد الأنبياء، وفي سنده الواقدي وحرام بن عثمان وهما متروكان.

وعند الواقدي عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي، عن أبيه، عن جده مرفوعًا: ادعوا لي أخي، فدعي له علي، فقال: ادن مني، قال: فلم يزل مستندًا إليّ وإنه ليكلمني حتى نزل به وثقل في حجري، فصحت: يا عباس أدركني فإني هالك، فجاء العباس، فكان جهدهما جميعًا أن أضجعاه فيه انقطاع مع الواقدي عبد الله فيه لين، وبه عن أبيه، عن علي بن الحسين: قبض ورأسه في حجر علي فيه انقطاع.

وعند الواقدي عن أبي الحويرث، عن أبيه، عن الشعبي: مات ورأسه في حجر علي فيه الواقدي والانقطاع وأبو الحويرث اسمه عبد الرحمن بن معاوية بن الحرث المدني، قال لملك: ليس بثقة وأبوه لا يعرف حاله.

وعن الواقدي، عن سليمان بن داود بن الحصين، عن أبيه، عن أبي غطفان: سألت ابن

قال السهيلي: وجدت في بعض كتب الواقدي: أن أول كلمة تكلم بها النبي ﷺ وهو مسترضع عند حليمة: «الله أكبر»، وآخر كلمة تكلم بها: «في الرفيق الأعلى».

وروى الحاكم من حديث أنس قال: أن آخر ما تكلم به النبي ﷺ: «جلال ربي الرفيع».

ولما توفي ﷺ كان أبو بكر غائبًا بالسنح ـ يعني العالية، عند زوجته بنت خارجة ـ وكان ﷺ قد أذن له في الذهاب إليها، فسل عمر بن الخطاب سيفه

عباس، قال: توفي وهو إلى صدر علي، فقلت: إن عروة حدثني عن عائشة، قالت: توفي بين سحري ونحري، فقال ابن عباس: لقد توفي وأنه لمسند إلى صدر علي وهو الذي غسله وأخي الفضل وأبي أبى أن يحضر فيه الواقدي وسليمٰن لا يعرف حاله وأبو غطفان بفتح المعجمة ثم المهملة اسمه سعد مشهور بكنيته وثقه النسائي.

وأخرج الحاكم في الإكليل من طريق حبة العربي: أسندته إلى صدري فسالت نفسه وحبة ضعيف، ومن حديث أم سلمة، قالت: عليّ آخرهم عهدًا به ﷺ، وحديث عائشة أثبت من هذا، ولعلها أرادت أنه آخر الرجال عهدًا، ويمكن الجمع بأن يكون على آخرهم عهدًا به، وأنه لم يفارقه حتى مال، فظن أنه مات، ثم أفاق بعد أن توجه، فأسندته عائشة بعده إلى صدرها فقبض، ولأحمد في أثناء حديث عنها: فبينما رأسه ذات يوم على منكبي، إذ مال رأسه نحو رأسي، فظننت أنه يريد من رأسي حاجة، فخرجت من فيه نقطة باردة، فوقعت على نقرة نحري، فاقشعر جلدي وظننت أنه غشي عليه، فسجيته ثوبًا. انتهى.

فلم يذكر فيها شيعيًا، وإنما ذكر ضعف ـ رواته كما ترى (**قال السهيلي: وجدت في بعض كتب الواقدي أن أول كلمة تكلم بها النبي ﷺ وهو مسترضع عند حليمة**) السعدية (**الله أكبر، وآخر كلمة تكلم بها في الرفيق الأعلى**.

وفي حديث عائشة عند البخاري: فكانت آخر كلمة تكلم بها: اللهم الرفيق الأعلى (**وروى الحاكم من حديث أنس قال: أن آخر ما تكلم به النبي ﷺ جلال**) أي: أختار جلال (**ربي الرفيع**) فقد بلغت، ثم قضى، هذا بقية الحديث.

وجمع بينهما بأن هذا آخريه مطلقة، وما عداه آخرية نسبية (**ولما توفي ﷺ كان أبو بكر غائبًا بالسنح**) بضم السين المهملة فنون ساكنة، وبضمها أيضًا فحاء مهملة (**يعني بالعالية**) أي: بأقربها على ميل من المسجد النبوي (**عند زوجته**) حبيبة (**بنت خارجة**) بن زيد الخزرجية، صحابية بنت صحابي (**وكان عليه السلام قد أذن له في الذهاب إليها**) لأنه أصبح يوم الإثنين

وتوعد من يقول: مات رسول الله ﷺ، وكان يقول: إنما أرسل إليه كما أرسل إلى موسى عليه السلام، فلبث عن قومه أربعين ليلة، والله إني لأرجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم. فأقبل أبو بكر من السنح حين بلغه الخبر إلى بيت عائشة فدخل، فكشف عن وجه رسول الله ﷺ فجثا يقبله ويبكي ويقول: توفي والذي نفسي بيده، صلوٰت الله عليك يا رسول الله، ما أطيبك حيًّا وميتًا، ذكره الطبري في «الرياض».

وقالت عائشة: أقبل أبو بكر على فرس من مسكنه بالسنح، حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس، حتى دخل على عائشة، فبصر برسول الله ﷺ وهو مسجى ببرد حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه فقبله ثم بكى وقال: بأبي

خفيف المرض، فقال له أبو بكر: أراك يا رسول اللّه قد أصبحت بنعمة من اللّه وفضل كما نحب واليوم يوم ابنة خارجة أفآتيها، قال: نعم، فذهب فمات في غيبته **(فسل عمر بن الخطاب سيفه وتوعد)** بالقتل **(من يقول مات رسول اللّه ﷺ)** بناءً على ما قام عنده، وأداه إليه اجتهاده أنه لا يموت حتى يشهد على أمته بأعمالها أخذًا من قوله تعالىٰ: (﴿**ويكون الرسول عليكم شهيدًا**﴾) [البقرة/ ١٤٣]، كما رواه ابن إسحٰق عنه، ثم رجع عن ذلك كما يأتي: **(وكان يقول: إنما أرسل إليه كما أرسل إلى موسىٰ عليه السلام، فلبث عن قومه أربعين ليلة)** وهذا قاله اجتهادًا بالقياس ثم رجع عنه **(واللّه إني لأرجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم)**.

زاد في رواية: وألسنتهم، يعني: المنافقين، وفي لفظ: لا يموت حتى يؤمر بقتال المنافقين **(فأقبل أبو بكر من السنح حين بلغه الخبر إلى بيت عائشة، فدخل فكشف عن وجه رسول اللّه ﷺ، فجثا)** بجيم فمثلثة برك على ركبتيه **(يقبله ويبكي، ويقول: توفي والذي نفسي بيده صلوات اللّه عليك يا رسول اللّه ما أطيبك حيًا وميتًا)**.

(ذكره الطبري) محب الدين الحافظ **(في)** كتاب **(الرياض)** النضرة في فضائل العشرة **(وقالت عائشة: أقبل أبو بكر)** حال كونه راكبًا **(على فرس من مسكنه)** متعلق بأقبل **(بالسنح)** منازل بني الحرث من الخزرج **(حتى نزل)** عن الفرس **(فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة، فبصر برسول اللّه)** الذي في البخاري هنا وقبله في الجنائز فتيمم، قال المصنف: أي قصد رسول اللّه **(ﷺ وهو مسجى)** بضم الميم وفتح السين والجيم المشددة، أي: مغطى هذا لفظ الجنائز، وفي الوفاة مغشى بضم الميم وفتح الغين والشين

أنت وأمي، لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها. رواه البخاري.

واختلف في قول أبي بكر رضي الله عنه: «لا يجمع الله عليك موتتين».

فقيل هو على حقيقته، وأشار بذلك إلى الرد على من زعم أنه سيحيا فيقطع أيدي رجال، لأنه لو صح ذلك للزم أن يموت موتة أخرى، فأخبر أنه أكرم على الله ن أن يجمع عليه موتتين كما جمعهما على غيره، كالذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف، وكالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وهذا أوضح الأجوبة وأسلمها.

المشددة المعجمتين، أي: مغطى **(ببرد)** لفظ الجنائز، وفي الوفاة: بثوب **(حبرة)** بكسر الحاء المهملة وفتح الموحدة، وإضافة برد أو ثوب إليه وبالتنوين فحبرة صفته، وهي ثوب يماني مخطط أو أخضر **(فكشف عن وجهه)** لبرد **(ثم أكب عليه)** لازم وثلاثيه كب متعد عكس المشهور من قواعد التصريف فهو من النوادر **(فقبله)** بين عينيه **(ثم بكى)** اقتداء بالنبي ﷺ لما دخل على عثمان بن مظعون وهو ميت، فأكب عليه وقبله، ثم بكى حتى سالت دموعه على وجنتيه.

رواه الترمذي **(وقال: بأبي أنت وأمي)** الباء متعلقة بمحذوف، أي أنت مفدي بأبي فهو مرفوع مبتدأ وخبر أو فعل فما بعده نصب، أي: فديتك **(لا يجمع)** بالرفع، ولفظ الجنائز: يا نبي اللّه، وفي الوفاة: واللّه لا يجمع **(اللّه عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك)** بصيغة المجهول، وللمستملي والحموي كتب اللّه عليك **(فقد متها)**.

(رواه البخاري) فى الجنائز والوفاة النبوية من أفراده عن مسلم.

ورواه النسائي وابن ماجه في الجنائز **(واختلف في)** معنى **(قول أبي بكر رضي اللّه عنه: لا يجمع اللّه عليك موتتين، فقيل: هو على حقيقته، وأشار بذلك إلى الرد على من زعم)** هو عمر **(أنه سيحيا فيقطع أيدي رجال)** كما في البخاري في المناقب، قالت أي عائشة: وقال عمر وليبعثه اللّه فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم **(لأنه لو صح ذلك للزم أن يموت موتة أخرى)** ثانية، إذ لا بدّ من الموت قبل القيامة **(فأخبر أنه أكرم على اللّه من أن يجمع عليه موتتين كما جمعهما على غيره، كالذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف)** أربعة أو ثمانية أو عشرة أو ثلاثون أو أربعون ألفًا حذر الموت وهم قوم بني إسرئيل وقع الطاعون ببلادهم، ففروا، فقال لهم اللّه: موتوا، فماتوا ثم أحياهم بعد ثمانية أيام أو أكثر بدعاء نبيهم خزقيل بكسر المهملة والقاف وسكون الزاي، فعاشوا دهرًا عليهم أثر الموت لا يلبسون ثوبًا إلاّ عاد كالكفن واستمرت في أسباطهم **(وكالذي مر على قرية)** هي بيت المقدس راكبًا على حمار ومعه سلة تين وقدح

وقيل: أراد أنه لا يموت موتة أخرى في القبر كغيره، إذا يحيا فيسأل ثم يموت، وهذا جواب الداودي.

وقيل: لا يجمع الله موت نفسك وموت شريعتك. وقيل: كنى بالموت الثاني عن الكرب، أي: لا تلقى بعد هذا الموت كربًا آخر. قاله في فتح الباري.

وعنها: أن عمر قام يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله وقال: بأبي أنت وأمي، طبت حيًا وميتًا، والذي نفسي بيده، لا يذيقك الله الموتتين أبدًا، ثم خرج فقال: أيها الحالف، على رسلك، فلما تكلم أبو بكر

عصير وهو عزير، وقيل: أرمياه، وقيل: غيرهما **(وهي خاوية)** ساقطة **(على عروشها)** سقوفها لما خربها بخت نصر، قال استعظامًا لقدرة الله: أنى يحيي هذه الله بعد موتها، فأماته الله مائة عام ثم بعثه ليريه كيفية ذلك، قال: كم لبثت؟، الآية **(وهذا أوضح)** أظهر **(الأجوبة وأسلمها)** من الاعتراض.

(وقيل: أراد أنه لا يموت موتة أخرى في القبر كغيره، إذ يحيا فيسأل ثم يموت) لأنه ﷺ لا يسأل **(وهذا جواب الداودي)** أحمد بن نصر المالكي شارح البخاري **(وقيل: لا يجمع الله موت نفسك وموت شريعتك، وقيل: كني بالموت الثاني عن الكرب، أي: لا تلقى بعد هذا الموت كربًا آخر)** ويؤيده قوله ﷺ لفاطمة: «لا كرب على أبيك بعد اليوم» **(قاله في فتح الباري)** في كتاب الجنائز، وتعقب الثالث في الوفاة، فقال: وأغرب من قال المراد: بالموتة الأخرى موت الشريعة، قال هذا القائل، ويؤيده قول أبي بكر بعد ذلك في خطبته: من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت **(وعنها)** أي عائشة أيضًا، **(أن عمر قام يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ)** بناءً على ظنه الذي أداه اجتهاده إليه، وأسقط من الحديث، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذلك، وليبعثه الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم **(فجاء أبو بكر)** من السنح **(فكشف عن وجه رسول الله ﷺ فقبله)** بين عينيه **(وقال: بأبي أنت وأمي طبت حيًا وميتًا والذي نفسي بيده لا يذيقك)** بالرفع **(الله الموتتين أبدًا)** لأنه يحيا في قبره ثم لا يموت كما هو أحد الوجوه المتقدمة، قال الحافظ: وهذا أحسن، ولعل هذا هو الحكمة في تعريف الموتتين، يعني: في هذه الرواية، أي: المعروفتين المشهورتين الواقعتين لكل أحد غير الأنبياء، فبطل تمسك من تمسك به لإنكار الحياة في القبر. انتهى.

(ثم خرج) أبو بكر من عنده ﷺ وعمر يكلم الناس **(فقال: أيها الحالف على رسلك)** بكسر الراء وسكون المهملة هينتك، أي: اتئد في الحلف ولا تستعجل، وعبر بالحالف لأن

جلس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ [الزمر/٣٠] وقال ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ الآية[آل عمران/١٤٤]، قال: فنشج الناس يبكون، رواه البخاري.

يقال: نشج الباكي، أي غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب.

عادتهم النداء بالحالة التي يكون الشخص عليها، كقوله ﷺ لحذيفة: قم يا نومان ولعلي قم أبا تراب وتنبيهًا على أنه لا ينبغي الحلف في ذا المقام، لا لأنه لم يعرفه لما خرج، وإنما سمع الحلف، فأبهمه لأن أبا بكر يعرف صوت عمر، ولأنه قال: اجلس يا عمر كما يأتي قريبًا **(فلما تكلم أبو بكر جلس عمر)** بعد إبايته كما في حديث ابن عباس الآتي، فقال: اجلس يا عمر، فأبى أن يجلس **(فحمد اللّه أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا)** بالفتح والتخفيف تنبيهًا على ما بعده كأنه قال: تنبهوا **(من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد اللّه فإن اللّه حي لا يموت، وقال: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾)** أي: ستموت ويموتون، فلا شماتة بالموت، فالميت بالتثقيل من لم يمت وسيموت، وأما بالتخفيف فمن حل به الموت، قال الخليل: أنشد أبو عمرو:

أيا سائلي تفسير ميْت وميِّت   فدونك قد فسرت إن كنت تعقل

فمن كان ذا روح فذلك ميِّت   وما الميْت إلاَّ من إلى القبر يحمل

(وقال تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ [آل عمران/١٤٤]) اختصار من المصنف، وإلاَّ فهي متلوة كلها عند البخاري، فقال: ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ رجعتم إلى الكفر، والجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري، أي: ما كان معبودًا فترجعوا، نزلت لما أشيع يوم أحد أنه ﷺ قتل، وقال المنافقون: إن كان قتل فارجعوا إلى دينكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر اللّه شيئًا وإنما يضر نفسه، وسيجزي اللّه الشاكرين نعمه بالثبات **(قال: فنشج)** بفتح النون والشين المعجمة وبالجيم **(الناس يبكون)** لتحققهم موته، ولم يبين المصنف ولا الحافظ فاعل قال: فيحتمل أنه عائشة، وذكر باعتبار الشخص أو إنها قالته حاكية له عن عمر، ويؤيده قولها أولاً: وقال عمر: واللّه... الخ.

هكذا أفاده شيخنا أبو عبد اللّه الحافظ البابلي.

(رواه البخاري) في مناقب الصديق بهذا اللفظ: **(يقال نشج)** بفتحات **(الباكي، أي: غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب)** أي: شدة البكاء.

وعن سالم بن عبيد الأشجعي قال: لما مات رسول الله ﷺ كان أجزع الناس كلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأخذ بقائم سيفه وقال: لا أسمع أحدًا يقول: مات رسول الله ﷺ إلا ضربته بسيفي هذا، قال: فقال الناس يا سالم، أطلب صاحب رسول الله ﷺ، قال: فخرجت إلى المسجد، فإذا بأبي بكر، فلما رأيته أجهشت بالبكاء، فقال: يا سالم أمات رسول الله ﷺ؟ فقلت: إن هذا عمر بن الخطاب يقول: لا أسمع أحدًا يقول مات رسول الله ﷺ إلا ضربته بسيفي هذا، قال: فأقبل أبو بكر حتى دخل على النبي ﷺ وهو مسجى، فرفع البرد عن وجهه، ووضع فاه على فيه واستنشى الريح، ثم سجاه والتفت إلينا فقال: **﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾** الآية، وقال: **﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾** يا أيها الناس، من كان يعبد محمدًا فإن محمد قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال عمر: فوالله لكأني لم أتل هذه الآيات قط، خرجه الحافظ أبو أحمد حمزة بن الحارث، كما ذكره الطبري في «الرياض» له، وقال: خرج الترمذي معناه

(وعن سالم بن عبيد الأشجعي) الصحابي من أهل الصفة: نزل الكوفة، روى له أصحاب السنن حديثين بإسناد صحيح في العطاس وله رواية عن عمر، هي؛ أنه **(قال: لما مات رسول اللّه ﷺ كان أجزع الناس، كلهم عمر بن الخطاب، فأخذ بقائم سيفه)** من إضافة الصفة للموصوف، أي: شهر سيفه **(وقال: لا أسمع أحدًا يقول: مات رسول اللّه ﷺ إلاّ ضربته بسيفي هذا، قال)** سالم: **(فقال الناس: يا سالم أطلب صاحب رسول اللّه)** يعنون أبا بكر **(قال: فخرجت إلى المسجد، فإذا بأبي بكر، فلما رأيته أجهشت)** بجيم وهاء ومعجمة، أي: فزعت إليه **(بالبكاء)** كالصبي يفزع إلى أمه **(فقال: يا سالم أمات رسول اللّه ﷺ، فقلت: إن هذا عمر بن الخطاب يقول: لا أسمع أحدًا يقول مات رسول اللّه ﷺ إلاّ ضربته بسيفي هذا، قال)** سالم: **(فأقبل أبو بكر حتى دخل على النبي ﷺ وهو مسجى)** بجيم بوزن مغطى ومعناه **(فرفع)** كشف وأزال **(البرد عن وجهه ووضع فاه على فيه واستنشى)** أي: شم **(الريح)** أي: ريح الموت، فعلم أنه مات **(ثم سجاه:)** غطاه بالبرد **(والتفت إلينا)** بعد خروجه من عنده **(فقال: ﴿وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل﴾)** وتلا **(الآية)** كلها **(وقال: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾، يا أيها الناس من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد اللّه فإن اللّه حي لا يموت، قال عمر: فواللّه لكأني لم أتل هذه الآيات)** بناءً على أن الجمع ما فوق الواحد **(قط، خرجه الحافظ أبو أحمد حمزة بن الحارث، كما ذكره الطبري في الرياض، له وقال: خرج الترمذي معناه بتمامه)**.

بتمامه.

واستنشى الريح: شمها، أي شم ريح الموت.

وعند أحمد: عن عائشة قالت: سجيت النبي ﷺ ثوبًا، فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستأذنا، فأذنت لهما وجذبت الحجاب، فنظر عمر إليه فقال: واغشياه، ثم قاما، فقال المغيرة: يا عمر، مات، قال: كذبت، إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفنى الله المنافقين. ثم جاء أبو بكر، فرفعت الحجاب فنظر إليه فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات رسول الله ﷺ.

وفي حديث ابن عباس عند البخاري: إن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا

وأخرجه يونس بن بكير في زيادات المغازي **(واستنشى الريح: شمها، أي: شم ريح الموت)** فعرف أنه مات عليه الصلاة والسلام **(وعند أحمد عن عائشة، قالت: سجيت النبي ﷺ ثوبًا)** نصب بنزع الخافض: **(فجاء عمر)** بن الخطاب **(والمغيرة بن شعبة، فاستأذنا)** في الدخول **(فأذنت لهما وجذبت:)** سحبت **(الحجاب، فنظر عمر إليه، فقال)** متعجبًا: **(واغشياه)** ظن أنه أغمي عليه إغماءً شديدًا بدون موت **(ثم قاما)** فلما دنوا من الباب **(فقال المغيرة: يا عمر مات)** أخبره بذلك تحسرًا وتأسفًا لا أنه استفهام بحذف الأداة لقوله: **(قال)** عمر **(كذبت)** إذ لو كان استفهامًا لم يسغ له تكذيبه **(إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفني الله المنافقين)**.

قال المصنف: هذا قاله عمر بناءً على ظنه حيث أداه اجتهاده إليه، وفي سيرة ابن إسحٰق عن ابن عباس أن عمر قال له: إن الحاصل له على هذه المقالة قوله تعالىٰ: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا﴾ [البقرة/١٤٣]، فظن أنه ﷺ يبقى في أمته حتى يشهد عليها **(ثم جاء أبو بكر)** من السنح **(فرفعت الحجاب، فنظر إليه فقال: إنا لله)** ملكًا وعبيدًا يفعل بنا ما يشاء **(وإنا إليه راجعون)** في الآخرة فيجازينا **(مات رسول الله ﷺ)**.

وروى ابن إسحٰق وعبد الرزاق والطبراني أن العباس قال لعمر: هل عند أحد منكم عهد من رسول الله ﷺ في ذلك، قال: لا، قال: فإنه قد مات، ولم يمت حتى حارب وسالم، ونكح وطلق وترككم على محجة واضحة وهذا من موافقات العباس للصديق.

(وفي حديث ابن عباس عند البخاري) هنا وقبله في الجنائز: **(أن أبا بكر خرج)** من عند النبي ﷺ **(وعمر بن الخطاب يكلم الناس)** يقول لهم: لم يمت ﷺ **(فقال أبو بكر)** له:

عمر، فقال أبو بكر: أما بعد من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله عز وجل: **﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾** قال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها الناس منه كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها.

وفي حديث ابن عمر عند ابن أبي شيبة أن أبا بكر مر بعمر وهو يقول: ما مات رسول الله ﷺ ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين. قال: وكانوا أظهروا الاستبشار ورفعوا رؤوسهم، فقال: أيها الرجل، إن رسول الله ﷺ قد مات: ألم تسمع الله تعالى يقول: **﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾** وقال: **﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾** ثم أتى أبو بكر المنبر. الحديث.

(**اجلس يا عمر، فأبى أن يجلس**) لما حصل له من الدهشة والحزن (**فأقبل الناس إليه**) وللكشميهني: عليه (**وتركوا عمر**) وفي الجنائز: فأبى عمر، فتشهد أبو بكر، فمال إليه الناس وتركوا عمر (**فقال أبو بكر: أما بعد، من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد اللّه فإن اللّه حي لا يموت، قال اللّه تعالى: ﴿وما محمد إلاَّ رسول قد خلت﴾**) مضت (**﴿من قبله الرسل﴾**).

زاد في رواية البخاري: إلى قوله الشاكرين (**قال**) ابن عباس: (**واللّه لكأن الناس لم يعلموا أن اللّه أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها الناس منه كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلاَّ يتلوها**).

قال الكرماني: فإن قلت ليس فيها أنه ﷺ قد مات، وأجاب بأن أبا بكر تلاها لأجل أنه ﷺ قد مات، قال الحافظ: ورواية ابن السكن قد أوضحت المراد. فإنه زاد لفظ علمت.

(**وفي حديث ابن عمر**) عبد اللّه (**عند ابن أبي شيبة أن أبا بكر مر بعمر وهو يقول: ما مات رسول اللّه ﷺ ولا يموت حتى يقتل اللّه المنافقين، قال**) ابن عمر: (**وكانوا أظهروا الاستبشار**) الفرح، وأسقط عقب هذا لفظ: وفرحوا بموته (**ورفعوا رؤوسهم، فقال**) أبو بكر لعمر: (**أيها الرجل إن رسول اللّه ﷺ قد مات، ألم تسمع اللّه تعالى يقول: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾**) فأخبر بأنه سيموت فكيف تنكره (**وقال: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾**) أفإن مت (**ثم أتى أبو بكر المنبر... الحديث**) تمامه، فصعد عليه فحمد اللّه وأثنى عليه، فذكر خطبته: أما بعد... الخ.

وفي البخاري؛ أن عمر قال: واللّه ما هو إلاَّ أن سمعت أبا بكر تلاها، أي: آية آل عمران، فعقرت حتى ما تقلني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض، حين سمعته تلاها علمت أن

قال القرطبي أبو عبد الله المفسر: وفي هذا أدل دليل على شجاعة الصديق، فإن الشجاعة حدها: ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبي ﷺ. فظهر عنده شجاعته وعلمه. قال الناس: لم يمت رسول الله ﷺ، واضطرب الأمر فكشفه الصديق بهذه الآية، فرجع عمر عن مقالته التي قالها.

كما ذكره الوائلي أبو نصر عبد الله في كتاب «الإنابة» عن أنس بن مالك أنه سمع عمر بن الخطاب حين بويع أبو بكر رضي الله عنه في مسجد رسول الله ﷺ واستوى على منبره ﷺ، تشهد ثم قال: أما بعد، فإني قلت لكم أمس مقالة وإنها لم تكن كما قلت، وإني والله ما وجدت المقالة التي قلت لكم في كتاب الله، ولا في عهد عهده إليّ رسول الله ﷺ، ولكني كنت أرجو أن

النبي ﷺ قد مات.

(قال القرطبي: **أبو عبد الله**) محمد (**المفسر**) أي مؤلف التفسير وهو تلميذ القرطبي صاحب المفهم على مسلم (**وفي هذا أدل دليل على شجاعة الصديق، فإن الشجاعة حدها ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبي ﷺ، فظهر عنده شجاعته وعلمه قال الناس**) أي: أكثرهم: (**لم يمت رسول الله ﷺ واضطرب الأمر، فكشفه الصديق بهذه الآية**) وفي نسخة: فكشف، أي: عن الناس اضطرابهم، ففيه قوة جأشه وكثرة علمه، وقد وافقه على ذلك العباس كما مر والمغيرة، كما رواه ابن سعد وابن أم مكتوم كما في مغازي أبي الأسود عن عروة، قال: أن ابن أم مكتوم كان يتلو ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ والناس لا يلتفتون إليه، وكان أكثر الصحابة على خلاف ذلك، فيؤخذ منه أن الأقل عددًا في الاجتهاد قد يصيب ويخطيء الأكثر، فلا يتعين الترجيح بالأكثر، ولا سيما إن ظهر أن بعضهم قلد بعضًا.

قاله الحافظ: (**فرجع عمر عن مقالته التي قالها، كما ذكره الوائلي أبو نصر عبد الله في كتاب الإنابة عن أنس بن مالك أنه سمع عمر بن الخطاب حين بويع أبو بكر**) على الخلافة (**في مسجد رسول الله ﷺ واستوى على منبره: تشهد عمر**).

أخرجه ابن إسحٰق في السيرة بنحوه، قال: حدثني الزهري، قال: حدثني أنس، قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل (**ثم قال**) عمر: (**أما بعد فإني قلت لكم أمس مقالة وأنها لم تكن كما قلت، وإني والله ما وجدت المقالة التي قلت لكم في كتاب الله**) صريحًا، وإنما كنت أستنبطها من قوله: ﴿ويكون الرسول عليكم شهيدًا﴾، فظننت أنه يبقى في أمته حتى يشهد على آخر أعمالها كما عند ابن إسحٰق، عنه: (**ولا في عهد عهده إليّ رسول الله ﷺ**)

ـ أي يكون آخرنا موتًا، أو كما قال ـ فاختار الله عز وجل لرسوله الذي عنده على الذي عندكم، وهذا الكتاب الذي هدي به رسوله فخذوا به تهتدوا لما هدي له رسوله ﷺ.

قال أبو نصر: المقالة التي قالها ثم رجع عنها هي: أن النبي ﷺ لم يمت ولن يموت حتى يقطع أيدي وأرجل، وكان ذلك لعظيم ما ورد عليه وخشى الفتنة وظهور المنافقين، فلما شاهد عمر قوة يقين الصديق الأكبر وتفوهه بقول الله عز وجل: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ وقوله: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ وخرج الناس يتلونها في سكك المدينة كأنها لم تنزل قط إلا ذلك اليوم انتهى.

وقال ابن المنير: لما مات ﷺ طاشت العقول، فمنهم من خبل، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام، ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام، ومنهم من أضنى، وكان

قال ذلك دعًا لتوهمهم أنه قال ذلك فيستمر الاضطراب (**ولكني كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا**) بضم التحتية وسكون الدال وفتح الموحدة (**أي: يكون آخرنا موتًا، أو كما قال:**) شك الراوي (**فاختار الله عزّ وجلّ لرسوله الذي عنده على الذي عندكم، وهذا الكتاب**) القرءان (**الذي هدى الله به رسوله، فخدوا به:**) اعملوا بما فيه (**تهتدوا لما هدي له رسول الله ﷺ**) فتكونوا ورثته، وفي آخر هذا الخبر عند ابن إسحٰق: فبايع الناس أبا بكر البيعة العامة بعد بيعة السقيفة، ثم تكلم أبو بكر... الحديث.

(**قال أبو نصر:**) المذكور (**المقالة التي قالها عمر، ثم رجع عنها هي**) قوله: (**أن النبي ﷺ لم يمت ولن يموت حتى يقطع أيدي الرجل**) رجال، يعني: المنافقين(**وكان**) قوله: (**ذلك لعظيم ما ورد عليه وخشي الفتنة وظهور المنافقين، فلما شاهد عمر قوة يقين الصديق الأكبر وتفوهه:**) نطقه (**بقول الله عزّ وجلّ: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ وقوله: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾، وخرج الناس يتلونها في سكك المدينة كأنها لم تنزل قط إلاّ ذلك اليوم. انتهى**).

وجواب: فلما شاهد محذوف دل عليه ما قبله، أي: رجع عن مقالته (**وقال ابن المنير**) في معراجه: (**لما مات ﷺ طاشت**) ذهبت (**العقول**) أي: كادت تذهب، إذ لم تذهب بالفعل (**فمنهم من خبل**) أي: قارب الخبل أو حصلت له حالة تشبه الخبل، قال في القاموس خبله الحزن جننه وأفسد عقله (**ومنهم من أقعد فلم يطق القيام، ومنهم من أخرس**) منع النطق (**فلم يطق الكلام، ومنهم من أضنى**) مرض (**وكان عمر ممن خبل**) أي: كاد لأنه لم يخبل بالفعل

عمر ممن خبل، وكان عثمان ممن أخرس، يذهب به ويجاء ولا يستطيع كلامًا، وكان علي ممن أقعد فلم يستطع حراكًا، وأضني عبد الله بن أنيس فمات كمدًا. وكان أثبتهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، جاء وعيناه تهملان وزفراته تتردد وغصصه تتصاعد وترتفع، فدخل على النبي ﷺ فأكب عليه وكشف الثوب عن وجهه وقال: طبت حيًا وميتًا، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء، قبلك، فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء، ولو أن موتك كان اختيارًا لجدنا لموتك بالنفوس. اذكرنا يا محمد عند ربك، ولنكن من بالك.

ووقع في حديث ابن عباس وعائشة عند البخاري: أن أبا بكر قبل النبي ﷺ بعد ما مات، كما قدمنا. وكذا وقع في رواية غيره.

وفي رواية يزيد بن بابنوس عنها، عند أحمد، أنه أتاه من قبل رأسه، فحدر

(وكان عثمٰن ممن أخرس يذهب به ويجيء ولا يستطيع كلامًا، وكان عليّ ممن أقعد فلم يستطع حراكًا) بزنة سحاب، أي: حركة كما في القاموس **(وأضنى عبد الله بن أنيس، فمات كمدًا)** بفتح الكاف والميم حزنًا **(وكان أثبتهم أبو بكر جاء وعيناه تهملان)** بضم الميم **(وزفراته)** بزاي ففاء فراء أنفاسه **(تتردد)** مرة بعد مرة **(وغصصه:)** جمع غصة كغرف وغرفة شجاه **(تتصاعد وترتفع)** عطف تفسير **(فدخل على النبي ﷺ، فأكب عليه وكشف الثوب عن وجهه، وقال: طبت حيًا وميتًا وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء قبلك)** وهو النبوة والرسالة لأنك آخر الأنبياء **(فعظمت عن الصفة)** النعت، أي: أن كل صفة تقصر عنك **(وجللت عن البكاء)** لأنه لا يوازيك **(ولو أن موتك كان اختيارًا)** أي: لو خيرنا فيه وفي فدائك **(لجدنا لموتك بالنفوس، أذكرنا يا محمد عند ربك)** تعالىٰ **(ولنكن من بالك)**.

(ووقع في حديث ابن عباس وعائشة عند البخاري أن أبا بكر قبل النبي ﷺ بعد ما مات) قال الحافظ: ففيه كتقبيله لعثمٰن بن مظعون بعد موته جواز تقبيل الميت تعظيمًا وتبركًا **(كما قدمناه مطولاً)** عنهما.

وقد رواه البخاري مختصرًا تلو المطول، بلفظ عن عائشة وابن عباس؛ أن أبا بكر قبل النبي ﷺ بعد موته **(وكذا في رواية غيره)** أي البخاري **(وفي رواية يزيد)** بتحتية وزاي **(ابن بابنوس)** بموحدتين بينهما ألف غير مهموز وبعد الثانية المفتوحة نون مضمومة فواو ساكنة فسين مهملة، البصري، مقبول الرواية، خرج له أبو داود والنسائي **(عنها)** أي عائشة **(عند أحمد؛ أنه)** أي أبا بكر **(أتاه)** ﷺ **(من قبل رأسه، فحدر)** بمهملتين أبو بكر **(فاه)** أي: حط فم نفسه من

فاه وقبل جبهته ثم قال: وانبياه، ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته ثم قال: واصفياه، ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته وقال: واخليلاه.

وعند ابن أبي شيبة عن ابن عمر: فوضع فاه على جبين رسول الله ﷺ فجعل يقبله ويبكي ويقول: بأبي أنت وأمي، طبت حيًا وميتًا.

وعن عائشة: أن أبا بكر دخل على النبي ﷺ بعد وفاته، فوضع فاه بين عينيه، ووضع يديه على صدغيه وقال: وانبياه واخليلاه واصفياه. أخرجه ابن عرفة العبدي كما ذكره الطبري. قال: ولا تضاد بين هذا على تقدير صحته وبين ما تقدم مما تضمن ثباته، بأن يكون قد قال ذلك من غير انزعاج ولا قلق خافتًا به صوته، ثم التفت إليهم وقال لهم ما قال.

وأخرج البيهقي وأبو نعيم من طريق الواقدي عن شيوخه: أنهم شكوا في موته ﷺ، قال بعضهم: قد مات، وقال بعضهم: لم يمت، فوضعت أسماء بنت عميس يدها بين كتفيه ﷺ فقالت: قد توفي، قد رفع الخاتم من بين كتفيه، فكان

علو، أي: قيام (**فقبل جبهته ثم قال: وانبياه، ثم رفع رأسه**) أي: رأس نفسه (**فحدر فاه**) ثانيًا: (**وقبل جبهته، ثم قال: واصفياه، ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته**) ثالثًا: (**وقال واخليلاه**).

(**وعند ابن أبي شيبة عن ابن عمر**) عبد الله: (**فوضع**) أبو بكر (**فاه على جبين**) هو بمعنى جبهة (**رسول الله ﷺ، فجعل يقبله ويبكي ويقول: بأبي أنت وأمي طبت حيًا وميتًا**) فيه جواز التفدية بهما، وقد يقال هي لفظة اعتادت العرب أن تقولها ولا تقصد معناها الحقيقي، إذ حقيقة التفدية بعد الموت لا تتصور.

قاله الحافظ: (**وعن عائشة أن أبا بكر دخل على النبي ﷺ بعد وفاته، فوضع فاه بين عينيه**) أي المصطفى (**ووضع يديه على صدغيه وقال: وانبياه واخليلاه واصفياه**).

(**أخرجه**) الحسن (**بن عرفة**) بن يزيد (**العبدي**) أبو علي البغدادي، الصدوق، مات سنة سبع وخمسين ومائتين وقد جاوز المائة (**كما ذكره الطبري**) في الرياض (**قال: ولا تضاد**) لا تخلف (**بين هذا على تقدير صحته وبين ما تقدم مما تضمن ثباته بأن**) أي بسبب أن (**يكون قد قال ذلك من غير انزعاج ولا قلق خافتًا به صوته، ثم التفت إليهم وقال لهم ما قال**).

(**وأخرج البيهقي وأبو نعيم من طريق الواقدي**) محمد بن عمر بن واقد الأسلمي (**عن شيوخه؛ أنهم شكوا في موته ﷺ، قال بعضهم: قد مات، وقال بعضهم: لم يمت، فوضعت أسماء بنت عميس**) وكانت زوج الصديق يومئذٍ، وهي أم ابنه محمد وجدة القسم (**يدها بين**

هذا هو الذي قد عرف به موته. وأخرجه ابن سعد عن الواقدي أيضًا.

ولما توفي عليه الصلاة والسلام قالت فاطمة: يا أبتاه، أجاب ربًا دعاه، يا أبتاه، من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه مَنْ إلى جبريل ننعاه. رواه البخاري.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وقد قيل الصواب: إلى جبريل نعاه. جزم بذلك سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان. قال: والأول متوجه فلا معنى لتغليط الرواة بالظن.

وزاد الطبراني: يا أبتاه، من ربه ما أدناه.

كتفيه، فقالت: قد توفي، قد رفع الخاتم من بين كتفيه) وأورد أن النبوة والرسالة باقيتان بعد الموت حقيقة كما يبقى وصف الإيمان للمؤمن بعد موته فلم رفع ما هو علامة، وأجيب بأنه لما وضع لحكمة وهي تمام الحفظ والعصمة، وقد تم الأمر بالموت فلم يبق لبقائه في الجسد فائدة **(فكان هذا هو الذي عرف به موته)** أي أنه من جملة ما عرف به، وإلا فقد عرفه الصديق بشم ريح الموت من فمه، وبغير ذلك كما مر، أو المراد الذي عرف به للنساء.

(وأخرجه ابن سعد) محمد **(عن)** شيخه **(الواقدي أيضًا)** قال: حدثنا القسم بن إسحق عن أمه عن ابنها القسم بن محمد بن أبي بكر، عن أم معوية أنه لما مات رسول الله ﷺ، فذكره والواقدي متروك، وذكر مغلطاي في الزهد: أن الحاكم روى في تاريخه عن عائشة أنها لمست الخاتم حين توفي ﷺ فوجدته قد رفع، قال الشامي: ولا أخًا له صحيحًا **(ولما توفي عليه الصلاة والسلام، قالت فاطمة: يا أبتاه)** أصله يا أبي، والفوقية بدل من التحتية، والألف للندبة والهاء للسكت **(أجاب ربا دعاه)** إلى حضرته القدسية **(يا أبتاه من جنة الفردوس)** بفتح ميم من مبتدأ والخبر قوله: **(مأواه:)** منزله، وحكي الطيبي عن نسخة من المصابيح: كسر الميم على أنها حرف جر، قال: والأول أولى. انتهى.

وعلى الثاني: فمن للتبعيض، أي: بعض جنة الفردوس خبر لقوله: مأواه **(يا أبتاه من إلى جبريل ننعاه)** بفتح النون الأولى وسكون الثانية: وإلى جارة.

(رواه البخاري) عن أنس من أفراده **(قال الحافظ ابن حجر: قد قيل الصواب إليّ)** بشد ياء المتكلم **(جبريل)** بالرفع فاعل **(نعاه)** أخبر بموته **(جزم بذلك سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان، قال)** الحافظ: **(والأول متوجه)** أي له وجه هو أنه لا يلزم أن الإخبار بالموت إنما يكون لغير العالم به بلقد يذكر للعالم به تأسفًا على ما فقده من خصاله المحمودة وتذكيرًا لما بينهما من المحبة والوصلة **(فلا معنى لتغليط الرواة بالظن، وزاد الطبراني)** والإسمعيلي: **(يا أبتاه من ربه ما أدناه)** ما أقربه.

وقد عاشت فاطمة رضي الله عنها بعده ﷺ ستة أشهر فما ضحكت تلك المدة، وحق لها ذلك.

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه وإن كان من ليلى على الهجر طاويا

وأخرج أبو نعيم عن علي قال: لما قبض ﷺ صعد ملك الموت باكيًا إلى السماء، والذي بعثه بالحق نبيًا لقد سمعت صوتًا من السماء ينادي: وامحمداه. الحديث.

كل المصائب تهون عند هذه المصيبة.

وفي سنن ابن ماجه: أنه ﷺ قال في مرضه: أيها الناس، إن أحد من الناس، أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإن أحدًا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي.

وقال أبو الجوزاء: كان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته مصيبة جاء أخوه ، بصافحه ويقول: يا عبد الله، اتق الله، فإن في رسول الله أسوة حسنة. ويعجبني قول

قال الحافظ: يؤخذ منه أن تلك الألفاظ إذا كان الميت متصفًا بها أنه لا يمنع ذكره بها بعد موته بخلاف ما إذا كانت فيه ظاهرًا وهو في الباطن بخلافه أولاً يتحقق اتصافه بها فتدخل في المنع (**وقد عاشت فاطمة بعده ﷺ ستة أشهر، فما ضحكت تلك المدة وحق لها**) بضم الحاء (**ذلك**) أي: عدم الضحك، وأنشد بيتًا لغيره:

(**على مثل ليلى يقتل المرء نفسه وإن كان من ليلى على الهجر طاوي**)

أي: على هجرها له مصرًا جاز ما به (**وأخرج أبو نعيم عن علي، قال: لما قبض ﷺ صعد ملك الموت باكيًا إلى السماء، والذي بعثه بالحق نبيًا لقد سمعت صوتًا من السماء ينادي: وامحمداه... الحديث كل المصائب تهون:**) تسهل (**عند هذه المصيبة**) إذ لا يساويها شيء (**وفي سنن ابن ماجه**) عن عائشة (**أنه ﷺ قال في مرضه**) الذي توفي فيه: (**أيها الناس إن أحد**) وفي رواية: أيما أحد (**من الناس أو من المؤمنين**) شك الراوي (**أصيب بمصيبة فليتعز**) يتصبر (**بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإن أحدًا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي**) أي: مصيبته بي (**وقال أبو الجوزاء**) بجيم وزاي أوس بن عبد الله الربعي بفتح الموحدة البصري، التابعي، الثقة.

(**كان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته المصيبة جاءه أخوه**) في الإسلام (**فصافحه، ويقول: يا عبد الله اتقِ الله**) واصبر على ما أصابك (**فإن في رسول الله ﷺ أسوة حسنة،**

القائل:

اصبر لكل مصيبة وتجلد   واعلم بأن المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فإنها   نوب تنوب اليوم تكشف في غد
وإذا أتتك مصيبة تشجى بها   فاذكر مصابك بالنبي محمد

ويرحم القائل:

تذكرت لما فرق الدهر بيننا   فعزيت نفسي بالنبي محمد
وقلت لها إن المنايا سبيلنا   فمن لم يمت في يومه مات في غد

كادت الجمادات تتصدع من ألم مفارقته ﷺ فكيف بقلوب المؤمنين؟ ولما فقده الجذع الذي كان يخطب إليه قبل اتخاذ المنبر حنَّ إليه وصاح. كان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال: هذه خشبة تحن إلى رسول الله ﷺ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه.

وروي أن بلالاً لما كان يؤذن بعد وفاته ﷺ وقبل دفنه، فإذا قال: أشهد أن محمدًا رسول الله، ارتج المسجد بالبكاء والنحيب. فلما دفن ترك بلال الأذان.

ويعجبني قول القائل:

(اصبر لكل مصيبة وتجلد   واعلم بأن المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فإنها   نوب تنوب اليوم تكشف في غد
وإذا أتتك مصيبة تشجى بها   فاذكر مصابك بالنبي محمد)

تشجى بفتح التاء وسكون المعجمة تحزن بها **(ويرحم الله القائل)**:

(تذكرت لما فرق الدهر بيننا   فعزيت نفسي بالنبي محمد
وقلت لها إن المنايا سبيلنا   فمن لم يمت في يومه مات في غد)

(كادت) قاربت: **(الجمادات تتصدع)** تنشق **(من ألم مفارقته ﷺ)** مستأنف لقصد الإخبار بالجزع عليه لكل موجود حتى لغير الحيوانات **(فكيف بقلوب المؤمنين، ولما فقده الجذع)** واحد جذوع النخل **(الذي كان يخطب عليه قبل اتخاذ المنبر حنَّ إليه وصاح)** صوت حتى نزل إليه والتزمه ومرت قصته **(كان الحسن)** البصري **(إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال: هذه خشبة تحن إلى رسول الله ﷺ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه)** لأنكم عقلاء.

(وروي أن بلالاً لما كان يؤذن بعد وفاته ﷺ وقبل دفنه، فإذا قال: أشهد أن محمدًا رسول الله ارتج) بشد الجيم **(المسجد)** أي: أهله، أي: تحركوا واضطربوا **(بالبكاء والنحيب،**

ما أمرَّ عيش من فارق الأحباب خصوصًا من كانت رؤيته حياة الألباب.

لو ذاق طعم الفراق رضوى لكان من وجده يميد
قد حملوني عذاب شوق يعجز عن حمله الحديد

وقد كانت وفاته ﷺ يوم الإثنين بلا خلاف، وقت دخوله المدينة في هجرته حين اشتد الضحاء، ودفن يوم الثلاثاء، وقيل ليلة الأربعاء.

فعند ابن سعد في الطبقات، عن علي: توفي رسول الله ﷺ يوم الإثنين، ودفن يوم الثلاثاء. وعنده أيضًا عن عكرمة، توفي يوم الإثنين، فحبس بقية يومه وليلته، ومن الغد حتى دفن من الليل، وعنده أيضًا: عن عثمان بن محمد الأخنسي: توفي يوم الإثنين حين زاغت الشمس ودفن يوم الأربعاء. وروى أيضًا عن أبيّ بن

فلما دفن ترك بلال الأذان. ما أمر عيش من فارق الأحباب خصوصًا من كانت رؤيته حياة الألباب:) العقول، وأنشد:

(لو ذاق طعم الفراق رضوى لكان من وجده يميد)
قد حملوني عذاب شوق يعجز عن حمله الحديد)

رضوى بفتح الراء جبل بالمدينة ويميد: يتحرك **(وقد كانت وفاته ﷺ يوم الاثنين بلا خلاف وقت دخوله المدينة في هجرته حين اشتد الضحاء)** بالفتح والمد قرب الزوال **(ودفن يوم الثلاثاء، وقيل:)** دفن **(ليلة الأربعاء)** فعند ابن سعد في الطبقات عن علي، قال: **(توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين)** وهذا مروي في الصحيح عن عائشة وأنس: **(ودفن يوم الثلاثاء)**.

وكذا رواه ابن سعد عن ابن المسيب، وأبي سلمة بن عبد الرحمٰن، وزعم ابن كثير أنه قول غريب **(وعنه)** أي ابن سعد **(أيضًا عن عكرمة)** أنه ﷺ **(توفي يوم الاثنين فحبس)** أي: منع من الدفن **(بقية يومه وليلته)** التالية له **(ومن الغد)** أي: يوم الثلاثاء **(حتى دفن من الليل)** أي: ليلة الأربعاء، وزعم ابن كثير؛ أن هذا قول الجمهور **(وعنده)** أي: ابن سعد **(أيضًا عن عثمٰن بن محمد)** بن المغيرة بن الأخنس **(الأخنسي)** بخاء معجمة ونون ومهملة نسبة إلى جده المذكور الثقفي الحجازي، صدوق له أوهام.

روى له الأربعة **(توفي يوم الاثنين حين زاغت:)** مالت **(الشمس، ودفن يوم الأربعاء)** ويأتي مثله عن سهل بن سعد، فحاصل الخلاف هل دفن يوم الثلاثاء أو ليلة الأربعاء أو يوم الأربعاء، ويمكن الجمع على تقدير صحة الكل بالتجوز في دفن يوم الثلاثاء على أن معناه شرع

عباس بن سهل عن أبيه عن جده: توفي يوم الإثنين، فمكث بقية يوم الإثنين والثلاثاء حتى دفن يوم الأربعاء. وعنده أيضًا: عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب: توفي يوم الإثنين حين زاغت الشمس.

ورثته عمته صفية بمراثي كثيرة منها قولها:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا ... وكنت بنا برًا ولم تك جافيا
وكنت رحيمًا هاديًا ومعلمًا ... ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكي النبي لفقده ... ولكن لما أخشى من الهجر آتيا
كأن على قلبي لذكر محمد ... وما خفت من بعد النبي المكاويا
أفاطم صلى الله رب محمد

في دفنه في يومه ثم تأخر لاختلافهما في المحل الذي يدفن فيه وهل يجعل له لحد أو شق، وطول الزمن بصلاتهم عليه فوجًا بعد فوج حتى دفن ليلة الأربعاء، وبالتجوز في قوله: يوم الأربعاء على أن معناه في الليلة التي صبيحتها يوم الأربعاء والعلم لله.

(وروى) ابن سعد **(أيضًا عن أبي)** بضم الهمزة وموحدة وتحتية ثقيلة **(ابن عباس بن (سهل)** بن سعد الأنصاري، الساعدي، فيه ضعف ماله في البخاري غير حديث واحد تقدم في الحيل النبوية، وروى له الترمذي وابن ماجه **(عن أبيه)** عباس الثقة.

روى له الشيخان وغيرهما **(عن جده)** الصحابي المشهور، قال: **(توفي)** ﷺ **(يوم الاثنين، فمكث يوم الاثنين والثلاثاء حتى دفن يوم الأربعاء وعنده)** أي: ابن سعد **(أيضًا عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب، قال: توفي يوم الاثنين حين زاغت)** بمعجمتين، أي: مالت **(الشمس)** للزوال **(ورثته عمته صفية بمراثي كثيرة، منها قولها:)** لكن هذا إنما نسبه ابن سعد وغيره لأختها أروى بنت عبد المطلب: **(ألا يا رسول الله كنت رجاءنا)** بالمد **(وكنت بنا برًا)** محسنًا رفيقًا **(ولم تك جافيًا)** معرضًا عنا، أو طاردًا لنا **(وكنت رحيمًا)** بالخلق **(هاديًا ومعلمًا)** لهم **(ليبك عليك اليوم من كان باكيًا)** فلا لوم عليه **(لعمرك:)** حياتك **(ما أبكي النبي لفقده)** أي: لمجرده **(ولكنني لما أخشى من الهجر آتيًا)** مفعول أخشى قدم عليه متعلقة **(كأن على قلبي لذكر محمد وما خفت)** عطف على ذكر، أي: ولما خفته **(من بعد النبي)** من الذل والاختلاف وتغير الأحوال **(المكاويا:)** اسم كان مؤخر جمع مكواة وهي الحديدة التي يحرق بها الجلد ونحوه.

والمعنى: كأن على قلبي نيرانًا من أثر المكاوي التي أحرقته لذكر محمد، وفي نسخة: المقاليا **(أفاطم)** بضم الميم وفتحها على لغة من ينتظر ومن لا .**(صلى الله رب محمد، على**

على جدث أمسى بيثرب ثاويا
فدى لرسول الله أمي وخالتي وعمي وخالي ثم نفسي وماليا
فلو أن رب الناس أبقى نبينا سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية وأدخلت جنات من العدن راضيا
أرى حسنًا أيتمته وتركته يبكّي ويدعو جده اليوم نائيا

ورثاه أبو سفيان بن الحارث فقال:

أرقت فبت ليلي لا يزول وليل أخي المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء وذاك فيما أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا يروح به ويغدوا جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه نفوس الناس أو كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا بما يوحى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالاً علينا والرسول لنا دليل

جدث) بجيم ودال ومثلثة لغة تهامة، وبها جاء القرءان يخرجون من الأجداث، ولغة نجد جدف بالفاء بدل المثلثة، أي: قبر **(أمسى بيثرب ثاويًا)** مقيمًا **(فدى)** القصير **(لرسول الله أمي وخالتي وعمي وخالي ثم نفسي، وماليًا)** بألف الإطلاق **(فلو أن رب الناس أبقى نبينا سعدنا، ولكن أمره كان ماضيًا عليك من الله السلام تحية، وأدخلت جنات من العدن راضيًا أرى حسنًا)** ابن فاطمة **(أيتمته وتركته يبكي)** بالتشديد **(ويدعو جده اليوم نائيًا)** بالنون، أي حال كونه بعيدًا.

(ورثاه أبو سفيٰن بن الحٰرث) بن عبد المطلب **(فقال: أرقت)**: سهرت **(فبت ليلي لا يزول)** لا ينقضي **(وليل أخي المصيبة فيه طول)** كثير **(وأسعدني:)** أعانني **(البكاء)** بالمد **(وذاك فيما أصيب المسلمون به)** إلى يوم القيامة **(قليل، لقد عظمت مصيبتنا وجلت)** على كل مصيبة **(عشية، قيل: قد قبض الرسول وأضحت أرضنا مما عراها:)** أصابها **(تكاد)** تقرب **(بنا جوانبها تميل فقدنا الوحي والتنزيل)** يحتمل أنه عطف مساو وأنه مغاير بجعل التنزيل القرءان والوحي ما عداه **(فينا يروح به)** يأتي وقت الرواح من الظهر **(ويغدو:)** يأتي وقت الغدوة أول النهار **(جبرئيل وذاك أحق من سالت)** أي: خرجت **(عليه نفوس الناس أو كادت تسيل)** تحتمل أو الإضراب والتنويع **(نبي كان يجلو الشك عنا بما يوحى إليه)** على لسان الملك **(وما يقول)** بالإلهام والمنام ونحوهما وكله وحي **(ويهدينا فلا نخشى ضلالاً علينا والرسول لنا**

أفاطم أن جزعت فذاك عذر ... وإن لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر ... وفيه سيد الناس الرسول

ورثاه الصديق بقوله:

لما رأيت نبينا متجدلاً ... ضاقت علي بعرضهن الدور
فارتاع قلبي عند ذاك لهلكه ... والعظم مني ما حييت كسير
أعتيق ويحك إن حبك قد ثوى ... فالصبر عنك لما بقيت يسير
يا ليتني من قبل مهلك صاحبي ... غيبت في جدث علي صخور
فلتحدثن بدائع من بعده ... تعيا بهن جوانح وصدور

ورثاه الصديق أيضاً بقوله:

ودعنا الوحي إذ وليت عنا ... فودعنا من الله الكلام
سوى ما قد تركت لنا رهينًا ... تضمنه القراطيس الكرام

ولقد أحسن حسان بقوله يرثيه:

بطيبة رسم للرسول ومعهد

دليل) على الهدى والصراط المستقيم صراط اللّه **(أفاطم إن جزعت)** بكسر الزاي، يعني لم تصبري **(فذاك عذر)** لأنها مصيبة لا تشابهها مصيبة **(وإن لم تجزعي)** بفتح الزاي، أي: صبرت **(ذاك السبيل)** لكل مخلوق **(فقبر أبيك سيد كل قبر)** بل سيد جميع الأمكنة **(وفيه سيد الناس الرسول)** بل سيد الخلق كلهم.

(ورثاه الصديق بقوله: لما رأيت نبينا متجدلاً) ملقيًا على الجدالة بفتح الجيم الأرض **(ضاقت عليّ بعرضهن)** أي: سعتهن **(الدور، فارتاع)** جواب لما دخلته الفاء على قلة **(قلبي عند ذاك لهلكه)** بضم الهاء وسكون اللام موته **(والعظم مني ما حييت)** مدة حياتي **(كسير أعتيق)** ينادي نفسه لأنه لقبه أو اسمه **(ويحك)** وقعت في ورطة لا تستحقها **(إن حبك)** بكسر الحاء محبوبك **(قد ثوى)** بفوقية بزنة حصى، أي هلك **(فالصبر عنك لما بقيت يسير)** أي: قل صبرك لموت محبوبك **(يا)** نفسي **(ليتني من قبل مهلك)** أي: موت **(صاحبي غيبت في جدث)** قبر **(على صخور فلتحدثن)** بنون التوكيد الثقيلة **(بدائع:)** جمع بدعة اسم من الابتداع، كالرفعة من الارتفاع، ثم غلب استعمالها فيما هو نقص في الدين أو زيادة **(من بعده تعيا بهن جوانح)** الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر **(وصدور، ورثاه الصديق أيضًا بقوله: ودعنا الوحي، إذ وليت عنا فودعنا)** بالتشديد **(من اللّه الكلام سوى ما قد تركت لنا رهينًا، تضمنه القراطيس:)** جمع قرطاس بكسر القاف أشهر من فتحها ما يكتب فيه **(الكرام، ولقد أحسن حسان بقوله: يرثيه بطيبة رسم)** أثر **(للرسول ومعهد)** بفتح الهاء منزل معهود به الهدى والنور

مبين وقد تعفو الرسوم وتهمد

ولا تنمحي الآيات من دار حرمه ... بها منبر الهادي الذي كان يصعد

وأوضح آيات وباقي معالم ... وربع له فيه مصلى ومسجد

بها حجرات كان ينزل وسطها ... من الله نور يستضاء ويوقد

معارف لم تطمس على العهد آيها ... أتاها البلى فالآي منها تجدد

عرفت بها رسم الرسول وعهده ... وقبرًا بها واراه في الترب ملحد

أطالت وقوفًا تذرف العين دمعها ... على طلل القبر الذي فيه أحمد

فبوركت يا قبر الرسول وبوركت ... بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد

وبورك لحد منك ضمن طيبًا ... عليه بناءٌ من صفيح منضد

تهيل عليه الترب أيد وأعين

(مبين) بين ظاهر لا يمكن إنكاره ما دامت الدنيا **(وقد تعفو:)** تدرس **(الرسوم)** غير رسمه ومعهده **(وتهمد)** بهاء قبل الميم تبلى، قالها: مد البالي من كل شيء **(ولا تنمحي)** تذهب **(الآيات من دار حرمه)** بفتح فسكون للوزن، وأصله بفتحتين **(بها منبر الهادي الذي كان يصعد)** بفتح العين يرقى عليه (و) بها **(أوضح آيات وباقي معالم)** آثار **(وربع)** منزل **(له فيه مصلى)** مكان صلاة **(ومسجد بها حجرات، كان ينزل وسطها)** بالسكون **(من الله نور)** القرءان والوحي **(يستضاء)** به من ظلمات الجهل **(ويوقد)** يقتبس منه أنوار الهدى **(معارف لم تطمس)** أي لم تمح **(على)** بعد **(العهد آيها:)** جمع آية، فإن **(أتاها البلى)** بالكسر والقصر الفناء **(فالآي منها تجدد)** ما بلي **(عرفت بها رسم الرسول وعهده:)** آثاره ومنزله **(وقبرًا بها واراه في الترب ملحد)** بضم الميم وكسر الحاء من الحد، أي جعل اللحد، وبعد هذا عند ابن هشام:

ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت ... عيون ومثلاها من الجن تسعد

تذكرن آلاء الرسول وما أرى ... لها محصيًا نفسي فنفسي تبلد

مفجعة قد شفها فقد أحمد ... فظلت لا آلاء الرسول تعدد

وما بلغت من كل أمر عشيره ... ولكن لنفسي بعد هذا توجد

وبعد هذا قوله: **(أطالت)** أي: العيون المذكورة في قوله: فأسعدت عيون **(وقوفًا تذرف)** بكسر الراء **(العين دمعها)** الذي في ابن هشام تذرف الدمع جهدها، وأيما كان فأخطأ من قال: أحسن منه أطلت، لأن أطالت للمطايا ولم تذكر **(على طلل القبر الذي فيه أحمد، فبوركت يا قبر الرسول وبوركت بلاد ثوى:)** أقام **(فيها)** حيًا وميتًا **(الرشيد المسدد)** هما من أسمائه عليه الصلاة والسلام كما مر **(وبورك لحد منك ضمن)** بشد الميم **(طيبًا)** من أسمائه **(عليه بناءٌ من صفيح)** حجارة عريضة **(منضد)** بعضه فوق بعض **(تهيل)** تصب **(عليه الترب)** مفعول فاعله **(أيد**

تباكت وقد غارت بذلك أسعد

لقد غيبوا حلمًا وعلمًا ورحمة عشية عالوه الثرى لا يوسد

وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم وقد وهنت منهم ظهور وأعضد

يبكون من تبكي السمٰوات موته ومن قد بكته الأرض والناس أكمد

فهل عدلت يومًا رزية هالك رزية يوم مات فيه محمد

وأعين تباكت، وقد غارت بذلك أسعد:) أنجم: جمع سعد، وسعود النجوم عشرة، بينها القاموس: **(لقد غيبوا حلمًا وعلمًا ورحمة عشية عالوه:)** جعلوا عليه **(الثرى:)** التراب **(لا يوسد، وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم، وقد وهنت:)** ضعفت **(منهم ظهور، وأعضد:)** جمع عضد **(يبكون من تبكي السمٰوت موته ومن قد بكته الأرض، والناس أكمد)** أشد كمدًا وهو الحزن المكتوم **(فهل عدلت يومًا رزية هالك)** مصيبة ميت **(رزية يوم مات فيه محمد)** كذا ثبتت هذه الأبيات في بعض نسخ المصنف، وهي من قصيدة عند ابن هشام من زيادته على ابن إسحٰق، رواها ابن هشام عن أبي زيد الأنصاري وبقيتها عنده:

تقطع فيه منزل الوحي عنهم وقد كان ذا نور يغور وينجد

يدل على الرحمٰن من يقتدى به وينقذ من هول الخزايا ويرشد

إمام لهم يهديهم الحق جاهدًا معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا

عفوّ عن الزلات يقبل عذرهم وإن يحسنوا فاللّٰه بالخير أجود

وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله فمن عنده تيسير ما يتشدد

فبينا هموا في نعمة اللّٰه بينهم دليل به نهج الطريقة يقصد

عزيز عليه أن يجوروا عن الهدى حريص على أن يستقيموا ويهتدوا

عطوف عليهم لا يثني جناحه إلى كنف يحنو عليهم ويمهد

فبينا همو في ذلك النور إذ غدا إلى نورهم سهم من الموت يقصد

فأصبح محمودًا إلى اللّٰه راجعًا تبكيه جفن المرسلات ويحمد

وأمست بلاد الحرم وحشًا بقاعها لغيبة ما كانت من الوحي تعهد

قفارًا سوى معمورة اللحد ضافها فقيد يبكيه بلاط وغرقد

ومسجده كالموحشات لفقده خلاء له فيه مقام ومقعد

فيا جمرة الكبرى له ثم أوحشت ديار وعرصات وربع ومولد

فبكي رسول اللّٰه يا عين جهرة ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد

ومالك لا تبكين ذا النعم التي على الناس منها سابغ يتغمد

فجودي عليه بالدموع وأعولي لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد

ورثاه حسان بقوله أيضاً:

كنت السواد لناظري فعمي عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

ولما تحقق عمر بن الخطاب رضي الله عنه موته ﷺ بقول أبي بكر، ورجع إلى قوله، قال وهو يبكي: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه، فلما كثروا اتخذت منبرًا لتسمعهم، فحن الجذع لفراقك، حتى جعلت يدك عليه فسكن، فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته، فقال: من يطع الرسول فقد أطاع الله، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد بلغ من

وما فقد الماضون مثل محمد ولا مثله حتى القيامة يفقد
اعف وأوفى ذمة بعد ذمة وأقرب منه نائلاً لا ينكد
وأبذل منه للطريف وتالد إذا ضن ذو مال بما كان يتلد
وأكرم بيتًا في البيوت إذا انتمى وأكرم جدًا أبطحيا يسوّد
وامنع ذروات وأثبت في العلا دعائم عز شامخات تشيد
وأثبت فرعًا في الفروع ومنبت وعودا كعود المزن فالعود أغيد
رباه وليدًا فاستتم تمامه على أكرم الخيرات رب ممجد
تناهت وصاة المسلمين بكفه فلا العلم محبور ولا الرأي يفند
أقول ولا يلقى لقولي عائب من الناس إلا عازب العقل مبعد
وليس هواي نازعًا عن ثنائه لعلي به في جنة الخلد أخلد
مع المصطفى أرجو بذاك جواره وفي نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد

(ورثاه حسان أيضًا بقوله):

(كنت السواد لناظري فعمي عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر)

(لا يرد على هذا كله ما رواه ابن ماجه وصححه الحاكم عن ابن أبي أوفى أنه ﷺ نهى عن المراثي، لأن المراد مراثي الجاهلية، وهي ندبهم الميت بما ليس فيه نحو: واكهفاه واجبلاه لا مطلقًا، فقد رثى حسان حمزة وجعفرًا وغيرهما في زمنه ﷺ ولم ينهه **(ولما تحقق عمر بن الخطاب موته ﷺ بقول أبي بكر الصديق: ورجع إلى قوله: قال وهو يبكي بأبي أنت وأمي)** أي: لو كان لي إلى الفداء سبيل لفديتك بأبوي فضلاً عن المال وغيره **(يا رسول الله لقد**

فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم، فقال تعالى: ﴿**وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح**﴾ الآية، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عنده، أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون، يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول. الخبر ذكره أبو العباس القصار في شرحه لبردة الأبوصيري، ونقله عن الرشاطي في كتابه «اقتباس الأنوار والتماس الأزهار» وذكره ابن الحاج في المدخل وساقه بتمامه، والقاضي عياض في «الشفاء» لكنه ذكر بعضه، ويقع في كثير من نسخ الشفاء: روي عن عمر بن الخطاب

كان لك جذع تخطب الناس عليه، فلما كثروا اتخذت منبرًا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه سكن) أي: سكت وترك الحنين **(فأمتك أولى:)** أحق **(بالحنين)** التألم **(عليك حين فارقتهم)**.

قال المجد: الحنين الشوق وشدة البكاء والطرب أو هو صوت الطرب عن حزن أو فرح **(بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته، فقال: من يطع الرسول فقد أطاع الله)** مر شرحه **(بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن)** مخففة من الثقيلة، أي: أنه **(بعثك آخر الأنبياء، وذكرك في أولهم)** أي: قدم ذكرك على ذكرهم **(فقال تعالى: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح﴾)** [الأحزاب/ ٧] فبدأ به بقوله: ومنك **(بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار)** من أمة الدعوة **(يودون:)** يتمنون **(أن يكونوا أطاعوك وهم)** أي: والحال أنهم **(بين أطباقها:)** جمع طبق وهي المنزلة والمرتبة واحدًا بعد واحد وما تراكم بعضه على بعض **(يعذبون)** بيان لما أورثهم دخولها وذكره لكشف حالهم، ولو حذف تم المعنى بدونه **(يقولون: يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول)** وقيل: المراد بأهل النار جميع أهلها على معنى أنهم تمنوا أن يكونوا من مطيعيه لرؤيتهم حسن حال أمته الذين أطاعوه، فتمنوا أنهم أدركوا زمانه وأطاعوه، ففيه فضله على سائر الأنبياء، وإلاَّ فكل طائفة جهنمية تود لو كانت أطاعت رسولها... **(الخبر ذكره أبو العباس القصار في شرحه لبردة الأبوصيري)** صوابه البوصيري كما مر كثيرًا لأنه نسبة إلى بوصير.

(ونقله عن الرشاطي) بضم الراء **(في كتابه اقتباس الأنوار والتماس الأزهار، وذكره ابن الحاج في المدخل وساقه بتمامه، والقاضي عياض في الشفاء، لكنه ذكر بعضه، ويقع في كثير من نسخ الشفاء)**.

(روى عن عمر بن الخطاب أنه قال في كلام بكى به النبي ﷺ ــ بتشديد الكاف ــ

رضي الله عنه أنه قال في كلام بكى به النبي ﷺ، بتشديد الكاف من بكى، والصواب فيها التخفيف، لأن هذا الكلام إنما سمع من عمر رضي الله عنه بعد موته ﷺ كما تقدم، ونبهت عليه في حاشية الشفاء والله أعلم. ويؤيد هذا قوله في الخبر نفسه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد اتبعك في عصر عمرك ما لم يتبع نوحًا في كبر سنه وطول عمره، فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل.

وأخرج ابن عساكر عن أبي ذؤيب الهذلي قال: بلغنا أن النبي ﷺ عليل،

من بكى، والصواب فيها التخفيف، لأن هذا الكلام إنما سمع من عمر بعد موته ﷺ كما تقدم، ونبهت عليه في حاشية الشفاء) وأجاب بعض شراحها؛ بأن التشديد يصح بحذف المفعول، أي: بكى به الناس النبي، أي: صيرهم باكين عليه، أو بكى نفسه كذلك، وهذا خير من دعوى الخطأ **(والله أعلم)**.

(ويؤيد هذا قوله في الخبر نفسه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في) أي مع **(عصر عمرك)** مدة النبوة ثلاث وعشرون سنة آمن فيها أزيد من مائة وعشرين ألفًا **(ما لم يتبع نوحًا في كبر سنه وطول عمره)** فقد لبث في قومه ألف سنة إلاَّ خمسين عامًا وما آمن معه إلاَّ قليل، قيل ستة: رجال ونساؤهم، وقيل: تسعة وسبعون زوجته المسلمة وبنوه حام وسام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون من غيرهم نصفهم رجال ونصفهم نساء ونوح فجملة من كان في السفينة ثمانون. **(وأخرج ابن عساكر عن أبي ذؤيب الهذلي)** الشاعر المشهور، اسمه خويلد بن خالد، ويقال: خالد بن خويلد كان فصيحًا كثير الغريب متمكنًا في الشعر، وعاش في الجاهلية دهرًا، وأدرك الإسلام فأسلم، وعامة شعره في إسلامه وحضر سقيفة بني ساعدة وسمع خطبة أبي بكر ورثى النبي ﷺ بقصيدة منها:

كسفت لمصرعه النجوم وبدرها وتزعزعت آطام بطن الأبطح

ثم انصرف إلى باديته، فأقام حتى توفي في خلافة عثمٰن بطريق مكة، قاله ابن منده، وقال غيره: مات بطريق إفريقية وكان غزاها، ورافق ابن الزبير لما توجه مبشرًا بالفتح، فدفنه ابن الزبير بيده، وقيل: مات غازيًا بأرض الروم، وقيل: بإفريقية، وقيل: في طريق مصر.

وعند ابن البرقي؛ أن أبا ذؤيب جاء إلى عمر في خلافته، فقال: أي العمل أفضل؟، قال: إيمان بالله، قال: قد فعلت، فأي العمل بعده أفضل؟، قال: الجهاد في سبيل الله، قال: كان ذلك علي وأنا لا أرجو جنة ولا أخشى نارًا، فتوجه من فوره غازيًا هو وابنه وابن أخيه أبو عبيد حتى أدركه الموت في بلاد الروم والجيش سائرون، فقال لابنه: إنكما لا تتركان علي جميعًا فاقترعا، فصارت القرعة لأبي عبيد، فأقام عليه حتى واراه.

فأوجس أَهل الحي خيفة على النبي ﷺ، وبت بليلة طويلة حتى إذا كان قرب السحر نمت فهتف بي هاتف في منامي وهو يقول:

خطب أجل أناخ بالإسلام | بين النخيل ومقعد الآطام
قبض النبي محمد فعيوننا | تذري الدموع عليه بالتسجام

فوثبت من نومي فزعًا، فنظرت إلى السماء فلم أر إلا سعد الذابح فعلمت أن النبي ﷺ قبض!! أو هو ميت، فقدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج إذا أهلوا للإحرام، فقلت: مه؟ فقيل: قبض رسول الله ﷺ.

ومن عجيب ما اتفق ما روي: أنهم لما أرادوا غسل النبي ﷺ قالوا: لا ندري، انجرد رسول الله ﷺ من ثيابه، كما نجرد موتانا أم نغسله عليه ثيابه، فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت، لا يدرون من هو: اغسلوا النبي ﷺ، وعليه ثيابه، فقاموا وغسلوه وعليه قميصه، يضعون الماء

(قال: بلغنا أن النبي ﷺ عليل) مريض (فأوجس:) أضمر (أهل الحي خيفة:) خوفًا (على النبي ﷺ، وبت بليلة طويلة حتى إذا كان قرب السحر) آخر الليل (نمت، فهتف بي هاتف في منامي وهو يقول:)

(خطب أجل أناخ بالإسلام | بين النخيل ومقعد الآطام)
(قبض النبي محمد فعيوننا | تذري الدموع عليه بالنسجام)

خطب، أي: أمر شديد عظيم والنسجام سيلان الدمع المنسجم القوي وهو بفتح التاء ككل ما وزنه تفعال إلاَّ التلقاء والتسباب (فوثبت من نومي فزعًا، فنظرت إلى السماء فلم أرَ إلاَّ سعد الذابح) اسم نجم، فتفاءلت به ذبحًا يقع في العرب كما في الرواية (فعلمت أن النبي ﷺ قبض، أو هو ميت) أي: قريب الموت (فقدمت المدينة ولأهلها ضجيج) بضاد معجمة وجيمين، صياح (بالبكاء كضجيج الحجيج إذا أهلوا للإحرام، فقلت: مه) استفهام والهاء للسكت، أي: ما هذا (فقيل: قبض رسول الله ﷺ، ومن عجيب ما اتفق ما روى: أنهم لما أرادوا غسل النبي ﷺ قالوا: لا ندري) ما نفعل (أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله عليه ثيابه، فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلاَّ وذقنه) بفتح الذال والقاف مجتمع لحييه جمع القلة أذقان كسبب وأسباب، والكثرة ذقون كأسد وأسود كما في المصباح (في صدره، ثم كلمهم مكلم من ناحية) جانب (البيت لا يدرون من هو: اغسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه، فقاموا) انتبهوا من النوم (فغسلوه وعليه قميصه،

فوق القميص ويدلكونه بالقميص. رواه البيهقي في دلائل النبوة.

وروى ابن ماجه بسند جيد عن علي يرفعه: «إذا أنا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئري بئر غرس». قال في النهاية: بفتح الغين المعجمة وسكون الراء والسين المهملة.

وقد روى ابن النجار: أنه عليه الصلاة والسلام قال: «رأيت الليلة أني على بئر من الجنة»، فأصبح على بئر غرس فتوضأ منها وبزق فيها.

وغسل ﷺ ثلاث غسلات، الأولى بالماء القراح، والثانية بالماء والسدر، والثالثة بالماء والكافور، وغسله علي، والعباس وابنه الفضل يعينانه، وقثم وأسامة وشقران مولاه ﷺ يصبون الماء وأعينهم معصوبة من وراء الستر. لحديث علي: «لا يغسلني إلا أنت فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه». رواه البزار والبيهقي.

يضعون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص.

رواه البيهقي في دلائل النبوة) وأصله في أبي داود عن عائشة وابن ماجه عن بريدة **(وروى ابن ماجه بسند جيد)** أي مقبول **(عن علي يرفعه: إذا أنا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئري)** أضافها إليه لأنه كان يشرب منها ويزق فيها **(بئر غرس.**

(قال في النهاية: بفتح الغين المعجمة وسكون الراء والسين المهملة) بئر بقباء **(وقد روى ابن النجار أنه عليه الصلاة والسلام قال: رأيت الليلة أني على بئر من الجنة، فأصبح)** أي: جاء صبيحة الرؤيا **(على بئر غرس، فتوضأ منها وبزق فيها)** ليحصل فيها بركته **(وغسل)** بالتخفيف وتشدد للمبالغة **(ﷺ ثلاث غسلات، الأولى بالماء القراح)** بفتح القاف خالص لم يخالطه كافور ولا حنوط ولا غير ذلك **(والثانية بالماء والسدر، والثالثة بالماء والكافور)** طيب معروف يكون من شجر ببلاد الهند والصين، يظل خلقًا كثيرًا وتألفه النمور وخشبه أبيض هش ويوجد في أجوافه الكافور، وهو أنواع ولونه أحمر، وإنما يبيض بالتصعيد، قاله القاموس: **(وغسله علي والعباس)** مبتدأ **(وابنه الفضل)** عطف عليه والخبر **(يعينانه)** في تقليب جسمه الشريف **(وقثم)** بضم القاف ومثلثة مفتوحة ابن العباس **(وأسامة)** بن زيد **(وشقران)** بضم المعجمة **(مولاه ﷺ يصبون الماء وأعينهم معصوبة)** أي: مربوطة بعصابة **(من وراء الستر)** حتى لا ينظرون جسده الشريف وهو يغسل خيفة أن يبدو ما لم يؤذن في النظر إليه، وضمير أعينهم للعباس ومن بعده لا لعلي، فإنه لم يعصب عينيه **(لحديث علي)** أوصاني النبي ﷺ **(لا يغسلني إلا أنت، فإنه لا يرى أحد عورتي إلاَّ طمست عيناه)** بفتح الطاء والميم زال ضوؤها وصورتها وهو تعليل

وأخرج البيهقي عن الشعبي قال: غسل علي النبي ﷺ فكان يقول وهو يغسله ﷺ: بأبي أنت وأمي طبت حيًا وميتًا.

أخرج أبو داود، وصححه الحاكم عن علي قال: غسلته ﷺ فذهبت أنظر ما يكون من الميت، فلم أر شيئًا، وكان طيبًا حيًا وميتًا.

وفي رواية ابن سعد: وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط.

قيل: وجعل علي على يده خرقة وأدخلها تحت القميص ثم اعتصروا قميصه، وحنطوا مساجده ومفاصله، ووضؤوا منه ذراعيه ووجهه وكفيه وقدميه وجمروه عودًا وندًا.

وذكر ابن الجوزي أنه روي عن جعفر بن محمد قال: كان الماء يستنقع في جفون النبي ﷺ فكان علي يحسوه. وأما ما روي أن عليًا لما غسله ﷺ امتص

لمقدر هو، فإني أخشى على غيرك أن تحين منه لفتة فتطمس عيناه، وأما أنت يا علي فأعرف تحرزك عن ذلك فلا أخشى عليك.

وروي أن علياً نودي وهو يغسله أن ارفع طرفك نحو السماء خوفًا أن يديم النظر إليه.

(**رواه البزار والبيهقي، وأخرج البيهقي عن الشعبي**) عامر بن شراحيل التابعي (**قال: غسل علي النبي ﷺ، فكان يقول وهو يغسله: بأبي أنت وأمي طبت حيًا وميتًا**).

(**وأخرج أبو داود وصححه الحاكم عن علي، قال: غسلته ﷺ، فذهبت أنظر ما يكون**) يوجد (**من الميت**) من الفضلات الخارجة بعد الموت وعند التغسيل (**فلم أرَ شيئًا وكان طيبًا حيًا وميتًا**).

(**وفي رواية ابن سعد: وسطعت**) أي: ارتفعت (**ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط، قيل: وجعل علي على يده خرقة، وأدخلها تحت القميص ثم واعتصروا قميصه وحنطوا**) أي: جعلوا الحنوط وهو كل طيب يخلط للميت خاصة (**مساجده ومفاصله، ووضؤوا منه**) ﷺ (**ذراعيه ووجهه وكفيه وقدميه وجمروه**) بالجيم بخروه (**عودا وندا**) بفتح النون وتكسر طيب معروف أو العنبر كما في القاموس.

(**وذكر ابن الجوزي أنه روي عن جعفر**) الصادق (**بن محمد**) الباقر (**قال: كان الماء يستنقع**) أي: يجتمع بكسر القاف (**في جفون النبي ﷺ، فكان علي يحسوه**) أي: يشربه بفمه.

(**وأما ما روي؛ أن عليًا لما غسله عليه الصلاة والسلام امتص**) أي: مص، وفي نسخة:

ماء محاجر عينيه فشربه، وأنه قد ورث بذلك علم الأولين والآخرين، فقال النووي: ليس بصحيح.

وفي حديث عروة عن عائشة قالت: كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية، أخرجه النسائي من رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة. واتفق عليه الأئمة الستة من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بزيادة: من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة. وليس قوله «من كرسف» عند الترمذي ولابن ماجه.

وزاد مسلم: أما الحلة فإنما شُبِّه على الناس فيها أنها اشتريت له ليكفن فيها، فتركت الحلة وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية، فأخذها عبد الله بن أبي بكر فقال: لأحبسنها حتى أكفن فيها نفسي، ثم قال: لو رضيها الله عز وجل لنبيه لكفنه فيها فباعها وتصدق بثمنها.

اقتلص، أي: أخذ من الاقتلاص (**ماء من محاجر عينيه فشربه، وأنه قد ورث بذلك علم الأولين والآخرين، فقال النووي ليس بصحيح**) وأقره السخاوي وغيره.

(**وفي حديث عروة عن عائشة، قالت: كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض**) في طبقات ابن سعد عن الشعبي إزار ورداء ولفافة (**سحولية**) بالضم والفتح.

(**أخرجه النسائي من رواية عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عروة**) عنها: (**واتفق عليه الأئمة الستة من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: بزيادة من كرسف**) قطن (**ليس فيها قميص ولا عمامة**) هذا نحو قوله تعالى: ﴿بغير عمد ترونها﴾، أي: بغير عمد أصلاً أو عمد غير مرئية (**وليس قوله: من كرسف عند الترمذي ولابن ماجه**).

(**وزاد مسلم**) في رواية من طريق أبي معاوية، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة: (**أما الحلة**) بضم المهملة وشد اللام ضرب من برود اليمن وهي إزار ورداء، ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين (**فإنما شُبِّه**) بضم المعجمة وكسر الموحدة شديدة، أي اشتبه (**على الناس فيها أنها اشتريت له ليكفن فيها، فتركت الحلة وكفن في ثلاثة أثواب بيض:**) جمع أبيض، وزنه في الأصل بضم الفاء، كأحمر وحمر، فأبدلت الضمة كثرة لتسلم الياء من قلبها واو لوقوعها بعد ضمة (**سحولية، فأخذها عبد الله بن أبي بكر**) الصديق (**فقال: لأحبسنها حتى أكفن فيها نفسي، ثم قال: لو رضيها الله لنبيه لكفنه فيها، فباعها وتصدق بثمنها**) وهذا من عائشة يدل على أن قولها ثلاثة أثواب عن علم وإيقان لا عن تخمين وحسبان.

وفي رواية له: أدرج رسول الله ﷺ في حلة يمنية كانت لعبد الله بن أبي بكر ثم نزعت عنه، وذكر الحديث.

وفي رواية أصحاب السنن الأربعة: فذكر لعائشة قولهم كفن في ثوبين وبرد حبرة، فقالت: قد أتي بالبرد ولكنهم ردوه ولم يكفنوه فيه. قال الترمذي: حسن صحيح.

وفي رواية البيهقي؛ في ثلاثة أثواب بيض سحولية جدد.

والسحولية: بفتح السين وضمها، قال النووي: والفتح أشهر، وهو رواية الأكثرين، وفي النهاية تبعًا للهروي، فالفتح منسوب إلى السحول وهو القصار، لأنه يسحلها، أي يغسلها، أو إلى سحول وهي قرية باليمن، وأما الضم فهو جمع سحل وهو الثوب الأبيض النقي، ولا يكون إلا من قطن، وفيه شذوذ لأنه نسب إلى الجمع، وقيل: إن اسم القرية بالضم أيضًا.

(**وفي رواية له**) لمسلم أيضًا من طريق علي بن مسهر، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت: (**أدرج رسول الله ﷺ في حلة يمنية**) بشد الياء، وهذه رواية العذرى لمسلم.

ورواه الصدقي يمانية بالألف وخفة الياء على الأفصح، لأن الألف بدل من ياء النسب فلا يجتمعان (**كانت لعبد الله بن أبي بكر، ثم نزعت عنه**) ﷺ (**وذكر الحديث**) بنحو ما قبله.

(**وفي رواية أصحاب السنن الأربعة: فذكر لعائشة قولهم: كفن في ثوبين وبرد**) بضم الموحدة (**حبرة:**) بكسر المهملة وفتح الموحدة والراء ثوب مخطط يؤتى به من اليمن روي بإضافة برد وتنوينه (**فقالت: قد أتي بالبرد، ولكنهم ردوه ولم يكفنوه فيه، وقال الترمذي:**) حديث (**حسن صحيح، وفي رواية البيهقي:**) كفن (**في ثلاثة أثواب بيض سحولية جدد:**) جمع جديد (**والسحولية بفتح السين وضمها، قال النووي والفتح: أشهر**) لغة (**وهو رواية الأكثرين**) لهذا الحديث.

ورواه الأقلون بالضم (**وفي النهاية تبعًا للهروي**) في الغريبين (**بالفتح منسوب إلى السحول وهو القصار**) للثياب (**لأنه يسحلها**) بزنة يمنعها (**أي: يغسلها**) وأصل معناه القشر والنحت (**أو إلى سحول**) بالفتح (**وهي قرية باليمن، وأما الضم فهو جمع سحل وهو الثوب الأبيض النقي**) بالنون (**ولا يكون إلا من قطن وفيه شذوذ، لأنه نسب إلى الجمع، وقيل: إن اسم القرية بالضم أيضًا**) فيكون نسب إليها (**والكرسف ـ بضم الكاف ـ وإسكان الراء

والكرسف: بضم الكاف وإسكان الراء، وضم السين المهملتين والفاء: القطن.

وقال الترمذي: روي في كفن النبي ﷺ روايات مختلفة، وحديث عائشة أصح الأحاديث في ذلك، والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من الصحابة وغيرهم.

وقال البيهقي في «الخلافيات»: قال أبو عبد الله ـ يعني الحاكم ـ: تواترت الأخبار عن علي بن أبي طالب وابن عباس وعائشة وابن عمر، وجابر وعبد الله بن مغفل، في تكفين النبي ﷺ في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة.

وعن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن ابن الحنفية عن علي: أن رسول الله ﷺ كفن في سبعة أثواب، وقد روى هذا الحديث أحمد في مسنده، وذكر ابن حزم: أن الوهم فيه من ابن عقيل أو ممن بعده.

وقد اختلف في معنى قوله: «ليس فيها قميص ولا عمامة».

فالصحيح أن معناه: أنه ليس في الكفن قميص ولا عمامة أصلاً.

والثاني: أن معناه أن كفن في ثلاثة أثواب خارج عن القميص والعمامة.

وضم السين المهملتين والفاء ـ القطن).

(**قال الترمذي: روي في كفن النبي ﷺ روايات مختلفة، وحديث عائشة**) هذا (**أصح الأحاديث في ذلك، والعلم عليه عند أكثر أهل العلم من الصحابة وغيرهم**) فله مرجحان (**وقال البيهقي في الخلافيات: قال أبو عبد الله، يعني:**) شيخه (**الحاكم**) محمد بن عبد الله (**تواترت الأخبار عن علي بن أبي طالب وابن عباس وعائشة وابن عمر وجابر وعبد الله بن مغفل**) بمعجمة وفاء وزن محمد (**في تكفين النبي ﷺ في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة، وعن عبد الله بن محمد بن عقيل**) بفتح فكسر ابن أبي طالب صدوق في حديثه لين (**عن ابن الحنفية**) محمد بن علي بن أبي طالب، اشتهر بأمه، ثقة عالم، من رجال الجميع (**عن علي أن رسول الله ﷺ كفن في سبعة أثواب**).

(**وقد روى هذا الحديث أحمد في مسنده، وذكر ابن حزم أن الوهم فيه من ابن عقيل**) عبد الله، لأن في حديثه لينًا، ويقال أنه تغير بأخرة (**أو ممن بعده**) من الرواة.

(**وقد اختلف في معنى قوله: ليس فيها قميص ولا عمامة، فالصحيح**) عند جماعة (**أنه ليس في الكفن قميص ولا عمامة أصلاً، والثاني أن معناه أنه كفن في ثلاثة أثواب خارج**

وقال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد: والأول أظهر في المراد، وذكر النووي في شرح مسلم أن الأول تفسير الشافعي وجمهور العلماء، قال: وهو الصواب الذي يقتضيه ظاهر الحديث، وقال: إن الثاني ضعيف، فلم يثبت أنه ﷺ كفن في قميص وعمامة، انتهى.

وترتب على هذا اختلافهم: في أنه هل يستحب أن يكون في الكفن قميص وعمامة أم لا؟

فقال مالك والشافعي وأحمد: يستحب أن تكون الثلاثة لفائف، ليس فيها قميص ولا عمامة واختلفوا في زيادة القميص والعمامة أو غيرهما على اللفائف الثلاثة لتصير خمسة، فذكر الحنابلة أنه مكروه، وقال الشافعية: إنه جائز غير مستحب، وقال المالكية: إنه يستحب للرجال والنساء، وهو في حق النساء آكد. قالوا: والزيادة إلى السبعة غير مكروهة، وما زاد عليها سرف، وقال الحنفية: الثلاثة، إزار وقميص ولفافة.

وقد أجمع المسلمون على وجوبه، وهو فرض كفاية فيجب في ماله، فإن لم يكن له مال فعلى من تلزمه نفقته.

عن **القميص والعمامة)** قال المصنف في شرح مسلم ورجح كل منهما **(وقال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، والأول أظهر في المراد، وذكر النووي في شرح مسلم، أن الأول تفسير الشافعي وجمهور العلماء، قال وهو الصواب الذي يقتضيه ظاهر الحديث.**

وقال أن الثاني ضعيف، فلم يثبت أنه ﷺ كفن في قميص وعمامة. انتهى) وهو مشترك الإلزام، فلم يثبت أنه لم يكفن فيهما، والحديث يحتمل الوجهين **(وترتب على هذا)** الخلاف **(اختلافهم في أنه هل يستحب أن يكون في الكفن قميص وعمامة أم لا ؟، فقال لملك والشافعي وأحمد: يستحب أن تكون الثلاثة لفائف ليس فيها قميص ولا عمامة، واختلفوا)** بعد هذا **(في زيادة القميص والعمامة أو غيرهما على اللفائف الثلاثة لتصير خمسة، فذكر الحنابلة أنه مكروه، وقال الشافعية: إنه جائز)** مستوى **(غير مستحب)** ولا مكروه.

(وقال المالكية: أنه يستحب للرجال والنساء وهو في حق النساء آكد) أشد في الاستحباب **(قالوا: والزيادة إلى السبعة غير مكروهة وما زاد عليها سرف، وقال الحنفية: الثلاثة إزار وقميص ولفافة، وقد أجمع المسلمون على وجوبه)** أي: الكفن **(وهو فرض كفاية فيجب في ماله)** أي: الميت **(فإن لم يكن له مال فعلى من تلزمه نفقته)** لأنه من توابع

واختلف أصحابنا في المتزوجة إذا كان لها مال، هل يجب تكفينها من مالها، أو هو على زوجها، فذهب إلى الأول الرافعي في «الشرح الصغير» و «المحرر» والنووي في «المنهاج». وذهب إلى الثاني: الرافعي في «الشرح الكبير» والنووي في «الروضة» و «شرح المهذب» وقال فيه: قيد الغزالي وجوب التكفين على الزوج بشرط إعسار المرأة، وأنكروه عليه.

ومتى كانت معسرة فتكفينها على زوجها قطعًا، ثم إن الواجب ثوب واحد، وهو حق الله تعالى، لا تنفذ وصية الميت بإسقاطه، بخلاف الثاني والثالث فإنه حق للميت، تنفذ وصيته بإسقاطهما.

وفي هذا الحديث أيضًا دلالة على أن القميص الذي غسل فيه النبي ﷺ نزع عنه عند تكفينه. قال النووي في شرح مسلم: وهذا هو الصواب الذي لا يتجه غيره، لأنه لو بقي مع رطوبته لأفسد الأكفان. قال: وأما الحديث الذي في سنن أبي داود عن ابن عباس أن النبي ﷺ كفن في ثلاثة أثواب: الحلة ثوبان وقميصه الذي توفي فيه، فحديث ضعيف، لا يصح الاحتجاج به، لأن يزيد بن

الحياة.

(**واختلف أصحابنا في المتزوجة إذا كان لها مال هل يجب تكفينها من مالها أو هو على زوجها، فذهب إلى الأول الرافعي في الشرح الصغير**) على وجيز الغزالي (**والمحرر والنووي في المنهاج، وذهب إلى الثاني**) وهو المعتمد عندهم (**الرافعي في الشرح الكبير**) على الوجيز (**والنووي في الروضة وشرح المهذب**).

(**وقال فيه قيد الغزالي: وجوب الكفن على الزوج بشرط إعسار المرأة وأنكروه عليه، و**) ذلك لأنها متى كانت معسرة، فتكفينها على زوجها قطعًا) وإنما الخلاف إذا كانت موسرة (**ثم إن الواجب ثوب واحد**) يستر جميع بدنه (**وهو حق الله تعالى، لا تنفذ وصية الميت بإسقاطه بخلاف الثاني والثالث، فإنه حق للميت تنفذ وصيته بإسقاطهما، وفي هذا الحديث أيضًا دلالة على أن القميص الذي غسل فيه النبي ﷺ نزع عنه عند تكفينه**) من قولها: كفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية.

(**قال النووي في شرح مسلم: وهذا هو الصواب الذي لا يتجه غيره، لأنه لو أبقي مع رطوبته**) بماء الغسل (**لأفسد الأكفان، قال: وأما الحديث الذي في سنن أبي داود عن ابن عباس؛ أن النبي ﷺ كفن في ثلاثة أثواب الحلة ثوبان وقميصه الذي توفي فيه، فحديث**

زياد، أحد رواته مجمع على ضعفه، لا سيما وقد خالف بروايته الثقات.

وفي حديث ابن عباس عند ابن ماجه: لما فرغوا من جهازه ﷺ يوم الثلاثاء، وضع على سريره في بيته ثم دخل الناس عليه ﷺ أرسالاً يصلون عليه، حتى إذا فرغوا دخل النساء، حتى إذا فرغن دخل الصبيان، ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد.

وفي رواية: إن أول من صلى عليه ﷺ الملائكة أفواجًا، ثم أهل بيته، ثم الناس فوجًا فوجًا، ثم نساؤه آخرًا.

وروي أنه لما صلى أهل بيته لم يدر الناس ما يقولون فسألوا ابن مسعود، فأمرهم أن يسألوا عليًا فقال لهم: قولوا: **﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾** الآية، لبيك اللهم ربنا وسعديك، صلوٰت الله البر الرحيم، والملائكة المقربين،

ضعيف لا يصلح الاحتجاج به) لضعفه **(لأن يزيد بن زياد أحد رواته مجمع على ضعفه، لا سيما وقد خالف بروايته الثقات)** فتكون شاذة لو كان ثقة.

(وفي حديث ابن عباس عند ابن ماجه: لما فرغوا من جهازه) بفتح الجيم وكسرها لغة قليلة **(ﷺ يوم الثلاثاء وضع على سريره في بيته، ثم دخل الناس عليه ﷺ أرسالاً)** بفتح أوله، أي: جماعات متتابعين **(يصلون عليه، حتى إذا فرغوا دخل النساء، حتى إذا فرغن دخل الصبيان ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد)** فاعل يؤم.

قال ابن كثير: هذا أمر مجمع عليه، واختلف في أنه تعبد لا بعقل معناه، أو ليباشر كل واحد الصلاة عليه منه إليه، وقال السهيلي: قد أخبر الله تعالى أنه وملائكته يصلون عليه، وأمر كل واحد من المؤمنين أن يصلي عليه، فوجب على كل أحد أن يباشر الصلاة عليه منه إليه، والصلاة عليه بعد موته من هذا القبيل، قال: وأيضًا فإن الملائكة لنا في ذلك أئمة. انتهى.

وقال الشافعي في الأم، وذلك لعظم أمره ﷺ وتنافسهم فيمن يتولى الصلاة عليه **(وفي رواية؛ أن أول من صلى عليه الملائكة أفواجًا، ثم أهل بيته، ثم الناس فوجًا فوجًا، ثم نساؤه آخرًا)** على ما روي عند الطبراني وغيره بسند واهٍ أنه أخبر بذلك قبل موته وتقدم.

(وروي أنه لما صلى أهل بيته لم يدر الناس ما يقولون، فسألوا ابن مسعود، فأمرهم أن يسألوا عليًا) لأنه أعلم منه بذلك، فسألوه **(فقال لهم: قولوا: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾... الآية)** لعل حكمة الأمر بها تذكيرهم بالصلاة والسلام عليه في هذا الموطن **(لبيك اللهم ربنا)** إجابة لك بعد إجابة فيما أمرتنا به من الصلاة والتسليم عليه **(وسعديك)** إسعادًا بعد

والنبيين والصدقين والشهداء والصالحين، وما سبح لك من شيء يا رب العالمين، على محمد بن عبد الله خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين، الشاهد البشير الداعي إليك بإذنك السراج المنير، وعليه السلام، ذكره الشيخ زين الدين بن الحسين المراغي في كتابه تحقيق النصرة.

ثم قالوا: أين تدفنونه؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ

إسعاد (**صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين**)، كالأربعة (**والنبيين والصديقين**): أفاضل أصحاب الأنبياء (**والشهداء والصالحين وما سبح لك من شيء**) وإن من شيء إلاَّ يسبح بحمده، فهو عبارة عن دوام الصلاة أبدًا (**يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد**) أي: أفضل (**المرسلين وإمام**) قدوة (**المتقين ورسول رب العالمين**) إلى الخلق أجمعين (**الشاهد**) على أمته وعلى الأمم بأن أنبياءهم بلغوهم (**البشير**) للمؤمنين (**الداعي إليك بإذنك:**) بإرادتك (**السراج المنير، وعليه السلام ذكره الشيخ زين الدين بن الحسين المراغي**) بفتح الميم وغين معجمة، من مراغة الصعيد ومن أفاضل جماعة الأسنوي (**في كتابه تحقيق النصرة**) في تاريخ دار الهجرة: وظاهر هذا أن المراد ما ذهب إليه جماعة أنه لم يصل عليه الصلاة المعتادة، وإنما كان الناس يأتون فيدعون.

قال الباجي: ووجهه أنه ﷺ أفضل من كل شهيد، والشهيد يغنيه فضله عن الصلاة عليه، فهو ﷺ أولى، قال: وإنما فارق الشهيد في الغسل، لأن الشهيد حذر من غسله إزالة الدم عنه وهو مطلوب بقاؤه لطيبه، ولأنه عنوان لشهادته في الآخرة، وليس على النبي ﷺ ما تكره إزالته فافترقا. انتهى.

لكن قال عياض: الصحيح الذي عليه الجمهور أن الصلاة على النبي ﷺ كانت صلاة حقيقية لا مجرد الدعاء فقط. انتهى.

وأجيب عما اعتل به الأولون بأن المقصود من الصلاة عليه عود التشريف على المسلمين مع أن الكامل يقبل زيادة التكميل، نعم. لا خلاف أنه لم يؤمهم أحد عليه كما مر لقول علي: هو إمامكم حيًا وميتًا، فلا يقوم عليه أحد... الحديث.

رواه ابن سعد وأخرج الترمذي؛ أن الناس قالوا لأبي بكر: أنصلي على رسول الله ﷺ؟، قال: نعم، قالوا: وكيف نصلي؟، قال: يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون، ثم يدخل قوم فيصلون فيكبرون ويدعون فرادى (**ثم قالوا**) بعد الفراغ من الصلاة: (**أين تدفنونه؟**) فقال ناس عند المنبر، وقال آخرون: بالبقيع كما في الموطأ وغيره (**فقال أبو بكر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول ما هلك**) أي: مات (**نبي قط إلا يدفن حيث تقبض روحه، وقال علي:**

يقول: ما هلك نبي قط إلا يدفن حيث تقبض روحه، وقال علي: وأنا أيضًا سمعته.

وحفر أبو طلحة لحد رسول الله ﷺ في موضع فراشه حيث قبض.

وقد اختلف فيمن أدخله قبره، وأصح ما روي: أنه نزل في قبره عمه العباس وعلي وقثم بن العباس والفضل بن العباس، وكان آخر الناس عهدًا برسول الله ﷺ قثم بن العباس.

وروي أنه بني في قبره تسع لبنات، وفرش تحته قطيفة نجرانية كان يتغطى بها، فرشها شقران في القبر، وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك.

قال النووي: وقد نص الشافعي وجميع أصحابه وغيرهم من العلماء على كراهة وضع قطيفة أو مضربة أو مخدة ونحو ذلك تحت الميت في القبر. وشذ

وأنا أيضًا سمعته).

أخرجه ابن ماجه وغيره، ورواه الترمذي بلفظ: ما قبض اللّه نبيًا إلاَّ في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه، وفي الموطأ بلفظ: ما دفن نبي قط إلاَّ في مكانه الذي توفي فيه، فحفر له فيه **(وحفر أبو طلحة)** زيد بن سهل الأنصاري **(لحد رسول اللّه ﷺ في موضع فراشه حيث قبض)** وروى ابن سعد: اختلفوا في الشق واللحد، فقال المهاجرون: شقوا كأهل مكة، وقالت الأنصار: الحدوا كما نحفر بأرضنا، فقالوا: بعثوا إلى أبي عبيدة وأبي طلحة، فأيهما جاء قبل الآخر فليعمل عمله، فجاء أبو طلحة، فقال: واللّه إني لأرجو أن يكون اللّه قد اختار لنبيه أنه كان يرى اللحد فيعجبه، فالحد له.

(وقد اختلف فيمن أدخله قبره، وأصح ما روي أنه نزل في قبره عمه العباس وعلي وقثم) بقاف مضمومة ومثلثة مفتوحة **(ابن العباس والفضل بن العباس)** ويقال: دخل معهم أوس بن خولي بفتح المعجمة وسكون الواو، وقيل بفتحها **(وكان آخر الناس عهدًا برسول اللّه ﷺ قثم بن العباس)** أي؛ أنه تأخر في القبر حتى خرجوا قبله.

(وروي أنه بنى في قبره تسع لبنات:) جمع لبنة **(وفرش تحته قطيفة)** بفتح القاف وكسر المهملة وسكون التحتية ففاء كساء له خمل **(نجرانية:)** بفتح النون وإسكان الجيم بلد بين اليمن وهجر **(كان يتغطى بها)** ويروى: كان يجلس عليها، ولا خلف لجواز أنه فعل الأمرين **(فرشها شقران)** بضم الشين وإسكان القاف مولاه ﷺ **(في القبر، وقال: واللّه لا يلبسها أحد بعدك)**.

(قال النووي: وقد نص الشافعي وجميع أصحابه وغيرهم من العلماء على كراهة وضع قطيفة أو مضربة أو مخدة ونحو ذلك تحت الميت في القبر وشذ) انفرد **(البغوي من**

البغوي من أصحابنا فقال في كتابه «التهذيب»: لا بأس بذلك لهذا الحديث، والصواب كراهية ذلك كما قاله الجمهور، وأجابوا عن هذا الحديث: بأن شقران انفرد بفعل ذلك، ولم يوافقه أحد من الصحابة، ولا علموا بذلك، وإنما فعله شقران لما ذكرناه عنه من كراهته أن يلبسها أحد بعد النبي ﷺ. انتهى.

وفي كتاب «تحقيق النصرة» قال ابن عبد البر: ثم أخرجت، يعني القطيفة من القبر لما فرغوا من وضع اللبنات التسع. حكاه ابن زبالة.

ولما دفن ﷺ جاءت فاطمة رضي الله عنها فقالت: كيف طابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟ وأخذت من تراب القبر الشريف ووضعته على عينيها وأنشأت تقول:

ماذا على من شم تربه أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليا

أصحابنا) الشافعية **(فقال في كتابه التهذيب لا بأس بذلك)** أي: يجوز **(لهذا الحديث) والصواب كراهة ذلك، كما قاله الجمهور، وأجابوا عن هذا الحديث؛ بأن شقران انفرد بفعل ذلك ولم يوافقه أحد من الصحابة ولا علموا بذلك، وإنما فعله شقران لما ذكرنا عنه من كراهته أن يلبسها أحد بعد النبي ﷺ. انتهى)**. كلام النووي.

(وفي كتاب تحقيق النصرة) للزين المراغي **(قال ابن عبد البر: ثم أخرجت، يعني القطيفة من القبر لما فرغوا من وضع اللبنات التسع، حكاه)** محمد بن الحسن **(بن زبالة)** بفتح الزاي وخفة الموحدة المخزومي، أبو الحسن المدني، كذبوه ومات قبل المائتين، روى له أبو داود، وفي الإلفية:

وفرشت في قبره قطيفة وقيل أخرجت وهذا أثبت

(ولما دفن ﷺ جاءت فاطمة رضي الله عنها، فقالت: كيف طابت) لفظ البخاري من حديث أنس عقب قولها السابق إلى جبريل تتعلق، فلما دفن قالت فاطمة: أطابت **(نفوسكم أن تحثوا)** بفتح الفوقية وإسكان المهملة وضم المثلثة **(على رسول الله ﷺ التراب)**.

قال الحافظ: هذا من رواية أنس عن فاطمة، وأشارت بذلك إلى عتابهم على إقدامهم على ذلك، لأنه يدل على خلاف ما عرفته منهم من رقة قلوبهم عليه لشدة محبتهم له، وسكت أنس عن جوابها رعاية لها، ولسان حاله يقول: لم تطب أنفسنا بذلك إلا أنا قهرنا على فعله امتثالاً لأمره **(وأخذت من تراب القبر الشريف ووضعته على عينيها)** هذا زائد على ما في البخاري **(وأنشأت تقول):**

(ماذا عليّ من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليا)

صبت علـيَّ مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا

قال رزين: ورش قبره ﷺ، رشه بلال بن رباح بقربة، بدأ من قبل رأسه. حكاه ابن عساكر. وجعل عليه من حصباء العرصة حمراء وبيضاء. ورفع قبره عن الأرض قدر شبر.

وفي حديث عائشة عند البخاري قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» لولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أو خُشي أن يُتخذ قبره مسجدًا.

كذا في رواية أبي عوانة عن هلال «خَشي أو خُشي» على الشك. فرواية

(صبت علـيَّ مصائب لو أنها اصبت على الأيام عدن لياليا) الغوالي بمعجمة: جمع غالية أخلاط من الطيب، وروي أنها قالت:

أغبر آفاق السماء وكورت شمس النهار وأظلم العصران

والأرض من بعد النبي كئيبة أسفا عليه كثيرة الرجفان

فليبكه شرق البلاد وغربها وليبكه مضر وكل يماني

(قال رزين) بن معْوية السرقسطي: **(ورش قبره ﷺ، رشه بلال بن رباح بقربة، بدأ من قبل رأسه، حكاه ابن عساكر وجعل عليه من حصباء العرصة حمراء وبيضاء)** حال من حصباء، يعني أنه أخذ من الحصباء الموصوفة بما ذكر شيء ووضع على قبره **(ورفع قبره عن الأرض قدر شبر)** فهو مسنم.

(وفي حديث عائشة عند البخاري) في موضعين من الجنائز، وفي المغازي ومسلم في الصلاة **(قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه)** وفي رواية: الذي توفي فيه **(لعن الله اليهود والنصارى)** يعني: أبعدهم عن رحمته **(اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)** بالجمع للكشميهني.

ورواه غيره مسجدًا بالإفراد على إرادة الجنس وهو في اليهود واضح، أما النصارى، فإنما لهم نبي واحد ولا قبر له، مع أنهم لا يقولون أنه نبي، بل ابن أو إله، أو غير ذلك على اختلاف مللهم الباطلة، وأجيب بعود الضمير على اليهود فقط بدليل رواية الاقتصار عليهم، وبأن المراد من أمروا بالإيمان بهم من الأنبياء السابقين، كنوح وإبراهيم **(لولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خَشي)** ﷺ **(أو خُشي)** بالبناء للمفعول والفاعل الصحابة أو عائشة؛ **(أن يتخذ)** بضم أوله وفتح ثالثه **قبره مسجدًا، كذا في رواية أبي عوانة)** بفتح العين اسمه الوضاح بن عبد الله **(عن هلال)** بن

«الضم» مبهمة يمكن أن تفسر بأنها هي التي منعت من إبرازه، والهاء ضمير الشأن، وكأنها أرادت نفسها ومن وافقها على ذلك. وهذا يقتضي أنهم فعلوه باجتهاد، بخلاف رواية الفتح فإنها تقتضي أن النبي ﷺ هو الذي أمرهم بذلك.

وقوله: «لأبرز قبره» لكشف قبره ولم يتخذ عليه الحائل. أو المراد: لدفن خارج بيته ﷺ، وهذا قالته عائشة رضي الله عنها قبل أن يوسع المسجد، ولهذا لما وسع المسجد جعلت حجرتها مثلثة الشكل محددة، حتى لا يتأتى لأحد أن يصلي إلى جهة القبر الكريم مع استقباله القبلة.

وفي البخاري أيضًا من حديث أبي بكر بن عياش عن سفيان التمار: أنه حدثه أنه رأى قبر النبي ﷺ مسنمًا أي مرتفعًا. زاد أبو نعيم في «المستخرج»: وقبر أبي بكر وعمر كذلك.

واستدل به على أن المستحب تسنيم القبور، وهو قول أبي حنيفة ومالك

حميد الجهني، عن عروة، عن عائشة، عند البخاري في الموضع الثاني: **(خشي أو خشي على الشك)** وعنده في الموضع الأول، عن شيبان، عن هلال: غير أني أخشى أن يتخذ مسجدًا بالجزم **(فرواية الضم)** للخاء **(مبهمة، يمكن أن تفسر بأنها)** أي: عائشة **(هي التي منعت من إبرازه)** بدليل رواية غير أني أخشى **(والهاء)** في قولها: غير أنه **(ضمير الشأن، وكأنها أرادت نفسها ومن وافقها على ذلك، وهذا يقتضي أنهم فعلوا ذلك باجتهاد)** منهم **(بخلاف رواية الفتح)** للخاء **(فإنها تقضي أن النبي ﷺ هو الذي أمرهم بذلك)**.

(وقوله: لأَبرز قبره، أي: لكشف قبره ولم يتخذ عليه الحائل، أو المراد لدفن خارج بيته ﷺ، وهذا قالته عائشة قبل أن يوسع المسجد) النبوي **(ولهذا لما وسع المسجد جعلت حجرتها مثلثة الشكل محددة حتى لا يتأتى لأحد أن يصلي إلى جهة القبر الكريم مع استقباله القبلة)**.

(وفي البخاري أيضًا) في الجنائز **(من حديث أبي بكر بن عياش)** بتحتية وشين معجمة ابن سالم الأَسدي، الكوفي، مشهور بكينته، والأصح أنها اسمه **(عن سفيْن التمار)** بالفوقية، قال الحافظ: هو ابن دينار على الصحيح، وقيل: ابن زياد، والصواب أنه غيره، وكل منهما كوفي وهو من كبار أتباع التابعين، وقد لحق عصر بعض الصحابة ولم أرَ له رواية عن صحابي؛ **(أنه حدثه أنه رأى قبر النبي ﷺ مسنمًا)** بضم الميم وشد النون المفتوحة **(أي: مرتفعًا)**.

(زاد أبو نعيم في المستخرج وقبر أبي بكر وعمر كذلك) مسنمًا كل منهما **(واستدل به على أن المستحب تسنيم القبور وهو قول أبي حنيفة وملك وأحمد والمزني وكثير**

وأحمد والمزني وكثير من الشافعية، وادعى القاضي حسين اتفاق الأصحاب عليه. وتعقب: بأن جماعة من قدماء الشافعية استحبوا التسطيح كما نص عليه الشافعي. وبه جزم الماوردي وآخرون.

وقول سفيان التمار لا حجة فيه، كما قال البيهقي لاحتمال أن قبره ﷺ في الأول لم يكن مسنمًا. فقد روى أبو داود والحاكم من طريق القاسم بن محمد بن أبي بكر قال: دخلت على عائشة فقلت: يا أمه، اكشفي لي عن قبر النبي ﷺ فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة، مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء. زاد الحاكم: فرأيت رسول الله ﷺ مقدمًا وأبا بكر رأسه بين كتفي النبي ﷺ، وعمر رأسه عند رجلي النبي ﷺ. وهذا كان في خلافة معاوية. فكأنها كانت في الأول مسطحة، ثم لما بني جدار القبر في إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة من قبل الوليد بن عبد الملك صيروها مرتفعة.

من الشافعية، وادعى القاضي حسين اتفاق الأصحاب عليه، وتعقب بأن جماعة من قدماء الشافعية استحبوا التسطيح كما نص عليه الشافعي، وبه جزم الماوردي وآخرون) لأن النبي ﷺ سطح قبر ابنه إبراهيم وفعله حجة لا فعل غيره، وأجيب بأن الله تعالىٰ لا يختار لنبيه إلاَّ الأفضل، وفعله هو لبيان الجواز **(وقول سفيٰن التمار لا حجة فيه كما قال البيهقي لاحتمال أن قبره ﷺ في الأول لم يكن مسنمًا)** في الأزمنة الماضية قبل رؤية التمار **(فقد روى أبو داود والحاكم من طريق القٰسم بن محمد بن أبي بكر)** الصديق **(قال: دخلت على عائشة)** عمته **(فقلت: يا أمه اكشفي لي عن قبر النبي ﷺ)** وصاحبيه **(فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة)** أي: لا هي مرتفعة كثيرًا **(ولا لاطئة)** أي: لاصقة بالأرض **(مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء)** يقال: لطيء بكسر الطاء، ولطأ بفتحها، أي: لصق، وغاية ما يفيده هذا أنها لم تكن غاية في الارتفاع وهو المطلوب، فكيف يتأتى احتمال أنه لم يكن مسنمًا.

(زاد الحاكم: فرأيت رسول الله) أي: قبره **(ﷺ مقدمًا وأبا بكر رأسه بين كتفي النبي ﷺ وعمر رأسه عند رجلي النبي ﷺ)** قال أبو اليمين بن عساكر وهذه صفته.

النبي ﷺ عمر رضي الله تعالىٰ عنه

أبو بكر رضي الله تعالىٰ عنه

(وهذا) أي: رؤية القٰسم لها **(كان في خلافة معٰوية، فكأنها كانت في الأول مسطحة)** من أين هذا الترجي **(ثم لما بني جدار القبر في إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة من قبل)** بكسر ففتح **(الوليد بن عبد الملك صيروها مرتفعة)**.

وقد روى أبو بكر الآجري في كتاب «صفة قبر النبي ﷺ» من طريق إسحٰق بن عيسى بن بنت داود بن أبي هند، عن عثيم بن نسطاس المدني قال: رأيت قبر النبي ﷺ في إمارة عمر بن عبد العزيز: فرأيته مرتفعًا نحوًا من أربع أصابع، ورأيت قبر أبي بكر وراء قبره، ورأيت قبر عمر وراء قبر أبي بكر أسفل منه.

ثم الاختلاف في ذلك في أيهما أفضل، لا في أصل الجواز، ورجح المزني التسنيم من حيث المعنى، بأن المسطح يشبه ما يصنع للمجوس، بخلاف المسنم.

ويرجح التسطيح ما رواه مسلم من حديث فضالة بن عبيد أنه أمر بقبر فسوي ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها.

(وقد روى أبو بكر الآجري) بضم الجيم وتشديد الراء المهملة نسبة إلى عمل الآجر وبيعه وإلى درب الآجر كما في اللب الحافظ الإمام، المحدث القدوة، محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي: كان عالماً عاملاً دينًا صاحب سنة، توفي في محرم سنة ست وثلاثمائة **(في كتاب صفة قبر النبي ﷺ من طريق إسحٰق بن عيسى)** القشيري البصري، صدوق يخطئ، وهو **(ابن بنت داود بن أبي هند)** البصري **(عن عثيم)** بمهملة فمثلثة مصغر **(ابن نسطاس)** بكسر النون وسكون المهملة **(المدني)** وهو أخو عبيد مولى آل كثير بن الصلت، تابعي مقبول كما في التقريب، ونسخة: بسطام تحريف **(قال: رأيت قبر النبي ﷺ في إمارة عمر بن عبد العزيز)** على المدينة من جهة ابن عمه الوليد **(فرأيته مرتفعًا نحوًا من أربع أصابع، ورأيت قبر أبي بكر وراء قبره، ورأيت قبر عمرو وراء قبر أبي بكر أسفل منه)** ورواه أبو نعيم بزيادة وصوره لنا.

المصطفى

أبو بكر

عمر

(ثم الاختلاف في ذلك في أيهما أفضل لا في أصل الجواز) فإن كلا جائز **(ورجح المزني التسنيم من حيث المعنى؛ بأن المسطح يشبه ما يصنع للمجوس)** وفي نسخة: للجلوس، والذي في الفتح للمجوس **(بخلاف المسنم)** ورجحه ابن قدامة؛ بأنه يشبه أبنية أهل الدنيا وهو من شعار أهل البدع، فكان التسنيم أولى، هكذا في الفتح قبل قوله: **(ويرجح التسطيح ما رواه مسلم من حديث فضالة)** بفتح الفاء **(ابن عبيد)** بضم العين **(أنه أمر بقبر فسوي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها)** وقد رد على من قال إنه صار شعار الروافض؛ بأن السنة لا تترك بموافقة أهل البدع عليها.

وعن هشام بن عروة عن أبيه: لما سقط عليهم الحائط، يعني حائط حجرة النبي ﷺ في زمان الوليد بن عبد الملك، أخذوا في بنائه، فبدت لهم قدم ففزعوا وظنوا أنها قدم النبي ﷺ، فما وجدوا أحدًا يعلم ذلك حتى قال لهم عروة: والله ما هي قدم النبي ﷺ، والله ما هي إلا قدم عمر، ورواه البخاري أيضًا.

والسبب في ذلك ما رواه الآجري من طريق شعيب بن إسحٰق عن هشام بن عروة قال: أخبرني أبي قال: كان الناس يصلون إلى القبر الشريف، فأمر به عمر بن عبد العزيز فرفع حتى لا يصلي إليه أحد، فلما هدم بدت قدم بساق وركبة، ففزع عمر بن عبد العزيز فأتاه عروة فقال: هذه ساق عمر وركبته فسري عن عمر بن عبد العزيز.

وروى الآجري قال رجاء بن حيوة: فكان قبر أبي بكر عند وسط النبي ﷺ،

(وعن هشام بن عروة عن أبيه، قال: لما سقط عليهم الحائط، يعني: حائط حجرة النبي ﷺ في زمان الوليد بن عبد الملك) بن مروان **(أخذوا في بنائه، فبدت)**: ظهرت **(لهم قدم، ففزعوا وظنوا أنها قدم النبي ﷺ، فما وجدوا أحدًا يعلم ذلك حتى قال لهم عروة:)** فيه التفات، والأصل: حتى قلت لهم: **(والله ما هي قدم النبي ﷺ، ما هي إلاَّ قدم عمر)**.

(رواه البخاري أيضًا) من طريق علي بن مسهر، عن هشام، عن أبيه: **(والسبب في ذلك ما رواه الآجري من طريق شعيب بن إسحٰق عن هشام بن عروة، قال: أخبرني أبي، قال: كان الناس يصلون إلى القبر الشريف، فأمر به عمر بن عبد العزيز، فرفع حتى لا يصلي إليه أحد، فلما هدم بدت قدم بساق وركبة، ففزع عمر بن عبد العزيز، فأتاه عروة، فقال: هذه ساق عمر وركبته، فسري عن عمر بن عبد العزيز)** أي: أزيل عنه الفزع.

(وروى الآجري) أيضًا عن رجاء بن حيوة، قال: كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز وكان اشترى حجر أزواج النبي ﷺ، أن اهدمها ووسع بها المسجد، فقعد ناحية ثم أمر بهدمها، فما رأيت باكيًا أكثر من يومئذٍ، ثم بناه كما أراد، فلما أن بني البيت على القبر وهدم البيت الأول ظهرت القبور الثلاثة وكان الرمل الذي كان عليها قد انهار، ففزع عمر بن عبد العزيز وأراد أن يقوم فيسويها بنفسه، فقلت له: أصلحك الله، إن قمت قام الناس معك، فلو أمرت رجلاً أن يصلحها ورجوت أن يأمرني بذلك، فقال: يا مزاحم، يعني: مولاه قم فأصلحها.

(قال رجاء بن حيوة) بفتح المهملة وسكون التحتية وفتح الواو، الكندي، التابعي، الثقة، الفقيه، مات سنة ثنتي عشرة ومائة، روى له مسلم والأربعة: **(فكان قبر أبي بكر عند وسط**

وعمر خلف أبي بكر، رأسه عند وسطه، وهذا ظاهره يخالف حديث القاسم، فإن أمكن الجمع، وإلا فحديث القاسم أصح.

وأما ما أخرجه أبو يعلى من وجه آخر عن عائشة: أبو بكر عن يمينيه وعمر عن يساره فسنده ضعيف. انتهى ملخصًا من فتح الباري.

وقد اختلف أهل السير وغيرهم في صفة القبور المقدسة على سبع روايات، أوردها ابن عساكر في «تحفة الزائر» ونقل أهل السير عن سعيد بن المسيب قال: بقي في البيت موضع قبر في السهوة الشرقية يدفن فيه عيسى بن مريم عليهما السلام، ويكون قبره الرابع.

النبي ﷺ وعمر خلف أبي بكر رأسه عند وسطه، وهذا ظاهره يخالف حديث القٰسم) المتقدم أن أبا بكر رأسه عند كتفي المصطفى، ورأس عمر عند رجليه **(فإن أمكن الجمع)** بالتجوز في الوسط بأن يراد به ما بين الكتفين والتجوز أيضًا على بعد في قوله: وعمر... الخ.

(وإلاَّ) يمكن لبعده جدًا **(فحديث القٰسم أصح)** فيقدم عليه **(وأما ما أخرجه أبو يعلى من وجه آخر عن عائشة: أبو بكر عن يمينه ﷺ وعمر عن يساره، فسنده ضعيف. انتهى ملخصًا من فتح الباري).**

(وقد اختلف أهل السير وغيرهم في صفة القبور المقدسة على سبع روايات، أوردها) أبو اليمن **(بن عساكر في)** كتابه **(تحفة الزائر)** خمسة منها ضعيفة، والصحيح منها روايتان:

إحداهما ما تقدم عن القٰسم والأخرى: وبها جزم رزين وغيره وعليها الأكثر، كما قال المصنف في الفصل الثاني، وقال النووي: إنها المشهورة والسمهودي إنها أشهر الروايات أن قبره ﷺ إلى القبلة مقدمًا بجدارها، ثم قبر أبي بكر حذاء منكبي النبي ﷺ وقبر عمر حذاء منكبي أبي بكر وهذا صفتها.

المصطفى

الصديق

الفاروق

ومرت واحدة من الضعيفة ولا حاجة لذكر باقيها **(ونقل أهل السير عن سعيد بن المسيب)** أنه **(قال: بقي في البيت موضع قبر في السهوة)** بفتح السين المهملة وإسكان الهاء، قال في النهاية بيت صغير منحدر في الأرض قليلاً شبيه بالمخدع والحزانة، وقيل: هو كالصفة يكون بين البيت، وقيل: شبيه بالرف أو الطاق يوضع فيهما الشيء **(الشرقية، يدفن فيه عيسى بن مريم عليهما السلام ويكون قبره الرابع، وفي المنتظم)** اسم كتاب **(لابن الجوزي**

وفي «المنتظم» لابن الجوزي: عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: ينزل عيسى ابن مريم إلى الأرض، فيتزوج ويولد له ويمكث خمسًا وأربعين سنة ثم يموت فيدفن معي في قبري، فأقوم أنا وعيسى ابن مريم من قبر واحد بين أبي بكر وعمر. كذا ذكره في «تحقيق النصرة» والله أعلم.

فإن قلت: تقدم أنه عليه الصلاة والسلام توفي يوم الإثنين، ودفن يوم الأربعاء، فلمَ أخر دفنه؟ وقد قال لأهل بيت أخروا دفن ميتهم: عجلوا دفن ميتكم ولا تؤخروه.

فالجواب: لما ذكر من عدم اتفاقهم على موته، أو لأنهم كانوا لا يعلمون حيث يدفن، قال قوم بالبقيع وقال آخرون: بالمسجد، وقال قوم: يحمل إلى أبيه إبراهيم حتى يدفن عنده، حتى قال العالم الأكبر صديق الأمة: سمعته يقول: ما دفن نبي إلا حيث يموت. ذكره ابن ماجه والموطأ كما تقدم. وفي رواية الترمذي:

عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: ينزل عيسى بن مريم إلى الأرض) آخر الزمان **(فيتزوج ويولد له ويمكث خمسًا وأربعين سنة)**.

وعند أحمد بسند صحيح عن أبي هريرة، رفعه أنه يمكث في الأرض أربعين سنة وهذا أصح، وما في مسلم أنه يلبث سبع سنين فمؤول بقوله: فيه ليس بين اثنين عداوة **(ثم يموت فيدفن معي في قبري، فأقوم أنا وعيسى بن مريم من قبر واحد بين أبي بكر وعمر، كذا ذكره في تحقيق النصرة)** في تاريخ دار الهجرة **(والله أعلم)** بصحته والمنكر منه قوله خمسًا وأربعين.

(فإن قلت: تقدم أنه عليه الصلاة والسلام توفي في يوم الاثنين ودفن يوم الأربعاء، فلم أخر دفنه، وقد قال لأهل بيت أخروا دفن ميتهم: عجلوا دفن ميتكم ولا تؤخروه).

وفي الصحيح: أسرعوا بجنائزكم، فإنما هو خير تقدموه إليه... الحديث **(فالجواب:)** أخروه **(لما ذكر من عدم اتفاقهم على موته)** فأخروه حتى تيقنوه **(أو لأنهم كانوا لا يعلمون حيث يدفن، قال قوم بالبقيع:)** لأنه دفن فيه من مات بالمدينة في حياته من أصحابه.

(وقال آخرون: بالمسجد) لأنه أفضل المساجد أو من أفضلها **(وقال قوم: يحمل إلى أبيه إبراهيم حتى يدفن عنده، حتى قال العالم الأكبر صديق الأمة: سمعته)** ﷺ **(يقول: ما دفن نبي إلاَّ حيث يموت)** أي: في المكان الذي تقبض روحه فيه **(ذكره)** أي: رواه **(ابن ماجه والموطأ)** أي: صاحبه **(كما تقدم)** بلا عزو.

(وفي رواية الترمذي: ما قبض الله نبيًا إلاَّ في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه،

ما قبض الله نبيًا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه، ادفنوه في موضع فراشه.

أو لأنهم اشتغلوا في الخلاف الذي وقع بين المهاجرين والأنصار في البيعة، فنظروا فيها حتى استقر الأمر في الخلافة ونظامها، فبايعوا أبا بكر، ثم بايعوه بالغد بيعة أخرى على ملتهم، وكشف الله به الكربة من أهل الردة، ثم رجعوا بعد ذلك إلى النبي ﷺ، فنظروا في دفنه فغسلوه وكفنوه ودفنوه.

ولما قبض ﷺ تزينت الجنان ليوم قدوم روحه الكريمة، لا كزينة المدينة يوم قدوم الملك.

إذا كان عرش الرحمٰن قد اهتز لموت بعض أتباعه فرحًا واستبشارًا لقدوم روحه، فكيف بقدوم روح الأرواح.

ولما قدم ﷺ المدينة لعبت الحبشة بحرابهم فرحًا بقدومه. كما رواه أبو داود من حديث أنس، وفي رواية الدارمي قال أنس: ما رأيت يومًا كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ المدينة، وما رأيت يومًا كان أقبح ولا

ادفنوه في موضع فراشه) فحفروا له تحته **(أو لأنهم اشتغلوا في الخلاف الذي وقع بين المهاجرين والأنصار في البيعة)** فقال الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، سمعت رسول الله ﷺ يقول: الأئمة من قريش **(فنظروا فيها حتى استقر الأمر في الخلافة ونظمها)** وأجمعوا **(فبايعوا أبا بكر، ثم بايعوه بالغد بيعة أخرى على ملتهم:)** جماعتهم، وقوله: **(وكشف الله به الكربة من أهل الردة)** لا محل له هنا، لأن قتاله لهم إنما وقع بعد ذلك بمدة، فكيف يصح قوله: **(ثم رجعوا بعد ذلك إلى النبي ﷺ، فنظروا في دفنه، فغسلوه وكفنوه ودفنوه، ولما قبض ﷺ تزينت الجنان ليوم قدوم روحه المقدسة:)** زينة **(لا كزينة المدينة يوم قدوم الملك)** السلطان **(إذا كان عرش الرحمٰن قد اهتز:)** تحرك **(لموت بعض أتباعه)** سعد بن معاذ **(فرحًا واستبشارًا لقدوم روحه، فكيف بقدوم روح الأرواح، ولما قدم ﷺ المدينة لعبت الحبشة بحرابهم:)** بكسر الحاء جمع حربة **(فرحًا بقدومه، كما رواه أبو داود من حديث أنس)** بن لملك.

(وفي رواية الدارمي: قال أنس: ما رأيت يومًا كان أحسن ولا أضوأ:) أشد ضياء وهو فرط النور **(من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ المدينة، وما رأيت يومًا كان أقبح:)** أشنع

أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ.

وفي رواية الترمذي: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا أيدينا من التراب، وإنا لفي دفنه، حتى أنكرنا قلوبنا.

ومن آياته عليه الصلاة والسلام ما ذكر من بعد موته، من حزن حماره عليه حتى تردى في بئر وكذا ناقته فإنها لم تأكل ولم تشرب حتى ماتت.

ومن ذلك: ظهور ما أخبر أنه كائن بعد موته، مما لا نهاية له ولا عد يحصيه، مما ذكرت بعضه في المقصد الثامن.

وفي حديث أبي موسى عند مسلم: أنه ﷺ قال: «إن الله إذا أراد بأمة خيرًا قبض نبيها قبلها، فجعله فرطًا وسلفًا بين يديها، وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها

(ولا أظلم:) أشد ظلمة **(من يوم مات فيه رسول الله ﷺ)**.

(وفي رواية الترمذي) في المناقب: وقال صحيح غريب عن أنس: **(لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء)** بحلوله فيها، وفي البخاري عن البراء: ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ **(فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء وما نفضنا أيدينا من التراب وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا)**.

قال الحافظ: يريد أنهم وجدوها، تغيرت عما عهدوه في حياته من الإلفة والصفاء والرقة لفقدان ما كان يمدهم به من التعليم والتأييد **(ومن آياته عليه الصلاة والسلام بعد موته ما ذكر من حزن حماره)** يعفور عليه **(حتى تردى:)** ألقى نفسه **(في بئر)** لأبي الهيثم بن التيهان يوم مات ﷺ، فكانت البئر قبرًا للحمار، وقع ذلك في حديث طويل ذكره ابن حبان في الضعفاء، وقال: لا أصل له، وساقه المصنف في المعجزات **(وكذا ناقته؛ فإنها لم تأكل ولم تشرب حتى ماتت، ومن ذلك ظهور ما أخبر أنه كائن بعد موته مما لا نهاية له ولا عد يحصيه مما ذكرت بعضه في المقصد الثامن)**.

(وفي حديث أبي موسى) عبد الله بن قيس الأشعري **(عند مسلم)** في فضائل النبي ﷺ، وهو كما قال القرطبي وغيره أحد الأحاديث الأربعة عشر الواقعة في مسلم، منقطعة لأنه قال في أوله: حدثنا عن أبي أسامة، وممن روى ذلك عنه إبراهيم بن سعد الجوهري، قال: حدثنا أبو أسامة، قال: حدثني بريد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى **(أنه ﷺ قال: إن الله إذا أراد بأمة خيرًا)** لفظ مسلم؛ إن الله إذا أراد رحمة أمة من عباده **(قبض نبيها قبلها،**

حي، فأهلكها وهو ينظر، فأقر عينيه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره».

وإنما كان قبض النبي قبل أمته خيرًا، لأنهم إذا قبضوا قبله انقطعت أعمالهم، وإذا أراد الله بهم خيرًا جعل خيرهم مستمرًا ببقائهم محافظين على ما أمروا به من العبادات وحسن المعاملات نسلاً بعد نسل وعقبًا بعد عقب.

الفصل الثاني

في زيارة قبره الشريف ومسجده المنيف

اعلم أن زيارة قبره الشريف من أعظم القربات، وأرجى الطاعات، والسبيل إلى أعلى الدرجات، ومن أعتقد غير هذا فقد انخلع من ربقة الإسلام، وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الأعلام.

فجعله لها فرطًا) بفتحتين بمعنى الفارط المتقدم على الماء يهيىء السقي، قال الطيبي: يريد أنه ‌« ميع يتقدم، قال بعض المحققين: والظاهر منه المرجو أن له ﷺ شفاعة ونفعًا غير مأمنة يوم القيامة، فإنها لا تتفاوت بالموت قبل أو بعد، ولأن الفرط يهيىء قبل الورود، ويؤيده ما نقل من حضوره عند الموت والميت **(وسلفًا بين يديها)** قيل: عطف مرادف أو أعم، وفائدة التقديم الأُنس وقلة كربة الغربة ونحو ذلك **(وإذا أراد هلكة)** بفتح الهاء واللام هلاك **(أمة عذبها ونبيها حي، فأهلكها وهو ينظر، فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره)** كما وقع لأَمة نوح وهود وصالح ولوط **(وإنما كان قبض النبي قبل أمته خيرًا لأنهم إذا قبضوا قبله انقطعت أعمالهم، وإذا أراد الله بهم خيرًا جعل خيرهم مستمرًا ببقائهم محافظين على ما أمروا به من العبادات وحسن المعاملات نسلاً بعد نسل وعقبًا بعد عقب)** تعقبه بعضهم بأنه لا خفاء أن قوله: فجعله... الخ، إشارة إلى علة التقدم، فقوله: أنهم إذا ماتوا انقطع عملهم والخير في بقائهم نسلاً بعد نسل مستغنى عنه مع أن فيه ما فيه. انتهى، أي: من تعليله بخلاف ما علل به الحديث.

الفصل الثاني في بيان حكم **زيارة قبره الشريف ومسجده المنيف**

المرتفع الزائد في الشرف على غيره **(اعلم أن زيارة قبره الشريف من أعظم القربات وأرجى الطاعات)** عبر به تفننًا **(والسبيل:)** الطريق **(إلى أعلى الدرجات، ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من ربقة الإسلام)** بكسر الراء وإسكان الموحدة وفتح القاف، أي: عقدة، قال في النهاية: الربقة في الأصل عروة من حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها، فاستعارها للإسلام، يعني: ما يشد به المسلم نفسه من عرى الإسلام، أي حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه **(وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الأعلام)**.

وقد أطلق بعض المالكية، وهو أبو عمران الفاسي، كما ذكره في المدخل عن تهذيب الطالب لعبد الحق، أنها واجبة، قال: ولعله أراد وجوب السنن المؤكدة.

وقال القاضي عياض: أنها سنة من سنن المسلمين مجمع عليها، وفضيلة مرغب فيها.

وروى الدارقطني من حديث ابن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: من زار قبري وجبت له شفاعتي، ورواه عبد الحق في أحكامه الوسطى، وفي الصغرى وسكت عنه وسكوته عن الحديث فيهما دليل على صحته.

(**وقد أطلق بعض المالكية وهو أبو عمران**) موسىٰ بن عيسى الفقيه (**الفاسي**) بالفاء إلى فاس بالمغرب (**كما ذكره في المدخل عن تهذيب الطالب لعبد الحق إنها**) أي: الزيارة (**واجبة، قال: ولعله أراد وجوب السنن المؤكدة**) طلبها بحيث أشبهت الواجب، وقد صرح الجمال الأقفهسي في شرح الرسالة بأنها سنة مؤكدة.

(**وقال القاضي عياض**) في الشفاء (**إنها سنة من سنن المسلمين مجمع عليها**) أي: على كونها سنة مأثورة (**وفضيلة مرغب فيها**) بصيغة المفعول مشدد، أي: رغب السلف فيها وحثوا عليها.

(**وروى الدارقطني**) وأبو الشيخ وابن أبي الدنيا، كلهم (**من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: من زار قبري وجبت**) أي: تحققت وثبتت، فلا بدّ منها بالوعد الصادق وليس المراد الوجوب الشرعي.

وروي: حلت (**له شفاعتي**) أي: أخصه بشفاعة ليست لغيره لا عمومًا ولا خصوصًا تناسب عظيم عمله، إما بزيادة نعيم أو تخفيف هول، ذلك اليوم عنه، أو دخول الجنة بلا حساب، أو رفع درجاته بها، أو بزيادة شهود الحق والنظر إليه أو بغير ذلك، أو المراد أن الزائر يفرد بشفاعة عما يحصل لغيره، ويكون إفراده تشريفًا وتنويهًا بسبب الزيارة، أو المراد ببركة الزيارة يجب دخول الزائر في عموم من تناله الشفاعة، وفائدته البشرى بموته على الإسلام وإضافة الشفاعة له لإفادة أنها عظيمة، إذ هي تعظم بعظم الشافع ولا أعظم منه عليه الصلاة والسلام ولا أعظم من شفاعته كما قاله السبكي وغيره.

(**ورواه عبد الحق في أحكامه الوسطى، وفي الصغرى: وسكت عنه**) أي: التكلم في سنده بالقدح (**وسكوته عن الحديث فيهما**) أي: الوسطى والصغرى (**دليل على صحته**) أراد

وفي المعجم الكبير للطبراني: أن النبي ﷺ قال: «من جاءني زائرًا لا تعمله حاجة إلا زيارتي، كان حقًا عليّ أن أكون شفيعًا له يوم القيامة». وصححه ابن السكن.

وروي عنه ﷺ: من وجد سعة ولم يفد إلي فقد جفاني. ذكره ابن فرحون في مناسكه، والغزالي في الإحياء، ولم يخرجه العراقي، بل أشار إلى ما أخرجه ابن النجار في تاريخ المدينة مما هو في معناه عن أنس بلفظ: «ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني إلا وليس له عذر».

بها ما قابل الضعف، فيشمل الحسن لغيره كهذا الحديث المنجبر بتعدد طرقه، وإلا فقد ضعفه البيهقي، وقال الذهبي: طرقه كلها لينة، لكن يتقوى بعضها ببعض، لأن ما في رواتها متهم بكذب، قال: ومن أجودها إسنادًا حديث حاطب: من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي، وقال الحافظ: حديث غريب أخرجه ابن خزيمة في صحيحه.

وقال في القلب من سنده: وأنا أبرأ إلى اللّه من عهدته، فغفل من زعم أن ابن خزيمة صححه.

وبالجملة قول ابن تيمية: موضع ليس بصواب، وقد عارضه السبكي بقوله: بل حسن أو صحيح انتهى.

ولعل ذلك لتعدد طرقه وكثرة شواهده التي منها قوله (**وفي المعجم الكبير للطبراني أن النبي ﷺ قال: من جاءني زائرًا لا تعمله**) بضم التاء، أي: لا تحمله على العمل حاجة (**إلاّ زيارتي**) بأن لا يقصد ما لا تعلق له بالزيارة أصلاً، أما ما له تعلق بها، كقصد اعتكاف بالمسجد النبوي وشد الرحل إليه وكثرة العبادة فيه وزيارة الصحابة ومسجد قباء وغير ذلك مما يندب للزائر فعله، فلا يمنع قصده حصول الشفاعة كما نبه عليه في الجوهر المنظم (**كان حقًا**) أي: ثابتاً لازمًا (**عليّ أن أكون له شفيعًا يوم القيامة، وصححه ابن السكن**) وهو من كبار الحافظ النقاد.

(**وروي عنه ﷺ: من وجد سعة**) بفتح السين أفصح من كسرها (**ولم يفد**) بفتح الياء وكسر الفاء يأت (**إليّ فقد جفاني**) أي: أعرض عني (**ذكره ابن فرحون**) بفتح الفاء، لأنه على وزن فعلون كحمدون وشمعون وهو مفتوح، كما قال ابن الصلاح وغيره (**في مناسكه، والغزالي في الأحياء ولم يخرجه العراقي**) زين الدين بلفظه: (**بل أشار إلى ما أخرجه ابن النجار في تاريخ المدينة مما هو في معناه عن أنس**) مرفوعًا (**بلفظ: ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني إلاّ**) بكسر الهمزة، وشد اللام (**وليس له عذر**) يعتذر به في عدم زيارتي، بمعنى؛ أنه يلام

ولابن عدي في «الكامل» وابن حبان في «الضعفاء»، والدارقطني في «العلل» و«غرائب مالك» وآخرين كلهم عن ابن عمر مرفوعًا: «من حج ولم يزرني فقد جفاني». ولا يصح.

وعلى تقدير ثبوته، فليتأمل قوله «فقد جفاني» فإنه ظاهر في حرمة ترك الزيارة لأن الجفاء أذى، والأذى حرام بالإجماع فتجب الزيارة، إذ إزالة الجفاء واجبة، وهي بالزيارة، فالزيارة واجبة حينئذ، وبالجملة فمن تمكن من زيارته ولم يزره فقد جفاه، وليس من حقه علينا ذلك.

وعن حاطب أن رسول الله ﷺ قال: «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي، ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين». رواه البيهقي عن رجل من آل

على تركها لأنه فوت نفسه ثوابها العظيم بلا عذر.

(ولابن عدي في الكامل وابن حبان في الضعفاء، والدارقطني في) كتاب **(العلل و)** كتاب **(غرائب)** الرواة عن **(مالك وآخرين، كلهم عن ابن عمر، مرفوعًا: من حج ولم يزرني فقد جفاني ولا يصح)** إسناده **(وعلى تقدير ثبوته: فليتأمل قوله: فقد جفاني، فإنه ظاهر في حرمة ترك الزيارة، لأن الجفا)** بالمد، ويقصر نقيض الصلة **(أذى، والأذى حرام بالإجماع فتجب الزيارة، إذ إزالة الجفا واجبة، وهي)** أي: إزالة الجفا **(بالزيارة، فالزيارة حينئذٍ واجبة)** ولا قائل به إلا الظاهرية، قال شيخنا: وقد يجاب بأنه ليس كل أذى حرامًا، لأن الأذى الخفيف يحتمل في دفع الحرمة. نعم هو مكروه. انتهى.

والأولى أن المراد فعل مثل فعل الجافي لا أنه جفا، أي: أذى حقيقي، إذ لا يجوز أذاه ﷺ ولا بالمباح فضلاً عن المكروه **(وبالجملة: فمن تمكن من زيارته ولم يزره فقد جفاه)** أي: فعل فعل من جفاه كما علم **(وليس من حقه علينا ذلك)** الجفا إنما من حقه زيادة الصلة والحب.

(وعن حاطب) بن أبي بلتعة البدري **(أن رسول الله ﷺ قال: من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي)** لأنه حي في قبره يعلم بمن يزروه ويرد سلامه كما مر **(ومن مات بأحد الحرمين)** المكي أو المدني **(بعث من الآمنين)** فلا يصد الزائر خوف موته قبل رجوعه إلى بلده، لأنه إن مات بعث آمنًا، ففيه بشرى لمن مات في أحدهما بالموت على الإسلام، إذ لا يبعث من مات على غير الإسلام آمنًا.

(رواه البيهقي عن رجل من آل حاطب: لم يسمه عن حاطب) صلة رواه **(وعن عمر**

حاطب لم يسمه عن حاطب.

وعن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من زار قبري»، أو قال: «من زارني كنت له شفيعًا وشهيدًا»، رواه البيهقي وغيره عن رجل من آل عمر لم يسمه عن عمر.

وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «من زارني محتسبًا إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة». رواه البيهقي أيضًا.

قال العلامة زين الدين بن الحسين المراغي: وينبغي لكل مسلم اعتقاد كون زيارته ﷺ قربة، للأحاديث الواردة ذلك ولقوله تعالى: ﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول**﴾ [النساء/٦٤]، لأن تعظيمه ﷺ لا ينقطع بموته، ولا يقال إن استغفار الرسول لهم إنما هو في حال

رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من زار قبري، أو قال شك الراوي: **(من زارني كنت له شفيعًا)** لبعض الزائرين **(وشهيدًا)** لآخرين، أو شفيعًا للعاصين شهيدًا للطائعين، وهذه خصوصية زائدة على شفاعته العامة وعلى شهادته على جميع الأمم.

(رواه البيهقي وغيره عن رجل من آل عمر لم يسمه، عن عمر) بن الخطاب **(وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: من زارني)** في حياتي أو بعد مماتي حال كونه **(محتسبًا)** أي: ناويًا بزيارته وجه الله تعالى طالبًا ثوابه، سمي محتسبًا لاعتداده بعمله، فجعل حال مباشرته الفعل كأنه معتد به **(إلى المدينة)** صلة زارني، أي: منتهيًا في مجيئه من محله إلى المدينة، ولفظ الشفاء بلا عزو والجامع عازيًا للبيهقي: من زارني بالمدينة محتسبًا **(كان في جواري)** بكسر الجيم أفصح من ضمها، أي: أماني وعهدي فلا يناله مكروه أصلاً، أو المراد له منزلة رفيعة في الآخرة، وبقية الحديث: وكنت له شهيدًا وشفيعًا **(يوم القيامة)**.

(رواه البيهقي) أيضًا تامًا **(قال العلامة زين الدين)** أبو بكر **بن الحسين)** بن عمر القرشي، العثماني، المصري **(المراغي)** بغين معجمة نسبة إلى بلد بصعيد مصر، ثم المدني قاضي طيبة وخطيبها الشافعي من أفاضل جماعة الأسنوي وله تحقيق النصرة في تاريخ دار الهجرة **(وينبغي لكل مسلم اعتقاد كون زيارته ﷺ قربة)** عظيمة **(للأحاديث الواردة في ذلك)** إذ لا تقصر عن درجة الحسن وإن كان في أفرادها مقال **(ولقوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول﴾)** [النساء/ ٦٤] فيه التفات عن الخطاب تفخيمًا لشأنه **(الآية)** لوجدوا الله توابًا رحيمًا **(لأن تعظيمه ﷺ لا ينقطع بموته ولا يقال: إن استغفار الرسول لهم إنما هو في حياته وليست الزيارة كذلك لما أجاب به بعض الأئمة المحققين)**

حياته وليست الزيارة كذلك، لما أجاب به بعض أئمة المحققين: أن الآية دلت على تعليق وجدان الله توابًا رحيمًا بثلاثة أمور: المجيء، واستغفارهم، واستغفار الرسول لهم، وقد حصل استغفار الرسول لجميع المؤمنين لأنه ﷺ قد استغفر للجميع، قال الله تعالى: ﴿**واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات**﴾ [محمد/ ١٩]، فإذا وجد مجيئهم واستغفارهم تكملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ورحمته.

وقد أجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور، كما حكاه النووي، وأوجبها الظاهرية، فزيارته ﷺ مطلوبة بالعموم والخصوص لما سبق، ولأن زيارة القبور تعظيم، وتعظيمه ﷺ واجب. ولهذا قال بعض العلماء: لا فرق في زيارته ﷺ بين الرجال والنساء، وإن كان محل الإجماع على استحباب زيارة القبور للرجال، وفي النساء خلاف، والأشهر في مذهب الشافعي الكراهة.

قال ابن حبيب من المالكية: ولا تدع زيارة قبره ﷺ والصلاة في مسجده،

تعليل لنفي القول لا للقول المنفي (**أن الآية دلت على تعليق وجدان الله تعالى**) بإضافة المصدر للمفعول (**توابًا**) عليهم (**رحيمًا**) بهم (**بثلاثة أمور: المجيء واستغفارهم واستغفار الرسول لهم، وقد حصل استغفار الرسول لجميع المؤمنين، لأنه ﷺ قد استغفر للجميع، قال الله تعالى**: ﴿**واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات**﴾ [محمد/ ١٩]، ومعلوم بالضرورة أنه يمتثل أمر الله (**فإذا وجد مجيئهم واستغفارهم تكملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى**) عليهم (**ورحمته**) لهم.

(**وقد أجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور، كما حكاه النووي وأوجبها الظاهرية، فزيارته ﷺ مطلوبة بالعموم**) لاستحباب زيارة القبور (**والخصوص لما سبق**) من الأحاديث الناصة عليها بخصوصها والاستنباط من الآية المذكورة (**ولأن زيارة القبور تعظيم، وتعظيمه ﷺ واجب**) وقد كانت زيارته مشهورة في زمن كبار الصحابة معروفة بينهم لما صالح عمر بن الخطاب أهل بيت المقدس جاءه كعب الأحبار فأسلم، ففرح به وقال: هل لك أن تسير معي إلى المدينة وتزور قبره ﷺ وتتمتع بزيارته، قال: نعم.

(**ولهذا قال بعض العلماء: لا فرق في زيارته ﷺ بين الرجال والنساء، وإن كان محل الإجماع على استحباب زيارة القبور للرجال، وفي النساء خلاف والأشهر**) وفي نسخة: الأظهر (**في مذهب الشافعي الكراهة**) وهو المعتمد عندهم.

(**قال ابن حبيب**) عبد الملك (**من المالكية**) أتباع أتباع الإمام: واحترز بذلك عن

فإن فيه من الرغبة ما لا غنى بك ولا بأحد عنه.

وينبغي لمن نوى الزيارة، أن ينوي مع ذلك زيارة مسجده الشريف، والصلاة فيه، لأنه أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها، وهو أفضلها عند مالك، وليس لشد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة فضل، لأن الشرع لم يجيء به، وهذا الأمر لا يدخله قياس، لأن شرف البقعة إنما يعرف بالنص الصريح عليه، وقد ورد النص في هذه دون غيرها.

وقد صح أن عمر بن عبد العزيز كان يرد البريد للسلام على النبي ﷺ.

فالسفر إليه قربة لعموم الأدلة. ومن نذر الزيارة وجبت عليه، كما جزم به ابن حج من أصحابنا، وعبارته: إذا نذر زيارة قبر النبي ﷺ لزمه الوفاء، وجهًا واحدًا، انتهى: ولو نذر إتيان المسجد الأقصى للصلاة لزمه ذلك على الأصح عندنا، وبه قال المالكية والحنابلة، لكنه يخرج عنه بالصلاة في المسجد الحرام.

محمد بن حبيب من المؤرخين المختلف في أن حبيب اسم أبيه أو اسم أمه: **(ولا تدع زيارة قبره ﷺ والصلاة في مسجده، فإن فيه من الرغبة ما لا غنى بك ولا بأحد عنه)** بكسر الغين المعجمة والقصر بلا تنوين على أن لا لنفي الجنس، أي: لا استغناء، ويجوز الفتح مع المد، أي: لا كفاية وهما متقاربان **(وينبغي لمن نوى الزيارة أن ينوي مع ذلك زيارة مسجده الشريف والصلاة فيه، لأنه أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها وهو أفضلها عند مالك وليس لشد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة فضل، لأن الشرع لم يجيء به)** أي: بفضل غير الثلاثة **(وهذا الأمر لا يدخله قياس، لأن شرف البقعة إنما يعرف بالنص الصريح عليه، وقد ورد النص في هذه دون غيرها)** فلا يقاس عليها لعدم الجامع.

(وقد صح) عند البيهقي في الشعب **(أن عمر بن عبد العزيز كان يبرد)** بضم أوله وكسر الراء من أبرد وبالفتح وضم الراء من برد، أي: يرسل **(البريد)** الرسول المستعجل من الشام **(للسلام على النبي ﷺ)**.

زاد في الشفاء: وعن يزيد بن أبي سعيد: قدمت على عمر بن عبد العزيز، فلما ودعته قال لي: إليك حاجة إذا أتيت المدينة ترى قبر النبي ﷺ فأقرئه مني السلام **(فالسفر إليه قربة لعموم الأدلة، ومن نذر الزيارة وجبت عليه، كما جزم به ابن كج)** بفتح الكاف وشد الجيم **(من أصحابنا، وعبارته: إذا نذر زيارة قبر النبي ﷺ لزمه الوفاء وجهًا واحدًا. انتهى)**.

(ولو نذر إتيان المسجد الأقصى للصلاة لزمه ذلك على الأصح عندنا، وبه قال

وصحح النووي أيضًا أنه يخرج عنه بالصلاة في مسجد المدينة. قال: ونص عليه الشافعي في البويطي. وبه قال الحنفية والحنابلة.

وللشيخ تقي الدين بن تيمية هنا كلام شنيع عجيب، يتضمن منع شد الرحال للزيارة النبوية المحمدية، وأنه ليس من القرب، بل بضد ذلك.

ورد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في «شفاء السقام» فشفى صدور المؤمنين.

وحكى الشيخ ولي الدين العراقي، أن والده كان معادلاً للشيخ زين الدين

المالكية والحنابلة: لكنه يخرج عنه) أي: النذر (**بالصلاة في المسجد الحرام، وصحح النووي أيضًا أنه يخرج عنه بالصلاة في مسجد المدينة، قال: ونص عليه الشافعي في)** مختصر (**البويطي، وبه قال الحنفية والحنابلة، وللشيخ تقي الدين بن تيمية هنا كلام شنيع)** أي: قبيح (**عجيب يتضمن منع شد الرحال للزيارة النبوية وأنه ليس من القرب بل بضد ذلك، ورد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في)** كتابه (**شفاء السقام)** في زيارة خير الأنام: (**فشفى صدور المؤمنين)** برده عليه، لكن نازعه ابن عبد الهادي بأن ابن تيمية لم يحرم زيارة القبور على الوجه المشروع في شيء من كتبه ولم ينه عنها ولم يكرهها، بل استحبها وحض عليها، ومصنفاته ومناسكه طافحة بذكر استحباب زيارة قبره ﷺ وسائر القبور؛ وإنما تكلم على شد الرحال وأعمال المطي إلى مجرد زيارة القبور، فذكر قولين للعلماء المتقدمين والمتأخرين، أحدهما: إباحة ذلك كما يقوله بعض أصحاب الشافعي وأحمد، والثاني: أنه ينهى عنه كما نص عليه لملك، ولم ينقل عن أحد من الثلاثة خلافه، وإليه ذهب جماعة من أصحاب الشافعي وأحمد واحتج ابن تيمية للثاني بحديث الصحيحين: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى»، فأي عتب على من حكى الخلاف في مسألة بين العلماء، واحتج لأحد القولين بحديث صحيح، ولكن نعوذ بالله من الحسد والبغي واتباع الهوى.

وفي شرح مسلم للنووي عن الجويني: النهي عن شد الرحال وأعمال المطي إلى غير المساجد الثلاثة كالذاهب إلى قبور الأنبياء والصالحين والمواضع الفاضلة ونحو ذلك. انتهى ملخصًا.

وما نقله عن لملك: لا يعرف عنه ولا حجة له في الحديث، لأن المعنى لا تشد لصلاة في مسجد بدليل ذكر مساجد.

(**وحكى الشيخ ولي الدين العراقي: أن والده)** الحافظ زين الدين عبد الرحيم (**كان**

عبد الرحمٰن بن رجب الدمشقي في التوجه إلى بلد الخليل عليه السلام، فلما دنا من البلد قال: نويت الصلاة في مسجد الخليل، ليحترز عن شد الرحال لزيارته على طريقة شيخ الحنابلة ابن تيمية، فقلت: نويت زيارة قبر الخليل عليه السلام. ثم قلت: أما أنت فقد خالفت النبي ﷺ، لأنه قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» وقد شددت الرحل إلى مسجد رابع، وأما أنا فاتبعت النبي ﷺ لأنه قال: «زوروا القبور» أفقال: إلا قبور الأنبياء؟! فبهت.

وينبغي لمن أراد الزيارة أن يكثر من الصلاة عليه في طريقه، فإذا وقع بصره على معالم المدينة الشريفة وما تعرف به، فليردد الصلاة والتسليم، وليسأل الله أن ينفعه بزيارته ويسعده بها في الدارين.

وليغتسل ويلبس النظيف من ثيابه، وليترجل ماشيًا باكيًا.

ولما رأى وفد عبد القيس رسول الله ﷺ ألقوا أنفسهم عن رواحلهم ولم ينيخوها وسارعوا إليه، فلم ينكر ذلك عليهم صلوات الله وسلامه عليه.

معادلاً للشيخ زين الدين عبد الرحمٰن بن رجب الدمشقي) الحنبلي **(في التوجه إلى بلد الخليل عليه الصلاة والسلام، فلما دنا)** ابن رجب **(من البلد، قال: نويت الصلاة في مسجد الخليل ليحترز عن شد الرحال لزيارته على طريقة شيخ الحنابلة ابن تيمية).**

(قال) الزين العراقي والد الولي: **(فقلت: نويت زيارة قبر الخليل عليه الصلاة والسلام، ثم قلت له: أما أنت)** يا ابن رجب **(فقد خالفت النبي ﷺ، لأنه قال: لا تشد الرحال إلاَّ إلى ثلاثة مساجد، وقد شددت)** بفتح تاء الخطاب **(الرحل إلى مسجد رابع، وأما أنا فاتبعت النبي ﷺ، لأنه قال: «زوروا القبور»، أفقال إلاَّ قبور الأنبياء)** استفهام توبيخي **(فبهت)** بالبناء للمفعول دهش وتحير.

(وينبغي لمن أراد الزيارة أن يكثر من الصلاة والتسليم عليه في طريقه، فإذا وقع بصره على معالم:) جمع معلم ما يستدل به على **(المدينة الشريفة وما تعرف به)** عطف تفسير لمعالم **(فليردد الصلاة عليه والتسليم، ويسأل الله أن ينفعه بزيارته ويسعده بها في الدارين، وليغتسل وليلبس النظيف من ثيابه وليترجل:)** يمشي على رجليه، فقوله: **(ماشيًا)** حال مؤكدة **(باكيًا)** خضوعًا وخشية وغلبة شوق أو سرورًا، فإنه قد يحصل منه البكاء **(ولما رأى وفد عبد القيس رسول الله ﷺ ألقوا أنفسهم)** أي: نزلوا مسرعين **(عن رواحلهم، فلم ينيخوها وسارعوا إليه، فلم ينكر ذلك عليهم صلوات الله وسلامه عليه)** لكنه استحسن فعل

ورويناً مما ذكره القاضي عياض في «الشفاء» أن أبا الفضل الجوهري لما ورد إلى المدينة زائرًا، وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيًا منشدًا.

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا فؤادًا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة لمن بان عنه أن نلم به ركبا

وأنبئت بأن العلامة أبا عبد الله بن رشيد قال: لما قدمنا المدينة سنة أربع

الأشج حيث أناخ راحلته، وأخرج منها ثيابًا لبسها، ثم أتى إليه، فقال: إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والإناءة.

(ورويناً مما ذكره القاضي عياض في الشفاء أن أبا الفضل الجوهري) قال: شارح الشفاء ليس هو عبد الله بن الحسن البصري الواعظ بمصر في حدود السبعين وأربعمائة، وكان من العلماء الصالحين يتبرك به ويقتدى به في السلوك، وإنما هو كما في تاريخ الأندلس عبد الله بن الحكم الترمذي الأندلسي ذو الوزارتين، له فضل باهر وحسب وأدب عالم بالقراءات، والحديث وله شعر رائق ونثر فائق، وارتحل للمشرق فأخذ به عن ابن عساكر: وأكثر الرواية عنه وله رياسة في عصره، صار بها كالمثل السائر إلى أن ردت الأيام منه ما وهبت، فانقضت أيامه وذهبت، فقتل لما خلع سلطانه، فنهبت أمواله وكتبه ومات شهيدًا رحمه الله **(لما ورد إلى المدينة زائرًا وقرب من بيوتها ترجل:)** نزل عن دابته التي كان راكبًا عليها **(ومشى)** تأدبًا حال كونه **(باكيًا)** خضوعًا وشوقًا أو سرورًا **(منشدًا)** قول أبي الطيب المتنبي يمدح سيف الدولة من قصيدة أولها:

فديناك من ربع وإن زدتنا كربا لأنك كنت الشرق للشمس والغربا

إلى أن قال: **(ولما رأينا رسم)** آثار الديار الدارسة، والمراد هنا آثاره ﷺ في معاهده ومساكنه **(من لم يدع)** يترك **(لنا فؤادًا)** قلبًا، أو داخل القلب أو غشاءه **(لعرفان)** بمعنى معرفة **(الرسوم:)** جمع رسم **(ولا لبًا)** عقلاً **(نزلنا عن الأكوار:)** جمع كور بالضم وهو الرحل للإبل بمنزلة السرج للفرس **(نمشي كرامة لمن بان)** أي: بعد **(عنه)** أي: عن الإلمام، فالضمير عائد على متأخر وهو البدل في قوله: **(أن نلم)** أي: عن أن نلم **(به)** من ألم إذا أتى، أي: نأتي لزيارته **(ركبًا)** اسم جمع لراكب الإبل، أو أعم، أي: كربانًا، وحاصل معناه أنه لا يليق بالأدب لمن كان بعيدًا عن محبوبه، ثم قرب منه أن يأتي إليه راكبًا، بل ماشيًا إكرامًا له.

قال بعضهم: والإلمام الإتيان قليلاً ويكون بمعنى القرب، ومن فسر بأن بمعنى ظهر لم يصب، ولقد أجاد في تمثله به ونقله للمحل الأليق به، وهذا نوع من البلاغة قريب من التضمين، وهو أن يورد شعر الغير في مقام يكون أحق به من صاحبه، ولم يتعرض له أصحاب البديع، إلاَّ أن الإمام محمدًا التوزي أورده في كتاب الغرة اللائحة **(وأنبئت أن العلامة أبا عبد الله)** محمد بن

وثمانين وستمائة، كان معي رفيقي الوزير أبو عبد الله بن أبي القاسم بن الحكم، وكان أرمد، فلما دخلنا ذا الحليفة أو نحوها نزلنا عن الأكوار، وقوي الشوق لقرب المزار، فنزل وبادر إلى المشي على قدميه احتسابًا لتلك الآثار، وإعظامًا لمن حل تلك الديار، فأحس بالشفاء، فأنشد لنفسه في وصف الحال:

ولما رأينا من ربوع حبيبنا ... بيثرب أعلامًا أثرن لنا الحبا
وبالتراب منها إذ كحلنا جفوننا ... شفينا فلا بأسًا نخاف ولا كربا
وحين تبدى للعيون جمالها ... ومن بعدها عنا أذيلت لنا قربا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة ... لمن حل فيها أن نلم به ركبا
نسح سجال الدمع في عرصاته ... ونلثم من حب لواطئه التربا

عمر **(بن رشيد)** بضم الراء وفتح المعجمة الفهري السبتي، المولود بها سنة سبع وخمسين وستمائة، كان إمامًا حافظًا، فقيهًا عالمًا باللغة والعربية والعروض والقراءات والأصلين، حسن الخلق، كثير التواضع، ريان من الأدب، ماهرًا في الحديث، أخذ ببلاده عن جماعة، ثم رحل فسمع بمصر والشام والحجاز عن خلائق ضمنهم رحلته التي سماها ملء العيبة وهي ست ملجدات، ثم عاد إلى غرناطة فنشر بها العلم ومات بفاس في محرم سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة **(قال: لما قدمنا المدينة سنة أربع وثمانين وستمائة كان معي رفيقي الوزير أبو عبد الله بن أبي القسم بن الحكم وكان أرمد، فلما دخلنا ذا الحليفة)** ميقات المدينة **(أو نحوها نزلنا عن الأكوار)** الرحال **(وقوي الشوق لقرب المزار، فنزل)** عن راحلته **(وبادر إلى المشي على قدميه احتسابًا)** طالبًا الثواب مخلصًا **(لتلك الآثار وإعظامًا لمن حل تلك الديار)** حبيب العزيز الغفار **(فأحس بالشفاء)** من الرمد **(فأنشد لنفسه في وصف الحال:)**

ولما رأينا من ربوع حبيبنا ... بيثرب أعلامًا أثرن لنا الحبا

ولو قال: بطيبة بدل بيثرب كان الأولى بمزيد الشوق والأدب **(وبالترب:)** بضم فسكون جمع تراب **(منها: إذ كحلنا)** بالتخفيف **(جفوننا شفينا فلا بأسا)** شدة **(نخاف ولا كربًا وحين تبدى)** ظهر **(للعيون جمالها ومن بعدها عنا أذيلت)** بضم الهمزة وكسر الذال المعجمة، أي: سهلت **(لنا قربا)** أي من جهة القرب حتى صرنا نراها بأعيننا **(نزلنا عن الأكوار)** الرحال **(نمشي كرامة لمن حل فيها)** لعل هذه رواية ثانية وهي أسلس من قوله: في الرواية الأولى السابقة لمن بان عنه **(أن نلم به)** نأتي إليه **(ركبا)** أي: ركبانًا، وهذا البيت من قصيدة المتنبي فهو من التضمين، وهو أن يضمن شعره أو نثره شيئًا من كلام غيره من غير نسبته إليه وهو من البديع **(نسح)** بضم السين، أي: نسيل **(سجال:)** بكسر السين وبالجيم جمع سجل وهو الدلو العظيمة **(الدمع في عرصاته)** ساحاته **(ونلثم)** بفتح المثلثة أفصح من كسرها نقبل **(من)** أجل **(حب لواطئه التربا)**

وإن نفادي دونه لخسارة ولو أن كفي تملك الشرق والغربا
فيا عجبًا ممن يحب بزعمه يقيم مع الدعوى ويستعمل الكذبا
وزلات مثلي لا تعدد كثرة وبُعدي عن المختار أعظمها ذنبا

ولما كنت سائرًا لقصد الزيارة في ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة، ولاح لنا عند الصباح جبل مفرح الأرواح المبشر بقرب المزار من أشرف الديار، تسابق الزوار إليه، وتعالوا بالصعود عليه استعجالاً لمشاهدة تلك الآثار فبرقت لوامع الأنوار النبوية، وهبت عَرْف نسمات المعارف المحمدية، فطبنا وغبنا إذ شهدنا أعلام ديار أشرف البرية:

ألا مع برق يغتدي ويروح أم النور من أرض الحجاز يلوح
وريح الصبا هبت بطيّب عرفهم أم الروض في وجه الصباح يفوح
إذا ريح ذاك الحي هب فإنها حياة لمن يغدو لها ويروح
ترفق بنا يا حادي العيس والتفت فللنور بين الواديين وضوح

مفعول نلثم **(وأن نفادي دونه لخسارة، ولو أن كفي تملك)** من الملك **(الشرق والغربا)**.

وفي نسخة: تملأ، أي: ولو فرض أن كفي ملأتهما بإيصال النوال إلى أهلهما **(فيا عجبًا ممن يحب بزعمه)** مثلث الزاي القول الحق والباطل والكذب ضد، وأكثر ما يقال فيما يشك فيه كما في القاموس: **(يقيم مع الدعوى)** على البعد **(ويستعمل الكذب)** في دعوى الحب **(وزلات مثلي لا تعدد)** بدالين **(كثرة)** بالنصب، أي: لأجل كثرتها لا يمكن تعدادها **(وبعدي عن المختار أعظمها ذنبا)** وحدث المصنف عن نفسه من باب التحديث بالنعم: **(ولما كنت سائرًا لقصد الزيارة في ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ولاح)** ظهر **(لنا عند الصباح جبل مفرح الأرواح المبشر)** الجبل وهو أحد **(بقرب المزار من أشرف الديار)** المدينة **(تسابق الزوار إليه وتعالوا:)** ارتفعوا **(بالصعود عليه استعجالاً لمشاهدة تلك الآثار، فبرقت:)** لمعت **(لوامع)** إضاءات **(الأنوار النبوية وهبت عرف)** بفتح المهملة وسكون الراء وبالفاء ريح **(نسمات المعارف المحمدية، فطبنا)** في أنفسنا **(وغبنا)** عما يدرك بالحواس في مشاهدة تلك الأنوار المحمدية **(إذ شهدنا أعلام ديار أشرف البرية ألامع برق يغتدي ويروح:)** يجيء وقت الغدوة والرواح **(أم النور من أرض الحجاز يلوح)** يظهر **(وريح الصبا هبت بطيب عرفهم)** ريحهم **(أم الروض في وجه الصباح يفوح)** أزهاره **(إذا ريح ذاك الحي هبت، فإنها حياة لمن يغدو لها)** يأتي وقت الغدوة أول النهار **(ويروح)** يأتي وقت الزوال **(ترفق بنا يا حادي العيس)** الإبل **(والتفت فللنور بين الواديين وضوح)** ظهور **(فما هذه إلاَّ ديار محمد وذاك سناها يغتدي**

فما هذه إلا ديار محمد ... وذاك سناها يغتدي ويروح
وإلا فما للركب هاج اشتياقهم ... فكل من الشوق الشديد يصيح
وأنّت مطايا الركب حتى كأنها ... حمام على قضب الأراك تنوح
وقد مدت الأعناق شوقًا وطرفها ... إلى النور من تلك الديار لموح
رأت دار من تهوى فزاد اشتياقها ... ومدمعها في الوجنتين سفوح
إذا العيس باحت بالغرام ولم تطق ... خفاء فما للصب ليس يبوح

ولما قربنا من ديار المدينة وأعلامها، وتدانينا من معاينة رباها الكريمة وآكامها، وانتشقنا عرف لطائف أزهارها، وبدت لنواظرنا بوارق أنوارها، وترادفت واردات المنح والعطايا، ونزل القوم عن المطايا، فأنشدت متمثلاً:

أتيتك زائرًا ووددت أني ... جعلت سواد عيني أمتطيه
ومالي لا أسير على المآقي ... إلى قبرٍ رسول الله فيه

ولما وقع بصري على القبر الشريف والمسجد المنيف فاضت من الفرح

ويروح) فيه إبطاء **(وإلاَّ فما للركب هاج)** ثار **(اشتياقهم، فكل من الشوق الشديد يصيح)** يصوّت بأقصى طاقته **(وأنت)** بشد النون صوّتت **(مطايا الركب، حتى كأنها حمام على قضب)** بضم القاف وإسكان المعجمة أغصان **(الأراك تنوح)** بفوقية فنون تسجع **(وقد مدت الأعناق شوقًا وطرفها)** بصرها **(إلى النور من تلك الديار لموح)** بضم الميم كثير النظر **(رأت دار من تهوى، فزاد اشتياقها ومدمعها)** أي: دمعها **(في الوجنتين)** أي: عليهما **(سفوح)** أي: مصبوب **(إذا العيس)** بالكسر الإبل البيض يخالط بياضها شقرة كما في القاموس، والمراد هنا مطلق الإبل **(باحت بالغرام)** الولوع بالحب **(ولم تطق خفاء)** بالمد، أي: إخفاءه وستره **(فما للصب ليس يبوح)** بصبابته وهي الشوق، أو رقته أو رقة الهوى مع أنه عاقل بخلاف العيس **(ولما قربنا من ديار المدينة وأعلامها وتدانينا من معاينة رباها:)** بضم الراء جمع ربوة مثلثة المكان المرتفع **(الكريمة وآكامها:)** جمع أكم بزنة كتب، ومر بيانه في الاستسقاء **(وانتشقنا عرف)** أي: شممنا ريح **(لطائف أزهارها، وبدت:)** ظهرت **(لنواظرنا بوارق)** لوامع **(أنوارها، وترادفت واردات المنح والعطايا:)** الهبات **(ونزل القوم عن المطايا:)** جمع مطية الدابة تمطو، أي: تمد في سيرها **(فأنشدت متمثلاً)** وهو إنشاد شعر الغير في مقام يناسبه **(أتيتك زائرًا ووددت:)** تمنيت **(أني جعلت سواد عيني أمتطيه:)** أجعله مطية لي **(ومالي لا أسير على المآقي:)** جمع الموق طرف العين مما يلي الأنف **(إلى قبر رسول الله ﷺ فيه، ولما وقع بصري على القبر الشريف والمسجد المنيف فاضت من الفرح سوابق العبرات:)** الدموع **(حتى أصابت بعض**

سوابق العبرات حتى أصابت بعض الثرى والجدرات وقلت:

أيها المغرم المشوق هنيئًا ... ما أنا لوك من لذيذ التلاق
قل لعينيك تهملان سرورًا ... طالما أسعداك يوم الفراق
واجمع الوجد والسرور ابتهاجًا ... وجميع الأشجان والأشواق
ومر العين أن تفيض انهمالاً ... وتوالى بدمعها المهراق
هذه دارهم وأنت محب ... ما بقاء الدموع في الآماق

وقلت:

وكان ما كان مما لست أذكره ... فظن خيرًا ولا تسأل عن الخبر

ويستحب صلاة ركعتين تحية المسجد قبل الزيارة، وهذا إذا لم يكن مروره من جهة وجهه الشريف ﷺ. فإن كان استحبت الزيارة قبل التحية. قال في «تحقيق النصرة» وهو استدراك حسن. قاله بعض شيوخنا.

وفي منسك ابن فرحون. فإن قلت: المسجد إنما تشرف بإضافته إليه ﷺ فينبغي البداءة بالوقوف عنده ﷺ. قلت: قال ابن حبيب في أول كتاب الصلاة:

الثرى:) التراب **(والجدرات:)** جمع جدار **(أيها المغرم المشوق هنيئًا ما أنالوك من لذيذ التلاق قل لعينيك تهملان سرورًا طالما أسعداك يوم الفراق)** تهملان بضم الميم وكسرها، كما أفاده القاموس: تفيضان وأسعداك عاوناك **(وأجمع الوجد)** الغضب في الحب **(والسرور)** الفرح **(ابتهاجًا)** سرورًا **(وجميع الأشجان)** أي: الحاجات **(والأشواق:)** جمع شوق نزاع النفس وحركة الهوى، والمعنى؛ أنه يجمع بين الأمور المتضادة من شدة فرحه بلقاء محبوبه **(ومر العين)** بضم الميم وخفة الراء مكسورة **(أن تفيض أنهمالاً)** تأكيد لمعنى تفيض **(وتوالى:)** تتابع **(بدمعها المهراق)** المصبوب **(هذه دارهم وأنت محب ما بقاء الدموع في الآماق)** وأنشد أيضًا بيتًا مفردًا:

(وكان ما كان مما لست أذكره ... فظن خيرًا ولا تسأل عن الخبر)

(ويستحب صلاة ركعتين تحية المسجد قبل الزيارة) اتباعًا لأمره بالتحية، فأولى ما يتبع في مسجده **(قيل وهذا: إذا لم يكن مروره من جهة وجهه الشريف عليه الصلاة والسلام، فإن كان استحبت الزيارة قبل التحية قال في تحقيق النصرة)** في تاريخ دار الهجرة **(وهو استدراك)** أي: تقييد **(حسن، قاله بعض شيوخنا، وفي منسك ابن فرحون)** بفتح فسكون **(فإن قلت: المسجد إنما شرف بإضافته إليه ﷺ، فينبغي البداءة بالوقوف عنده ﷺ، قلت: قال ابن حبيب)** عبد الملك الأندلسي أبو مرؤان الفقيه المشهور.

حدثني مطرف عن مالك عن يحيى بن سعيد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قدمت من سفر، فجئت رسول الله ﷺ أسلم عليه وهو بفناء المسجد، فقال: «أدخلت المسجد فصليت فيه»؟ قلت: لا، قال: «فاذهب فادخل المسجد وصلِّ فيه، ثم سلم عليّ».

ورخص بعضهم في تقديم الزيارة على الصلاة. قال ابن الحاج: وكل ذلك واسع ولعل هذا الحديث لم يبلغهم، والله أعلم. انتهى.

وينبغي للزائر أن يستحضر من الخشوع ما أمكنه، وليكن مقتصدًا في سلامه بين الجهر والإسرار. وفي البخاري: أن عمر رضي الله عنه قال لرجلين من أهل الطائف: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ضربًا، ترفعان أصواتكم في مسجد

قال الحافظ: صدوق، ضعيف الحفظ، كثير الغلط، مات سنة تسع وثلاثين ومائتين **(في أول كتاب الصلاة)** من الواضحة **(حدثني مطرف)** بضم الميم وفتح الطاء المهملة وكسر الراء الثقيلة ابن عبد الله بن مطرف اليساري بفتح التحتية والمهملة أبو مصعب المدني ابن أخت مُلك، ثقة من رجال البخاري والترمذي وابن ماجه لم يصب ابن عدي في تضعيفه، مات سنة عشرين ومائتين على الصحيح وله ثلاث وثمانون سنة **(عن مُلك، عن يحيى بن سعيد)** الأنصاري **(عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قدمت من سفر، فجئت رسول الله ﷺ أسلم عليه وهو بفناء المسجد)** بكسر الفاء والمد، أي: خارجه **(فقال: أدخلت المسجد فصليت فيه؟، قلت: لا، قال: فاذهب فادخل المسجد وصل فيه، ثم سلم عليّ)** فإذا أمر بتقديم الصلاة على السلام فيه عليه مع كونه بفنائه فأولى إذا كان داخله **(ورخص بعضهم في تقديم الزيارة على الصلاة، وقال ابن الحاج: وكل ذلك واسع، ولعل هذا الحديث لم يبلغهم والله أعلم. انتهى)** كلام ابن فرحون.

(وينبغي للزائر أن يستحضر من الخشوع ما أمكنه وليكن مقتصدًا في سلامه بين الجهر والإسرار، وفي البخاري) في الصلاة **(أن عمر رضي الله عنه قال لرجلين:)** قال الحافظ لم أقف على تسمية هذين الرجلين، لكن في رواية عبد الرزاق أنهما ثقفيان. انتهى.

وهو مفاد قوله: **(من أهل الطائف)** إذ أهله ثقيف **(لو كنتما من أهل البلد)** أي: المدينة **(لأوجعتكما)** يدل على أنه كان تقدم نهيه عن ذلك وفيه العذر لأهل الجهل بالحكم إذا كان مما يخفى مثله، وقوله: **(ضربًا)** ليس في البخاري.

قال الحافظ: قوله لأوجعتكما، زاد الإسمعيلي جلدًا من هذه الجهة يتبين كون الحديث له

رسول الله ﷺ؟.

وقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: لا ينبغي رفع الصوت على نبي حيًا ولا ميتًا. وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تسمع صوت الوتد يوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بمسجد النبي ﷺ فترسل إليهم: لا تؤذوا رسول الله ﷺ.

قالوا: وما عمل علي بن أبي طالب رضي الله عنه مصراعي داره إلا بالمصانع توقيًا لذلك. نقله ابن زبالة. فيجب الأدب معه كما في حياته.

وينبغي للزائر أن يتقدم إلى القبر الشريف من جهة القبلة، وإن جاء من جهة رجلي الصاحبين فهو أبلغ في الأدب من الإتيان من جهة رأسه الكريم. ويستدبر القبلة ويقف قبالة وجهه ﷺ بأن يقابل المسمار الفضة المضروب في الرخام الذي

حكم الرفع، لأن عمر لا يتوعدهما بالجلد إلاً على مخالفة أمر توقيفي (**ترفعان**) جواب سؤال مقدر كأنهما قالا: لم توجعنا؟، قال: لأنكما ترفعان، وفي رواية الإسمعيلي برفعكما (**أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ**).

(**وقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: لا ينبغي رفع الصوت على نبي حيًا ولا ميتًا**) فوق ما يسارر به الإنسان صاحبه، روي (**عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تسمع صوت الوتد**) بالفتح وبالتحريك، وككتف ما رز في الأرض أو الحائط من خشب، قاله القاموس: (**يوتد:**) يدق (**والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة**) بضم الميم وكسر الطاء وسكون الياء وبالفاء، أي: المحيطة (**بمسجد النبي ﷺ فترسل إليهم، لا تؤذوا رسول الله ﷺ**) بدق الوتد وضرب المسمار (**قالوا: وما عمل علي بن أبي طالب رضي الله عنه**) أي: ما صنع (**مصراعي داره إلا**) خارج المدينة (**بالمصانع**) بصاد وعين مهملتين محل بالمدينة كان متبرز النساء ليلاً قبل اتخاذ الكنف وهي ناحية بئر أبي أيوب وأظنها المعروفة اليوم ببئر أيوب شرقي سوق المدينة ببقيع الغرقد، قاله الشريف: (**توقيًا لذلك**) لئلا يتأذى بسماع صوت الخشب عند صنعه لو صنعه في بيته أو خارج المسجد بقربه (**نقله ابن زبالة**) بفتح الزاي محمد بن الحسن (**فيجب الأدب معه كما في حياته**) إذ هو حي في قبره يصلي فيه بأذان وإقامة كما مر في الخصائص.

(**وينبغي للزائر أن يتقدم إلى القبر الشريف من جهة القبلة، وإن جاء من جهة رجلي الصاحبين فهو أبلغ في الأدب من الإتيان من جهة رأسه الكريم، ويستدبر القبلة ويقف قبالة**)

في الجدار، ولا عبرة بالقنديل الكبير اليوم، لأن هناك عدة قناديل.

وقد روي أن مالكًا لما سأله أبو جعفر المنصور العباسي: يا أبا عبد الله أأستقبل رسول الله ﷺ وأدعو، أم أستقبل القبلة وأدعو؟ فقال له مالك: ولمَ تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله عز وجل يوم القيامة.

لكن رأيت منسوبًا للشيخ تقي الدين بن تيمية في منسكه: أن هذه الحكاية كذب على مالك. وأن الوقوف عند القبر بدعة، قال: ولم يكن أحد من الصحابة يقف عنده ويدعو لنفسه، ولكن كانوا يستقبلون القبلة ويدعون في مسجده ﷺ. قال: ومالك من أعظم الأئمة كراهية لذلك.

بضم القاف تجاه (**وجهه ﷺ؛ بأن يقابل المسمار الفضة المضروب في الرخام الذي في الجدار ولا عبرة بالقنديل الكبير اليوم، لأن هناك عدة قناديل**) وإن كان معتبرًا في زمن التابعين، ففي الشفاء قال ابن أبي مليكة: من أحب أن يكون وجاه النبي ﷺ فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه.

(**وقد روي أن مالكًا لما سأله أبو جعفر**) عبد الله بن محمد (**المنصور العباسي**) ثاني خلفاء بني العباس: (**يا أبا عبد الله**) كنية لملك (**أأستقبل رسول الله ﷺ وأدعو أم أستقبل القبلة وأدعو؟، فقال له لملك: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك ءادم عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ يوم القيامة**) بل استقبله وأستشفع به فيشفعه اللّه، هذا بقية المروي عن لملك كما في الشفاء (**لكن رأيت منسوبًا للشيخ تقي الدين بن تيمية في منسكه أن هذه الحكاية كذب على لملك**) هذا تهور عجيب، فإن الحكاية رواها أبو الحسن علي بن فهر في كتابه فضائل لملك بإسناد لا بأس به، وأخرجها القاضي عياض في الشفاء من طريقه عن شيوخ عدة من ثقات مشايخه، فمن أين أنها كذب وليس في إسنادها وضاع ولا كذاب (**وأن الوقوف عند القبر بدعة، قال: ولم يكن أحد من الصحابة يقف عنده ويدعو لنفسه**) نفيه مردود عليه من قصوره أو مكابرته، ففي الشفاء قال بعضهم: رأيت أنس بن لملك أتى قبر النبي ﷺ، فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة، فسلم على النبي ﷺ ثم انصرف (**ولكن كانوا يستقبلون القبلة ويدعون في مسجده ﷺ، قال: ولملك من أعظم الأئمة كراهية لذلك**) كذا قال وهو خطأ قبيح فإن كتب المالكية طافحة باستحباب الدعاء عند القبر مستقبلاً له مستدبر القبلة وممن نص على ذلك أبو الحسن القابسي وأبو بكر بن عبد الرحمٰن والعلامة خليل في مناسكه، ونقله

وينبغي أن يقف عند محاذاة أربعة أذرع ويلازم الأدب والخشوع والتواضع، غاض البصر في مقام الهيبة، كما كان يفعل بين يديه في حياته، ويستحضر علمه بوقوفه بين يديه وسماعه لسلامه، كما هو الحال في حال حياته، إذ لا فرق بين موته وحياته في مشاهدته لأمته ومعرفته أحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم، وذلك عنده جلي لا خفاء به.

فإن قلت: هذه الصفات مختصة بالله تعالى.

فالجواب: إن من انتقل إلى عالم البرزخ من المؤمنين يعلم أحوال الأحياء

في الشفاء عن ابن وهب عن لملك، قال: إذا سلم على النبي ﷺ ودعا يقف وجهه إلى القبر لا إلى القبلة، ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده. انتهى.

وإلى هذا ذهب الشافعي والجمهور، ونقل عن أبي حنيفة، قال ابن الهمام: وما نقل عنه أنه يستقبل القبلة مردود بما روي عن ابن عمر: من السنة أن يستقبل القبر المكرم ويجعل ظهره للقبلة وهو الصحيح من مذهب أبي حنيفة، وقول الكرماني: مذهبه خلافه ليس بشيء لأنه حي، ومن يأتي لحي إنما يتوجه إليه. انتهى.

ولكن هذا الرجل ابتدع له مذهبًا وهو عدم تعظيم القبور، وإنها إنما تزار للترحم والاعتبار بشرط أن لا يشد إليها رحل، فصار كل ما خالفه عنده كالصائل لا يبالي بما يدفعه، فإذا لم يجد له شبهة واهية يدفعه بها بزعمه انتقل إلى دعوى أنه كذب على من نسب إليه مجازفة وعدم نصفة، وقد أنصف من قال فيه علمه: أكبر من عقله، ثم إن نقل كلامه من أول، لكن رأيت ساقط في أكثر نسخ المصنف وهو أولى بالصواب، وسيعيد المصنف قريبًا نقله والتبري منه بقوله: كذا.

قال: (**وينبغي أن يقف عند محاذاة أربعة أذرع**) وقيل: ثلاثة، وهذا باعتبار ما كان في العصر الأول، أما اليوم فعليه مقصورة تمنع من دنو الزائر فيقف عند الشباك، قاله بعض (**ويلازم الأدب والخشوع والتواضع غاض البصر في مقام الهيبة كما كان يفعل بين يديه في حياته**) إذ هو حي (**ويستحضر علمه بوقوفه بين يديه وسماعه لسلامه كما هو في حال حياته، إذ لا فرق بين موته وحياته في مشاهدته لأمته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم، وذلك عنده جلي:**) ظاهر (**لا خفاء به**) باطلاع اللّٰه تعالى على ذلك.

(**فإن قلت: هذه الصفات**) المذكورة من معرفته إلى هنا (**مختصة باللّٰه تعالىٰ، فالجواب: أن من انتقل إلى عالم البرزخ من المؤمنين**) الكاملين (**يعلم أحوال الأحياء غالبًا**) بإعلام اللّٰه تعالىٰ لهم، كما في حديث: «تعرض الأعمال كل يوم الخميس والاثنين على اللّٰه

غالبًا، وقد وقع كثير من ذلك كما هو مسطور في مظنة ذلك من الكتب.

وقد روى ابن المبارك عن سعيد بن المسيب: ليس من يوم إلا ويعرض على النبي ﷺ أعمال أمته غدوة وعشية، فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم، فلذلك يشهد عليهم.

ويمثل الزائر وجهه الكريم عليه الصلاة والسلام في ذهنه، ويحضر قلبه جلال رتبته، وعلو منزلته، وعظيم حرمته، وإن أكابر الصحابة ما كانوا يخاطبونه إلا كأخي السرار، تعظيمًا لما عظم الله من شأنه.

وقد روى ابن النجار أن امرأة سألت عائشة رضي الله عنها: أن اكشفي لي عن قبر رسول الله ﷺ فكشفته فبكت حتى ماتت.

وحكي عن أبي الفضائل الحموي، أحد خدام الحجرة المقدسة، أنه شاهد شخصًا من الزوار الشيوخ، أتى باب مقصورة الحجرة الشريفة، فطأطأ رأسه نحو العتبة، فحركوه فإذا هو ميت، وكان ممن شهد جنازته.

تعالىٰ، وتعرض على الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضًا وإشراقًا فاتقوا اللّه ولا تؤذوا أمواتاكم».

رواه الترمذي الحكيم: (**وقد وقع كثير من ذلك كما هو مسطور في مظنة ذلك من الكتب، وقد روى ابن المبارك**) عبد اللّه بذكره تستنزل الرحمة (**عن سعيد بن المسيب، قال: ليس من يوم إلاَّ وتعرض على النبي ﷺ أعمال أمته غدوة وعشية، فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم، فلذلك يشهد عليهم**) يوم القيامة (**ويمثل:**) يصور (**الزائر وجهه عليه الصلاة والسلام في ذهنه، ويحضر الزائر قلبه جلال رتبته وعلو منزلته وعظيم حرمته، وإن أكابر الصحب ما كانوا يخاطبونه إلاَّ كأخي السرار**) بكسر السين وراءين بينهما ألف (**تعظيمًا لما عظم اللّه من شأنه**).

(**وقد روي ابن النجار أن امرأة سألت عائشة رضي اللّه عنها أن اكشفي لي عن قبر رسول اللّه ﷺ، فكشفته، فبكت حتى ماتت**)، شوقًا إليه.

(**وحكي عن أبي الفضائل الحموي أحد خدام الحجرة المقدسة أنه شاهد شخصًا من الزوار الشيوخ أتى باب مقصورة الحجرة الشريفة، فطأطأ رأسه نحو العتبة فحركوه، فإذا هو ميت، وكان**) أبو الفضائل (**ممن شهد جنازته، ثم يقول الزائر بحضور قلب وغض طرف**)

ثم يقول الزائر بحضور قلب، وغض بصر وصوت، وسكون جوارح وإطراق: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا خيرة الله، السلام عليك يا صفوة الله، السلام عليك يا سيد المرسلين، وخاتم النبيين، السلام عليك يا قائد الغر المحجلين، السلام عليك وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين، السلام عليك وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين، السلام عليك وعلى أصحابك أجمعين، السلام عليك وعلى سائر الأنبياء وسائر عباد الله الصالحين، جزاك الله يا رسول الله أفضل ما جازى نبيًا ورسولاً عن أمته، وصلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه، وخيرته من خلقه، وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده.

ومن ضاق وقته عن ذلك، أو عن حفظه فليقل ما تيسر منه، أو مما يحصل به الغرض.

وفي «التحفة»: أن ابن عمر وغيره من السلف كانوا يقتصرون ويوجزون في

بصر (و) خفض (صوت وسكون جوارح وإطراق: **السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا خيرة الله، السلام عليك يا صفوة الله، السلام عليك يا سيد:)** أفضل (**المرسلين وخاتم النبيين، السلام عليك يا قائد الغر**) بضم المعجمة وشد الراء (**المحجلين**) هم أمته وهذه سيماهم ليست لغيرهم (**السلام عليك وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين، السلام عليك وعلى أزواجك الطاهرات**) صفة لازمة (**أمهات المؤمنين**) وهل يقال لهن أمهات المؤمنات أيضًا قولان مرجحان (**السلام عليك وعلى أصحابك أجمعين، السلام عليك وعلى سائر الأنبياء وسائر**) أي: جميع (**عباد الله الصالحين**) أي: المؤمنين (**جزاك الله يا رسول الله أفضل ما جزى نبيًا ورسولاً عن أمته، وصلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون**) عبارة عن استمرار الصلاة، إذ لا ينفك الخلائق بعضهم عن الذكر وآخرون عن الغفلة (**أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وخيرته من خلقه، وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده**) بنفسك وبعوثك وسراياك ما جملته نحو المائة في تسع سنين (**ومن ضاق وقته عن ذلك أو عن حفظه فليقل ما تيسر**) له (**منه، أو**) من غيره (**مما يحصل به الغرض**).

(**وفي التحفة**) أي: كتاب تحفة الزائر لابن عساكر (**أن ابن عمر وغيره من السلف**

هذا جدًا. فعن مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، وناهيك به خبرة بهذا الشأن من رواية ابن وهب عنه، يقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

وعن نافع عن ابن عمر، أنه كان إذا قدم من سفر دخل المسجد، ثم أتى القبر المقدس فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه.

وينبغي أن يدعو، ولا يتكلف السجع فأنه قد يؤدي إلى الإخلال بالخشوع.

وقد حكى جماعة منهم الإمام أبونصربن الصباغ في «الشامل» الحكاية المشهورة عن العتبي، واسمه: محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب، وتوفي في سنة ثمان وعشرين ومائتين، وذكرها ابن النجار وابن عساكر وابن الجوزي في منبر الغرام الساكن عن

كانوا يقتصرون ويوجزون) يأتون بألفاظ قليلة جامعة لمعان كثيرة **(فعن لملك إمام دار الهجرة وناهيك به خبرة بهذا الشأن من رواية ابن وهب)** عبد الله **(عنه يقول)** المسلم أو الزائر: **(السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)** فهذا لفظ موجز مع صحته عنه ﷺ في التشهد، زاد لملك في المبسوط: ويسلم على أبي بكر وعمر، أي: بعد السلام عليه.

(وعن نافع عن ابن عمر أنه كان إذا قدم من سفر دخل المسجد) فصلى ركعتين **(ثم أتى القبر المقدس، فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه)** وفي الشفاء عن نافع: كان ابن عمر يسلم على القبر، رأيته مائة مرة وأكثر، يأتي فيقول: السلام على النبي، السلام على أبي بكر، السلام على أبي، ثم ينصرف. انتهى.

وظاهر أن هذا كان دأبه وإن لم يسافر لأنه لم يسافر، أكثر من مائة مرة، فحدث نافع تارة عن حاله إذا قدم من سفر وتارة عن حاله بدون سفر فلا يحمل عليه، وفيه إشارة إلى أن الأولى الاختصار، وقيل: يطيل ما شاء من ثناء ودعاء وتوسل، وقيل: يختلف باختلاف الناس والأحوال. **(وينبغي أن يدعو ولا يتكلف السجع فإنه قد يؤدي إلى الإخلال بالخشوع، وقد حكى جماعة منهم الإمام أبو نصر بن الصباغ في الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي)** بضم فسكون **(واسمه محمد بن عبيد الله)** بضم العين**(ابن عمرو بن معٰوية بن عمرو)** بفتح العين **(ابن عتبة بن أبي سفيٰن صخر بن حرب، وتوفي)** محمد المذكور **(في سنة ثمان وعشرين ومائتين)**.

(وذكرها ابن النجار وابن عساكر وابن الجوزي في منبر الغرام الساكن، عن

محمد بن حرب الهلالي قال: أتيت قبر النبي ﷺ فزرته وجلست بحذائه، فجاء أعرابي فزاره ثم قال: يا خير الرسل، إن الله أنزل عليك كتابًا صادقًا، قال فيه: **﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيمًا﴾** وقد جئتك مستغفرًا من ذنبي مستشفعًا بك إلى ربي وأنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه   فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه   فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ووقف أعرابي على قبره الشريف وقال: اللهم إنك أمرت بعتق العبيد، وهذا حبيبك وأنا عبدك، فأعتقني من النار على قبر حبيبك، فهتف به هاتف: يا هذا تسأل العتق لك وحدك، هلا سألت لجميع الخلق. اذهب فقد أعتقناك من النار.

إن الملوك إذا شابت عبيدهم   في رقهم أعتقوهم عتق أحرار
وأنت يا سيدي أولى بذا كرمًا   قد شبت في الرق فاعتقني من النار

محمد بن حرب الهلالي، قال: أتيت قبر النبي ﷺ فزرته وجلست بحذائه) بمعجمة ومد بمقابله **(فجاء أعرابي، فزاره، ثم قال: يا خيرة الرسل إن اللّه أنزل عليك كتابًا صادقاً، قال فيه: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا اللّه واستغفر لهم الرسول﴾)** [النساء/ ٦٤]، التفت عن استغفرت لهم تنويهًا بشأنه: **(لوجدوا اللّه توابًا)** عليهم **(رحيمًا)** بهم **(وقد جئتك مستغفرًا من ذنبي مستشفعًا بك إلى ربي، وأنشأ يقول:)**

(يا خير من دفنت بالقاع أعظمه   فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه   فيه العفاف وفيه الجود والكرم)

وبقية هذه الحكاية: ثم استغفر وانصرف، فرقدت فرأيت النبي ﷺ في النوم وهو يقول: الحق الأعرابي وبشره بأن اللّه قد غفر له بشفاعتي، فاستيقظت فخرجت لطلبه فلم أجده **(ووقف أعرابي على قبره الشريف وقال: اللهم إنك أمرت بعتق العبيد وهذا حبيبك وأنا عبدك فاعتقني من النار على قبر حبيبك، فهتف به هاتف: يا هذا تسأل العتق لك وحدك، هلا سألت)** العتق **(لجميع الخلق، اذهب فقد أعتقناك من النار)** وأنشد المصنف لغيره:

(إن الملوك إذا شابت عبيدهم   في رقهم أعتقوهم عتق أحرار
وأنت يا سيدي أولى بذا كرمًا   قد شبت في الرق فاعتقني من النار)

وعن الأصمعي: وقف أعرابي مقابل القبر الشريف، فقال: اللهم إن هذا حبيبك وأنا عبدك

وعن الحسن البصري قال: وقف حاتم الأصم على قبره ﷺ فقال: يا رب، إنا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين، فنودي: يا هذا ما أذنا لك في زيارة قبر حبيبنا إلا وقد قبلناك فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفورًا لكم.

وقال ابن أبي فديك: سمعت بعض من أدركت يقول: بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي ﷺ فتلا هذه الآية: ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي**﴾ [الأحزاب/٥٦] وقال: صلى الله عليك يا محمد، حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك: صلى الله عليك يا فلان، ولم تسقط له حاجة.

قال الشيخ زين الدين المراغي وغيره: الأولى أن ينادي يا رسول الله وإن كانت الرواية يا محمد، انتهى.

والشيطان عدوك، فإن غفرت لي سر حبيبك وفاز عبدك وغضب عدوك، وإن لم تغفر لي غضب حبيبك ورضي عدوك وهلك عبدك، اللهم إن العرب الكرام إذا مات منهم سيد أعتقوا على قبره وإن هذا سيد العالمين فأعتقني على قبره.

قال الأصمعي: فقلت: يا أخا العرب إن اللّه قد غفر لك وأعتقك بحسن هذا السؤال.

(**وعن الحسن البصري، قال: وقف حاتم الأصم**) البلخي من أجل المشايخ الزهاد اعتزل الناس ثلاثين سنة في قبة لا يكلمهم إلا جوابًا بالضرورة (**على قبره ﷺ، فقال: يا رب إنا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين، فنودي: يا هذا ما أذنا لك في زيارة قبر حبيبنا إلاَّ وقد قبلناك، فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفورًا لكم، وقال ابن أبي فديك:**) بضم الفاء وفتح المهملة وتحتية وكاف محمد بن إسمعيل بن مسلم الديلمي، مولاهم المدني، مات سنة مائتين على الصحيح وهو من رجال الجميع.

وهذا رواه البيهقي عنه، قال: (**سمعت بعض من أدركت**) من العلماء والصلحاء (**يقول: بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي ﷺ فتلا هذه الآية:** (﴿**إن اللّه وملائكته يصلون على النبي**﴾) [الأحزاب/ ٥٦]، إلى تسليمًا (**وقال: صلى اللّه عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة، ناداه ملك صلى اللّه عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة**) أي: لا ترد ولا تخيب، شبه عدم قبولها بسقوط شيء يقع من يده، وخص السبعين لأنها محل الإجابة، كما قال تعالىٰ: ﴿أن تستغفر لهم سبعين مرة﴾ [التوبة/ ٨٠].

(**قال الشيخ زين الدين المراغي وغيره: والأولى أن ينادي يا رسول اللّه، وإن كانت الرواية يا محمد. انتهى**) للنهي عن ندائه باسمه حيًا وميتًا، فإن كان هذا مأثورًا عنه صحيحًا

وقد نبهت على ذلك مع مزيد بيان في كتاب «لوامع الأنوار في الأدعية والأذكار».

فإن أوصاه أحد بإبلاغ السلام إلى النبي ﷺ فليقل: السلام عليك يا رسول الله من فلان.

ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع، فيسلم على أبي بكر رضي الله عنه، لأن رأسه بحذاء منكب رسول الله ﷺ، على ما جزم به رزين وغيره، وعليه الأكثر، فيقول: السلام عليك يا خليفة سيد المرسلين، السلام عليك يا من أيد الله به - يوم الردة - الدين، جزاك الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا، اللهم ارض عنه، وارض عنا به.

ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع، فيسلم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام عليك يا من أيد الله به الدين، جزاك الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا، اللهم ارض عنه، وارض عنا به.

اغتفرا تباعًا للمأثور، ولتقدم تعظيمه بقوله: صلى الله عليك، كما قيل: **(وقد نبهت على ذلك مع مزيد بيان في كتاب لوامع الأنوار في الأدعية والأذكار، فإن أوصاه أحد بإبلاغ السلام إلى النبي ﷺ)** بأن قال الموصي: قل السلام عليك من فلان، أو سلم لي عليه ﷺ، وتحمل ذلك ورضي به وجب عليه إبلاغه، لأنه أمانة يجب أداؤها **(فليقل: السلام عليك يا رسول الله من فلان)** وقول بعضهم: أنه سنة لا واجب، إذ ليس في تركه سوى عدم اكتساب فضيلة للغير فلا سبب يقتضي التحريم، رد بأن المأمور حيث التزم ذلك وقبله وجب التبليغ لأنه أمانة التزم أداءها له عليه السلام **(ثم ينتقل)** الزائر المسلم **(عن يمينه قدر ذراع فيسلم على أبي بكر رضي الله عنه، لأن رأسه بحذاء منكب رسول الله ﷺ على ما جزم به رزين وغيره، وعليه الأكثر)** وهو أشهر الروايات السبع وأصحها **(فيقول: السلام عليك يا خليفة سيد المرسلين، السلام عليك يا من أيد الله به يوم الردة الدين)** ومر حديث: أنا سيف الإسلام وأبو بكر سيف الردة **(جزاك الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا اللهم ارض عنه وارض عنا به، ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، فيقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام عليك يا من أيد الله به الدين، جزاك الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا، اللهم ارض عنه وارض عنا به)** وما ذكره من الدعاء لهما بلفظ: السلام، ذكره جماعة من المالكية وغيرهم وهذا بخلاف الصلاة فتكره استقلالاً على غير نبي أو ملك، وفي موطأ لملك عن عبد الله بن دينار، قال: رأيت عبد الله بن عمر يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي على قبر

ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه سيدنا رسول الله ﷺ بعد السلام على سيدنا أبي بكر وعمر، فيحمد الله تعالى ويمجده، ويصلي على النبي ﷺ، ويكثر من الدعاء والتضرع، ويجدد التوبة في حضرته الكريمة، ويسأل الله بجاهه أن يجعلها توبة نصوحًا، ويكثر من الصلاة والسلام على النبي ﷺ بحضرته الشريفة حيث يسمعه ويرد عليه.

وقد روى أبو داود من حديث أبي هريرة: أنه ﷺ قال: «ما من مسلم يسلم عليَّ إلا رد الله عليَّ روحي حتى أرد عليه السلام».

النبي ﷺ وعلى أبي بكر وعمر.

كذا رواه يحيى بن يحيى الليثي عن لملك، ورواه القعنبي وابن بكير وسائر رواة الموطأ، بلفظ: فيصلي على النبي ﷺ ويدعو لأبي بكر وعمر، ففرقوا بين يصلي ويدعوا، وإن كانت الصلاة قد تكون دعاء، لأنه خص بلفظ: الصلاة عليه... الآية: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا﴾ [النور/ ٦٣].

وقد أنكر العلماء رواية يحيى ومن وافقه، قاله ابن عبد البرّ، ولعل إنكارهم من حيث اللفظ الذي خالف فيه الجمهور فتكون روايته شاذة، وإلا فالصلاة على غير النبي تجوز تبعًا كما هنا، وإنما اختلف فيها استقلالاً بالمنع والجواز والكراهة، وصححها الأبي (**ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة**) بضم القاف (**وجه سيدنا رسول اللّه ﷺ بعد السلام على سيدنا أبي بكر وعمر: فيحمد اللّه تعالى ويمجده**) على هذه النعمة العظيمة من تسهيل الزيارة له (**ويصلي على النبي ﷺ ويكثر الدعاء والتضرع ويجدد التوبة في حضرته الكريمة ويسأل اللّه تعالىٰ بجاهه أن يجعلها توبة نصوحًا**) خالصة (**ويكثر من الصلاة والسلام على رسول اللّه ﷺ بحضرته الشريفة حيث يسمعه ويرد عليه**) بأن يقف بمكان قريب منه ويرفع صوته إلى حد لو كان حيًا مخاطبًا له لسمعه عادة.

(**وقد روى أبو داود**) بإسناد صحيح (**من حديث أبي هريرة؛ أنه ﷺ قال: ما من مسلم**) الذي في أبي داود وهو الذي قدمه المصنف في مبحث الصلاة ما من أحد. نعم المراد مسلم (**يسلم عليّ**) في أي محل كان، قال السخاوي: وزيادة عند قبري لم أقف عليها فيما رأيته من طرق الحديث.

(**إلاّ رد اللّه عليّ روحي**) قال السيوطي: كذا رواه أبو داود علي، وللبيهقي: إليّ وهي ألطف وأنسب، لأن رد يعدى بعلى في الإهانة، وبإلى في الإكرام، فمن الأول: يردوكم على أعقابكم، ومن الثاني: رددناه إلى أمه. انتهى.

وعند ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من صلى علي عند قبري سمعته، ومن صلى علي نائيًا بلغته».

وعن سليمان بن سحيم، مما ذكره القاضي عياض في «الشفاء» قال: رأيت النبي ﷺ في النوم، فقلت: يا رسول الله، هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم؟ قال: نعم وأرد عليهم.

ولا شك أن حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ثابتة معلومة مستمرة، ونبينا ﷺ أفضلهم، وإذا كان كذلك فينبغي أن تكون حياته ﷺ أكمل وأتم من

ولا يطرد هذا بدليل رواية على هنا في الإكرام (**حتى**) غاية لرد في معنى التعليل، أي: لأجل أن (**أرد عليه السلام عند ابن أبي شيبة**) وعبد الرزاق (**من حديث أبي هريرة، مرفوعًا: من صلى علي عند قبري سمعته، ومن صلى علي نائيًا**) بعيدًا (**بلغته**) من الملك الموكل بقبره بإبلاغه صلاة أمته عليه، والظاهر أن المراد بالعندية قرب القبر بحيث يصدق عليه عرفًا أنه عنده، وبالبعد ما عداه وإن كان بالمسجد، قال السخاوي: إذا كان المصلي عند قبره سمعه بلا واسطة سواء كان ليلة الجمعة أو غيرها، وما يقوله بعض الخطباء ونحوهم أنه يسمع بأذنيه في هذا اليوم من يصلي عليه فهو مع حمله على القريب لا مفهوم له. انتهى.

وتقدم لذلك مزيد في مقصد المحبة وقبله في الخصائص، وأورد أن رد السلام على المسلم لا يختص به ﷺ ولا بالأنبياء، فقد صح مرفوعًا: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن ومن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلاَّ عرفه ورد عليه السلام»، وأجيب بأن الرد من الأنبياء رد حقيقي بالروح والجسد بجملته ولا كذلك الرد من غير الأنبياء والشهداء فليس بحقيقي، وإنما هو بواسطة اتصال الروح بالجسد، لأن بينه وبينها اتصالاً يحصل بواسطه التمكن من الرد مع كون أرواحهم ليست في أجسادهم، وسواء الجمعة وغيرها على الأصح، لكن لا مانع أن الاتصال في الجمعة واليومين المكتنفين به أقوى من الاتصال في غيرها من الأيام. انتهى.

(**وعن سليمن بن سحيم**) بمهملتين مصغر المدني مولى آل العباس، وقيل: مولى آل الحسين، تابعي، ثقة، روى له مسلم والسنن: إلاَّ الترمذي (**مما ذكره القاضي عياض في الشفاء**) وأخرجه البيهقي في حياة الأنبياء وابن أبي الدنيا عن سليمن (**قال: رأيت النبي ﷺ في النوم**) ورؤياه حق (**فقلت: يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه:**) أتفهم (**سلامهم، قال: نعم**) أفقهه (**وأرد عليهم**) عطف على معنى. نعم. لا على قول السائل وإنه من العطف التقليني كما توهم لوجود نعم، إذ معناها أفقه (**ولا شك أن حياة الأنبياء عليهم السلام ثابتة معلومة مستمرة ثابتة**) في الاستمرار فلا تكرار (**ونبينا ﷺ أفضلهم**) بالنصوص

حياة سائرهم.

فإن قال سقيم الطبع رديء الفهم: لو كانت حياته ﷺ مستمرة ثابتة لما كان لرد روحه معنى كما قال: «إلا رد الله علي روحي».

يجاب عن ذلك من وجوه:

أحدها: أن هذا إعلام بثبوت وصف الحياة دائمًا لثبوت رد السلام دائمًا، فوصف الحياة لازم لرد السلام اللازم، واللازم يجب وجوده عند ملزومه أو ملزوم ملزومه، فوصف الحياة ثابت دائمًا لأن ملزوم ملزومه ثابت دائمًا، وهذا من نفاثات سحر البيان في إثبات المقصود بأكمل أنواع البلاغة، وأجمل فنون البراعة التي هي قطرة من بحار بلاغته العظمى.

ومنها: أن ذلك عبارة عن إقبال خاص، والتفات روحاني يحصل من الحضرة النبوية إلى عالم الدنيا، وقوالب الأجساد الترابية، وتنزل إلى دائرة البشرية، حتى يحصل عند ذلك رد السلام، وهذا الإقبال يكون عامًا شاملاً، حتى لو كان

والإجماع **(وإذا كان كذلك فينبغي:)** يجب **(أن تكون حياته أكمل وأتم من حياة سائرهم)** أي: الأنبياء عليهم السلام **(فإن قال: سقيم الطبع رديء الفهم، لو كانت حياته ﷺ مستمرة ثابتة لما كان لرد روحه معنى، كما قال)** في الحديث: **(إلا رد الله عليّ روحي)** فإن مقتضاه انفصالها عنه وهو الموت **(يجاب عن ذلك من وجوه، أحدها: أن هذا إعلام بثبوت وصف الحياة دائمًا لثبوت رد السلام دائمًا)** لاستحالة خلوّ الوجود كله عن مسلم عليه عادة **(فوصف الحياة لازم لرد السلام اللازم)** لصفة الحياة **(واللازم يجب وجوده عند ملزومه أو ملزوم ملزومه)** فأطلق الملزوم هنا وهو رد الروح، وأراد لازمه وهو صفة الحياة الملزومة لرد السلام، فكأنه قال: إلاّ وجدني حيًا **(فوصف الحياة ثابت دائمًا لأن ملزوم ملزومه ثابت دائمًا وهذا من نفاثات)** بفتح النون والفاء المشددة، ويجوز ضم النون وفتح الفاء مخففة، لكن الأول أنسب بقوله: **(سحر البيان)** والمراد العبارات البليغة **(في إثبات المقصود بأكمل أنواع البلاغة وأجمل)** بالجيم **(فنون)** جمع فن **(البراعة التي هي قطرة من بحار بلاغته العظمى)** ﷺ **(ومنها أن ذلك عبارة عن إقبال خاص والتفات روحاني)** بضم الراء لا يكيف **(يحصل من الحضرة النبوية إلى عالم الدنيا وقوالب:)** بكسر اللام جمع قالب بفتحها، لأن فاعل بالفتح جمعه فواعل بالكسر **(الأجساد الترابية وتنزل إلى دائرة البشرية)** عبر عنه برد الروح تجوزًا للتقريب للإفهام **(حتى يحصل عند ذلك رد السلام، وهذا الإقبال يكون عامًا شاملاً حتى لو كان**

المسلمون في كل لمحة أكثر من ألف ألف ألف لوسعهم ذلك الإقبال النبوي والالتفات الروحاني، ولقد رأيت من ذلك ما لا أستطيع أن أعبر عنه، ولقد أحسن من سئل: كيف يرد النبي ﷺ على من سلم عليه من مشارق الأرض ومغاربها في آن واحد فأنشد قول أبي الطيب:

كالشمس في وسط السماء ونورها يغشى البلاد مشارقًا ومغاربا

المسلمون) بكسر اللام الثقيلة **(في كل لمحة أكثر من ألف ألف ألف)** ثلاثًا **(لوسعهم ذلك الإقبال النبوي والالتفات الروحاني، ولقد رأيت من ذلك ما لا أستطيع أن أعبر عنه)** لأنه أمر لا يدرك بالعبارة وإنما يعرفه من شاهده ولا يقدر على التعبير عنه.

وفي فتح الباري أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة، أحدها: أن المراد بقوله: رد الله إليّ روحي أن رد روحه كانت سابقة عقب دفنه لا أنها تعاد ثم تنزع ثم تعاد. الثاني: سلمنا لكن ليس هو نزع موت بل لا مشقة فيه الثالث: أن المراد بالروح الملك الموكل بذلك. الرابع: المراد بالروح النطق، فتجوز فيه من جهة خطابنا بما نفهمه. الخامس: أنه يستغرق في أمور الملأ الأعلى، فإذا سلم عليه رجع إليه فهمه ليجيب من يسلم عليه، واستشكل ذلك من جهة أخرى وهو أنه يستلزم استغراق الزمان كله في ذلك لاتصال الصلاة عليه والسلام في سائر أقطار الأرض ممن لا يحصى كثرة، وأجيب بأن أمور الآخرة لا تدرك بالعقل وأحوال البرزخ أشبه بأحوال الآخرة انتهى.

بلفظه: والجواب الأول للبيهقي واعترض بأنه خلاف الظاهر، واعترض الثالث بأن الإضافة في روحي تأباه، وأجيب بأنه لما كان ملازماً مختصًا به صحت إضافته إليه، بل قيل أنه أقرب الأجوبة، وقد أطلق الروح على الملك في القرءان والسنة، واعترض الرابع بأن استعارة الروح للنطق بعيدة وغير مألوفة ولا رونق لها يليق بالفصاحة النبوية، ولو سلم كان ركيكاً، لأن قوله: حتى أرد يأباه، وتعقب بأنه لا بعد ولا ركاكة لأنه للتقريب للإفهام كما قال، بل علاقة المجاز كما قال ابن الملقن وغيره: إن النطق من لازمه وجود النطق بالفعل أو بالقوة وهو في البرزخ مشغول بأحوال الملكوت مستغرق في مشاهدته، مأخوذ عن النطق بسبب ذلك، ومن الأجوبة أن رد الروح مجاز عن المسرة، فإنه يقال لمن سر عادت له روحه، ولضده ذهبت، فهو عبارة عن دوم سروره ﷺ بالسلام عليه، لأن الكون لا يخلو عن مسلم عليه، بل قد يتعدد في آنٍ واحد ما لا يحصى وأن رد الروح عبارة عن حضور الفكر كما قيل في خبر أنه ليغان على قلبي **(ولقد أحسن من سئل كيف يرد النبي ﷺ على من سلم عليه في مشارق الأرض ومغاربها في آنٍ واحد، فأنشد قول أبي الطيب)** أحمد المتنبي في ممدوحه ناقلاً له إلى من هو اللائق به:

(كالشمس في وسط السماء ونورها يغشى البلاد مشارقًا ومغاربا)

ولا ريب أن حاله ﷺ في البرزخ أفضل وأكمل من حال الملائكة، هذا سيدنا عزرائيل عليه السلام يقبض مائة ألف روح في وقت واحد ولا يشغله قبض عن قبض، وهو مع ذلك مشغول بعبادة الله تعالى، مقبل على التسبيح والتقديس، فنبينا ﷺ حي يصلي ويعبد ربه ويشاهده، لا يزال في حضرة اقترابه، متلذذًا بسماع خطابه، وقد تقدم الجواب عن قوله تعالى: ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾ في أواخر الخصائص من المقصد الرابع.

وقد روى الدارمي عن سعيد بن عبد العزيز قال: لما كان أيام الحرة، لم

كالبدر من حيث التفت رأيته يهدي إلى عينيك نورًا ثاقبا

(**ولا ريب أن حاله ﷺ في البرزخ أفضل وأكمل من حال الملائكة، هذا سيدنا عزرائيل**) اسم ملك الموت على ما اشتهر (**عليه السلام يقبض مائة ألف روح**) أو أزيد (**في وقت واحد ولا يشغله**) بفتح أوله وثالثه على الأفصح (**قبض عن قبض وهو مع ذلك مشغول بعبادة اللّه تعالى مقبل على التسبيح والتقديس، فنبينا ﷺ حي**) في قبره (**يصلي ويعبد ربه ويشاهده، لا يزال في حضرة اقترابه:**) أي دنوه (**متلذذًا بسماع خطابه**).

وكذا كان شأنه وعادته في الدنيا يفيض على أمته من سبحات الوحي الإلهي مما أفاضه اللّه عليه، ولا يشغله هذا الشأن وهو شأن إفاضة الأنوار القدسية على أمته عن شغله بالحضرة الإلهية، (**وقد تقدم الجواب عن قوله تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾**) [الزمر/ ٣٠] (**في أواخر الخصائص من المقصد الرابع**) عن السبكي بما حاصله أن موته لم يستمر وأنه أحيي بعد الموت حياة حقيقية ولا يلزم منه أن يكون البدن معها كما في الدنيا من الحاجة إلى طعام وشراب وغير ذلك من صفات الأجسام التي نشاهدها، أي: لأن ذلك عادي لا عقلي والملائكة أحياء ولا يحتاجون إلى ذلك.

(**وقد روى الدارمي عن سعيد بن عبد العزيز، قال: لما كان أيام الحرة**) بفتح الحاء والراء المهملتين أرض بظاهر المدينة ذات حجارة سود كأنها أحرقت بالنار كانت بها الوقعة المشهورة بين عسكر يزيد بن معاوية وبين أهل المدينة بسبب أنهم خلعوا يزيد وولوا على المهاجرين عبد اللّه بن مطيع وعلى الأنصار عبد اللّه بن حنظلة وأخرجوا عامل يزيد عثمٰن بن محمد بن أبي سفيٰن من بينهم، فبعث لهم يزيد جيشًا عدته سبع وعشرون ألف فارس وخمسة عشر ألف راجل، فظفروا فأباحوا المدينة ثلاثة أيام قتلاً ونهبًا وزنًا وغير ذلك وقتل فيها خلق كثير من الصحابة وغيرهم.

يؤذن في مسجد النبي ﷺ، ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد، وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبر النبي ﷺ، وذكر ابن النجار وابن زبالة بلفظ قال سعيد ـ يعني ابن المسيب ـ: فلما حضرت الظهر سمعت الأذان في القبر، فصليت ركعتين، ثم سمعت الإقامة فصليت الظهر، ثم مضى ذلك الأذان والإقامة في القبر المقدس لكل صلاة حتى مضت الثلاث ليال، يعني ليالي أيام الحرة.

وقد روى البيهقي وغيره: من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال: الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون. وفي رواية: «إن الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة، ولكنهم يصلون بين يدي الله حتى ينفخ في الصور».

وفي البخاري عن ابن المسيب: أنها لم تبق من أصحاب الحديبية أحدًا (**لم يؤذن في مسجد النبي ﷺ**) لعدم تمكن أحد من دخول المسجد من الخوف (**ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبر النبي ﷺ**).

(**وذكره ابن النجار وابن زبالة**) بفتح الزاي (**بلفظ**) أن الأذان ترك في أيام الحرة ثلاثة أيام وخرج الناس وسعيد بن المسيب في المسجد.

(**قال سعيد، يعني ابن المسيب:**) فاستوحشت فدنوت من القبر (**فلما حضرت الظهر سمعت الأذان في القبر**) الشريف يحتمل من ملك موكل بذلك إكرامًا له عليه السلام ويحتمل غير ذلك (**فصليت ركعتين**) نفلاً (**ثم سمعت الإقامة فصليت الظهر**) اكتفاء بذلك لعلمه أنه حق، إلاَّ أن قوله: فلما حضرت الظهر يقتضي أنه علم دخول الوقت قبل سماع الأذان وصريح لرواية الأولى أنه لا يعرف الوقت إلا بسماع الهمهمة من القبر.

فإما أن يؤول حضرت الظهر على معنى بسماع الأذان، وإما أن المراد بالحضر في الوقت غير الظاهر كالظهر (**ثم مضى**) أي: استمر (**ذلك الأذان والإقامة في القبر المقدس لكل صلاة حتى مضت الثلاث ليال، يعني ليالي أيام الحرة**) كرامة له وتأنيسًا لاستيحاشة بانفراده في المسجد.

(**وقد روى البيهقي**) في كتاب حياة الأنبياء وصححه (**وغيره**) كأبي يعلى والبزار وابن عدي (**من حديث أنس أنه ﷺ قال: الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون**) تلذذًا وإكرامًا.

(**وفي رواية**) للبيهقي من طريق محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى أحد فقهاء الكوفة، عن ثابت، عن أنس مرفوعًا: (**أن الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة**) من موتهم (**ولكنهم يصلون بين يدي الله حتى ينفخ في الصور**).

وله شواهد في الصحيح منها قوله في صحيح مسلم عنه ﷺ: مررت بموسى وهو قائم يصلي في قبره. وفي حديث أبي ذر في قصة المعراج: أنه لقي الأنبياء

قال الحافظ ومحمد: سيء الحفظ، وذكر الغزالي، ثم الرافعي حديثًا مرفوعًا: أنا أكرم على ربي من أن يتركني في قبري بعد ثلاث ولا أصل له إلاَّ أن أخذ من رواية ابن أبي ليلى هذه وليس الأخذ بجيد، لأن روايته قابلة للتأويل.

قال البيهقي: إن صح، فالمراد أنهم لا يتركون يصلون إلاَّ هذا القدر، ثم يكونون مصلين بين يدي اللّه تعالى. انتهى كلام الحافظ.

وفي جامع الثوري ومصنف عبد الرزاق عن ابن المسيب أنه رأى قومًا يسلمون على النبي ﷺ، فقال: ما يمكث نبي في قبره أكثر من أربعين يومًا حتى يرفع، ولا يصح هذا عن ابن المسيب، كما قال شيخنا بأنه لا يتركني على حالتي بحيث لا يقوى تعلق الروح بالجسد على وجه يمنع من ذهاب الروح بعد تعلقها بالجسد حيث شاءت متشكلة بصورة الجسد، وأما الجسد فهو باقٍ إلى يوم القيامة، وقوله: ما يمكث نبي، يعني غير المصطفى، فغيره من الأنبياء إنما يقوى تعلق أرواحهم بأجسادهم بعد الأربعين ومع ذلك هو صادق بأن يكون بعدها بزمن طويل أو يسير، وبهذا الجمع يندفع التعارض. انتهى.

لكن قوله: هو صادق لا يصح لأنه خلاف قول الخبر لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة وخلاف قول ابن المسيب ما يمكث نبي في قبره أكثر من أربعين، فإن صريحهما أن حد المكث لا يزيد على الأربعين بقليل فضلاً عن الكثير **(وله شواهد)** أي: للحديث الأول كما في الفتح.

قال البيهقي: وشاهد الحديث الأول **(في الصحيح منها قوله في صحيح مسلم)** عن أنس، عن النبي **(ﷺ: مررت بموسى)** ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر **(وهو قائم يصلي في قبره)** هذا لفظ مسلم، فاختصره المصنف كما ترى، قيل: المراد الصلاة اللغوية، أي: يدعو اللّه ويذكره ويثني عليه، وقيل: الشرعية.

قال القرطبي: ظاهره أنه رآه رؤية حقيقية في اليقظة وأنه حي في قبره يصلي الصلاة التي كان يصليها في الحياة وذلك ممكن وفي الفتح، فإن قيل: هذا خاص بموسى، قلنا: له شاهد عند مسلم أيضًا عن أبي هريرة، رفعه: «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي»... الحديث، وفيه: وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء إلى أن قال: فحانت الصلاة فأممتهم.

قال البيهقي: وفي حديث سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أنه لقيهم ببيت المقدس.

(وفي حديث أبي ذر) ولملك بن صعصعة في الصحيحين، **(في قصة المعراج أنه لقي**

في السموات، وكلموه وكلمهم. وقد ذكرت مزيد بيان لذلك في حجة الوداع من مقصد عباداته، وفي ذكر الخصائص الكريمة في مقصد معجزاته، وفي مقصد الإسراء والمعراج.

وهذه الصلوات والحج الصادر من الأنبياء ليس على سبيل التكليف، إنما هو على سبيل التلذذ، ويحتمل أن يكونوا في البرزخ ينسحب عليهم حكم الدنيا في استكثارهم من الأعمال وزيادة الأجور من غير خطاب بتكليف، وبالله التوفيق.

وإذا ثبت بشهادة قوله تعالى: ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون**﴾ [آل عمران/١٦٩]، حياة الشهيد، ثبت للنبي ﷺ بطريق الأولى، والذي عليه جمهور العلماء: أن الشهداء أحياء حقيقة، وهل ذلك للروح فقط أو للجسد معها؟ بمعنى عدم البلى، قولان.

الأنبياء في السموات وكلموه) وجمع البيهقي بين هذه الروايات بأنه رأى موسىٰ قائمًا في قبره، ثم اجتمع به هو ومن ذكر من الأنبياء في السمٰوت، فلقيهم النبي ﷺ ثم اجتمعوا في بيت المقدس، فحضرت الصلاة فأمهم.

قال: وصلواتهم في أوقات مختلفة في أماكن مختلفة لا يرده العقل وقد ثبت به النقل فدل على حياتهم (**وقد ذكرت مزيد بيان لذلك في حجة الوداع من مقصد عباداته، وفي ذكر الخصائص الكريمة من مقصد معجزاته وفي مقصد الإسراء والمعراج وهذه الصلوات والحج الصادر من الأنبياء عليهم السلام ليس**) المذكور (**على سبيل التكليف**) لانقطاعه بالموت (**إنما هو على سبيل التلذذ**) بها فهو من النعيم.

وفي مسلم مرفوعًا: «إن أهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس» (**ويحتمل أن يكونوا في البرزخ ينسحب**) ينجر (**عليهم حكم الدنيا**) لأنه قبل يوم القيامة وكل ما قبله يعد من الدنيا (**في استكثارهم من الأعمال وزيادة الأجور من غير خطاب بتكليف**) بل من عند أنفسهم لزيادة الأجر (**وبالله التوفيق، وإذا ثبت بشهادة قوله تعالىٰ: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل**) هم (**أحياء عند ربهم يرزقون﴾**) [آل عمران/ ١٦٩] الآية (**حياة الشهداء**) فاعل ثبت (**ثبت للنبي ﷺ بطريق الأولى**) لأنه فوقهم درجات.

قال السيوطي: وقل نبي إلاَّ وقد جمع مع النبوة وصف الشهادة فيدخلون في عموم الآية (**والذي عليه جمهور العلماء أن الشهداء أحياء حقيقة وهل ذلك للروح فقط أو الجسد معها بمعنى عدم البلى**) بالكسر مع القصر والفتح مع المد (**فيه قولان**) وفيما نقله المصنف في

وقد صح عن جابر: أن أباه وعمرو بن الجموح وكانا ممن استشهد بأحد ودفنا في قبر واحد، حتى حفر السيل قبرهما، فوجدا لم يتغيرا، وكان أحدهما قد جرح، فوضع يده على جرحه، فدفن وهو كذلك، فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت. وكان بين ذلك وبين أحد ست وأربعون سنة.

وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال في شهداء أحد: «والذي نفسي

الخصائص عن السبكي: عود الروح إلى الجسد ثابت في الصحيح لسائر الموتى فضلاً عن الشهداء فضلاً عن الأنبياء وإنما النظر في استمرارها في البدن، وفي أن البدن يصير حيًا كحالته في الدنيا أو حيًا بدونها وهي حيث شاء اللّه تعالىٰ، فإن ملازمة الروح للحياة أمر عادي لا عقلي، فهذا مما يجوّزه العقل، فإن صح به سمع أتبع، وقد ذكره جماعة من العلماء ويشهد له صلاة موسىٰ في قبره، فإن الصلاة تستدعي جسدًا حيًا.

(وقد صح) عند ابن سعد **(عن جابر)** وهو في الموطأ من وجه آخر؛ **(أن أباه)** عبد اللّه بن عمرو بفتح العين ابن حرام بن ثعلبة الخزرجي، العقبي، البدري **(وعمرو)** بفتح العين **(ابن الجموح)** بفتح الجيم وخفة الميم وإسكان الواو ومهملة ابن زيد بن حرام بن كعب الخزرجي من سادات الأنصار وأشرافهم وأجوادهم **(وكانا ممن استشهد بأحد ودفنا في قبر واحد)** بأمره ﷺ، بقوله: أجمعوا بينهما فإنهما كانا متصادقين في الدنيا كما عند ابن إسحٰق **(حتى حفر السيل قبرهما، فوجدا لم يتغيرا)** زاد في الموطأ: كأنهما ماتا بالأمس **(وكان أحدهما قد جرح، فوضع يده على جرحه، فدفن وهو كذلك، فأميطت:)** نحيت **(يده عن جرحه، ثم أرسلت فرجعت كما كانت)** دليل على الحياة **(وكان بين ذلك)** أي حفر السيل قبرهما **(وبين أحد)** ولفظ الموطأ وكان بين أحد وبين يوم حفر عنهما **(ست وأربعون سنة)**.

وفي الصحيح عن جابر: كان أبي أول قتيل ودفن معه آخر في قبر، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع الآخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته، فجعلته في قبر على حدة، وظاهره يخالف حديث الموطأ هذا.

وجمع ابن عبد البر بتعدد القصة ونظر فيه الحافظ بأن الذي في حديث جابر أنه دفن أباه وحده في قبر بعد ستة أشهر؛ وحديث الموطأ أنهما وجدا في قبر واحد بعد ستة وأربعين سنة، فإما أن المراد بكونهما في قبر واحد قرب المجاورة، أو أن السيل جرف أحد القبرين حتى صارا واحدًا.

(وروي عنه عليه السلام أنه قال في شهداء أحد: والذي نفسي بيده) إن شاء نزعها،

بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه». رواه البيهقي عن أبي هريرة.

وقد قال ابن شهاب: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «أكثروا من الصلاة عليَّ في الليلة الزهراء واليوم الأزهر، فإنهما يؤديان عنكم، وإن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء» رواه أبو داود وابن ماجة.

ونقل ابن زبالة عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: «من كلمه روح القدس لم يؤذن للأرض أن تأكل من لحمه».

وقد ثبت أن نبينا ﷺ مات شهيدًا لأكله يوم خيبر من شاة مسمومة سمًا قاتلاً من ساعته حتى مات منه بشر بن البراء، وصار بقاؤه ﷺ معجزة، فكان به ألم

وإن شاء أبقاها (**لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلاّ ردوا عليه**) السلام (**رواه البيهقي عن أبي هريرة**) رضي الله عنه.

(**وقد قال ابن شهاب**) محمد بن مسلم الزهري: (**بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: أكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهراء**) وفي نسخة: الغراء، لكن الذي في الشفاء الزهراء وهي المناسبة لقوله: (**واليوم الأزهر**) يعني: ليلة الجمعة ويومها، والمراد بالزهراء والأزهر الأبيض المستنير، لأن الزهر لا يطلق لغة على غير النور الأبيض وإن شاع بعد ذلك في مطلقه ونورهما لبركتهما وما في ذلك اليوم من العبادة التي خص بها وساعة الإجابة وغير ذلك (**فإنهما**) أي: الليلة واليوم (**يؤديان عنكم**) بضم التحتية وفتح الهمزة وكسر المهملة المشددة، أي: يوصلان صلاتكم إليّ ويبلغانها لي، وإسناد ذلك للزمان مجاز، أي: تؤدي الملائكة فيهما وكونهما يخلق لهما النطق بالأداء بعيد وإن جاز، لكن التصريح بعده بحمل الملك يبعده أو يمنعه (**وإن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء**) لأنهم أحياء فلا تبلى أجسادهم وهذا جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: كيف يكون لمن مات وأكلته الأرض كما صرح به في حديث آخر وإن بكسر الهمزة والجملة حالية أو بفتحها بتقدير، وبلغنا أن الأرض، وقيل: إنه بيان لخاصة أخرى والأول أولى.

(**رواه أبو داود وابن ماجه**) وزاد في الشفاء بعد قوله أجساد الأنبياء: وما من مسلم يصلي عليّ إلاّ حملها ملك حتى يؤديها ويسميه، حتى أنه يقول: أن فلانًا يقول لك كذا وكذا.

(**ونقل ابن زبالة**) بفتح الزاي (**عن الحسن**) البصري: (**أن رسول الله ﷺ، قال: من كلمه روح القدس**) جبريل عليه السلام (**لم يؤذن للأرض أن تأكل من لحمه**) إكرامًا له بالنبوة، وسرى ذلك الإكرام إلى بعض أتباعه كالعالم والشهيد والمؤذن المحتسب.

(**وقد ثبت أن نبينا ﷺ مات شهيدًا لأكله يوم خيبر من شاة مسمومة سمًا قاتلاً من ساعته حتى مات منه بشر**) بكسر الموحدة وسكون المعجمة (**ابن البراء**) بن معرور (**وصار بقاؤه**

السم يتعاهده إلى أن مات به، ولذا قال في مرض موته ـ كما مر ـ: «ما زالت أكلة خيبر تعادّني حتى كان الآن قطعت أبهري».

والأبهران: عرقان يخرجان من القلب تتشعب منهما الشرايين، كما ذكره في الصحاح.

قال العلماء: فجمع الله له بذلك بين النبوة والشهادة. انتهى.

وقد اختلف في محل الوقوف للدعاء. فعند الشافعية أنه قبالة وجهه كما ذكرته، وقال ابن فرحون من المالكية: اختلف أصحابنا في محل الوقوف للدعاء، ففي الشفاء قال مالك ـ في رواية ابن وهب ـ: إذا سلم على النبي ﷺ يقف للدعاء ووجهه إلى القبر الشريف لا إلى القبلة، وقد سأل الخليفة المنصور مالكًا

ﷺ **معجزة، فكان به ألم السم يتعاهده)** أحيانًا **(إلى أن مات به، ولذا قال في مرض موته كما مر: ما زالت أكلة خيبر)** بضم الهمزة ولا يصح فتحها لأنها لقمة واحدة **(تعادني)** بشد الدال) المهملة تأتي مرة بعد أخرى **(حتى كان الآن قطعت أبهري)** بفتح الهمزة والهاء بينهما موحدة ساكنة **(والأبهران عرقان يخرجان من القلب تتشعب منهما الشرايين)** بمعجمة وتحتيتين العروق النابضة و احدها شريان **(كما ذكره في الصحاح)**.

(قال العلماء: فجمع الله له بذلك بين النبوة والشهادة. انتهى) ولأحمد والحاكم وغيرهما عن ابن مسعود، قال: لأن أحلف تسعًا أنه ﷺ قتل قتلاً أحب إليّ من أن أحلف واحدة، أنه لم يقتل، وذلك أن الله اتخذه نبيًا واتخذه شهيدًا.

(وقد اختلف في محل الوقوف للدعاء، فعند الشافعية؛ أنه قبالة) بضم القاف **(وجهه ﷺ كما ذكرته)** سابقًا **(وقال ابن فرحون من المالكية: اختلف أصحابنا في محل الوقوف للدعاء)** لم يذكر خلافًا في ذلك، وإنما ذكر هل يدعو أم لا؟، وإذا دعا يستقبل القبر قطعًا كما ترى **(ففي الشفاء)** لعياض: **(قال لملك في رواية ابن وهب)** عبد الله من أجل أصحابه: **(إذا سلم)** الزائر **(على النبي ﷺ)** ودعا **(يقف للدعاء ووجهه إلى القبر الشريف لا إلى القبلة)** كما يستحب للداعي في غير هذا الموطن، لأن استدباره خلاف الأدب.

(وقد سأل الخليفة المنصور مالكًا، فقال: يا أبا عبد الله) خاطبته بكنيته تعظيمًا **(أستقبل القبلة)** أصله أأستقبل بهمزتين همزة الاستفهام وهمزة المضارع المتكلم، فحذفت الأولى للتخفيف ووجود القرينة، وقد ورد حذفها كثيرًا كقوله:

فوالله ما أدري وإن كنت داريًا ... بسبع رمين الجمر أم بثمان

فقال: يا أبا عبد الله، أأستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال مالك: ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة. وقال مالك في «المبسوط»، لا أرى أن يقف عند القبر يدعو، ولكن يسلم ويمضي. قال ابن فرحون: ولعل ذلك ليس اختلاف قول، وإنما أمر المنصور بذلك لأنه يعلم ما يدعو به، ويعلم آداب الدعاء بين يديه ﷺ، فأمن عليه من سوء الأدب فأفتاه بذلك، وأفتى العامة أن يسلموا وينصرفوا، لئلا يدعوا تلقاء وجهه الكريم ويتوسلوا به

أراد: أبسبع وهو من خصائص الهمزة **(وأدعو أم أستقبل رسول اللّه ﷺ)** أي: أجعل وجهي مقابلاً لجهته وحينئذٍ أستدبر القبلة، فلذا أشكل عليه، لأن استقبالها في الدعاء مشروع، فإذا عارضه هذا فأيهما يقدم **(فقال لملك: ولم تصرف وجهك عنه)** أي: عن مقابلته ومواجهته حال الدعاء **(وهو وسيلتك ووسيلة أبيك ءادم عليه السلام)** الوسيلة: السبب المتوصل به إلى إجابة الدعاء، وكنى بآدم عن جميع الناس، أي: هو الشفيع المشفع المتوسل به **(إلى اللّه يوم القيامة)** إشارة إلى حديث الشفاعة العظمى وإلى ما ورد أن الداعي إذا قال: اللهم إني أستشفع إليك بنبيك يا نبي الرحمة اشفع لي عند ربك أستجيب له وبقيته كما في الشفاء، بل أستقبله وأستشفع به فيشفعه اللّه، قال اللّه تعالىٰ: (﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك**﴾) [النساء/ ٦٤]، وإنما أعاد هذا المصنف وإن قدمه آنفًا لوقوعه في كلام ابن فرحون نقلاً عن الشفاء، لكن سؤال المنصور أورده في الشفاء بإسناده في الباب الثالث، ثم بعده يطول في حكم زيارة قبره.

أورد رواية ابن وهب والمبسوط دون الحكاية، فجمع بينهما ابن فرحون ونسبه للشفاء وهو صادق، لأنه كله فيه في موضعين، وإنما نبهت على هذا لئلا يقف ناقص العلم على أحد الموضعين فينكر الآخر.

(وقال لملك في المبسوط) اسم كتاب لإسمٰعيل القاضي: **(لا أرى)** لا أستحب، وأعده رأيًا **(أن يقف عند القبر يدعو)** أي: حال كونه داعيًا **(لكن يسلم)** عليه **(ويمضي)** ينصرف من غير وقوف.

(قال ابن فرحون: ولعل ذلك ليس اختلاف قول) هكذا في النسخ الصحيحة ليس وهو الذي يتأتى ترجيه، إذ كونه اختلافًا صريح ظاهر لا يترجى، ولهذا ولما بعده أشكل سقوط ليس في بعض النسخ وتعسف توجيهها لمنابذتها، لقوله: **(وإنما أمر المنصور بذلك لأنه يعلم ما يدعو به ويعلم آداب الدعاء بين يديه ﷺ، فأمن عليه من سوء الأدب، فأفتاه بذلك)** لأنه كان عالمًا **(وأفتى العامة أن يسلموا وينصرفوا)** بدون دعاء **(لئلا يدعوا تلقاء)** بكسر فسكون،

في حضرته إلى الله العظيم فيما لا ينبغي الدعاء به، أو فيما يكره أو يحرم، فمقاصد الناس وسرائرهم مختلفة، وأكثرهم لا يقوم بآداب الدعاء ولا يعرفها، فلذلك أمرهم مالك بالسلام والانصراف. انتهى.

ورأيت مما نسب للشيخ تقي الدين بن تيمية في منسكه: ولا يدعو هناك مستقبل الحجرة، ولا يصلي إليها ولا يقبلها، فإن هذا كله منهي عنه باتفاق الأئمة، ومالك من أعظم الأئمة كراهية لذلك، والحكاية المروية عنه أنه أمر المنصور أن يستقبل القبر وقت الدعاء، كذب على مالك، وكذا قال، والله أعلم، انتهى.

أي: مقابل **(وجهه الكريم ويتوسلوا به في حضرته إلى الله العظيم فيما لا ينبغي الدعاء به، أو فيما يكره أو يحرم، فمقاصد الناس وسرائرهم مختلفة وأكثرهم لا يقوم بآداب الدعاء ولا يعرفها، فلذلك أمرهم ملك بالسلام والانصراف. انتهى)**..

ومقتضى كلام العلامة خليل في مناسكه، أن المعتمد رواية ابن وهب ولو للعامة، لكن يعلمون وينهون عما لا ينبغي الدعاء به **(ورأيت مما نسب للشيخ تقي الدين بن تيمية في منسكه: ولا يدعو هناك مستقبل الحجرة ولا يصلي إليها ولا يقبلها، فإن هذا كله منهي عنه باتفاق الأئمة)** هو مسلم في التقبيل والصلاة، وأما الدعاء فإن الجمهور ومنهم الشافعية والمالكية والحنفية على الأصح عندهم كما قال العلامة الكمال ابن الهمام على استحباب استقبال القبر الشريف واستدبار القبلة لمن أراد الدعاء **(وملك من أعظم الأئمة كراهية لذلك)** يقال له: في أي كتاب نص على كراهته، فإنه نص في رواية ابن وهب عنه وهو من أجل أصحابه على أنه يقف للدعاء وأقل مراتب الطلب الاستحباب.

وجزم به الحافظ أبو الحسن القابسي وأبو بكر بن عبد الرحمٰن وغيرهما من أئمة مذهب ملك، وجزم به العلامة خليل بن إسحٰق في مناسكه، أفما يستحيي هذا الرجل من تكذيبه بما لم يحط بعلمه وليس في قوله في المبسوط لا أرى أن يقف عند القبر للدعاء تصريح بالكراهة، لجواز أنه أراد خلاف الأولى مع أنا إذا سلكنا الترجيح على طريقة أصحاب الحديث، فرواية ابن وهب مقدمة لاتصالها على رواية إسمٰعيل، لأنه لم يدرك مالكًا فهي منقطعة **(والحكاية المروية عنه أنه أمر المنصور أن يستقبل القبر وقت الدعاء كذب على ملك، كذا قال والله أعلم:)** تبرأ منه لأن الحكاية رواها أبو الحسن علي بن فهر في كتابه فضائل ملك، ومن طريقه الحافظ أبو الفضل عياض في الشفاء بإسناد لا بأس به، بل قيل إنه صحيح، فمن أين أنها كذب وليس في رواتها كذاب ولا وضاع، ولكنه لما ابتدع له مذهبًا وهو عدم تعظيم القبور ما كانت، وأنها إنما تزار للاعتبار والترحم بشرط أن لا يشد إليها رحل، صار كل ما خالف ما ابتدعه بفاسد عقله

وأما قول الأبوصيري في بردة المديح:

لا طيب يعدل تربًا ضم أعظمه   طوبى لمنتشق منه وملتثم

فقال شارحها العلامة ابن مرزوق وغيره: كأنه إشارة إلى النوعين المستعملين في الطيب، لأنه إما أن يستعمل بالشم، وإليه أشار بقوله «لمنتشق» وإما بالتضمخ وإليها أشار بـ«ملتثم»، قال: وأقل ذلك بتعفير جبهته وأنفه بتربته حال السجود في مسجده ﷺ، فليس المراد به تقبيل القبر الشريف فإنه مكروه.

ونقل الزركشي عن السيرافي: أن «طوبى» الطيب، وكذا قال ابن مرزوق: طوبى فعلى من أنواع الطيب.

وهذا مبني على أن المراد أن تربته أفضل أنواع الطيب باعتبار الحقيقة الحسية، وذلك إما لأنه كذلك في نفس الأمر، أدركه من أدركه أم لا، وإما باعتبار اعتقاد المؤمن في ذلك فإن المؤمن لا يعدل بشم رائحة تربته عليه السلام شيئًا من

عنده كالصائل لا يبالي بما يدفعه، فإذا لم يجد له شبهة واهية يدفعه بها بزعمه انتقل إلى دعوى أنه كذب على من نسب إليه مباهتة ومجازفة، وقد أنصف من قال فيه علمه أكبر من عقله **(وأما قول الأبوصيري)** صوابه البوصيري كما مر **(في بردة المديح)**:

(لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه   طوبى لمنتشق منه وملتثم)

(فقال شارحها العلامة) محمد بن محمد **(بن مرزوق وغيره: كأنه أشار إلى النوعين المستعملين في الطيب، لأنه إما أن يستعمل بالشم، وإليه أشار بقوله: لمنتشق)** لأن الانتشاق الشم **(وإما بالتضمخ، وإليه أشار بملتثم، قال: وأقل ذلك بتعفير جبهته وأنفه بتربته حال السجود في مسجده عليه السلام، فليس المراد به)** أي: بلمتثم **(تقبيل القبر الشريف، فإنه مكروه)** إلاَّ لقصد تبرك فلا كراهة كما اعتمده الرملي.

(ونقل الزركشي عن السيرافي:) بكسر السين وبالفاء نسبة إلى سيراف بلد بفارس أبي سعيد الحسن بن عبد الله صاحب التصانيف، ولد قبل السبعين ومائتين ومات ببغداد في رجب سنة ثمانٍ وستين وثلاثمائة **(أن طوبى الطيب، وكذا قال ابن مرزوق: طوبى، فعلى)** بضم الفاء **(من الطيب)** أي: لا الجنة ولا الشجرة، إذ لا يقطع بذلك للشام ولا الملتثم **(وهذا مبني على أن المراد؛ أن تربته أفضل أنواع الطيب باعتبار الحقيقة الحسية، وذلك إما لأنه كذلك في نفس الأمر، أدركه من أدركه أم لا ، وإما باعتبار اعتقاد المؤمن في ذلك، فإن المؤمن)** الكامل **(لا يعدل بشم رائحة تربته عليه السلام شيئًا من الطيب)** بل هو عنده أجل كما قالت فاطمة:

الطيب.

فإن قلت: لو كان المراد الحقيقة الحسية لأدرك ذلك كل أحد.

فالجواب: لا يلزم من قيام المعنى بمحل إدراكه لكل أحد، بل حتى توجد الشرائط وتنتفي الموانع، وعدم الإدراك لا يدل على عدم المدرك، وانتفاء الدليل لا يدل على انتفاء المدلول، فالمزكوم لا يدرك رائحة المسك، مع أن الرائحة قائمة بالمسك لم تنتف عنه.

ولما كانت أحوال القبر من الأمور الأخروية، لا جرم لا يدركها من الأحياء إلا من كشف له الغطاء من الأولياء المقربين، لأن متاع الآخرة باق، ومن الدنيا فان، والفاني لا يتمتع بالباقي للتضاد، ولا ريب عند من له أدنى تعلق بشريعة الإسلام أن قبره ﷺ روضة من رياض الجنة، بل أفضلها، وإذا كان القبر كما ذكرنا وقد حوى جسمه الشريف عليه الصلاة والسلام الذي هو أطيب الطيب، فلا مرية أنه لا طيب يعدل تراب قبره المقدس. ويرحم الله أبا العباس أحمد بن محمد العريف حيث يقول في قصيدته التي أولها:

ماذا على من شم تربة أحمد ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا

(فإن قلت: لو كان المراد الحقيقة الحسية لأدرك ذلك كل أحد) والواقع أن أكثر الناس لا يدركون ذلك **(فالجواب لا يلزم من قيام المعنى بمحل إدراكه لكل أحد، بل حتى توجد الشروط وتنتفي الموانع، وعدم الإدراك لا يدل على عدم المدرك، وانتفاء الدليل لا يدل على انتفاء المدلول، فالمزكوم لا يدرك رائحة المسك مع أن الرائحة قائمة بالمسك لم تنتف)** أي: لم تزل **(عنه)** خصه لأنه أطيب الطيب وطيبه ظاهر **(ولما كانت أحوال القبر من الأمور الأخروية لا جرم:)** لا خفاء جواب لما، وفي نسخ: بدون لما كانت **(لا يدركها من الأحياء إلاَّ من كشف له الغطاء من الأولياء المقربين، لأن متاع الآخرة باقٍ ومن في الدنيا فانٍ)** هالك **(والفاني لا يتمتع بالباقي للتضاد)** بينهما **(ولا ريب عند من له أدنى تعلق بشريعة الإسلام؛ أن قبره ﷺ روضة من رياض الجنة)** كما صح عنه القبر روضة من رياض الجنة الحديث **(بل أفضلها)** أي: الجنة للإجماع على أنه أفضل البقاع **(وإذا كان القبر كما ذكرناه)** روضة **(وقد حوى جسمه الشريف عليه الصلاة والسلام الذي هو أطيب الطيب، فلا مرية)** بكسر الميم؛ **(أنه لا طيب يعدل تراب قبره المقدس، ويرحم الله أبا العباس أحمد بن محمد العريف، حيث يقول في قصيدته التي أولها:)**

إذا ما حدا الحادي بأحمال يثرب فليت المطايا فوق خدي تُعَبِّق

ثم قال بعد أبيات:

فما عبق الريحان إلا وتربها أجلّ من الريحان طيبًا وأعبق

راحت ركائبهم تبدي روائحها طيبًا فيا طيب ذاك الوفد أشباحا

نسيم قبر النبي المصطفى لهم روض إذا نشروا من ذكره فاحا

ولله در القائل:

فاح الصعيد بجسمه فكأنه روض ينم يعرفه المتأرج

ما جسمه مما يغيره الثرى والروح منه كالصباح الأبلج

(إذا ما حدا الحادي بأحمال يثرب فليت المطايا فوق خدي تُعَبِّق)

الأولى بأحمال طيبة للنهي عن تسميتها يثرب، وإنما سميت في القرءان حكاية عن المنافقين، وتعبق بضم الفوقية وفتح المهملة وكسر الموحدة مشددة، أي: تظهر رائحة التراب المتعلق بخفافها بأن تمشي على خدي فيصل التراب إليهما، وفي نسخة: تعنق بضم الفوقية وسكون المهملة وكسر النون، أي: تسير سيرًا فسيحًا سريعًا **(ثم قال بعد أبيات)** وهو يقوي الضبط الأول:

(فما عبق الريحان إلاّ وتربها أجل من الريحان طيبًا وأعبق)

وله أيضًا:

(راحت ركائبهم تبدي روائحها طيبًا فيا طيب ذاك الوفد أشباحا)

تبدي بموحدة تظهر وتنشر، وفي نسخة: تندي بفوقية مفتوحة ونون ساكنة من الندى وهي ظاهرة:

(نسيم قبر النبي المصطفى لهم روض إذا نشروا من ذكره فاحا)

أي: إذا ذكروا من شمائله ومعجزاته شيئًا فاحت رائحتها كما تفوح رائحة المسك المستعمل في بدن ونحوه، كذا في الشرح، والظاهر أن ضمير ذكره للقبر، أي: إذا نشروا شيئًا من ذكر القبر وأنه خير البقاع وحوى خير الخلائق، وله ولصاحبه عند الله ما تقصر عنه العقول ونحو ذلك فاح.

(ولله در القائل: فاح الصعيد بجسمه، فكأنه روض ينم) بكسر النون وضمها، أي: يظهر ويفوح **(يعرفه)** طيبه **(المتأرج)** بالجيم المتوهج ريحه كما في القاموس **(ما جسمه مما يغيره الثرى)** التراب **(والروح منه كالصباح الأبلج)** أي: النير.

وقال ابن بطال في قوله ﷺ: «المدينة يَنْصَع طيبها» هو مثل ضربه للمؤمن المخلص الساكن فيها، الصابر على لأوائها مع فراق الأهل والتزام المخافة من العدو، فلما باع نفسه من الله والتزم هذا الأمر بأن صدقه ونصع إيمانه وقوي لاغتباطه بسكنى المدينة وبقربه من رسوله، كما ينصع ريح الطيب فيها ويزيد عبقًا على سائر البلاد، خصوصية خص الله بها بلدة رسوله ﷺ الذي اختار تربتها المباشرة جسده الطيب المطهر، وقد جاء في الحديث: «إن المؤمن يقبر في التربة التي خلق منها»

(وقال ابن بطال) علي أبو الحسن في شرح البخاري **(في قوله عليه الصلاة والسلام)** لما جاءه أعرابي فبايعه، فجاء من الغد محمومًا، فقال: أقلني فأبى ثلاث مرار، فخرج فقال ﷺ: **(المدينة)** كالكير تنفي خبثها و **(ينصع طيبها)**.

قال المصنف: بفتح الطاء وشد التحتية وبالرفع فاعل ينصع، بفتح التحتية وسكون النون وصاد مهملة مفتوحة وعين مهملة من النصوع وهو الخلوص، ولأبي ذر عن الحموي والمستملي: وتنصع بفوقية طيبها بكسر الطاء وسكون التحتية منصوب على المفعولية، والرواية الأولى قال أبو عبد اللّه الأبي: هي الصحيحة وهي أقوم معنى، وأي مناسبة بين الكير والطيب. انتهى.

وهذا تشبيه حسن، لأن الكير لشدة نفخه ينفي عن النار السخام والرماد والدخان حتى لا يبقى إلاَّ خالص الجمر، وهذا إن أريد بالكير المنفخ الذي ينفخ به النار وأن أريد به الموضع، فالمعنى أن ذلك الموضع لشدة حرارته ينزع خبث الحديد والفضة والذهب ويخرج خلاصة ذلك والمدينة، كذلك تنفي شرار الناس بالحمى والوصب وشدة العيش وضيق الحال التي يخلص النفس من الاسترسال في الشهوات وتظهر خيارهم وتزكيهم. انتهى.

(هو مثل ضربه) ﷺ **(للمؤمن المخلص الساكن فيها الصابر على لأوائها)** أي: شدتها **(مع فراق الأهل والتزام المخافة من العدو)** أي: من بينه وبينه عداوة سابقًا، فإنه إذا لم يكن بين أهله لا يجد في الغالب معاونًا على من يريد به سوءًا، أو المراد الشيطان، فإنه أعدى عدو الإنسان **(فلما باع نفسه من اللّه والتزم هذا الأمر بان)** أي: ظهر **(صدقه ونصع)** أي: خلص **(إيمانه وقوي لاغتباطه)** بغين معجمة فرحه **(بسكنى المدينة وبقربه من رسوله كما ينصع)** يسطع ويظهر ويخلص **(ريح الطيب فيها ويزيد عبقًا)** بفتحتين مصدر عبق الطيب كفرح بالمكان أقام فيه **(على سائر البلاد خصوصية، خص اللّه بها بلدة رسوله عليه الصلاة والسلام الذي اختار تربتها المباشرة جسده الطيب المطهر)**.

(وقد جاء في الحديث: أن المؤمن يقبر في التربة التي خلق منها، فكانت بهذا)

فكانت بهذا تربة المدينة أفضل الترب، كما أنه هو ﷺ أفضل البشر، فلهذا والله أعلم يتضاعف ريح الطيب فيها على سائر البلدان. انتهى.

وينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به ﷺ، فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالى فيه.

واعلم أن الاستغاثة هي طلب الغوث، فالمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث منه، فلا فرق بين أن يعبر بلفظ: الاستغاثة أو التوسل أو التشفع أو التجوّه أو التوجه، لأنهما من الجاه والوجاهة ومعناه: علو القدر والمنزلة.

وقد يتوسل بصاحب الجاه إلى من هو أعلى منه، ثم إن كلاً من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه بالنبي ﷺ ـ كما ذكره في «تحقيق النصرة» و«مصباح

بسببه (**تربة المدينة أفضل الترب**) أي: جميعها لا خصوص القبر الشريف، يعني أنه سرى بسبب كون القبر الكريم فيها تفضيل باقي تربتها على جميع الترب وابن بطال مالكي قائل بفضل المدينة على غيرها، فعجيب نقل كلام في أن قبره أفضل بالإجماع، أما أولاً فلأنه ليس المراد القبر، إذ لا نزاع فيه، وأما ثانيًا، فلأنه يأتي للمصنف قريبًا مبسوطًا، وأما ثالثًا، فقوله: (**كما أنه عليه الصلاة والسلام أفضل البشر، فلهذا والله أعلم يتضاعف ريح الطيب فيها على سائر البلدان. انتهى**). صريح في أن المراد ما قلته.

(**وينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به ﷺ، فجدير**) أي: حقيق (**بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالى فيه**) ونحو هذا في منسك العلامة خليل، وزاد: وليتوسل به ﷺ ويسأل الله تعالى بجاهه في التوسل به، إذ هو محط جبال الأوزار وأثقال الذنوب، لأن بركة شفاعته وعظمها عند ربه لا يتعاظمها ذنب، ومن اعتقد خلاف ذلك فهو المحروم الذي طمس الله بصيرته وأضل سريرته، ألم يسمع قوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك﴾. انتهى.

ولعل مراده التعريض بابن تيمية (**واعلم أن الاستغاثة هي طلب الغوث**) الإعانة والنصر (**فالمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث منه، فلا فرق بين أن يعبر بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو التشفع أو التجوه**) بجيم قبل الواو (**أو التوجه**) بتقديم الواو على الجيم (**لأنهما من الجاه والوجاهة ومعناه علو القدر والمنزلة**) الرتبة.

(**وقد يتوسل بصاحب الجاه إلى من هو أعلى منه**) كالتوسل بالمصطفى إلى الله (**ثم إن كلاً من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه بالنبي ﷺ كما ذكره في تحقيق النصرة**

الظلام» - واقع في كل حال، قبل خلقه وبعد خلقه، في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ، وبعد البعث في عرصات القيامة.

فأما الحالة الأولى فحسبك ما قدمته في المقصد الأول من استشفاع آدم عليه السلام به لما أخرج من الجنة، وقول الله تعالى له: يا آدم لو تشفعت إلينا بمحمد في أهل السموات والأرض لشفعناك. وفي حديث عمر بن الخطاب عند الحاكم والبيهقي وغيرهما: وإن سألتني بحقه فقد غفرت لك. ويرحم الله ابن جابر حيث قال:

به قد أجاب الله آدم إذ دعا ونُجّي في بطن السفينة نوح
وما ضرت النار الخليل لنوره ومن أجله نال الفداء ذبيح

وصح أن رسول الله ﷺ قال: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب، أسألك بحق محمد لما غفرت لي، قال الله تعالى: يا آدم، وكيف عرفت محمدًا ولم أخلقه، قال: يا رب، إنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك، رفعت رأسي فرأيت قوائم العرش مكتوبًا عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله فعرفت أنك لا

ومصباح الظلام) في المستغيثين بخير الأنام (واقع في كل حال قبل خلقه وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة:) جمع عرصة كل موضع لا بناء فيه (فأما الحالة الأولى) قبل خلقه (فحسبك ما قدمته في المقصد الأول من استشفاع ءادم به عليه الصلاة والسلام لما خرج من الجنة، وقول الله تعالى له: يا ءادم لو تشفعت إلينا بمحمد في أهل السموات والأرض لشفعناك) أي: لقبلنا شفاعتك.

(وفي حديث عمر بن الخطاب عند الحاكم والبيهقي وغيرهما: وإذ) للتعليل (سألتني بحقه غفرت لك) ما وقع منك (ويرحم الله ابن جابر حيث قال):

(به قد أجاب اللّه ءادم إذ دعا ونُجي في بطن السفينة نوح
وما ضرت النار الخليل لنوره ومن أجله نال الفداء ذبيح)

(وصح أن رسول الله ﷺ قال لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب، أسألك بحق محمد لما غفرت لي، قال الله تعالى: يا آدم، وكيف عرفت محمدًا ولم أخلقه، قال: يا رب، إنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك، رفعت رأسي فرأيت قوائم العرش مكتوبًا عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله فعرفت أنك لا تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك. فقال الله

تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك. فقال الله تعالى: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلي، وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك. ذكره الطبري، وزاد فيه: وهو آخر الأنبياء من ذريتك.

وأما التوسل به بعد خلقه في مدة حياته، فمن ذلك الاستغاثة به ﷺ عند القحط وعدم الأمطار، وكذلك الاستغاثة به من الجوع ونحو ذلك مما ذكرته في مقصد المعجزات ومقصد العبادات في الاستسقاء، ومن ذلك استغاثة ذوي العاهات به، وحسبك ما رواه النسائي والترمذي عن عثمان بن حنيف، أن رجلاً ضريرًا أتاه ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك في حاجتي لتقضى، اللهم شفعه في»، وصححه البيهقي،

تعالى: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلي، وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك. ذكره الطبري، وزاد فيه: وهو آخر الأنبياء من ذريتك).

نجى بضم النون وشد الجيم **(وأما التوسل به بعد خلقه مدة حياته، فمن ذلك الاستغاثة به عليه الصلاة والسلام عند القحط وعدم الأمطار، وكذلك الاستغاثة به من الجوع ونحو ذلك مما ذكرته في مقصد المعجزات ومقصد العبادات في الاستسقاء، ومن ذلك استغاثة ذوي العاهات به، وحسبك:)** كافيك على طريق الإجمال.

(ما رواه النسائي والترمذي) والحاكم، وقال على شرطهما **(عن عثمٰن بن حنيف)** بمهملة ونون مصغر الأنصاري الأوسي، صحابي شهير، استعمله عمر على مساحة أرض الكوفة وعلي على البصرة ومات في خلافة معٰوية: **(أن رجلاً ضريرًا أتى النبي ﷺ فقال ادع الله أن يعافيني)** من العمى... أسقط من الحديث، فقال: إن شئت أخرت وهو خير، وفي رواية: إن شئت صبرت فهو خير لك وإن شئت دعوت.

قال: فادعه **(قال)** عثمٰن: **(فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه)** بالإتيان بفرائضه ونوافله وتجنب مكروهاته **(ويدعو بهذا الدعاء)** وهو: **(اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك)** الباء للتعدية **(محمد)** صرح باسمه تواضعًا لأن التعليم منه **(نبي الرحمة)** إليّ أرسله الله رحمة للعالمين.

وفي الحديث: إنها رحمة مهداة **(يا محمد إني أتوجه)** أي: أستشفع والباء في **(بك)** للاستعانة **(إلى ربك في حاجتي لتقضي)** أي: ليقضيها ربك لي بشفاعتك، سأل الله أولاً أن

وزاد: فقام وقد أبصر.

وأما التوسل به ﷺ بعد موته في البرزخ فهو أكثر من أن يحصى أو يدرك باستقصاء وفي كتاب «مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام» للشيخ أبي عبد الله بن النعمان طرف من ذلك.

ولقد كان حصل لي داء أعيا دواؤه الأطباء، وأقمت به سنين، فاستغثت به ﷺ ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بمكة زادها الله شرفًا، ومنَّ عليَّ بالعود في عافية بلا محنة، فبينا أنا نائم إذا جاء رجل معه قرطاس يكتب فيه: هذا دواء لداء أحمد بن القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الإذن الشريف النبوي، ثم استيقظت فلم أجد بي -والله- شيئًا مما كنت أجده، وحصل الشفاء ببركة النبي ﷺ.

ووقع لي أيضًا في سنة خمس وثمانين وثمانمائة في طريق مكة، بعد رجوعي من الزيارة الشريفة لقصد مصر، أن صرعت خادمتنا غزال الحبشية، واستمر بها

يأذن لنبيه أن يشفع، لقوله: من ذا الذي يشفع عنده إلاَّ بإذنه، ثم أقبل على النبي ملتمسًا شفاعته، ثم كر مقبلاً على ربه أن يقبلها، فقال: (**اللهم شفعه في:**) اقبل شفاعته (**وصححه البيهقي وزاد**) في روايته: (**فقام وقد أبصر**) ببركته ﷺ.

وكذا رواه البخاري في تاريخه وأبو نعيم وللنسائي: فرجع وقد كشف اللّه عن بصره، وللطبراني: كأن لم يكن به ضر، قيل: لم يدع له بنفسه لأنه لم يختر الصبر مع قوله: فهو خير لك، فجبر خاطره بأمره بالوضوء وأن يدعو بنفسه متوسلاً به بهذا الدعاء.

(**وأما التوسل به ﷺ بعد موته في البرزخ فهو أكثر من أن يحصى أو يدرك باستقصاء، وفي كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام للشيخ أبي عبد الله بن النعمان طرف من ذلك، ولقد كان حصل لي داء أعيا دواؤه الأطباء وأقمت به سنين، فاستغثت به ﷺ ليلة الثامن والعشرين من جمادي الأولى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بمكة زادها اللّه شرفًا ومنَّ عليَّ بالعود إليها في عافية بلا محنة، فبينا أنا نائم إذا رجل معه قرطاس يكتب فيه: هذا دواء لداء أحمد بن القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الإذن الشريف النبوي، ثم استيقظت فلم أجد بي واللّه شيئًا مما كنت أجده، وحصل الشفاء ببركة النبي المصطفى ﷺ**) هذا وما بعده ذكره المصنف تحدثًا بنعمة اللّه (**ووقع لي أيضًا في سنة خمس وثمانين وثمانمائة بطريق مكة بعد رجوعي من الزيارة الشريفة لقصد مصر أن صرعت**

أيامًا، فاستشفعت به ﷺ في ذلك، فأتاني آت في منامي، ومعه الجني الصارع لها فقال: لقد أرسله لك النبي ﷺ، فعاتبته وحلفته أن لا يعود إليها، ثم استيقظت وليس بها قلبة كأنما نشطت من عقال، ولا زالت في عافية من ذلك حتى فارقتها بمكة سنة أربع وتسعين وثمانمائة، والحمد لله رب العالمين.

وأما التوسل به ﷺ في عرصات القيامة، فما قام عليه الإجماع وتواترت به الأخبار في حديث الشفاعة.

فعليك أيها الطالب إدراك السعادة الموصل لحسن الحال في حضرة الغيب والشهادة، بالتعلق بأذيال عطفه وكرمه، والتطفل على موائد نعمه، والتوسل بجاهه الشريف والتشفع بقدره المنيف، فهو الوسيلة إلى نيل المعالي واقتناص المرام، والمفزع يوم الجزع والهلع لكافة الرسل الكرام، واجعله أمامك فيما نزل بك من النوازل، وإمامك فيما تحاول من القرب والمنازل، فإنك تظفر من المراد بأقصاه،

خادمتنا غزال الحبشية واستمر بها أيامًا فاستغثت به ﷺ في ذلك، فأتاني آتٍ في منامي ومعه الجني الصارع لها، فقال: لقد أرسله لك النبي ﷺ فعاتبته:) لمته، قال الخليل: حقيقة العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجدة (وحلفته أن لا يعود إليها، ثم استيقظت وليس بها قلبة) بفتح القاف واللام والموحدة داء وتعب (كأنما نشطت) بكسر الشين حلت وأطلقت (من عقال) بالكسر ما يعقل به الإبل (ولا زالت) أي: استمرت (في عافية من ذلك حتى فارقتها بمكة في سنة أربع وتسعين وثمانمائة، والحمد للّه رب العالمين).

(وأما التوسل به ﷺ في عرصات القيامة فما قام عليه الإجماع، وتواترت به الأخبار في حديث الشفاعة) ويأتي في المصنف: (فعليك أيها الطالب إدراك) بالنصب مفعول (السعادة الموصل) ذلك الإدراك (لحسن الحال في حضرة الغيب والشهادة بالتعلق بأذيال عطفه) بكسر العين المهملة جانبه (وكرمه والتطفل على موائد نعمه) أي: التضرع بطلب ما يحتاج إليه ويتقرب إلى اللّه به وإن لم يكن أهلاً لتلك الحضرات الشريفة، وعبر عن ذلك تشبيهًا للمقصر في الطاعة إذا طلب ما يليق بالخواص بالداخل وليمة بلا دعوة المسمى بالطفيلي (والتوسل بجاهه الشريف والتشفع بقدره المنيف، فهو الوسيلة إلى نيل المعالي واقتناص) أي: صيد (المرام والمفزع يوم الجزع) بفتح الجيم والزاي: خلاف الصبر (والهلع) بفتحتين الجزع فالعطف للتفسير (لكافة الرسل الكرام واجعله أمامك) بالفتح أمامك (فيما نزل بك من النوازل وإمامك:) بالكسر قدوتك (فيما تحاول من القرب والمنازل، فإنك تظفر من المراد

وتدرك رضى من أحاط بكل شيء علمًا وأحصاه، واجتهد ما دمت بطيبة الطيبة حسب طاقتك في تحصيل أنواع القربات، ولازم قرع أبواب السعادات بأظافير الطلبات، وارق في مدارج العبادات، ولج في سرادق المرادات.

تمتع إن ظفرت بنيل قرب   وحصل ما استطعت من ادخار
فها أنا قد أبحت لكم عطائي   وها قد صرت عندي في جواري
فخذ ما شئت من كرم وجود   ونل ما شئت من نعم غزار
فقد وسعت أبواب التداني   وقد قربت للزوار داري
فمتع ناظريك فها جمالي   تجلى للقلوب بلا استتار

ولازم الصلوات مكتوبة ونافلة في مسجده المكرم، خصوصًا بالروضة التي ثبت أنها روضة من رياض الجنة. كما رواه البخاري.

بأقصاه وتدرك): تصل وتنال **(رضى من أحاط بكل شيء علمًا وأحصاه، واجتهد ما دمت بطيبة الطيبة حسب طاقتك)** قدرتك **(في تحصيل أنواع القربات، ولازم قرع أبواب السعادات بأظافير:)** جمع ظفر بضم فسكون وبضمتين كما في القاموس **(الطلبات:)** جمع طلبة وزن كلمة وكلمات ما تطلبه من غيرك **(وارق:)** اصعد **(في مدارج العبادات ولج)** بكسر اللام وجيم أمر من ولج يلج، أي: أدخل **(في)** جوانب **(سرادق)** أي: خيام **(المرادات)** ولا يخفى ما في هذه الألفاظ من الاستعارات يعلمها من له تعلق بألفاظ العبارات، وأنشد المصنف:

(تمتع إن ظفرت بنيل قرب   وحصل ما استطعت من ادخار)

أصله إذ تخار بذال فتاء، قلبت التاء دالاً لوقوعها بعد ذال معجمة، ثم قلبت دالاً وأدغمت في الدال المهملة المبدلة من التاء، ويجوز إبقاء المعجمة على أصلها، فيقال إذ دخار، ويجوز قلب المهملة معجمة، ثم تدغم فيها المعجمة، فيقال اذخار:

(فها أنا قد أبحت لكم عطائي   وها قد صرت عندي في جواري
فخذ ما شئت من كرم وجود   ونل ما شئت من نعم غزار
فقد وسعت أبواب التداني   وقد قربت للزوار داري
فمتع ناظريك فها جمالي   تجلى للقلوب بلا استتاري)

(ولازم الصلوات مكتوبة ونافلة في مسجده المكرم خصوصًا بالروضة التي ثبت أنها روضة من رياض الجنة، كما رواه البخاري) ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ

قال ابن أبي جمرة: معناه تنقل تلك البقعة بعينها في الجنة، فتكون روضة من رياض الجنة، قال: والأظهر الجمع بين الوجهين معًا، يعني احتمال كونها تنقل إلى الجنة، وكون العمل فيها يوجب لصاحبه روضة في الجنة، قال: ولكل وجه منهما دليل يعضده ويقويه من جهة النظر والقياس.

أما الدليل على أن العمل فيها يوجب روضة في الجنة، فلأنه إذا كانت الصلاة في مسجده ﷺ بألف فيما سواه من المساجد، فلهذه البقعة زيادة على باقي البقع كما كان للمسجد زيادة على غيره.

وأما الدليل على كونها بعينها في الجنة، وكون المنبر أيضًا على الحوض، كما أخبر ﷺ وأن الجذع في الجنة، والجذع في البقعة نفسها، فالعلة التي

قال: ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي.

(قال ابن أبي جمرة: معناه تنقل تلك البقعة) وقدرها ثلاث وخمسون ذراعًا، وقيل: أربع وخمسون وسدس، وقيل: خمسون إلا ثلثي ذراع وهو الآن كذلك، فكأنه نقص لما أدخل بين الحجرة في الجدار، قاله الحافظ **(بعينها)** يوم القيامة فتجعل **(في الجنة فتكون روضة من رياض الجنة)**.

(قال: والأظهر الجمع بين الوجهين معًا) إذ لا تخالف بينهما **(يعني احتمال كونها تنقل إلى الجنة و)** احتمال **(كون العمل فيها يوجب لصاحبه روضة في الجنة)**.

(قال: ولكل وجه منهما) أي: الاحتمالين، وفي نسخة: منها، أي: الاحتمالين والجمع بينهما **(دليل يعضده ويقويه)** عطف تفسير **(من جهة النظر والقياس)**.

(أما الدليل على أن العمل فيها يوجب روضة في الجنة، فلأنه إذا كانت الصلاة في مسجده عليه الصلاة والسلام بألف فيما سواه من المساجد، فلهذه البقعة زيادة على باقي البقع) بضم ففتح جمع بقعة **(كما كان للمسجد زيادة على غيره)** واعترض هذا بأنه لا اختصاص لذلك بتلك البقعة، فالعمل في أي مكان، كذلك وأجيب بأنها سبب قوي يوصل إليها على وجه أتم من بقية الأسباب، وبأنها سبب لروضة خاصة أجل من مطلق الدخول والتنعم، فإن أهل الجنة يتفاوتون في منازلها بقدر أعمالهم **(وأما الدليل على كونها بعينها في الجنة وكون المنبر أيضًا على الحوض كما أخبر عليه الصلاة والسلام)** في بقية الحديث **(وأن)** بالواو كما في نسخ صحيحة عطف على كونها، أي: وعلى أن **(الجذع في الجنة والجذع)**

أوجبت للجذع الجنة هي في البقعة سواء، على ما أذكره بعد إن شاء الله تعالى.

والذي أخبر بهذا أخبر بهذا، فينبغي الحمل على أكمل الوجوه، وهو الجمع بينهما، لأنه قد تقرر من قواعد الشرع أن البقعة المباركة، ما فائدة بركتها لنا، والإخبار بها لنا إلا لتعميرها بالطاعات، فإن الثواب فيها أكثر، وكذلك الأيام المباركة أيضًا، فعلى هذا يكون الموضع روضة من رياض الجنة الآن، ويعود روضة كما كان في موضعه، ويكون للعامل بالعمل فيها روضة في الجنة، وهو الأظهر لوجهين: أحدهما: لعلو منزلته ﷺ، ولما خص الخليل عليه السلام بالحجر من الجنة، خص الحبيب ﷺ بالروضة من الجنة.

مدفون (**في البقعة نفسها**) وجواب أما قوله: (**فالعلة التي أوجبت للجذع الجنة هي**) موجودة (**في البقعة سواء على ما أذكره بعد إن شاء الله، والذي أخبر بهذا أخبر بهذا**) ﷺ (**فينبغي الحمل على أكمل الوجوه، وهو الجمع بينهما، لأنه قد تقرر من قواعد الشرع أن البقع المباركة ما فائدة بركتها لنا و**) فائدة (**الإخبار بها لنا إلاَّ لتعميرها بالطاعات، فإن الثواب فيها أكثر وكذلك الأيام المباركة أيضًا**) كأيام رمضان (**فعلى هذا يكون الموضع روضة من رياض الجنة الآن**) لم يتقدم من كلامه ما يدل على هذا التفريع، ولكنه في أول كلام ابن أبي جمرة حيث قال: هذا يحتمل الحقيقة والمجاز، أما الحقيقة فبأن يكون ما أخبر عنه ﷺ بأنه من الجنة مقتطعًا منها كما أن الحجر الأسود منها، وكذلك النيل والفرات من الجنة، وكذلك الثمار الهندبة من الورق التي أهبط بها ءادم من الجنة، فاقتضت الحكمة الإلهية أن يكون في هذه الدار من مياه الجنة ومن ترابها ومن حجرها ومن فواكهها حكمة حكيم جليل، ويحتمل أن معناه: تنقل تلك البقعة بعينها في الجنة فتكون روضة من رياض الجنة، وأما المجاز فيحتمل أن يكون المراد أن العمل فذكر ما نقله المصنف عنه، فيصح حينئذٍ تفريعه بقوله: فعلى هذا، أي: المذكور من الاحتمالات، والجمع بينها بكون الموضع روضة من رياض الجنة الآن، ولم يثبت خبرعن بقعة بخصوصها أنها من الجنة إلا هذه البقعة على هذا الاحتمال (**ويعود روضة كما كان في موضعه ويكون للعامل بالعمل فيها روضة في الجنة وهو الأظهر لوجهين:**)

(**أحدهما: لعلو منزلته عليه الصلاة والسلام، و**) الثاني: أنه (**لما خص الخليل عليه السلام بالحجر**) الذي كان يقف عليه لما بنى البيت أتاه جبريل به (**من الجنة**) وهو المقام الذي يصلى خلفه ركعتا الطواف وجوب لما قوله: (**خص الحبيب عليه الصلاة والسلام بالروضة من الجنة**) ويصح قراءته بكسر اللام وخفة الميم علة لقوله: خص الحبيب مقدمة عليه

وها هنا بحث: لم جعلت هذه البقعة من بين سائر البقع روضة من رياض الجنة؟ فإن قلنا: تعبد، فلا بحث، وإن قلنا: لحكمة فحينئذ يحتاج إلى البحث.

والأظهر أنه لحكمة، وهي أنه قد سبق في العلم الرباني بما ظهر أن الله عز وجل فضله على جميع خلقه، وأن كل ما كان منه بنسبة ما من جميع المخلوقات يكون له تفضيل على جنسه كما استقرىء في كل أموره، من بدء ظهوره ﷺ إلى حين وفاته، في الجاهلية والإسلام. فمنها ما كان في شأن أمه، وما نالها من بركته مع الجاهلية الجهلاء، حسب ما هو مذكور معلوم. ومثل ذلك حليمة السعدية، وحتى الأتان، وحتى البقعة التي تجعل أتانه يدها عليها تخضر من حينها، وما هو من ذلك كله معلوم.

وكان مشيه ﷺ حيث ما مشى ظهرت البركات مع ذلك كله، وحيث وضع ﷺ يده المباركة ظهر في ذلك كله من الخيرات والبركات حسًا ومعنى، كما هو منقول معروف.

ولما شاءت القدرة أنه ﷺ لا بدَّ له من بيت، ولا بدَّ له من منبر، وأنه

(وهنا بحث لم جعلت هذه البقعة من بين سائر البقع روضة من رياض الجنة، فإن قلنا: تعبد فلا بحث) لأنه لا يعلم معناه **(وإن قلنا: لحكمه فحينئذٍ يحتاج)** الكلام **(إلى البحث)** أي: التكلم في الحكمة **(والأظهر أنها لحكمه، وهي أنه قد سبق في العلم الرباني)** أي: علم اللّه تعالى **(بما)** أي: بسبب ما **(ظهر)** على لسانه ولسان الأنبياء **(إن اللّه عزّ وجلّ فضله على جميع خلقه وأن كل ما)** عبر بما تغليباً للأكثر نحو للّه ما في السموات وما في الأرض.

وفي نسخة: من تغليبًا للعقلاء **(كان منه بنسبة ما)** بشد الميم **(من جميع المخلوقات يكون له تفضيل على جنسه كما استقرىء في جميع أموره من بدء ظهوره عليه السلام إلى حين وفاته في الجاهلية والإسلام، فمنها ما كان من شأن أمه وما نالها من بركته مع الجاهلية الجهلاء)** توكيد للأول، اشتق له من اسمه ما يؤكد به، كما يقال: وتد واتد وهمج هامج وليلة ليلاء ويوم يوم، قاله الجوهري **(حسبما هو مذكور معلوم ومثل ذلك حليمه السعدية)** مرضعته **(وحتى الأتان)** الحمارة **(وحتى البقعة التي تجعل أتانه يدها عليها تخضر من حينها)** فأشبه ما حصل له مما يدل على شرفه على جنسه ما حصل لأمه وظئره **(وما هو من ذلك كله معلوم، وكان مشيه عليه السلام حيثما مشى ظهرت البركات مع ذلك كله، وحيث وضع يده المباركة ظهر في ذلك كله من الخيرات والبركات حسًا ومعنى كما هو منقول معروف ولما شاءت القدرة)** أي: صاحب القدرة ففيه مسامحة **(أنه عليه السلام لا بدّ له من بيت**

بالضرورة يكثر بمشية ﷺ بين المنبر والبيت، فالحرمة التي أعطي غيرهما إذا كان من مسّه واحدة بمباشرته أو بواسطة حيوان أو غيره تظهر البركة والخير، فكيف مع كثرة تردداه ﷺ في البقعة الواحدة مرارًا في اليوم الواحد طول عمره، من وقت هجرته إلى حين وفاته. فلم يبق من الترفيع بالنسبة إلى عالمها أعلى مما وصفناه، وهو أنها كانت من الجنة، وتعود إليها، وهي الآن منها، وللعامل فيها مثلها، فلو كانت مرتبة يمكن أن تكون أرفع من هذه في هذه الدار، لكان لهذه أعلى مرتبة مما ذكرنا في جنسها.

فإن احتج محتج لا فهم له بأن يقول: ينبغي أن يكون ذلك للمدينة بكمالها، لأنه ﷺ كان يطؤها بقدمه مرارًا.

فالجواب: أنه قد حصل للمدينة تفضيل لم يحصل لغيرها، من ذلك أن ترابها شفاء كما أخبر ﷺ، مع ما شاركت فيه البقعة المكرمة من منعها من الدجال وتلك الفتن العظام. وأنه ﷺ أول ما يشفع لأهلها يوم القيامة، وأن ما كان بها من الوباء والحمى رفع عنها، وأنه بورك في طعامها وشرابها وأشياء كثيرة،

ولا بدّ له من منبر، وأنه **بالضرورة يكثر تردداه عليه السلام بين المنبر والبيت)** حذف جواب لما وهو وجب أن يكون ذلك البيت والمنبر أفضل البقاع وأشرفها لكثرة تردده إليهما، وعلل هذا الجوب بقوله: **(فالحرمة التي أعطي غيرهما إذا كان بمشية)** بفتح الميم **(واحدة بمباشرة)** بقدميه الكريمتين **(أو بواسطة حيوان أو غيره تظهر البركة والخير، فكيف مع كثرة تردداه عليه السلام في البقعة الواحدة مرارًا في اليوم الواحد طول عمره من وقت هجرته إلى وقت وفاته، فلم يبق لها من الترفيع بالنسبة إلى عالمها)** بفتح اللام وكسر الميم التي هي منه **(أعلى مما وصفناه وهو أنها كانت من الجنة)** كما قدمته عن أول كلام ابن أبي جمرة الذي تركه المصنف **(وتعود إليها وهي الآن منها وللعامل فيها مثلها)** روضة في الجنة **(فلو كانت مرتبة يمكن أن تكون أرفع من هذه في هذه الدار لكان لهذه أعلى مرتبة مما ذكرناه في جنسها)** المعبر عنه بعالمها قريبًا **(فإن احتج محتج لا فهم له بأن يقول: ينبغي أن يكون ذلك للمدينة بكمالها لأنه عليه السلام كان يطؤها)** يمشي عليها **(بقدمه مرارًا)**.

(فالجواب: أنه قد حصل للمدينة تفضيل لم يحصل لغيرها من ذلك) التفضيل الحاصل لها **(أن ترابها شفاء كما أخبر به عليه السلام مع ما شاركت)** المدينة **(فيه البقعة المكرمة من منعها من الدجال وتلك الفتن العظام)** الواقعة من الدجال **(وأنه عليه السلام أول ما يشفع في أهلها يوم القيامة)** وأنهم يحشرون معه **(وإن ما كان بها من الوباء)** المرض العام

فكان التفضيل لها بنسبة ما أشرنا إليه أولاً، بأن تردده ﷺ في المسجد نفسه أكثر مما في المدينة نفسها، وتردده ﷺ فيما بين المنبر والبيت أكثر مما سواه من سائر المسجد، فالبحث تأكد بالاعتراض، لأنه جاءت البركة مناسبة لتكرار تلك الخطوات المباركة، والقرب من تلك النسمة المرتفعة لا خفاء فيه إلا على ملحد أعمى البصيرة، فالمدنية أرفع المدن، والمسجد أرفع المساجد، والبقعة أرفع البقع، قضية معلومة، وحجة ظاهرة موجودة. انتهى.

وقال الخطابي: المراد من هذا الحديث الترغيب في سكنى المدينة، وأن من لازم ذكر الله في مسجدها آل به إلى روضة من رياض الجنة، وسقي يوم القيامة من الحوض انهى. وقد تقدم في الخصائص من مقصد المعجزات مزيد لذلك.

بالهمز بمد ويقصر **(والحمى)** فعلى لا ينصرف لألف التأنيث **(رفع عنها وأنه بورك في طعامها وشرابها وأشياء كثيرة)** من ذلك **(فكان التفضيل لها بنسبة ما أشرنا إليه أولاً بأن تردده عليه السلام في المسجد نفسه أكثر مما)** أي: من تردده **(في المدينة نفسها وتردده فيما بين المنبر والبيت أكثر مما سواه من سائر)** أي: باقي **(المسجد، فالبحث تأكد بالاعتراض لأنه جاءت البركة مناسبة لتكرار تلك الخطوات المباركة والقرب من تلك النسمة)** بفتح النون والسين **(المرتفعة)** مبتدأ خبره **(لا خفاء فيه إلاً على ملحد)** مائل عن الصواب **(أعمى البصيرة، فالمدينة أرفع المدن، والمسجد أرفع المساجد، والبقعة أرفع البقع)** والمراد كون هذه المذكورات كذلك **(قضية معلومة)** لا تجهل **(وحجة ظاهرة موجودة. انتهى)** كلام ابن أبي جمرة.

(وقال الخطابي: المراد من هذا الحديث الترغيب في سكنى المدينة وأن من لازم ذكر الله في مسجدها آل) أي: رجع **(به)** أي: أنه يكون سبب لوصوله **(إلى روضة الجنة)** وقيل؛ أنه تشبيه بليغ، أي: كروضة في تنزل الرحمة وحصول السعادة **(وسقي يوم القيامة من الحوض)** أخذه من قوله ومنبري على حوضي. **(انتهى)**.

والأصح أن المراد منبره الذي كان يخطب عليه في الدنيا، ينقل يوم القيامة فينصب على حوضه ثم تصير قوائمه رواتب في الجنة كما في حديث رواه الطبراني، وقيل: التعبد عنده يورث الجنة، وقيل: أنه منبر يوضع له هناك، ورد بما روى أحمد برجال الصحيح: منبري هذا على ترعة من ترع الجنة قاسم الإشارة ظاهر، أو صريح في أنه منبره الذي كان في الدنيا والقدرة صالحة.

(وقد تقدم في الخصائص من مقصد المعجزات) وهو الرابع **(مزيد لذلك)** قليل.

وعند مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام».

وقد اختلف العماء في المراد بهذا الاستثناء على حسب اختلافهم في مكة والمدينة أيهما أفضل؟

فذهب سفيان بن عيينة والشافعي وأحمد ـ في أصح الروايتين عنه ـ وابن وهب ومطرف وابن حبيب ـ الثلاثة من المالكية ـ وحكاه الساجي عن عطاء بن أبي رباح، والمكيين والكوفيين. وحكاه ابن عبد البر عن عمر ـ وعلي وابن مسعود وأبي الدرداء وجابر وابن الزبير وقتادة، وجماهير العلماء، أن مكة أفضل من المدينة، وأن مسجد مكة أفضل من مسجد المدينة، لأن الأمكنة تشرف بفضل العبادة فيها على

(وعند مسلم من حديث ابن عمر) عبد الله، ومن حديث ابن عباس عن ميمونة أيضًا، والشيخين معًا من حديث أبي هريرة؛ **(أن رسول الله ﷺ قال: صلاة في مسجدي هذا أفضل)**.

هكذا رواه ابن عمر وميمونة بلفظ: أفضل، ورواه أبو هريرة عند الشيخين بلفظ: خير، وفي رواية عنه لمسلم: أفضل، وهما بمعنى **(من ألف صلاة فيما سواه إلاَّ المسجد الحرام)** بالنصب استثناء، وروي بالجر على أن إلا بمعنى غير.

قال النووي: ينبغي أن يحرص المصلي على الصلاة في الموضع الذي كان في زمنه ﷺ دون ما يزيد فيه بعده، لأن التضعيف إنما ورد في مسجده وقد أكده بقوله: هذا بخلاف مسجد مكة فإنه يشمل جميع مكة، بل صحح النووي أنه يعم جميع الحرم.

كذا في الفتح: **(وقد اختلف العلماء في المراد بهذا الاستثناء على حسب اختلافهم في مكة والمدينة أيهما أفضل، فذهب سفيٰن بن عيينة والشافعي وأحمد في أصح الروايتين، عنه)** عند أصحابه **(وابن وهب ومطرف)** صاحبا لملك **(وابن حبيب)** تابع أتباعه **(الثلاثة من المالكية)** المتقدمين واختاره ممن بعدهم ابن عبد البر وابن رشد وابن عرفة **(وحكاه الساجي)** بسين وجيم الإمام الحافظ زكريا بن يحيى الضبي البصري، مات سنة سبع وثلاثمائة عن نحو تسعين سنة **(عن عطاء بن أبي رباح والمكيين والكوفيين، وحكاه ابن عبد البر عن عمر)** ابن الخطاب وهو خلاف الآتي في المتن وهو المروي في الموطأ وغيره عن عمر تفضيل المدينة **(وعلي وابن مسعود وأبي الدرداء وجابر وابن الزبير وقتادة وجماهير العلماء أن مكة أفضل من المدينة، وأن مسجد مكة أفضل من مسجد المدينة، لأن الأمكنة تفضل بفضل العبادة فيها على غيرها مما تكون العبادة فيها مرجوحة)**.

غيرها مما تكون العبادة فيها مرجوحة.

وقد حكى ابن عبد البر أنه روي عن مالك ما يدل على أن مكة أفضل الأرض كلها، قال: ولكن المشهور عن أصحابه في مذهبه تفضيل المدينة. انتهى.

وقال مالك: المدينة ومسجدها أفضل.

ومما احتج به أصحابنا لتفضيل مكة: حديث عبد الله بن الحمراء أنه سمع رسول الله ﷺ وهو واقف على راحلته يقول: «والله إنك لخير أرض الله وأحبها إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت». قال الترمذي: حسن صحيح. وقال ابن عبد البر: هذا أصح الآثار عنه ﷺ. قال: وهذا قاطع في محل الخلاف. انتهى.

(وقد حكى ابن عبد البـرّ أنه روي عن مُلك ما يدل على أن مكة أفضل الأرض كلها) هي رواية ضعيفة، ولذا قال: ولكن المشهور عند أصحابه في مذهبه تفضيل المدينة. انتهى.

(وقال مُلك) وأكثر أهل المدينة وعمر بن الخطاب وجماعة: **(المدينة)** أفضل من مكة **(ومسجدها أفضل)** من مسجد مكة واختاره كثير من الشافعية من آخرهم السيوطي، فقال المختار: تفضيل المدينة والشريف السمهودي والمصنف كما يأتي معتذرًا عن مخالفة مذهبه؛ بأن هوى كل نفس أين حل حبيبها **(ومما احتج به أصحابنا لتفضيل مكة حديث عبد اللّه)** بن عدي بالدال **(ابن الحمراء)** القرشي الزهري، ويقال: إنه ثقفي حالف بني زهرة وكان ينزل قديدًا، وأسلم في الفتح وسكن المدينة.

قال البغوي: لا أعلم له غير هذا الحديث، وهو **(أنه سمع رسول اللّه ﷺ وهو واقف على راحلته)** كذا في النسخ والذي في الحديث على الحزورة بفتح المهملة وإسكان الزاي فواو مفتوحة فراء فهاء تأنيث: سوق كانت بمكة أدخلت في المسجد وقد قدمه المصنف في الهجرة على الصواب **(يقول: واللّه إنك لخير أرض اللّه وأحبها إلى اللّه، ولولا إني أخرجت منك ما خرجت)**.

وفي رواية: ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت منك، أي: تسببوا في إخراجي **(قال الترمذي: حسن صحيح)** قال في الإصابة: تفرد به الزهري واختلف عليه فيه، فقال: الأكثر عن الزهري عن أبي سلمة عن عبد اللّه بن عدي بن الحمراء، وقال معمر عنه، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة: ومرة أرسله، وقال ابن أخي الزهري عنه، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن عبد اللّه بن عدي والمحفوظ الأول **(وقال ابن عبد البرّ: هذا أصح الآثار عنه ﷺ، قال: وهذا قاطع في محل الخلاف. انتهى)**.

فعند الشافعي والجمهور معناه ـ أي الحديث ـ: إلا المسجد الحرام فإن الصلاة فيه أفضل من الصلاة في مسجدي.

وعند مالك وموافقيه: إلا المسجد الحرام فإن الصلاة في مسجدي تفضله بدون الألف.

وعن عبد الله بن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائه صلاة في هذا» رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه. وزاد: يعني في مسجد المدينة، والبزار ولفظه: «صلاة في مسجدي هذا

وجوابه أنه إنما يكون قاطعًا لو قاله بعد حصول فضل المدينة، أما حيث قاله قبل ذلك فليس بقاطع، لأن التفضيل إنما يكون بين أمرين يتأتى بينهما تفضيل وفضل المدينة لم يكن حصل حينئذٍ حتى يكون هذا حجة، وحاصل الجواب أنه قاله قبل أن يعلم بفضل المدينة، وأجيب أيضًا بأنها خير الأرض ما عدا المدينة، كما قالوا بكل منهما في قوله ﷺ لمن قال له يا خير البرية ذاك إبراهيم.

(**فعند الشافعي والجمهور معناه، أي الحديث: إلاَّ المسجد الحرام، فإن الصلاة فيه أفضل من الصلاة في مسجدي**) بناءً على قولهم بفضل مسجد مكة على مسجد المدينة.

(**وعند مالك وموافقيه: إلاَّ المسجد الحرام، فإن الصلاة في مسجدي تفضله بدون الألف**) ويؤيده أن في بعض طرق حديث أبي هريرة عند مسلم والنسائي: إلاَّ المسجد الحرام، فإني آخر الأنبياء ومسجدي آخر المساجد.

قال عياض: هذا ظاهر في تفضيل مسجده لهذه العلة، قال القرطبي: لأن ربط الكلام بقاء التعليل يشعر أن مسجده إنما فضل على المساجد كلها لأنه متأخر عنها ومنسوب إلى نبي متأخر عن الأنبياء كلهم فتدبره، فإنه واضح. انتهى.

وقال ابن بطال: يجوز في الاستثناء أن يكون المراد فإنه مساوٍ لمسجد المدينة أو فاضلاً أو مفضولاً، والأول أرجح، لأنه لو كان فاضلاً أو مفضولاً لم يعلم مقدار ذلك إلاَّ بدليل بخلاف المساواة، قيل: كأنه لم يرَ دليل كونه فاضلاً (و) هو ما جاء (**عن عبد الله بن الزبير، قال: قال رسول الله ﷺ: صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه مَن المساجد إلاَّ المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في هذا**).

(**رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه، وزاد: يعني في مسجد المدينة**) بيان

أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام فإنه يزيد عليه مائة». قال المنذري: وإسناده صحيح أيضًا.

ومما يستدل به المالكية، ما ذكره ابن حبيب في «الواضحة» أنه ﷺ قال: «صلاة في مسجدي كألف صلاة فيما سواه. وجمعة في مسجدي كألف جمعة فيما سواه، ورمضان في مسجدي كألف رمضان فيما سواه».

لاسم الإشارة، قال ابن عبد البر: اختلف على ابن الزبير في رفعه ووقفه، ومن رفعه أحفظ وأثبت ومثله لا يقال بالرأي) و رواه أيضًا (**البزار ولفظه: صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، فإنه يزيد عليه مائة**) والصلاة فيه بألف، فتكون الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة في مسجد المدينة.

(**قال المنذري: وإسناده صحيح**) وفي ابن ماجه عن جابر مرفوعًا: صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلاَّ المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام خير من مائة ألف صلاة فيما سواه، وفي بعض نسخه: من مائة صلاة فيما سواه، فعلى الأول معناه إلاَّ مسجد المدينة، وعلى الثاني معناه من مائة صلاة في مسجد المدينة، وللبزار والطبراني عن أبي الدرداء رفعه: الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة.

قال البزار: إسناده حسن، فوضح أن المراد بالاستثناء تفضيل الصلاة في المكي على الصلاة في المدني، ولكن كل ذلك لا يقتضي تفضيل المكي عليه، لأن أسباب التفضيل لم تنحصر في المضاعفة كما يأتي عن الشريف، ثم التضعيف المذكور يرجع إلى الثواب ولا يتعدى إلى الإجزاء باتفاق العلماء، كما نقله النووي وغيره، فمن عليه صلاتان فصلى في أحد المسجدين صلاة لم تجزه إلاَّ عن واحدة.

(**ومما يستدل به المالكية ما ذكره ابن حبيب في الواضحة**).

وأخرجه البيهقي في الشعب عن ابن عمر (**أنه ﷺ قال: صلاة في مسجدي كألف صلاة فيما سواه**) زاد في رواية البيهقي: إلاَّ المسجد الحرام (**وجمعة في مسجدي كألف جمعة فيما سواه، ورمضان في مسجدي كألف رمضان فيما سواه**).

لفظ رواية البيهقي: وصيام شهر رمضان بالمدينة كصيام ألف شهر فيما سواها وهذه أوسع، إذ قد يصوم بالمدينة ولا يكون بالمسجد لعذر أو لغيره كالنساء، وأخرج الطبراني والضياء المقدسي عن بلال بن الحرث المزني، رفعه: «رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان فيما سواها من البلدان، وجمعة بالمدينة خير من ألف جمعة فيما سواها من البلدان».

ومذهب عمر بن الخطاب وبعض الصحابة وأكثر المدنيين ـ كما قاله القاضي عياض ـ أن المدينة أفضل، وهو أحد الروايتين عن أحمد.

وأجمعوا على أن الموضع الذي ضم أعضاءه الشريفة ﷺ أفضل بقاع الأرض، حتى موضع الكعبة، كما قاله ابن عساكر والباجي والقاضي عياض، بل نقل التاج السبكي كما ذكره السيد السمهودي في «فضائل المدينة» عن ابن عقيل الحنبلي أنها أفضل من العرش، وصرح الفاكهاني بتفضيلها على السمٰوات ولفظه: وأقول أنا وأفضل من بقاع السمٰوات أيضًا. ولم أر من تعرض لذلك، والذي أعتقده لو أن ذلك عرض على علماء الأمة لم يختلفوا فيه، وقد جاء أن السمٰوات شرفت

وللبزار عن ابن عمر، رفعه: «رمضان بمكة أفضل من ألف رمضان بغير مكة»، وللبيهقي عن جابر رفعه: «الصلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلاَّ المسجد الحرام، والجمعة في مسجدي هذا أفضل من ألف جمعة فيما سواه إلاَّ المسجد الحرام، وشهر رمضان في مسجدي هذا أفضل من ألف شهر فيما سواه إلاَّ المسجد الحرام».

(**ومذهب عمر بن الخطاب وبعض الصحابة وأكثر المدنيين**) أي علماء المدينة (**كما قال القاضي عياض أن المدينة أفضل وهو إحدى الروايتين عن أحمد**) والصحيح المشهور عن مالك والأدلة كثيرة من الجانبين حتى مال بعضهم إلى تساوي البلدين (**وأجمعوا على أن الموضع الذي ضم أعضاءه الشريفة ﷺ أفضل بقاع الأرض حتى موضع الكعبة، كما قاله ابن عساكر والباجي**) أبو الوليد سليمٰن بن خلف الحافظ الفقيه (**والقاضي عياض**) معبرًا بقوله: موضع قبره، والظاهر أن المراد جميع القبر لا خصوص ما لاقى الجسد الشريف، لأنه يقال عرفًا للقبر ضم الأعضاء، ويؤيد ذلك قول القائل في قصيدة أولها دار الحبيب أحق أن تهواها إلى أن قال:

جزم الجميع بأن خير الأرض ما ... قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت ... كالنفس حين زكت زكى مأواها

(**بل نقل التاج السبكي كما ذكره السيد السمهودي**) بفتح السين وسكون الميم (**في فضائل المدينة عن ابن عقيل الحنبلي أنها**) أي: البقعة التي قبر فيها المصطفى ﷺ (**أفضل من العرش، وصرح الفاكهاني بتفضيلها على السمٰوات، ولفظه: وأقول أنا وأفضل من بقاع السمٰوات أيضًا، ولم أرَ من تعرض لذلك**) بالنص عليه (**والذي اعتقده أن ذلك لو عرض على علماء الأمة لم يختلفوا فيه**).

بمواطىء قدميه، بل لو قال قائل: إن جميع بقاع الأرض أفضل من جميع بقاع السماء لشرفها لكونه ﷺ حالاً فيها لم يبعد، بل هو عندي الظاهر المتعين. انتهى.

وحكاه بعضهم عن الأكثرين لخلق الأنبياء منها ودفنهم فيها، لكن قال النووي: والجمهور على تفضيل السماء على الأرض، أي: ما عدا ما ضم الأعضاء الشريفة.

وقد استشكل ما ذكره من الإجماع على أفضلية ما ضم أعضاءه الشريفة على جميع بقاع الأرض، ويؤيده ما قاله الشيخ عز الدين بن عبد السلام في تفضيل بعض الأماكن على بعض، من أن الأماكن والأزمان كلها متساوية، ويفضلان بما يقع فيهما لا بصفات قائمة بهما. قال: ويرجع تفضيلهما إلى ما ينيل الله العباد فيهما من فضله وكرمه، والتفضيل الذي فيهما أن الله تعالى يجود على عباده بتفضيل أجر العاملين فيهما. انتهى. ملخصًا.

(وقد جاء أن السموات شرفت بمواطىء قدميه بل) إضراب انتقالي (**لو قال قائل أن جميع بقاع الأرض أفضل من جميع بقاع السماء لشرفها، لكونه ﷺ حالاً فيها لم يبعد، بل هو عندي الظاهر المتعين. انتهى**) كلام الفاكهاني.

(**وحكاه**) أي: تفضيل الأرض على السماء (**بعضهم عن الأكثرين**) من العلماء (**لخلق الأنبياء منها ودفنهم فيها، لكن قال النووي والجمهور على تفضيل السماء على الأرض**) لأنها لم يعص الله فيها، ومعصية إبليس لم تكن فيها أو كانت فيها، ولكن لندورها كأنه لم يعص فيها أصلاً، وصححه بعضهم وبعض آخر صحح الأول، فهما قولان مرجحان ومحل الخلاف فيما عدا القبر الشريف، كما قال (**أي: ما عدا ما ضم الأعضاء الشريفة**) فإنها أفضل إجماعًا، بل قال البرماوي عن شيخه السراج البلقيني: الحق أن مواضع أجساد الأنبياء وأرواحهم أشرف من كل ما سواها من الأرض والسماء ومحل الخلاف غير ذلك. انتهى.

(**وقد استشكل ما ذكره من الإجماع على أفضلية ما ضم أعضاءه الشريفة على جميع بقاع الأرض، ويؤيده ما قاله الشيخ عز الدين**) الذي قاله غيره إن المستشكل هو العز (**بن عبد السلام في تفضيل بعض الأماكن على بعض من أن الأماكن والأزمان كلها متساوية ويفضلان بما يقع فيهما**) من الأعمال (**لا بصفة قائمة فيهما**).

(**وقال**) العز: (**ويرجع تفضيلهما إلى ما ينيل**) أي: يعطي (**الله العباد فيهما من فضله وكرمه والتفضيل الذي فيهما**) هو (**أن الله تعالى يجود على عباده بتفضيل أجر العاملين**

لكن تعقبه الشيخ تقي الدين السبكي بما حاصله: إن الذي قاله لا ينفي أن يكون التفضيل لأمر آخر فيهما وإن لم يكن عمل، لأن قبر رسول الله ﷺ ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة، وله عند الله من المحبة ولساكنه ما تقصر العقول عن إدراكه، وليس ذلك لمكان غيره، فكيف لا يكون أفضل؟ وليس محل عمل لنا لأنه ليس مسجدًا، ولا له حكم المسجد، بل هو مستحق للنبي ﷺ.

وأيضًا فقد تكون الأعمال مضاعفة فيه باعتبار أن النبي ﷺ حي كما تقرر، وأن أعماله مضاعفة فيه أكثر من كل أحد، فلا يختص التضعيف بأعمالنا نحن.

قال: ومن فهم هذا انشرح صدره لما قاله القاضي عياض من تفضيل ما ضم أعضاءه الشريفة ﷺ باعتبارين: أحدهما، ما قيل إن كل أحد يدفن في الموضع

فيهما) قال العز: وموضع القبر الشريف لا يمكن العمل فيه، لأن العمل فيه يحرم فيه عقاب شديد.

(انتهى ملخصًا، لكن تعقبه) تلميذه العلامة الشهاب القرافي بأن التفضيل للمجاورة والحلول كتفضيل جلد المصحف على سائر الجلود، فلا يمسه محدث ولا يلابس بقذر لا لكثرة الثواب وإلا لزمه أن لا يكون جلد المصحف، بل ولا المصحف نفسه أفضل من غيره لتعذر العمل فيه وهو خلاف المعلوم من الدين بالضرورة وأسباب التفضيل أعم من الثواب، فإنها منتهية إلى عشرين قاعدة وبينها كلها في كتابه الفروق، ثم قال: إنها أكثر وأنه لا يقدرعلى إحصائها خشية الإسهاب. انتهى.

وكذا تعقبه **(الشيخ تقي الدين السبكي بما حاصله أن الذي قاله لا ينفي أن يكون التفضيل لأمر آخر فيهما)** أي: الأزمنة والأمكنة **(وإن لم يكن عمل، لأن قبر رسول الله ﷺ ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة وله عند الله من المحبة ولساكنه ما تقصر العقول عن إدراكه وليس ذلك لمكان غيره، فكيف لا يكون أفضل،** و) الحال أنه **(ليس محل عمل لنا، لأنه ليس مسجدًا ولا له حكم المسجد، بل هو مستحق)** أي: حق **(للنبي ﷺ، وأيضًا)** وجه آخر **(فقد تكون الأعمال مضاعفة فيه باعتبار أن النبي ﷺ حي كما تقرر)** وأنه يصلي في قبره بأذان وإقامة **(وأن أعماله مضاعفة فيه أكثر من)** مضاعفة عمل **(كل أحد، فلا يختص التضعيف بأعمالنا نحن)** أيها الأمة.

(قال) السبكي: **(ومن فهم هذا انشرح صدره لما قاله القاضي عياض)** تبعًا للباجي وابن عساكر **(من تفضيل ما ضم أعضاءه الشريفة ﷺ باعتبارين:)**

(أحدهما) باعتبار **(ما قيل أن كل أحد يدفن في الموضع الذي خلق منه)** ولذا أشكل

الذي خلق منه، والثاني: تنزل الملائكة والبركات عليه، وإقبال الله تعالى. ولا نسلم أن الفضل للمكان لذاته ولكن لأجل من حلَّ فيه ﷺ. انتهى.

وقد روى أبو يعلى عن أبي بكر أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يقبض النبي إلا في أحب الأمكنة إليه». ولا شك أن أحبها إليها أحبها إلى ربه تعالى، لأن حبه تابع لحب ربه جل وعلا، وما كان أحب إلى الله ورسوله كيف لا يكون أفضل؟ وقد قال ﷺ: «اللهم إن إبراهيم دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك إبراهيم لمكة ومثله معه». ولا ريب أن دعاء النبي ﷺ أفضل من دعاء إبراهيم، لأن فضل الدعاء على قدر فضل الداعي. وقد صح أنه ﷺ قال:

قول ابن عباس: أصل طينته ﷺ من سرة الأرض بمكة يعني موضع الكعبة، وأجاب في العوارف بأن الماء، أي الذي كان عليه العرش لما تموج رمى الزبد إلى النواحي، فوقعت طينة النبي ﷺ بالمدينة كما بسطه المصنف أول الكتاب.

(**والثاني: تنزل الرحمة والبركات عليه وإقبال اللّه تعالىٰ**) قال السمهودي: والرحمات النازلات بذلك المحل يعم فيضها الأمة وهي غير متناهية لدوام ترقياته ﷺ فهو منبع الخيرات. انتهى. (**ولا نسلم أن الفضل للمكان لذاته ولكن لأجل من حل فيه ﷺ. انتهى**).

(**وقد روى أبو يعلى عن أبي بكر**) الصديق (**أنه قال سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: لا يقبض**) يموت (**نبي إلاَّ في أحب الأمكنة إليه، ولا شك أن أحبها إليه أحبها إلى ربه تعالىٰ، لأن حبه تابع لحب ربه جل وعلا، وما كان أحب للّه ورسوله فكيف لا يكون أفضل، وقد قال عليه السلام: اللهم إن إبراهيم**) عبدك ونبيك وخليلك وإني عبدك ونبيك وإن إبراهيم (**قد دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعا إبراهيم لمكة ومثله معه**).

أخرجه مسلم والموطأ وغيرهما عن أبي هريرة في حديث (**ولا ريب أن دعاءه أفضل من دعاء إبراهيم، لأن فضل الدعاء على قدر فضل الداعي**) خصوصًا، وقد قال ومثله معه قال بعض العلماء: قد استجاب اللّه دعوته للمدينة، فصار يجبى إليها في زمن الخلفاء الراشدين من مشارق الأرض ومغاربها ثمرات كل شيء.

وكذا مكة بدعاء الخليل، وزادت عليها المدينة لقوله: ومثله معه شيئين:

إحداهما في ابتداء الأمر وهو كنوز كسرى وقيصر وغيرهما وإنفاقها في سبيل اللّه على أهلها.

وثانيهما في آخر الأمر، وهو أن الإيمان يأرز إليها من الأقطار. انتهى.

«اللهم حبب إلينا المدينة، كحبنا مكة أو أشد». وفي رواية «بل أشد» وقد أجيبت دعوته، حتى كان يحرك دابته إذا رآها من حبها. وروى الحاكم أنه ﷺ قال: «اللهم إنك أخرجتني من أحب البقاع إلي فأسكني في أحب البقاع إليك» أي في موضع تصيره كذلك، فيجتمع فيه الحبان. قيل: و ضعفه ابن عبد البر، ولو سلمت صحته فالمراد: أحب إليك بعد مكة لحديث «إن مكة خير بلاد الله»، وفي رواية «أحب أرض الله إلى الله»، ولزيادة التضعيف بمسجد مكة.

وتعقبه العلامة السيد السمهودي: بأن ما ذكر لا يقتضي صرفه عن ظاهره، إذ القصد به الدعاء لدار هجرته بأن يصيرها الله كذلك. وحديث: «إن مكة خير بلاد الله» محمول على بدء الأمر قبل ثبوت الفضل للمدينة، وإظهار الدين، وافتتاح البلاد منها حتى مكة، فقد أنالها وأنال بها ما لم يكن لغيرها من البلاد، فظهر إجابة دعوته، وصيرورتها أحب مطلقًا بعد، ولهذا افترض الله تعالى على نبيه ﷺ

(وصح) في البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة في حديث (**أنه ﷺ قال: اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد**).

وفي رواية: بل أشد) فأوفي الأولى للإضراب، فاستجاب الله له، فكانت أحب إليه من مكة كما جزم به السيوطي ونحوه قوله: (**وقد أجيبت دعوته حتى كان يحرك دابته إذا رآها من حبها**) أي: المدينة، كما رواه البخاري عن أنس أنه ﷺ كان إذا قدم من سفر فنظر إلى جدران المدينة أوضع وإن كان على دابة حركها من حبها.

(**وروى الحاكم**) في المستدرك وأبو سعد في الشرف عن أبي هريرة (**أنه ﷺ قال: اللهم إنك أخرجتني من أحب البقاع إليّ فاسكني في أحب البقاع إليك، أي: في موضع تصيره كذلك فيجتمع فيه الحبان**) وتمامه فأسكنه الله المدينة.

(**قيل: وضعفه ابن عبد البرّ**) فقال: لا يختلف أهل العلم في نكارته وضعفه (**ولو سلمت صحته فالمراد أحب إليك بعد مكة لحديث أن مكة خير بلاد الله**).

(**وفي رواية: أحب أرض الله إلى الله ولزيادة التضعيف بمسجد مكة**) في الصلوات (**وتعقبه العلامة السيد السمهودي؛ بأن ما ذكر**) من الحديث والتضعيف (**لا يقتضي صرفه عن ظاهره، إذ القصد به الدعاء لدار هجرته بأن يصيرها الله كذلك، وحديث أن مكة خير بلاد الله محمول على بدء الأمر قبل ثبوت الفضل للمدينة وإظهار الدين وافتتاح البلاد منها حتى مكة، فقد أنالها**) أي: المدينة (**وأنال:**) أعطى (**بها ما لم يكن لغيرها من البلاد، فظهر**) بذلك (**إجابة دعوته وصيرورتها أحب مطلقًا**) أي: من مكة وغيرها (**بعد**) بالضم، أي بعد حلوله فيها

الإقامة بها، وحث هو ﷺ على الاقتداء به في سكناها والموت بها، فكيف لا تكون أفضل.

قال: وأما مزيد المضاعفة، فأسباب التفضيل لا تنحصر في ذلك، فالصلوات الخمس بمنى للمتوجه لعرفة أفضل منها بمسجد مكة، وإن انتفت عنها المضاعفة، إذ في الاتباع ما يربو عليها، ومذهبنا: شمول المضاعفة للنفل مع تفضيله بالمنزل، ولهذا قال عمر رضي الله عنه بمزيد المضاعفة لمسجد مكة، مع قوله بتفضيل المدينة، ولم يصب من أخذ من قوله بمزيد المضاعفة: تفضيل مكة. إذ غايته أن للمفضول مزية ليست للفاضل، مع أن دعاءه ﷺ بمزيد تضعيف البركة بالمدينة على مكة شامل للأمور الدينية أيضًا. وقد يبارك في العدد القليل فيربو على الكثير، ولهذا استدل به على تفضيل المدينة.

وإن أريد من حديث المضاعفة الكعبة فقط، فالجواب: إن الكلام فيما

(ولهذا افترض الله تعالى على نبيه ﷺ الإقامة بها) حيًا وميتًا **(وحث هو ﷺ على الاقتداء به في سكناها والموت بها، فكيف لا تكون أفضل)** من مكة.

(قال) السمهودي: **(وأما مزيد)** أي: زيادة **(المضاعفة، فأسباب التفضيل لا تنحصر في ذلك)** أي: مزيد المضاعفة **(فالصلوات الخمس بمنى للمتوجه لعرفه أفضل منها)** أي: من صلاتها **(بمسجد مكة وإن انتفت عنها المضاعفة، إذ في الاتباع)** لفعل النبي ﷺ حيث صلاها بمنى **(ما يربو:)** يزيد **(عليها)** أي: المضاعفة **(ومذهبنا)** أي: الشافعية **(شمول المضاعفة للنفل)** وبه قال مطرف صاحب مالك **(مع تفضيله بالمنزل)** مع أنه لا مضاعفة فيه **(ولهذا قال عمر)** بن الخطاب **(بمزيد المضاعفة لمسجد مكة)** على مسجد المدينة **(مع قوله)** أي: عمر **(بتفضيل المدينة)** ومسجدها على مكة ومسجدها، لأن التفضيل لم ينحصر في المضاعفة **(ولم يصب من أخذ من قوله)** أي: عمر **(بمزيد المضاعفة)** أنه يرى **(تفضيل مكة، إذ غايته أن للمفضول)** مسجد مكة **(مزية ليست للفاضل)** مسجد المدينة والمزية لا تقتضي الأفضلية **(مع أن دعاءه ﷺ بمزيد تضعيف البركة بالمدينة على مكة شامل للأمور الدينية أيضًا)** إذ لا وجه لتخصيصه بالدنيوية **(و)** لا يرد مزيد التضعيف لأنه **(قد يبارك في العدد القليل فيربو)**: يزيد نفعه **(على)** العدد **(الكثير، ولهذا استدل به على تفضيل المدينة)** إذ لو لم يكن كذلك ما صح الاستدلال **(وإن أريد من حديث المضاعفة الكعبة)** نائب فاعل أريد **(فقط)**.

(فالجواب أن الكلام فيما عداها فلا يرد شيء مما جاء في فضلها) فإنها تلي القبر

عداها، فلا يرد شيء مما جاء في فضلها، ولا ما بمكة من مواضع النسك لتعلقه بها، ولذا قال عمر لعبد الله بن عياش المخزومي: أنت القائل: لمكة خير من المدينة؟ فقال عبد الله: هي حرم الله وأمنه وفيها بيته، فقال عمر: لا أقول في حرم الله وبيته شيئًا، ثم كرر عمر قوله الأول، فأعاد عبد الله جوابه، فأعاد له: لا أقول في حرم الله وبيته شيئًا، فأشير إلى عبد الله فانصرف.

وقد عوضت المدينة عن العمرة، ما صح في إتيان مسجد قباء، وعن الحج ما جاء في فضل الزيارة النبوية والمسجد، والإقامة بعد النبوة بالمدينة وإن كانت أقل من الإقامة مكة على القول به، فقد كانت سببًا لإعزاز الدين وإظهاره، ونزول أكثر

الشريف فهي أفضل من بقية المدينة اتفاقًا كما في كلام السمهودي **(ولا ما بمكة من مواضع النسك لتعلقه بها)**.

(ولذا قال عمر لعبد الله بن عياش) بتحتية وشين معجمة ابن أبي ربيعة القرشي **(المخزومي)** وأبوه قديم الإسلام وهاجر إلى الحبشة، فولد له عبد الله هذا بها وأدرك من حياته ﷺ ثمانِ سنين وحفظ عنه.

وروى عن عمر وغيره ومات سنة أربع وستين: **(أنت القائل لمكة)** بفتح اللام للتأكيد **(خير)** أي أفضل **(من المدينة فقال عبد الله: هي حرم الله وأمنه وفيها بيته)** الكعبة، وما أضيف لله خير مما أضيف لرسوله **(فقال عمر: لا أقول في حرم الله وبيته شيئًا)** يعني: أنه ليس من محل الخلاف ولم أسألك عنه، وإنما سألتك عن البلدين **(ثم كرر عمر:)** لينظر هل تغير اجتهاده إلى موافقة عمر في تفضيل المدينة **(قوله الأول: أنت)** القائل... الخ.

(فأعاد عبد الله جوابه:) هي حرم الله... الخ **(فأعاد له عمر)** قوله: **(لا أقول في حرم الله وبيته شيئًا)** وما تغير اجتهاد واحد منهما لموافقة الآخر، والقصة رواها لملك في الموطأ مطولة عن أسلم مولى عمر، وفيها أنهم كانوا بطريق مكة ولكن قال في آخرها: ثم انصرف ولم يقل **(فأشير إلى عبد الله فانصرف، وقد عوضت المدينة عن العمرة ما صح في إتيان مسجد قباء)** كما يأتي مرفوعًا: صلاة في مسجد قباء كعمرة **(وعن الحج ما جاء في فضل الزيارة النبوية والمسجد)** النبوي، وفي الحجج المبينة عن أبي أمامة مرفوعًا: «من خرج على طهر لا يريد إلا الصلاة في مسجدي هذا حتى يصلي فيه كان بمنزلة حجة». انتهى.

(والإقامة بعد النبوة بالمدينة وإن كانت أقل من الإقامة بمكة) بثلاث سنين **(على القول به)** وهو الصحيح **(فقد كانت سببًا لإعزاز الدين وإظهاره ونزول أكثر الفرائض)** إذ لم يفرض

الفرائض وإكمال الدين، حتى كثر تردد جبريل عليه السلام بها، ثم استقر بها ﷺ إلى قيام الساعة. ولهذا قيل لمالك: أيما أحب إليك المقام هنا - يعني المدينة - أو مكة؟ فقال: هنا، وكيف لا أختار المدينة وما بها طريق إلا سلك عليها رسول الله ﷺ، وجبريل ينزل عليه من عند رب العالمين في أقل من ساعة؟!.

وروى الطبراني حديث «المدينة خير من مكة» وفي رواية للجندي «أفضل من مكة» وفيه: محمد بن عبد الرحمٰن الرداد، ذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان يخطىء، وقال أبو زرعة: لين، وقال: ابن عدي، روايته ليست محفوظة، وقال أبو حاتم: ليس بقوي.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد».

بمكة بعد الإيمان سوى الصلاة على المعروف **(وإكمال الدين حتى كثر تردد)** مجيء **(جبريل عليه السلام بها، ثم استقر بها ﷺ إلى قيام الساعة)** ولا يوازي ذلك شيء **(ولهذا قيل لمالك)** الإمام: **(أيما أحب إليك المقام هنا؟، يعني: المدينة أو مكة، فقال: ههنا)** أحب إليّ **(وكيف لا أختار المدينة وما بها طريق إلاّ سلك عليها رسول اللّه ﷺ وجبريل ينزل عليه من عند رب العالمين في أقل من ساعة)** مدة من الزمن، فأي فضل يعادل هذا.

(وروى الطبراني) في الكبير والدارقطني **(حديث)** رافع بن خديج: سمعت النبي ﷺ يقول **(المدينة خير من مكة)** لأنه إذا تأمل ذو البصيرة لم يجد فضلاً أعطيته مكة إلاّ وأعطيت المدينة نظيره، أو أعلى منه كما في الحجج المبينة، وزادت ببقاء المصطفى فيها إلى يوم القيامة.

(وفي رواية للجندي:) بفتح الجيم والنون ودال مهملة نسبة إلى الجند بلد باليمن **(أفضل من مكة)** وهما بمعنى لكن أفضل أصرح **(وفيه محمد بن عبد الرحمٰن الرداد، ذكره ابن حبان في الثقات)**.

(وقال: كان يخطىء، وقال أبو زرعة) الرازي الحافظ عبيد اللّه بن عبد الكريم: **(لين، وقال ابن عدي روايته ليست محفوظة، وقال أبو حاتم)** محمد بن إدريس الرازي: **(ليس بقوي)** وحاصله أنه ضعيف متماسك.

(وفي الصحيحين:) في الحج والنسائي فيه، وفي التفسير كلهم من طريق لملك، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن يسار **(عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ أمرت)** بالبناء للمفعول **(بقرية تأكل القرى يقولون)** أي: بعض المنافقين **(يثرب)** باسم واحد من العمالقة نزلها

أي أمرني الله بالهجرة إليها، إن كان قاله ﷺ بمكة، أو: بسكناها، إن كان قاله بالمدينة.

وقال القاضي عبد الوهاب: لا معنى لقوله: «تأكل القرى» إلا رجوح فضلها عليها، أي: على القرى وزيادتها على غيرها.

أو يثرب بن فانية من ولد أرم بن سام بن نوح وكان اسما لموضع منها سميت به كلها وكرهه ﷺ لأنه من التثريب الذي هو التوبيخ والملامة أو من الثرب وهو الفساد وكلاهما قبيح، وقد كان يحب الاسم الحسن ويكره القبيح، ولذا أبدله بطيبة وطابة والمدينة كما قال **(وهي المدينة)** أي الكاملة على الإطلاق كالبيت للكعبة فهو اسمها الحقيق بها لدلالة التركيب على التفخيم كقوله الشاعر:

هم القوم كل القوم يا أم خالد

أي المستحقة لأن تتخذ دار إقامة وتسميتها في القرءان يثرب إنما هو حكاية عن منافقين.

وروى أحمد عن البراء بن عازب رفعه: «من سمى المدينة يثرب فليستغفر اللّه هي طابة هي طابة»، وروى عمر بن شبة عن أبي أيوب أنه ﷺ نهى أن يقال للمدينة يثرب.

ولهذا قال عيسى بن دينار: من سمى المدينة يثرب كتبت عليه خطيئة وحديث الهجرة في الصحيحين، فإذا هي يثرب، وفي رواية: لا أراها إلا يثرب كان قبل النهي **(تنفي)** المدينة **(الناس)** أي: الخبيث الرديء منهم في زمنه ﷺ، أو في زمن الدجال **(كما ينفي الكير)** بكسر الكاف وسكون التحتية.

قال في القاموس: زق ينفخ فيه الحداد، وأما المنبني من طين فكور **(خبث)** بفتح المعجمة والموحدة ومثلثة **(الحديد)** أي: وسخه الذي تخرجه النار، أي: أنها لا تبقي فيها من في قلبه دغل، بل تميزه عن القلوب الصادقة وتخرجه كما تميز النار رديء الحديد من جيده ونسب التمييز للكير، لأنه السبب الأكبر في اشتعال النار التي وقع التمييز بها.

وقد خرج من المدينة بعد الوفاة النبوية معاذ وأبو عبيدة وابن مسعود في طائفة، ثم علي وطلحة والزبير وعمار وآخرون وهم من أطيب الخلق، دل على أن المراد بالحديث تخصيص ناس دون ناس وقت دون ووقت وقوله: أمرت بقرية **(أي: أمرني اللّه)** تعالىٰ **(بالهجرة إليها إن كان قاله عليه السلام بمكة)** قبل أن يهاجر **(أو بسكناها إن كان قاله بالمدينة)**.

(وقال القاضي عبد الوهاب) البغدادي، ثم المصري: وبها مات **(لا معنى لقوله: تأكل القرى إلا رجوح فضلها عليها، أي: على القرى وزيادتها على غيرها)** ومن جملته مكة.

وقال ابن المنير: يحتمل أن يكون المراد بذلك. غلبة فضلها على فضل غيرها، أي أن الفضائل تضمحل في جنب عظيم فضلها حتى تكون عدمًا، وهذا أبلغ من تسمية مكة «أم القرى» لأن الأمومة لا ينمحي معها ما هي له أم، لكن يكون لها حق الأمومة، انتهى.

ويحتمل أن يكون المراد غلبة أهلها على القرى، والأقرب: حمله عليهما، إذ هو أبلغ في الغرض المسوق له. انتهى ما قاله السيد السمهودي.

وقد أطلت في الاحتجاج لتفضيل المدينة على مكة، وإن كان مذهب إمامنا الشافعي ـ رحمه الله ـ تفضيل مكة، لأن هوى كل نفس أين حل حبيبها.

علـيّ لـربـع الـعـامـريـة وقـفـة ليملي علي الشوق والدمع كاتب

(وقال) الزين **(بن المنير)** في حاشية البخاري، قال السهيلي في التوراة: يقول الله يا طابة يا مسكينة إني سأرفع أجاجيرك على أجاجير القرى، وهو قريب من قوله تأكل القرى لأنها إذا علت عليها علو الغلبة أكلتها، و **(يحتمل أن يكون المراد بذلك غلبة فضلها على فضل غيرها، أي: أن الفضائل تضمحل)** بمعجمة فميم فمهملة فلام تذهب **(في جنب عظيم فضلها حتى تكون عدمًا)** أي: يغلب فضلها الفضائل حتى إذا قيست بفضلها تلاشت بالنسبة إليها، فهو المراد بالأكل **(وهذا أبلغ من تسمية مكة أم القرى، لأن الأمومة لا ينمحي معها ما هي له أم لكن يكون لها حق الأمومة. انتهى)** كلام ابن المنير وبقيته وما تضمحل له الفضائل أفضل وأعظم مما تبقى معه الفضائل **(ويحتمل أن يكون المراد غلبة أهلها على القرى)** يعني أن أهلها تغلب أهل سائر البلاد فتفتح منها، يقال: أكلنا بني فلان، أي: غلبناهم وظهرنا عليهم، فإن الغالب المستولى على الشيء كالمفني له إفناء الأكل إياه، وفي موطأ ابن وهب، قلت لمالك: ما تأكل القرى؟ قال: تفتح القرى **(والأقرب حمله عليهما)** بالتثنية، أي: على غلبتها على القرى وغلبة فضلها على فضل غيرها **(إذ هو أبلغ في الغرض المسوق له. انتهى)**.

(ما قاله السيد السمهودي) وهو من النفائس الخلية عن عصبية المذهبية **(وقد أطلت في الاحتجاج لتفضيل المدينة على مكة وإن كان مذهب إمامنا الشافعي رحمه الله تفضيل مكة، لأن هوى كل نفس أين حل حبيبها)** كما قيل:

وقـائـلـة لـي مـا وقـوفـك هـهـنـا ببرية يعوي من العصر ذيبها
فقلت لها قلبي الملامة واقصري هوى كل نفس أين حل حبيبها

وأنشد لغيره:

(علـي لـربـع الـعـامـريـة وقـفـة ليملي علي الشوق والدمع كاتب)

ومن مذهبي حب الديار لأهلها وللناس فيما يعشقون مذاهب

على أن للقلم في أرجاء تفضيل المدينة مجالاً واسعًا ومقالاً جامعًا، لكن الرغبة في الاختصار تطوي أطراف بساطه، والرهبة من الإكثار تصرف عن تطويله وإفراطه.

وقد استنبط العارف ابن أبي جمرة من قوله ﷺ المروي في البخاري «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة» التساوي بين فضل مكة والمدينة. قال: وظاهر هذا الحديث يعطي التسوية بينهما في الفضل، لأن جميع الأرض يطؤها الدجال إلا هذين البلدين، فدل على تسويتهما في الفضل، قال: ويؤكد ذلك

(ومن مذهبي حب الديار لأهلها وللناس فيما يعشقون مذاهب)

يملي بضم الياء وكسر اللام فاعله الشوق، ومن ذلك المعنى قول الشاعر:

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

(على أن للقلم في أرجاء:) بفتح الهمزة وسكون الراء وجيم جمع رجا بالقصر الناحية، أي: في جهات تفضيل **(المدينة مجالاً)** مصدر ميمي لجال، أي: طوافًا **(واسعًا)** في بيان أدلة ذلك **(ومقالاً جامعًا)** لما تفرق **(لكن الرغبة في الاختصار تطوي أطراف بساطه والرهبة)** الخوف **(من الإكثار تصرف)** تصد **(عن تطويله وإفراطه)**.

(وقد استنبط): استخرج **(العارف بالله ابن أبي جمرة)** بجيم وراء **(من قوله عليه السلام المروي في البخاري)** والنسائي في الحج، ومسلم في الفتن عن أنس مرفوعًا: **(ليس من بلد)** من البلدان **(إلاَّ سيطؤه:)** يدخله **(الدجال)** قال الحافظ: هو على ظاهره وعمومه عند الجمهور، وشذ ابن حزم فقال: المراد لا يدخله بجنوده وكأنه استبعد إمكان دخول الدجال جميع البلاد لقصر مدته، وغفل عما في مسلم؛ أن بعض أيامه يكون قدر سنة **(إلاَّ مكة والمدينة)** لا يطؤهما مستثنى من المستثنى لا من بلد في اللفظ، وإلاَّ ففي المعنى منه لأن ضمير يطؤه عائد على بلد.

وبقية هذا الحديث ليس من نقابهما نقب إلاَّ عليه الملائكة صافين يحرسونهما، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج الله كل كافر ومنافق **(التساوي)** مفعول استنبط **(بين مكة والمدينة)** حيث **(قال: وظاهر هذا الحديث يعطي التسوية بينهما في الفضل، لأن جميع الأرض يطؤها الدجال إلاَّ هذين البلدين، فدل على تسويتهما في الفضل)** وليس ذلك بلازم، فإنهما متساويان في أشياء كثيرة ومع ذلك الخلاف في أيهما أفضل.

(قال: ويؤكد ذلك أيضًا من وجه النظر أنه) أي: الشأن **(إن كانت خصت المدينة**

أيضًا من وجه النظر. لأنه إن كانت خصت المدينة بمدفنه ﷺ وإقامته بها ومسجده، فقد خصت مكة بمسقطه ﷺ بها ومبعثه منها، وهي قبلته، فمطلع شمس ذاته الكريمة المباركة مكة، ومغربها المدينة، وإقامته بعد النبوة على المشهور من الأقاويل بمكة مثل إقامته ﷺ بالمدينة، عشر سنين في كل واحدة منهما. كذا قاله.

وأنت إذا تأملت قوله ﷺ فيما رواه مسلم من حديث سعد يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه: هلم إلى الرخاء، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده لا يخرج أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرًا منه

بمدفنه عليه السلام وإقامته بها ومسجده، فقد خصت مكة بمسقطه) أي: ولادته **(عليه السلام بها ومبعثه منها وهي قبلته، فمطلع شمس ذاته المباركة مكة ومغربها المدينة وإقامته بعد النبوة على المشهور من الأقاويل بمكة قدر إقامته بالمدينة عشر سنين في كل واحدة منهما، كذا قاله:)** تبرأ منه، لأن دلالة ما قاله على التساوي ليست بقوية، ولأن ما قال إنه المشهور خلاف المشهور، أنه أقام بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة، وحمله على أن المراد بعشر مكة العشر التي دعا الناس فيها، لأن الثلاثة قبلها لم يكن مأمورًا فيها بدعوة يمنعه قوله على المشهور من الأقاويل، إذ لو حمل على ذلك لم يكن خلاف **(وأنت إذا تأملت قوله عليه السلام فيما رواه مسلم من حديث سعد)**.

كذا في النسخ، والذي في مسلم إنما هو عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال: **(يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه)** أي: الرجل **(هلم)** أي: تعال **(إلى الرخاء)** الزرع والخصب وغير ذلك **(والمدينة خير لهم)** من الرخاء، لأنها حرم الرسول وجواره ومهبط الوحي ومنزل البركات **(لو كانوا يعلمون)** بما فيها من الفضائل كالصلاة في مسجدها وثواب الإقامة فيها وغير ذلك من الفوائد الدينية والأخروية التي تحتقر دونها الحظوظ الفانية العاجلة بسبب الإقامة في غيرها وجواب لو محذوف، أي: ما خرجوا منها، أو لو للتمني فلا جواب لها، وعلى التقديرين: ففيه تجهيل من فارقها تقويته على نفسه خيرًا عظيمًا، وللبزار برجال الصحيح عن جابر، مرفوعًا: «ليأتين على أهل المدينة زمان ينطلق الناس منها إلى الأرياف يلتمسون الرخاء، فيجدون رخاء ثم يتحملون بأهليهم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»، والأرياف: جمع ريف بكسر الراء وهو ما قارب المياه في أرض العرب، وقيل: هو الأرض التي فيها الزرع والخصب، وقيل: غير ذلك **(والذي نفسي بيده لا يخرج أحد رغبة عنها)** أي: كراهة لها من رغبت عن الشيء إذا كرهته، قاله المازري **(إلا أخلف اللّه فيها خيرًا منه)** بمولود يولد بها، أو

ظهر لك أن فيه إشعارًا بذم الخروج من المدينة. بل نقل الشيخ محب الدين الطبري عن قوم أنه عام أبدًا مطلقًا، وقال: إنه ظاهر اللفظ.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتي إلا كنت له شفيعًا يوم القيامة أو شهيدًا».

وفيه عن سعيد ـ مولى المهري ـ أنه جاء إلى أبي سعيد الخدري ليالي الحرة، فاستشاره في الجلاء من المدينة، وشكا إليه أسعارها وكثرة عياله، وأخبره أنه لا صبر له على جهد المدينة ولأوائها، فقال: ويحك. لا آمرك بذلك، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يصبر أحد على لأوائها إلا كنت له شفيعًا أو

قدوم خير منه من غيرها وهذا فيمن استوطنها، أما من كان وطنه غيرها فقدمها للقربة ورجع إلى وطنه أو استوطنها وسافر لحاجة أو شدة أو فتنة فليس من ذلك.

قاله الباجي: (**ظهر لك أن فيه إشعارًا**) قويًا (**بذم الخروج من المدينة**) رغبة عنها كما قيد به الحديث، فلا يرد أن الصحابة الذين خرجوا منها لم تخلف المدينة بمثلهم فضلاً عن خير منهم (**بل نقل الشيخ محب الدين الطبري عن قوم؛ أنه عام أبدًا مطلقًا**) أي: في زمنه ﷺ وبعده (**وقال**) مختارًا له (**أنه ظاهر اللفظ**).

وقد اختلف في ذلك فقال ابن عبد البرّ وعياض وغيرهما أنه خاص بزمنه ﷺ وقال آخرون: هو عام في زمنه وبعده، ورجحه النووي، وقال الأبي أنه الأظهر والذين خرجوا من الصحابة لم يخرجوا رغبة عنها، بل لمصالح دينية.

(**وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها**) أي: اللأواء أو المدينة احتمالان للمازري، فعلى الأول هو عطف تفسير (**أحد من أمتي إلا كنت له شفيعًا يوم القيامة أو شهيدًا، وفيه عن سعيد**) صوابه كما في مسلم عن أبي سعيد (**مولى المهري**) بفتح الميم وسكون الهاء وبالراء نسبة إلى مهرة قبيلة من قضاعة.

قال المنذري: لا يعرف له اسم (**أنه جاء إلى أبي سعيد الخدري ليالي الحرة**) بفتح الحاء والراء المهملتين (**فاستشاره في الجلاء**) بفتح الجيم والمد الخروج (**من المدينة وشكا إليه أسعارها**) أي: غلوها (**وكثرة عياله، وأخبره أنه لا صبر له على جهد:**) مشقة (**المدينة ولأوائها**) عطف مساوٍ (**فقال له أبو سعيد: ويحك لا آمرك بذلك**) أي: الجلاء (**إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يصبر أحد على لأوائها إلاَّ كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة»**)

شهيدًا يوم القيامة.

و «اللأواء»: بالمد، الشدة والجوع.

و «أو» في قوله: إلا كنت له شفيعًا أو شهيدًا الأظهر أنها ليست للشك، لأن هذا الحديث رواه جابر بن عبد الله، وسعد بن أبي وقاص، وابن عمر، وأبو سعيد، وأبو هريرة، وأسماء بنت عميس، وصفية بنت أبي عبيد، عنه ﷺ بهذا اللفظ، ويبعد اتفاق جميعهم أو رواتهم على الشك وتطابقهم فيه على صيغة واحدة، بل الأظهر أنه قاله صلى الله عليه وسلم.

وتكون «أو» للتقسيم، ويكون شهيدًا لبعض أهل المدينة وشفيعًا لباقيهم، إما شفيعًا للعاصين وشهيدًا للمطيعين، وإما شهيدًا لمن مات في حياته، وشفيعًا لمن مات بعده، أو غير ذلك.

وهذه خصوصية زائدة على الشفاعة للمذنبين أو للعالمين في القيامة، وعلى

إذا كان مسلمًا، هذا تمام الحديث عند مسلم **(واللأواء)** بفتح اللام وسكون الهمزة بعدها واو، و **(بالمد الشدة)** أي شدة الكسب **(والجوع)**.

قال عياض في شرح مسلم: سئلت قديمًا عن هذا الحديث ولم خص ساكن المدينة بالشفاعة هنا مع عموم شفاعته ﷺ وادخاره إياها.

قال: وأجبت عنه بجواب شاف مقنع في أوراق اعترف بصوابه كل واقف عليه، وأذكر منه هنا لمعًا تليق بهذا الموضع **(وأو في قوله: إلاَّ كنت له شفيعًا أو شهيدًا)** قال بعض شيوخنا: إنها للشك، و **(الأظهر أنها ليست للشك)** فهذا كله كلام عياض قائلاً: **(لأن هذا الحديث رواه جابر بن عبد الله)** الأنصاري **(وسعد بن أبي وقاص)** عند مسلم والنسائي في حديث بلفظ: ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلاَّ كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة **(وابن عمر وأبو سعيد)** الخدري **(وأبو هريرة)** الثلاثة عند مسلم **(وأسماء بنت عميس)** بمهملتين مصغر **(وصفية بنت أبي عبيد)** زوجة ابن عمر في صحبتها خلاف السبعة **(عنه ﷺ بهذا اللفظ)** أي شهيدًا أو شفيعًا **(ويبعد اتفاق جميعهم أو رواتهم على الشك وتطابقهم:)** توافقهم **(على صيغة واحدة، بل الأظهر أنه قاله عليه السلام وتكون أو للتقسيم، ويكون شهيدًا لبعض أهل المدينة وشفيعًا لباقيهم)** بيان للتقسيم، وأوضحه فقال: **(إما شفيعًا للعاصين وشهيدًا للمطيعين)** بطاعاتهم **(وإما شهيدًا لمن مات في حياته)** ﷺ **(وشفيعًا لمن مات بعده أو غير ذلك)** مما الله أعلم به كما في كلام عياض **(وهذه خصوصية زائدة على الشفاعة للمذنبين أو للعالمين**

شهادته على جميع الأمم، فيكون لتخصيصهم بهذا كله علو مرتبه وزيادة وحظوة.

وإذا قلنا «أو» للشك، فإن كانت اللفظة الصحيحة «شهيدًا» اندفع الاعتراض لأنها زائدة على الشفاعة المدخرة لغيرهم، وإن كانت اللفظة الصحيحة «شفيعًا» فاختصاص أهل المدينة بهذا مع ما جاء من عمومها وادخارها لجميع الأمة أن هذه شفاعة أخرى غير العامة، وتكون هذه الشفاعة لأهل المدينة بزيادة الدرجات، أو تخفيف الحساب، أو بما شاء الله من ذلك، أو بإكرامهم يوم القيامة بأنواع الكرامات لكونهم على منابر أو في ظل العرش، أو الإسراع بهم إلى الجنة أو غير ذلك من خصوص الكرامات.

كيف لا يتحمل المشقات من يحب أن يتمتع بسيد أهل الأرض والسمٰوات، وينال ما وعده به من جزيل المثوبات وجسيم الهبات، وإنجاز وعده

في القيامة و) زائدة **(على شهادته على جميع الأمم)**؛ بأن أنبيائهم بلغتهم وحذف من كلام عياض، وقد قال ﷺ في شهداء أحد: أنا شهيد على هؤلاء **(فيكون لتخصيصهم بهذا كله علو مرتبة)** منزلة **(وزيادة منزلة وحظوة)** بضم المهملة وكسرها وسكون الظاء المعجمة محبة ورفعة قدر، وأسقط من كلام عياض: وقد تكون أو بمعنى الواو، فيكون لأهل المدينة شفيعًا وشهيدًا. انتهى.

وقد رواه البزار بالواو برجال الصحيح عن ابن عمر: **(وإذا قلنا أو للشك)** كما قال المشايخ، كما عبر عياض وهو يفيد أن قوله أولاً بعض شيوخنا أراد بالبعض جماعة من شيوخه، قالوا: إنها للشك **(فإن كانت اللفظة الصحيحة شهيدًا اندفع الاعتراض)** بأن شفاعته عامة **(لأنها زائدة على الشفاعة المدخرة لغيرهم وإن كانت اللفظة الصحيحة)** أي الواردة في نفس الأمر **(شفيعًا، فاختصاص أهل المدينة بهذا مع ما جاء من عمومها وادخارها لجميع الأمة إن هذه شفاعة أخرى غير العامة)** المدخرة **(وتكون هذه الشفاعة لأهل المدينة بزيادة الدرجات)** في الجنة **(أو تخفيف الحساب)** يوم القيامة **(أو بما شاء الله من ذلك، أو بإكرامهم يوم القيامة بأنواع الكرامات، ككونهم على منابر أو في ظل العرش، أو الإسراع بهم إلى الجنة)** أو كونهم في روح **(أو غير ذلك من خصوص الكرامات)** الواردة لبعضهم دون بعض، إلى هنا كلام عياض.

وقد نقله عنه النووي: **(كيف لا يتحمل المشقات)** استفهام توبيخي **(من يحب أن يتمتع بسيد أهل الأرض والسمٰوات وينال ما وعده به من جزيل المثوبات وجسيم الهبات و)** ينال

لشافعته وشهادته وبلوغ قصده في المحيا والممات، وكم عسى تكون شدة المدينة ولأوائها، وإلى متى تستمر مشقتها وبلواها، لو تأملت يا هذا، لوجدت في البلاد ما هو في الشدة وشظف العيش مثلها أو أشق منها، وأهلها مقيمون فيها، وربما يوجد فيهم من هو قادر على الانتقال فلا ينتقل، وقوي على الرحلة فلا يرتحل، ويؤثر وطنه مع إمكان الارتحال والقدرة على الانتقال.

على أن المدينة مع شظف العيش بها في غالب الأحيان، قد وسع الله فيها على بعض السكان، حتى من أصحابنا من غير أهلها ممن استوطنها وحسن فيها حاله، وتنعم بها باله دون سائر البلدان، فإن من الله على المرء بمثل ذلك هنالك، وإلا فالصبر للمؤمن أولى، فمن وفقه الله تعالى صبره في إقامته بها ولو على أحر من الجمر، فيتجرع مرارة غصتها ليجتلي عروس منصتها، ويلقى نزرًا من لأوائها ليوقى بذلك من مصائب الدنيا وبلائها.

وقد روى البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الإيمان

(إنجاز) أي: تعجيل (**وعده الصادق بشفاعته وشهادته و**) ينال (**بلوغ قصده في المحيا والممات، وكم عسى تكون شدة المدينة ولأواها**) بالقصر لتوافق السجعة بعده وإن كان ممدودًا (**وإلى متى تستمر مشقتها وبلواها، لو تأملت يا هذا لوجدت في البلاد ما هو في الشدة وشظف**) بفتح الشين والظاء المعجميتن وفاء شدة (**العيش**). وضيقه (**مثلها، أو أشق منها وأهلها مقيمون فيها**) جملة حالية (**وربما يوجد فيهم من هو قادر على الانتقال فلا ينتقل:**) يتحول عنها (**وقوي على الرحلة فلا يرتحل ويؤثر وطنه مع إمكان الارتحال والقدرة على الانتقال**) لأن حب الوطن من الإيمان (**على أن المدينة مع شظف العيش بها في غالب الأحيان قد وسع الله فيها على بعض السكان حتى من أصحابنا من غير أهلها ممن استوطنها وحسن فيها حاله وتنعم بها باله**) أي: قلبه (**دون سائر البلدان، فإن منَّ الله على المرء بمثل ذلك هنالك**) أي: سعة العيش بالمدينة فظاهر، لأنها منة عظيمة يجب عليه شكرها (**وإلاَّ فالصبر للمؤمن أولى**) إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (**فمن وفقه الله تعالى صبره**) رزقه الصبر (**في إقامته بها ولو على أمر من الجمر، فيتجرع مرارة غصتها ليجتلي عروس منصتها**) بكسر الميم كرسي تقف عليه العروس في جلائها (**ويلقى:**) يصيب (**نزرًا**) شيئًا قليلاً (**من لأوائها**) شدتها (**ليوقى:**) يصان (**من مصائب الدنيا وبلائها**).

(**وقد روى البخاري**) وابن ماجه في الحج ومسلم في الإيمان (**من حديث أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: إن الإيمان ليأرز**) بلام التأكيد وهمزة ساكنة وراء مكسورة، وحكى القابسي

ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى حجرها» أي تنقبض وتنضم وتلتجئ، مع أنها أصل في انتشاره، فكل مؤمن له من نفسه سائق إليها في جميع الأزمان، لحبه في ساكنها ﷺ، فأكرم بسكانها ولو قيل في بعضهم ما قيل، فقد حظوا بشرف المجاورة لهذا الحبيب الجليل. فقد ثبت لهم حق الجوار وإن عظمت إساءتهم، فلا يسلب عليهم اسم الجار، وقد عمم ﷺ في قوله: «ما زال جبريل يوصيني بالجار» ولم يخص جارًا دون جار، وكل ما احتج به محتج من رمي بعض عوامهم السنية بالابتداع وترك الاتباع، فإنه إذا ثبت ذلك في شخص منهم فلا يترك

فتحها، وحكى غيره ضمها، وصوب ابن التين الكسر فزاي معجمة، أي: أن أهل الإيمان لتنضم وتجتمع (**إلى المدينة كما تأرز الحية إلى حجرها»**) بضم الجيم، أي: كما تنضم وتلتجيء إليه إذا خرجت في طلب المعاش ثم رجعت (**أي: تنقبض وتنضم وتلتجيء**) تفسير للمشبه والمشبه به (**مع أنها**) أي: المدينة (**أصل في انتشاره**) أي: الإيمان (**فكل مؤمن له من نفسه سائق إليها في جميع الأزمان لحبه في ساكنها ﷺ**) قال الحافظ: لأنه في زمنه للتعلم منه، وفي زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم للاقتداء بهديهم ومن بعد ذلك لزيارة قبره ﷺ والصلاة في مسجده والتبرك بمشاهدة آثاره وآثار أصحابه.

وقال الداودي: كان هذا في حياته ﷺ والقرن الذي كان منهم والذين يلونهم والذين يلونهم خاصة، وقال القرطبي: فيه تنبيه على صحة مذهب أهل المدينة وسلامتهم من البدع وأن عملهم حجة.

كما رواه لملك: وهذا إن سلم اختص بعصره ﷺ والخلفاء الراشدين، وأما بعد ظهور الفتن وانتشار الصحابة في البلاد، ولا سيما في آخر المائة الثانية وهلم جرا فهو بالمشاهدة بخلاف ذلك. انتهى.

(**فأكرم بسكانها، ولو قيل في بعضهم ما قيل فقد حظوا**) بفتح الحاء المهملة وضم الظاء المعجمة بزنة رضوا لأن فعله لازم، فلا يصح ضم الحاء على البناء للمفعول، لأنه لا يبنى من لازم إلاَّ إذا وجد ما يصلح للنيابة عن الفاعل بعد حذفه نحو مر بزيد، ولأن شرط البناء للمفعول أن يحذف الفاعل ويقام المفعول أو نحوه مقامه وما هنا ليس كذلك (**بشرف المجاورة لهذا الحبيب الجليل، فقد ثبت لهم حق الجوار وإن عظمت إساءتهم فلا يسلب عليهم اسم الجار، وقد عمم ﷺ في قوله: ما زال جبريل يوصيني بالجار ولم يخص جاراً من جار**) فشمل الطائع والعاصي (**وكل ما احتج به محتج من رمي بعض عوامهم السنية**) بضم السين، أي عوامهم أهل السنة، لكن رمي بعضهم (**بالابتداع وترك الاتباع، فإنه إذا ثبت**)

إكرامه، ولا ينتقص احترامه فإنه لا يخرج عن حكم الجار ولو جار، ولا يزول عنه شرف مساكنته في الدار كيفما دار، بل يرجى أن يختم له بالحسنى ويمنح بهذا القرب الصوري قرب المعنى.

فيا ساكني أكناف طيبة كلكم ... إلى القلب من أجل الحبيب حبيب

ولله در ابن جابر حيث قال:

هناؤكم يا أهل طيبة قد حقا ... فبالقرب من خير الورى حزتم السبقا
فلا يتحرك ساكن منكمُ إلى ... سواها وإن جار الزمان وإن شقا
فكم ملك رام الوصول لمثل ما ... وصلتم فلم يقدر ولو ملك الخلقا
فبشراكم نلتم عناية ربكم ... فها أنتم في بحر نعمته غرقى
ترون رسول الله في كل ساعة ... ومن يره فهو السعيد به حقا
متى جئتم لا يغلق الباب دونكم ... وباب ذوي الإحسان لا يقبل الغلقا
فيسمع شكواكم ويكشف ضركم ... ولا يمنع الإحسان حرًا ولا رقا

ذلك في شخص) أو أشخاص **(منهم فلا يترك إكرامه ولا ينتقص احترامه، فإنه لا يخرج عن حكم الجار ولو جار)** اعتدى **(ولا يزول عنه شرف مساكنته في الدار كيفما دار، بل يرجى أن يختم له بالحسنى ويمنح:)** يعطى **(بهذا القرب الصوري قرب المعنى)** وأنشد لغيره:

(فيا ساكني أكناف طيبة كلكم ... إلى القلب من أجل الحبيب حبيب)

(ولله در ابن جابر) العلامة محمد **(حيث قال:**

هناؤكموا يا أهل طيبة قد حقا ... فبالقرب من خير الورى حزتم السبقا)

حق ثبت والسبق بسكون الباء التقدم:

(فلا يتحرك ساكن منكمو إلى ... سواها وإن جار الزمان وإن شقا
فكم ملك رام الوصول لمثل ما ... وصلتم فلم يقدر ولو ملك الخلقا
فبشرا كموا نلتم عناية ربكم ... فها أنتم في بحر نعمته غرقى
ترون رسول اللّه في كل ساعة ... ومن يره فهو السعيد به حقا)

أي: ترون آثاره من مسجده وغيره، فهو كقول الآخر: إن لم تريه فهذه آثاره:

(متى جئتمو لا يغلق الباب دونكم ... وباب ذوي الإحسان لا يقبل الغلقا
فيسمع شكواكم ويكشف ضركم ... ولا يمنع الإحسان حراً ولا رقا

بطيبة مثواكم وأكرم مرسل   يلاحظكم فالدهر يجري لكم وفقا
فكم نعمة لله فيها عليكم   فشكرًا ونعم الله بالشكر تستبقى
أمنتم من الدجال فيها فحولها   ملائكة يحمون من دونها الطرقا
كذاك من الطاعون أنتم بمأمن   فوجه الليالي لا يزال لكم طلقا
فلا تنظروا إلا لوجه حبيبكم   وإن جاءت الدنيا ومرت فلا فرقا
حياة وموتا تحت رحماه أنتم   وحشرا فستر الجاه فوقكم ملقى
فيا راحلاً عنها لدنياتريدها   أتطلب ما يفنى وتترك ما يبقى
أتخرج عن حوز النبي وحرزه   إلى غيره تسفيه مثلك قد حقا
لئن سرت تبغي من كريم إعانة   فأكرم من خير البرية ما تلقى
هو الرزق مقسوم فليس بزائد   ولو سرت حتى كدت تخرق الأفقا
فكم قاعد قد وسع الله رزقه   ومرتحل قد ضاق بين الورى رزقا
فعش في حمى خير الأنام ومت به   إذا كنت في الدارين تطلب أت ترقا
إذا قمت فيما بين قبر ومنبر   بطيبة فاعرف أن منزلك الأرقى

(بطيبة مثواكم وأكرم مرسل   يلاحظكم فالدهر يجري لكم وفقا
فكم نعمة للّه فيها عليكم   فشكرًا ونعم اللّه بالشكر تستبقى
أمنتم من الدجال فيها فحولها   ملائكة يحمون من دونها الطرقا
كذاك من الطاعون أنتم بمأمن   فوجه الليالي لا يزال لكم طلقا)

بكسر الطاء وسكون اللام، أي: خالصًا، أو بفتح الطاء وسكون اللام مخففًا من كسرها، أي: فرحًا مسرورًا ووصفه بذلك تجوزا:

(فلا تنظروا إلا لوجه حبيبكم   وإن جاءت الدنيا ومرت فلا فرقا
حياة وموتا تحت رحماه أنتم   وحشرا فستر الجاه فوقكم ملقى
فيا راحلاً عنها لدنيا تريدها   أتطلب ما يفنى وتترك ما يبقى
أتخرج عن حوز النبي وحرزه   إلى غيره تسفيه مثلك قد حقا
لئن سرت تبغي من كريم إعانة   فأكرم من خير البرية ما تلقى
هو الرزق مقسوم فليس بزائد   ولو سرت حتى كدت تخرق الأفقا
فكم قاعد قد وسع الله رزقه   ومرتحل قد ضاق بين الورى رزقا
فعش في حمى خير الأنام ومت به   إذا كنت في الدارين تطلب أت ترقا
إذا قمت فيما بين قبر ومنبر   بطيبة فاعرف أن منزلك الأرقى)

لقد أسعد الرحمن جار محمد ومن جار في ترحاله فهو الأشقى

وقد روى الترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن يموت بها. ورواه الطبراني في الكبير من حديث سبيعة الأسلمية.

وفي البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: لا يدخل

(لقد أسعد الرحمن جار محمد ومن جار في ترحاله فهو الأشقى)

ومعنى الأبيات ظاهر فلا حاجة للتطويل بالتعلق بالألفاظ.

(وقد روى الترمذي) وقال حسن صحيح **(وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: من استطاع)** أي: قدر **(منكم أن يموت بالمدينة)** أي: يقيم بها حتى يموت بها **(فليمت بها)** أي: فليقم بها حتى يموت، فهو حض على لزوم الإقامة بها ليتأتى له أن يموت بها إطلاقًا للمسبب على سببه كما في: ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون **(فإني أشفع لمن يموت بها)** أي: أخصه بشفاعة غير العامة زيادة في إكرامه وأخذ منه ندب الإقامة بها مع رعاية حرمتها وحرمة ساكنها.

وقال ابن الحاج حثه على محاولة ذلك بالاستطاعة التي هي بذل المجهود في ذلك فيه زيادة اعتناء بها، ففيه دليل على تمييزها على مكة في الفضل لإفراده إياها بالذكر هنا، قال السمهودي: وفيه بشرى للساكن بها بالموت على الإسلام لاختصاص الشفاعة بالمسلمين وكفى بها مزية، فكل من مات بها مبشر بذلك.

(ورواه الطبراني في الكبير من حديث) ابن عمر عن **(سبيعة)** بنت الحرث **(الأسلمية)** زوج سعد بن خولة لها حديث في عدة، المتوفى عنها، زوجها وكذا أخرجه ابن مندة في ترجمتها، وقال العقيلي هي غيرها.

وقال ابن عبد البر: لا يصح ذلك عندي وانتصر ابن فتحون للعقيلي، فقال: ذكر الثعالبي أن سبيعة بنت الحرث أول امرأة أسلمت بعد صلح الحديبية أثر العقد وطينة الكتاب لم تجف، فنزلت آية الامتحان فامتحنها النبي ﷺ ورد على زوجها مهر مثلها، وتزوجها عمر، قال ابن فتحون: فابن عمر إنما يروي عن امرأة أبيه.

قال: ويؤيد ذلك أن هبة الله في الناسخ والمنسوخ ذكر أنه ﷺ لما انصرف من الحديبية لحقت به سبيعة بنت الحرث امرأة من قريش، فبان أنها غير الأسلمية، ذكره في الإصابة.

(وفي البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: لا يدخل) لا نافية

المدينة المسيح الدجال ولا الطاعون.

وفيه: عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال، لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان.

قال في فتح الباري: وقد استشكل عدم دخول الطاعون المدينة مع كونها شهادة، وكيف قرن بالدجال، ومدحت المدينة بعدم دخولهما.

وأجيب: بأن كون الطاعون شهادة ليس المراد بوصفه بذلك ذاته، وإنما المراد أن ذلك يترتب عليه، وينشأ عنه لكونه سببه، فإذا استحضر ما تقدم في المقصد الثامن من أنه طعن الجن حَسُنَ مدح المدينة بعدم دخوله إياها، فإن فيه إشارة إلى أن كفار الجن وشياطينهم ممنوعون من دخول المدينة، ومن اتفق دخوله

(**المدينة المسيح**) بحاء مهملة وإعجامها تصحيف كما قال غير واحد: (**الدجال**) من الدجل وهو الكذب والخلط، لأنه كذاب خلاط (**ولا الطاعون، وفيه**) أي: البخاري في الحج من أفراده (**عن أبي بكرة**) نفيع بن الحرث بن كلدة الثقفي (**رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: لا يدخل المدينة رعب**) بضم الراء فزع وخوف (**المسيح الدجال**) إخبار من الصادق بأمن أهلها منه، ولا يعارض هذا حديث أنس في الصحيحين: «ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق» كما قدمته، لأن المراد بالرعب ما يحصل من الفزع من ذكره والخوف من عتوه وتجبره لا الرجفة التي تقع بالزلزلة بإخراج من ليس بمخلص (**لها**) أي: المدينة (**يومئذ**) أي: يوم نزوله بعض السباخ التي بالمدينة كما في حديث أنس عند الشيخين، أي: ينزل خارج المدينة على أرض سبخة، وأضيفت لها لقربها منها (**سبعة أبواب، على كل باب ملكان**) يحرسانها منه لعنه الله.

(**قال في فتح الباري: وقد استشكل عدم دخول الطاعون المدينة مع كونها شهادة**) كما صح في الحديث (**وكيف قرن بالدجال**) ولا يقرن الخبيث بالطيب (**ومدحت المدينة بعدم دخولهما**) الدجال والطاعون.

(**وأجيب بأن كون الطاعون شهادة ليس المراد بوصفه بذلك ذاته، وإنما المراد أن ذلك يترتب عليه وينشأ عنه لكونه سببه، فإذا استحضر ما تقدم في المقصد الثامن**) معلوم أن هذا ليس في الفتح، ولكن زاده المصنف لإفادة تقدمه (**من أنه طعن الجن حسن مدح المدينة بعدم دخوله إياها، فإن فيه إشارة إلى أن كفار الجن وشياطينهم ممنوعون من دخول المدينة، ومن اتفق دخوله فيها لا يتمكن من طعن أحد منهم**) أي: أهلها وهذا شرف

فيها لا يتمكن من طعن أحد منهم.

وقد أجاب القرطبي في المفهم عن ذلك فقال: المعنى لا يدخلها من الطاعون مثل الذي وقع في غيرها، كطاعون عمواس والجارف.

وهذا الذي قاله يقتضي أنه دخلها في الجملة، وليس كذلك، فقد جزم ابن قتيبة في «المعارف» وتبعه جمع منهم الشيخ محيي الدين النووي في «الأذكار»: بأن الطاعون لم يدخل المدينة أصلاً، ولا مكة أيضًا، لكن نقل جماعة أنه دخل مكة الطاعون في العام الذي كان في سنة تسع وأربعين وسبعمائة، بخلاف المدينة فلم يذكر أحد أنه وقع الطاعون بها أصلاً.

وأجاب بعضهم بأنه ﷺ عوضهم عن الطاعون بالحمى، لأن الطاعون يأتي

عظيم، وأنت خبير بأن الإشكال إنما هو منع الطاعون منها مع أنه شهادة، وذكر قرن الدجال به تقوية للإشكال لا أنه من جملته حتى يحتاج للجواب، ويقال: إنه تركه لظهور أن صونها منه شرف لها لما في دخوله من الفتنة والفساد.

(وقد أجاب القرطبي في المفهم) شرح مسلم **(عن ذلك، فقال: المعنى لا يدخلها من الطاعون مثل الذي وقع في غيرها كطاعون عمواس:)** بفتح العين والميم قرية بين الرملة و بيت المقدس، نسب إليها لكونه بدأ فيها، وقيل: لأنه عم الناس وتواسوا فيه سنة ثمان عشرة في زمن عمر وهو أول طاعون وقع في الإسلام **(والجارف)** بالجيم والفاء سنة تسع وستين، سمي بذلك لكثرة من مات فيه، والموت يسمى جارفًا لاجترافه الناس والسيل جارفًا لاجترافه ما على وجه الأرض وكسح ما عليها **(وهذا الذي قاله يقتضي أنه دخلها في الجملة وليس كذلك؛ فقد جزم ابن قتيبة في المعارف وتبعه جمع منهم الشيخ محيي الدين النووي في الأذكار؛ بأن الطاعون لم يدخل المدينة أصلاً ولا مكة أيضًا)**.

(لكن نقل جماعة أنه دخل مكة الطاعون في العام الذي كان في سنة تسع وأربعين وسبعمائة) ولا يرد هذا على النووي لأنه أخبر عما سمعه وأدركه بالاستقراء إلى زمنه، لأنه مات قبل ذلك بزمن طويل سنة ست وسبعين وستمائة.

لكن في تاريخ مكة لعمر بن شبة برجال الصحيح عن أبي هريرة رفعه: المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة، على كل نقب منهما ملك، فلا يدخلهما الدجال ولا الطاعون، وحينئذٍ فالذي نقل أن الطاعون دخل مكة في التاريخ المذكور ليس كما ظن أو يقال لا يدخلها مثل ما وقع في غيرها كالجارف **(بخلاف المدينة، فلم يذكر أحد أنه وقع الطاعون بها أصلاً)**.

(وأجاب بعضهم بأنه عليه الصلاة والسلام عوضهم عن) الثواب الحاصل لهم بسبب

مرة بعد مرة، والحمى تتكرر في كل حين فيتعادلان في الأجر، ويتم المراد من عدم دخول الطاعون المدينة.

قال الحافظ ابن حجر: ويظهر لي جواب آخر، بعد استحضار الذي أخرجه أحمد من رواية أبي عسيب ـ بمهملتين آخره موحدة، بوزن عظيم ـ رفعه: أتاني جبريل بالحمى والطاعون فأمسكت الحمى بالمدينة وأرسلت الطاعون إلى الشام، وهو أن الحكمة في ذلك: أنه ﷺ لما دخل المدينة كان في قلة من أصحابه عددًا ومددًا، وكانت المدينة وبئة، كما في حديث عائشة، ثم خير ﷺ في أمرين

(الطاعون بالحمى) وهي شهادة **(لأن الطاعون يأتي مرة بعد مرة)** ويتخلل بينهما زمن طويل عادة **(والحمى تتكرر في كل حين فيتعادلان في الأجر)** لأن كلا شهادة.

وقد روى الديلمي عن أنس مرفوعًا: «الحمى شهادة» وسنده ضعيف، لكن له شاهد يقويه **(ويتم المراد من عدم دخول الطاعون المدينة)** لفظاعته وإن كان شهادة.

(قال الحافظ ابن حجر: ويظهر لي جواب آخر بعد استحضار) الحديث **(الذي خرجه أحمد)** والحرث بن أبي أسامة والطبراني والحاكم أبو أحمد وابن سعد **(من رواية أبي عسيب: بمهملتين آخره موحدة بوزن عظيم)** مولى النبي ﷺ مشهور بكنيته، قيل: اسمه أحمر، وقيل: سفينة مولى أم سلمة، والمرجح أنه غيره كما في الإصابة **(رفعه: أتاني جبريل بالحمى والطاعون)** بأن صورهما له بهيئة الأجسام المشخصة وأراه إياهما كما جزم به بعضهم ولا مانع من ذلك، لأن الأعراض والمعاني قد يجسمان، ويحتمل أن يريد أخبرني بهما **(فأمسكت)** أي: حبست **(الحمى المدينة)** لأنها لا تقتل غالبًا بل قد تنفع كما بينه ابن القيم **(وأرسلت الطاعون إلى الشام)** لأنها أخصب الأرض، والخصب مظنة الأشر والبطر، وبقية هذا الحديث فالطاعون شهادة لأمتي ورحمة لهم ورجز على الكافرين **(وهو)** أي: الجواب **(أن الحكمة في ذلك أنه ﷺ لما دخل المدينة كان في قلة من أصحابه عددًا)** أي: بالنسبة للعدد **(ومددًا)** لقلة المناصرين لهم **(وكانت المدينة وبئة كما في حديث عائشة)** في الصحيح: قدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله تعالى، أي: أكثر وباء وأشد من غيرها، والمراد الحمى بدليل قوله ﷺ: وانقل حماها إلى الجحفة وليس المراد الطاعون.

قال المصنف في مقصد الطب: الدليل على أن الطاعون يغاير الوباء أن الطاعون لم يدخل المدينة النبوية قط، وقد قالت عائشة: دخلنا المدينة وهي أو بأرض الله، وقال بلال: أخرجونا إلى أرض الوباء **(ثم خير ﷺ في أمرين يحصل بكل منهما الأجر الجزيل، فاختار الحمى حينئذٍ)**

يحصل بكل منهما الأجر الجزيل، فاختار الحمى حينئذٍ لقلة الموت بها غالبًا بخلاف الطاعون، ثم لما احتاج إلى جهاد الكفار، وأذن له في القتال كانت قضية استمرار الحمى بالمدينة تضعف أجساد الذين يحتاجون إلى التقوية لأجل الجهاد، فدعا بنقل الحمى من المدينة إلى الجحفة، فعادت المدينة أصح بلاد الله بعد أن كانت بخلاف ذلك، ثم كانوا من حينئذ من فاتته الشهادة بالطاعون ربما حصلت له بالقتل في سبيل الله، ومن فاته ذلك حصلت له الحمى التي هي حظ المؤمن من النار، ثم استمر ذلك بالمدينة تمييزًا لها عن غيرها لتحقق إجابة دعوته وظهور هذه المعجزة العظيمة بتصديق خبره في هذه المدة المتطاولة، فكان منع دخول الطاعون من خصائصها ولوازم دعائه ﷺ لها بالصحة. وقال بعضهم: هذا من المعجزات المحمدية، لأن الأطباء من أولهم إلى آخرهم عجزوا أن يدفعوا الطاعون

أي: حين خير (**لقلة الموت بها غالبًا بخلاف الطاعون**) لكثرة الموت غالبًا به (**ثم لما احتاج إلى جهاد الكفار وأذن له في القتال**) بآية: ﴿أذن للذين يقاتلون﴾ [الحج/ ٣٩] (**كانت قضية استمرار**) إضافة بيانية، أي: هي استمرار (**الحمى بالمدينة تضعف أجساد الذين يحتاجون إلى التقوية لأجل الجهاد، فدعا بنقل الحمى من المدينة إلى الجحفة**) بضم الجيم وسكون المهملة، لأنها كانت حينئذٍ دار شرك ليشتغلوا بها من إعانة الكفار، فلم تزل من يومئذٍ أكثر البلاد حمى لا يشرب أحد من مائها إلاّ حم (**فعادت المدينة أصح بلاد اللّه بعد أن كانت بخلاف ذلك**) أبوبأ أرض اللّه (**ثم كانوا من حينئذٍ من فاتته الشهادة بالطاعون**) وهذا قد يوهم أنه كان بها الطاعون وليس بمراد كما علم (**ربما حصلت له بالقتل في سبيل اللّه، ومن فاته ذلك حصلت له الحمى التي هي حظ**) أي: نصيب (**المؤمن من النار**) كما في الحديث، وتقدم شرحه في الطب: (**ثم استمر ذلك بالمدينة تمييزًا لها عن غيرها لتحقق إجابة دعوته**) قال الشريف السمهودي: والموجود الآن من الحمى بالمدينة ليس حمى الوباء، بل رحمة ربنا ودعوة نبينا للتكفير.

وفي الحديث: أصح المدينة ما بين حرة بني قريظة والعريض وهو يؤذن ببقاء شيء منها بها، وأن الذي نقل عنها أصلاً ورأسًا سلطانها وشدتها ووباؤها وكثرتها، بحيث لا يعد الباقي بالنسبة إليه شيئًا، قال: ويحتمل أنها رفعت بالكلية، ثم أعيدت خفيفة لئلا يفوت ثوابها، كما أشار إليه الحافظ ابن حجر: (**وظهور هذه المعجزة العظيمة بتصديق خبره في هذه المدة المتطاولة وكان منع دخول الطاعون من خصائصها**) أي: المدينة (**ولوازم دعائه ﷺ لها**

عن بلد، بل عن قرية، وقد امتنع الطاعون عن المدينة هذه الدهور الطويلة، انتهى ملخصًا والله أعلم.

ومن خصائص المدينة أن غبارها شفاء من الجذام والبرص بل من كل داء،

بالصحة) بقوله: وصححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة **(وقال بعضهم: هذا من المعجزات المحمدية، لأن الأطباء من أولهم إلى آخرهم عجزوا أن يدفعوا الطاعون عن بلد، بل عن قرية)** صغيرة **(وقد امتنع الطاعون عن المدينة هذه الدهور الطويلة... ا هـ.)** كلام الفتح **(ملخصًا)** بمعنى أنه ترك منه ما لم يتعلق غرضه به لا التلخيص العرفي **(والله أعلم)**.

(ومن خصائص المدينة؛ أن غبارها شفاء من الجذام والبرص) وهذا لا يمكن تعليله ولا يعرف وجهه من جهة العقل ولا الطب، فإن توقف فيه متشرع قلنا: الله ورسوله أعلم.

ولا ينتفع به من أنكره أو شك فيه أو فعله مجربًا، قال ابن جماعة: لما حج ابن المرحل المقدسي سنة إحدى وسبعين وسبعمائة ورجع إلى المدينة سمع شيخًا من المحدثين يقول: كان في جسد بعض الناس بياض، فكان يخرج إلى البقيع عريانًا في السحر ويعود، فبرأ بذلك الغبار، فكأن ابن المرحل حصل في نفسه شيء، فنظر في يده فوجد فيها بياضًا قدر درهم، فأقبل على الله بالتضرع والدعاء وخرج إلى البقيع وأخذ من رمل الروضة، فدلك به ذلك البياض فذهب **(بل من كل داء)** إذا استعمل على وجه التداوي بمقدار خاص وزمن خاص، ونحو ذلك كسائر الأدوية، فلا يرد أن كثيرًا مما بها يمرضون مع أنهم لا يخلون من مس غبارها، ويؤيد ذلك ما عند ابن النجار وغيره من طريق ابن زبالة أنه ﷺ أتى بني الحرث، فإذا هم مرضى، فقال: مالكم، قالوا: أصابتنا الحمىٰ، قال: فأين أنتم من صعيب، قالوا: ما نصنع به؟، قال: تأخذون من ترابه فتجعلونه في ماء ثم يتفل عليه أحدكم ويقول: بسم الله تراب أرضنا بريق بعضنا شفاء لمريضنا بإذن ربنا، ففعلوا فتركتهم الحمىٰ، قال بعض رواته: وصعيب وادي بطحان وفيه حفرة من أخذ الناس، قال ابن النجار: رأيت الحفرة والناس يأخذون منها، وذكروا أنهم جربوه فوجدوه صحيحًا وأخذت منه أيضًا.

قال السمهودي: وهي موجودة الآن يعرفها الخلف عن السلف وينقلون ترابها للتداوي، وذكر المجد أن جماعة من العلماء جربوه للحمىٰ فوجدوه صحيحًا.

قال: وأنا سقيته غلامًا لي واظبته الحمى ستة أشهر فانقطعت عنه من يومه، وذكر في موضع آخر كالمطرزي أن ترابه يجعل في الماء ويغتسل به من الحمى، قلت: فينبغي أن يفعل أولاً ما ورد ثم يجمع بين الشرب والغسل ا هـ.

كما رواه رزين العبدري في جامعه من حديث سعد، زاد في حديث ابن عمر: عجوتها شفاء من السم، ونقل البغوي عن ابن عباس في قوله تعالى: **﴿لنبوئنَّهم في الدنيا حسنة﴾** أنها المدينة.

وذكر ابن النجار تعليقًا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كل البلاد افتتحت بالسيف وافتتحت المدينة بالقرآن.

وروى الطبراني في الأوسط بإسناد لا بأس به عن أبي هريرة يرفعه: «المدينة قبة الإسلام ودار الإيمان، وأرض الهجرة، ومثوى الحلال والحرام».

وبالجملة، فكل المدينة ترابها وطرقها وفجاجها ودورها وما حولها قد

(وذكره رزين) بن معوية **(العبدري في جامعه من حديث سعد)** وروى ابن النجار وأبو نعيم والديلمي عن ثابت بن قيس ابن شماس مرفوعًا: «غبار المدينة شفاء من الجذام»، وروى ابن زبالة عن صيفي ابن عامر، رفعه: «والذي نفسي بيده إن تربتها لمؤمنة وإنها شفاء من الجذام»، أي: مؤمنة حقيقة بأن جعل فيها إدراكًا وقوة تصديق، أو مجازًا لانتشار الإيمان منها.

(وزاد في حديث ابن عمر: عجوتها شفاء من السم:) العجوة اسم لنوع خاص من تمر المدينة وتقدم في الطب.

(ونقل البغوي عن ابن عباس) في تفسير **(قوله تعالىٰ: ﴿لنبوئنَّهم في الدنيا حسنة﴾)** [النحل/ ٤١]، **(أنها المدينة)** وقد عد ذلك في أسمائها وهي نحو مائة.

(وذكر ابن النجار تعليقًا) أي: بلا إسناد **(عن عائشة رضي الله تعالى عنها؛ أنها قالت: كل البلاد افتتحت بالسيف)** إما بالفعل أو بالرعب الحاصل لهم **(وافتتحت المدينة بالقرءان)** من قبل هجرته إليها لما جاءه أصحاب العقبات الثلاث وأسلموا كما مر مفصلاً.

(وروى الطبراني في الأوسط بإسناد لا بأس به) نحوه قول الحافظ نور الدين الهيثمي فيه عيسى بن مينا قالون وحديثه حسن وبقية رجاله ثقات، لكن قال تلميذه الحافظ في تخريج أحاديث المختصر: تفرد به قالون وهو صدوق عن عبد الله بن نافع وفيه لين عن ابن المثنى واسمه سليمٰن بن يزيد الخزاعي، ضعيف والحديث غريب جدًا سندًا ومتنًا **(عن أبي هريرة يرفعه: المدينة قبة الإسلام ودار الإيمان وأرض الهجرة ومتبوأ)** وفي نسخة: ومثوى **(الحلال والحرام)** أي: محل بيانهما **(وبالجملة: فكل المدينة ترابها وطرقها وفجاجها)** أي: طرقها الواسعة، فعطفها على ما قبلها خاص على عام **(ودورها)** عطف جزء على كل **(وما حولها قد**

شملته بركته ﷺ، فإنهم كانوا يتبركون بدخوله منازلهم، ويدعونه إليها وإلى الصلاة في بيوتهم، ولذلك امتنع مالك من ركوب دابة في المدينة وقال: لا أطأ بحافر دابة في عراص كان ﷺ يمشي فيها بقدميه صلى الله عليه وسلم.

وينبغي أن يأتي قباء للصلاة فيه والزيارة، فقد كان ﷺ يزوره راكبًا وماشيًا، رواه مسلم وفي رواية له: «يأتي» بدل «يزور» فيصلي فيه ركعتين.

شملته بركته ﷺ، فإنهم كانوا يتبركون بدخوله منازلهم ويدعونه إليها) لما شاهدوه من بركته العامة لكل مكان حل فيه، ولكل من نظر إليه نظر رحمة **(وإلى الصلاة في بيوتهم)** كعتبان بن مالك ليتخذ مكان مصلاه مسجدًا **(ولذلك)** أي: التبرك بما عمته بركته، وللتأدب **(امتنع مالك رحمه الله من ركوب دابة في المدينة، وقال: لا أطأ بحافر دابة)** للفرس ونحوها، كالخف للبعير والقدم للإنسان **(في عراص:)** جمع عرصة أرض لا بناء فيها، والمراد هنا مطلق الأرض أو معناها الحقيقي: **(كان ﷺ يمشي فيها بقدميه)** وفي الشفاء عن مالك: وقال: أستحي من الله أن أطأ تربة مشى فيها رسول الله ﷺ بحافر دابة.

وروي عنه أنه وهب للشافعي كراعًا كثيرًا كان عنده، فقال له الشافعي: أمسك منها دابة، فأجابه بمثل هذا الجواب **(وينبغي)** للزائر **(أن يأتي مسجد قباء)** بضم القاف يمد ويقصر ويذكر ويؤنث ويصرف ويمنع موضع قرب المدينة وهو محل بني عمرو بن عوف من الأنصار، نزل به ﷺ أول ما هاجر وصلى فيه ثلاث ليال بمحل المسجد، ثم وضع أساسه بيده وتمم بناءه بنو عمرو وهو الذي أسس على التقوى عند الأكثرين.

وفي مسلم أنه المسجد النبوي ولا خلف، فكل أسس على التقوى، ومر بيان ذلك في الهجرة، وللطبراني برجال ثقات عن الشموس بنت النعمان، قالت: نظرت إليه ﷺ حين قدم ونزل وأسس مسجد قباء، فرأيته يأخذ الحجر أو الصخرة حتى يهصره، أي: يميله وأنظر إلى التراب على بطنه وسرته، فيأتي الرجل فيقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أكفيك، فيقول: لا خذ مثله حتى أسسه **(فقد كان ﷺ يزوره راكبًا)** تارة **(وماشيًا)** أخرى بحسب ما تيسر، والواو بمعنى أو.

(رواه مسلم) والبخاري في مواضع وغيرهما، كلهم عن ابن عمر: وكأنه قصر العزو لمسلم لانفراده بلفظ: يزور، لأن الذي في البخاري وغيره يأتي، لكن لا يكفي هذا في الاعتذار، لأن المعنى واحد، ولأنه يوهم ناقص العلم أنه من إفراد مسلم.

(وفي رواية له: يأتي بدل يزور) وهي التي في أكثر الروايات، وقوله: **(فيصلي فيه ركعتين)** زيادة انفرد بها مسلم عن البخاري.

وعنده أيضًا: أن ابن عمر كان يأتيه كل سبت ويقول رأيت النبي ﷺ يأتيه كل سبت.

وعند الترمذي وابن ماجة والبيهقي من حديث أسيد بن ظُهَير الأنصاري، يرفعه: «صلاة في مسجد قباء كعمرة»، قال الترمذي حسن غريب. وقال المنذري:

قال ابن عبد البر: اختلف في سبب إتيانه، فقيل: لزيارة الأنصار، وقيل: للتفرج في بساتينه، وقيل: للصلاة في مسجده وهو الأشبه، قال: ولا يعارضه حديث لا تعمل المطي إلا لثلاثة مساجد، لأن معناه عند العلماء للنذر، فإذا نذر أحد الثلاثة لزمه، أما إتيان مسجد قباء أو غيره تطوعًا بلا نذر فيجوز.

وقال الباجي: ليس إتيان مسجد قباء من المدينة من أعمال المطي لأنه من صفات الأسفار البعيدة، ولا يقال لمن خرج من داره إلى المسجد راكبًا أنه أعمل المطي ولا خلاف في جواز ركوبه إلى مسجد قريب منه في جمعه أو غيرها، ولو أتى أحد إلى قباء من بلد بعيد لارتكب النهي **(وعنده)** أي مسلم **(أيضًا)** وكذا البخاري **(أن ابن عمر كان يأتيه كل سبت ويقول: رأيت النبي ﷺ يأتيه كل سبت)** خصه لأجل مواصلته لأهل قباء، وتفقده لحال من تأخره منهم عن حضور الجمعة معه ﷺ في مسجده بالمدينة، قاله الحافظ وغيره.

وقال الزين العراقي: ومن حكمته أنه كان يوم السبت يتفرغ لنفسه ويشتغل بقية الجمعة من أول الأحد بمصالح الأمة... اهـ.

ومن حكمته أيضًا إرغام اليهود وإظهار مخالفتهم في ملازمة بيوتهم **(وعند الترمذي وابن ماجه والبيهقي)** وشيخه الحاكم **(من حديث أسيد)** بضم الهمزة وفتح المهملة **(ابن ظهير)** بضم الظاء المعجمة المشالة وفتح الهاء ابن رافع بن عدي بن زيد **(الأنصاري)** الحارثي له ولأبيه صحبة.

قال ابن عبد البر: مات في خلافة مرؤان **(يرفعه صلاة)** وفي رواية: الصلاة بأل للجنس، فيشمل الفرض والنفل أو للعهد، فيختص بالفرض **(في مسجد قباء كعمرة)** في الفضل قال الحافظ: فيه فضل قباء ومسجدها وفضل الصلاة فيه، لكن لم يثبت في ذلك تضعيف بخلاف المساجد الثلاثة.

وروى عمر بن شبة في أخبار المدينة بإسناد صحيح عن سعد بن أبي وقاص، قال: لأن أصلي في مسجد قباء ركعتين أحب إليّ من أن آتي بيت المقدس مرتين، لو يعلمون ما في قباء لضربوا إليه أكباد الإبل **(وقال الترمذي حسن غريب)**.

قال الحافظ الزين العراقي: رواته كلهم ثقات، وقول ابن العربي أنه ضعيف غير جيد **(وقال**

لا نعرف لأسيد حديثًا صحيحًا غير هذا.

ورواه أحمد وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف بلفظ: من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة، وصححه الحاكم.

وينبغي أيضًا بعد زيارته ﷺ أن يقصد المزارات التي بالمدينة الشريفة، والآثار المباركة، والمساجد التي صلى فيها ﷺ التماسًا لبركته، ويخرج إلى البقيع لزيارة من فيه، فإن أكثر الصحابة ممن توفي في المدينة في حياته ﷺ وبعد وفاته مدفون في البقيع، وكذلك سادات أهل البيت والتابعين.

وروي عن مالك أنه قال: من مات بالمدينة من الصحابة عشرة آلاف، وكذلك أمهات المؤمنين سوى خديجة فإنها بمكة، وميمونة فإنها بسرف. وقد كان ﷺ يخرج آخر الليل إلى البقيع فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين. رواه

المنذري: **لا نعرف لأسيد حديثًا صحيحًا غير هذا)** نفى معرفته بذلك، جزم الترمذي فقال: لا يصح لأسيد بن ظهير غيره، قال في الإصابة: أخرج له ابن شاهين حديثًا آخر، لكن فيه اختلاف على راويه.

(ورواه أحمد وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف) الأنصاري البدري، مرفوعًا **(بلفظ: من تطهر:)** توضأ **(في بيته)** وفي رواية النسائي: من توضأ فأحسن الوضوء **(ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة)** ركعتين فأكثر **(كان)** الإتيان المشتمل على الصلاة **(له كأجر عمرة)**.

وفي رواية النسائي: كان له عدل عمرة **(وصححه الحاكم)** ورواه الحافظ قسم بن أصبغ عنه، مرفوعًا بلفظ: من تطهر في بيته ثم خرج عامدًا إلى مسجد قباء لا يخرجه إلاَّ الصلاة فيه كان بمنزلة عمرة.

(وينبغي أيضًا بعد زيارته ﷺ أن يقصد المزارات:) جمع مزار محل الزيارة، أي: الأماكن **(التي)** اشتهرت **(بالمدينة الشريفة والآثار المباركة)** التي علم مشيه فيها **(والمساجد التي صلى فيها عليه الصلاة والسلام التماسًا لبركته ويخرج إلى البقيع)** بالموحدة **(لزيارة من فيه، فإن أكثر الصحابة ممن توفي بالمدينة في حياته ﷺ بعد وفاته مدفون بالبقيع، وكذلك سادات أهل البيت والتابعين)**.

(وروي عن لملك أنه قال: من مات بالمدينة من الصحابة عشرة آلاف، وكذلك) مات بها **(أمهات المؤمنين سوى خديجة، فإنها بمكة)** وقبرها معلوم **(وميمونة فإنها بسرف)** بفتح المهملة وكسر الراء وبالفاء، قرب مكة **(وقد كان ﷺ يخرج آخر الليل إلى البقيع)** الصغير، لأنه المراد عند الإطلاق **(فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين)** بنصب دار على النداء،

مسلم.

قال ابن الحاج في «المدخل» وقد فرق علماؤنا بين الآفاقي والمقيم في التنفل بالطواف والصلاة، فقالوا: الطواف في حق الآفاقي أفضل له، والتنفل في حق المقيم أفضل، قال: وما نحن بسبيله من باب أولى، فمن كان مقيمًا خرج إلى زيارة أهل البقيع ومن كان مسافرًا فليغتنم مشاهدته ﷺ.

وحكي عن العارف ابن أبي جمرة، أنه لما دخل المسجد النبوي لم يجلس إلا الجلوس في الصلاة، وأنه لم يزل واقفًا بين يديه صلوات الله وسلامه عليه، وكان قد خطر له أن يذهب إلى البقيع فقال: إلى أين أذهب، هذا باب الله المفتوح للسائلين والطالبين والمنكسرين. انتهى.

وقيل: على الاختصاص، قيل: ويجوز جره على البدل من الضمير في عليكم، قال الخطابي: وفيه أن اسم الدار يقع على المقبرة وهو الصحيح.

(رواه مسلم) في الجنائز عن عائشة، قالت: كان ﷺ كلما كان ليلتها منه يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غدًا مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»، قال المصنف: ظاهره أنه كان يأتي البقيع في كل ليلة من التسع التي هي نوبة عائشة؛ ويحتمل أنه كان يأتي كل ليلة وإنما أخبرت عما علمت من ليلتها.

وهذا كان في آخر عمره ﷺ بعدما أمره الله تعالىٰ لا كل ليلة في جميع مدة هجرته إلى المدينة، وفي قوله: آخر الليل تأكدًا لزيارة في هذا الوقت، لأنه مظنة لقبول الدعاء حسبما دل عليه حديث النزول ا هـ.

(قال ابن الحاج في المدخل: وقد فرق علماؤنا) المالكية **(بين الآفاقي والمقيم في التنفل بالطواف والصلاة، فقالوا: الطواف في حق الآفاقي أفضل له والتنفل في حق المقيم أفضل، قال: وما نحن بسبيله من باب أولى، فمن كان مقيمًا)** بالمدينة المنورة **(خرج)** استحبابًا **(إلى زيارة أهل البقيع، ومن كان مسافرًا فليغتنم مشاهدته عليه الصلاة والسلام)** ولا يخرج.

(وحكى) ابن الحاج **(عن العارف ابن أبي جمرة أنه لما دخل المسجد النبوي لم يجلس إلاَّ الجلوس في الصلاة؛ وأنه لم يزل واقفًا بين يديه صلوات الله وسلامه عليه، وقد كان خطر له أن يذهب إلى البقيع)** ثم عن له الترك **(فقال: إلى أين أذهب، هذا باب الله المفتوح للسائلين والطالبين والمنكسرين انتهى)**.

وروى ابن النجار مرفوعًا: مقبرتان مضيئتان لأهل السماء كما تضيء الشمس والقمر لأهل الدنيا: بقيع الغرقد ومقبرة بعسقلان، وعن كعب الأحبار قال: نجدها في التوراة - يعني مقبرة المدينة - كقبة محفوفة بالنخيل موكل بها ملائكة كلما امتلأت أخذوا فكفؤها في الجنة.

وأخرج أبو حاتم من حديث ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «أنا أول من تنشق عنه الأرض، ثم أبو بكر ثم عمر، ثم آتي البقيع فيحشرون معي، ثم انتظر أهل مكة حتى نحشر بين الحرمين».

الفصل الثالث

[في امور الآخرة]

في تفضيله ﷺ في الآخرة بفضائل الأوليات الجامعة لمزايا التكريم وعلى

(وروى ابن النجار) الإمام الحافظ، البارع الورع محمد بن البغدادي واسع الرواية، له ثلاثة آلاف شيخ وتصانيف عديدة، ولد سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ومات في شعبان سنة ثلاث وأربعين وستمائة (**مرفوعًا: مقبرتان**) بضم الباء وفتحها تثنية مقبرة موضع القبور (**مضيئتان لأهل السماء كما تضيء الشمس والقمر لأهل الدنيا**) ما تحت السماء (**بقيع**) بفتح الموحدة اتفاقًا وقاف (**الغرقد**) بغين معجمة موضع بظاهر المدينة فيه قبور أهلها كان به شجر الغرقد، فذهب وبقي اسمه (**ومقبرة عسقلان**) بفتح العين والقاف مدينة من فلسطين ناحية بالشام.

(**وعن كعب الأحبار قال: نجدها في التوراة، يعني مقبرة المدينة كقبة**) محل مرتفع (**محفوفة بالنخيل**) من كل جانب (**موكل بها ملائكة كلما امتلأت أخذوا فكفؤها في الجنة**).

(**وأخرج أبو حاتم**) محمد بن حبان (**من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: أنا أول من تنشق عنه الأرض**) للبعث فلا يتقدم عليه أحد (**ثم أبو بكر**) لكمال صداقته له (**ثم عمر**) الفاروق (**ثم آتي**) فعل المتكلم (**البقيع**) وللترمذي أهل البقيع (**فيحشرون معي**) أي: أجتمع أنا وإياهم.

قال الطيبي: الحشر هنا الجمع، كقوله: وأن يحشر الناس ضحى (**ثم أنتظر أهل مكة**) أي: المسلمين منهم حتى يأتوا إليّ (**حتى نحشر**) أي: نجتمع كلنا (**بين الحرمين**) ورواه الترمذي وقال حسن صحيح كما يأتي.

الفصل الثالث: في تفضيله عليه الصلاة والسلام في الآخرة

(**بفضائل الأوليات**) أي: كونه أول كذا، وأول كذا (**الجامعة لمزايا التكريم**:) جمع مزية

الدرجات العاليات وتحميده بالشفاعة والمقام المحمود، المغبوط عليه من الأولين والآخرين، وانفراده بالسؤدد في مجمع جامع الأنبياء والمرسلين، وترقيه في جنة عدن أرقى مدارج السعادة، وتعاليه يوم المزيد في أعلى معالي الحسنى وزيادة.

اعلم أن الله تعالى كما فضل نبيًا ﷺ في البدء بأن جعله أول الأنبياء في الخلق، وأولهم في الإجابة في عالم الذر، يوم ﴿ألست بربكم﴾، فض له كما ختم كمال الفضائل في العود، فجعله أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع وأول مشفع، وأول من يؤذن له بالسجود، وأول من ينظر إلى رب العالمين، والخلق محجوبون عن رؤيته إذ ذاك، وأول الأنبياء يقضي بين أمته، وأولهم إجازة على الصراط بأمته، وأول داخل إلى الجنة، وأمته أول الأمم دخولاً إليها.

وزاده من لطائف التحف ونفائس الطرف ما لا يجد ولا يعد:

فعيلة وهي التمام والفضيلة، يقال: لفلان مزية، أي: فضيلة يمتاز بها عن غيره **(وعلى الدرجات)** أي: الفضائل والرتب العلية **(وتحميده)** أي: حمد الخلائق له **(بالشفاعة)** في فصل القضاء **(والمقام المحمود)** الذي يقوم فيه للشفاعة **(المغبوط)** بغين معجمة، أي: المستحسن حاله **(عليه من الأولين والآخرين وانفراده بالسؤدد)** بضم السين فهمزة ساكنة فدال مضمومة المجد والشرف **(في مجمع)** محل **(جامع الأنبياء والمرسلين، وترقيه:)** علوه **(في جنة عدن)** إقامة **(أرقى)** أعلى **(مدارج السعادة وتعاليه)** ارتفاعه، فهو بمعنى ترقيه حسنه اختلاف اللفظ **(يوم المزيد)** هو يوم الجمعة في الجنة كما مر **(أعلى معالي الحسنى)** الجنة **(وزيادة النظر)** إلى الله.

(أعلم أن الله تعالىٰ كما فضل نبينا ﷺ في البدء) الابتداء **(بأن جعله أول الأنبياء في الخلق)** كما ورد عنه وقد تقدم **(وأولهم في الإجابة في عالم الذر)** بنعمان **(يوم)** عرفة يوم أشهدهم على أنفسهم **(ألست بربكم؟)** قالوا: بلى، كان أول من قال بلى، نبينا ﷺ **(فض)** بفاء وضاد معجمة، أي: فتح **(له كما ختم كمال الفضائل في العود، فجعله أول من تنشق عنه الأرض)** أي: أول من تعاد فيه الروح يوم القيامة ويظهر **(وأول شافع)** فلا يتقدم عليه ملك ولا نبي **(وأول مشفع)** بشدة الفاء مفتوحة مقبول الشفاعة **(وأول من يؤذن له بالسجود)** فيسجد تحت العرش للشفاعة **(وأول من ينظر لرب العالمين والخلق محجوبون عن رؤيته إذ ذاك)** حتى يراه قبلهم **(وأول الأنبياء يقضي بين أمته وأولهم إجازة)** أي: قطعًا **(على الصراط بأمته، وأول داخل إلى الجنة، وأمته أول الأمم دخولاً إليها)** بعد دخول جميع الأنبياء، فالأنبياء لهم دخولان: دخول خاص قبل جميع الأمم، ودخول عام مع أممهم **(وزاده)** عطف على فضله **(من**

فمن ذلك أنه يحشر راكبًا، وتخصيصه بالمقام المحمود، ولواء الحمد تحته آدم فمن دونه من الأنبياء، واختصاصه بالمقام المحمود، ولواء الحمد تحته آدم فمن دونه من الأنبياء، واختصاصه أيضًا بالسجود لله تعالى أمام العرش، وما يفتحه الله عليه في سجوده من التحميد والثناء عليه ما لم يفتحه على أحد قبله ولا يفتحه على أحد بعده زيادة في كرامته وقربه، وكلام الله له: يا محمد، ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعط، واشفع تشفع، ولا كرامة فوق هذا إلا النظر إليه تعالى.

ومن ذلك: تكراره في الشفاعة، وسجوده ثانية وثالثة، وتجديد الثناء عليه والتحميد بما يفتح الله عليه.

ومن ذلك: كلام الله تعالى له في كل سجدة: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع، فعل المدل على ربه الكريم عليه الرفيع عنده، المحب ذلك منه تشريفًا له وتكريمًا وتبجيلاً وتعظيمًا.

لطائف التحف:) جمع تحفة، وزان رطبة وحكي سكون الحاء ما أتحفت به غيرك **(ونفائس الطرف:)** بضم الطاء المهملة وفتح الراء جمع طرفة وهي ما يستطرف، أي: يستملح **(ما لا يحد ولا يعد)** لكثرته جدًا **(فمن ذلك أنه يحشر راكبًا)** على البراق كما مر في الخصائص، ويأتي قريبًا في حديث: وإلاَّ فقد جاء في تفسير يوم نحشر المتقين إلى الرحمٰن وفدًا، أي: راكبين، ويحتمل أنه يبعث راكبًا من أول أمره بخلاف غيره، فيجوز أن ركوبه بعد بعثه وفيه شيء **(وتخصيصه بالمقام المحمود ولواء الحمد تحته ءادم فمن دونه، واختصاصه أيضًا بالسجود للّه تعالىٰ أمام)** قدام **(العرش وما)** أي: واختصاصه بما **(يفتحه اللّه عليه في سجوده من التحميد والثناء عليه)** سبحانه **(ما لم يفتحه على أحد قبله ولا يفتحه على أحد بعده زيادة في كرامته وقربه، وكلام اللّه تعالىٰ له)** بقوله: **(يا محمد إرفع رأسك وقل تسمع)** ما تقول سماع قبول **(وسل تعط)** ما سألت **(واشفع تشفع)** تقبل شفاعتك **(ولا كرامة فوق هذا إلا النظر إليه تعالىٰ، ومن ذلك)** الذي لا يعد ولا يحد **(تكراره في الشفاعة وسجوده ثانية و مرة ثالثة وتجديد الثناء عليه)** سبحانه **(بما يفتح اللّه عليه من ذلك)** الثناء **(وكلام اللّه تعالى له في كل سجدة)** بقوله: **(يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع فعل)** بالنصب أو الرفع بتقدير ذلك فعل **(المدل)** أي: المقدم **(على ربه)** المطمئن المسرور بسماع كلامه **(الكريم عليه الرفيع عنده المحب ذلك)** الإقدام **(منه تشريفًا له وتكريمًا وتبجيلاً وتعظيمًا)**

ومن ذلك: قيامه عن يمين العرش، ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيره، يغبطه فيه الأولون والآخرون، وشهادته بين الأنبياء وأممهم بأنهم بلغوهم، وإتيانهم إليه يسؤلونه الشفاعة ليريحهم من غمهم وعرقهم وطول وقوفهم، وشفاعته في أقوام قد أمر بهم إلى النار.

ومنها: الحوض، الذي ليس في الموقف أكثر أوان منه، وأن المؤمنين كلهم لا يدخلون الجنة إلا بشفاعته.

ومنها: أنه يشفع في رفع درجات أقوام لا تبلغها أعمالهم.

وهو صاحب الوسيلة التي هي أعلى منزلة في الجنة، إلى غير ذلك مما يزيده تعالى به جلالة وتعظيمًا وتبجيلاً وتكريمًا على رؤوس الأشهاد من الأولين والآخرين والملائكة أجمعين. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

فأما تفضيله ﷺ بأولية انشقاق القبر المقدس عنه، فروى مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأنا أول من

فلذا قدم عليه تعالىٰ الكلام، وفعل معه فعل المدل وهو المرشد، فسأله ما لا يقدم غيره على سؤاله (**ومن ذلك قيامه عن يمين العرش**) وهو فوق الجنة وهي فوق السموات كما يأتي (**ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيره يغبطه**) بكسر الباء يستحسنه (**فيه الأولون والآخرون، وشهادته بين الأنبياء وأممهم بأنهم بلغوهم وإتيانهم إليه يسألونه الشفاعة ليريحهم من غمهم وعرقهم**) بعين مهملة (**وطول وقوفهم وشفاعته في أقوام قد أمر بهم إلى النار، ومنها الحوض الذي ليس في الموقف أكثر أوان:**) جمع إناء (**منه: وأن المؤمنين كلهم لا يدخلون الجنة إلاّ بشفاعته، ومنها؛ أنه يشفع في رفع درجات أقوام لا تبلغها أعمالهم وهو صاحب الوسيلة التي هي أعلى منزلة في الجنة إلى غير ذلك مما يزيده تعالىٰ به جلالة وتعظيمًا وتبجيلاً وتكريمًا على رؤوس الأشهاد من الأولين والآخرين والملائكة أجمعين، ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء واللّه ذو الفضل العظيم**).

وهذا كله ترجمة على سبيل الإجمال وفصله، فقال: (**فأما تفضيله بأولية انشقاق القبر المقدس عنه. فروى مسلم**) في المناقب وأبو داود في السنة (**من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول اللّه ﷺ أنا سيد ولد ءادم يوم القيامة**) خصه لأنه يوم مجموع له

ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع».

وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي ـ آدم فمن سواه ـ إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر..» رواه الترمذي.

وعن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو

الناس، فتظهر سيادته لكل أحد عيانًا، فلا ينافي أن سيادته ثابتة في الدنيا، فهو نحو قوله: ﴿إن ربهم بهم يومئذٍ لخبير﴾ [العاديات/ ١]، وأطلق في الوصف بذلك لإفادة العموم لأولي العزم وغيرهم، وتخصيص ولد ءادم ليس للاحتراز، إذ هو أفضل حتى من خواص الملائكة إجماعاً **(وأنا أول من ينشق عنه القبر)** أي: يعجل إحياءه مبالغة في إكرامه وتخصيصًا بجزيل إنعامه **(وأنا أول شافع)** للخلائق لا يتقدمه شافع لا بشر ولا ملك في جميع أقسام الشفاعات **(وأول مشفع)** بشد الفاء المفتوحة، أي: مقبول الشفاعة، ولم يكتف بشافع لأنه قد يشفع ثانٍ فيشفع قبل الأول.

وأما حديث ابن مسعود عند أحمد والنسائي والحاكم: يشفع نبيكم رابع أربعة: جبريل ثم إبراهيم ثم موسىٰ أو عيسىٰ ثم نبيكم، لا يشفع أحد في أكثر مما يشفع فيه، فقد ضعفه البخاري، فلا يعارض حديث مسلم.

(وفي حديث أبي سعيد رضي اللّه عنه، قال: قال رسول اللّه ﷺ أنا سيد ولد ءادم يوم القيامة ولا فخر) أي: أقول ذلك شكرًا، لا فخرًا، فهو نحو قول سليمٰن عليه السلام: علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء، أي: لا أقوله تكبرًا وتعاظمًا على الناس وإن كان فيه فخر الدارين، وقيل: لا أفتخر بذلك، بل فخري بمن أعطاني هذه الفضائل **(وبيدي لواء الحمد)** يأتي بيانه للمصنف **(ولا فخر)** لا عظمة ولا مباهاة **(وما من نبي يومئذٍ آدم فمن سواه)** أي: دونه **(إلاَّ تحت لوائي)** قال الطيبي: ءادم فمن سواه اعتراض بين النفي والاستثناء، أفاد أن ءادم بالرفع بدلاً أو بيانًا من محله ومن فيه موصولة، وسواه صلته، وصح لأنه ظرف وآثر الفاء التفصيلية في فمن للترتيب على منوال الأمثل فالأمثل **(وأنا أول من تنشق عنه الأرض)**.

وفي رواية: من تنشق الأرض عن جمجمتي **(ولا فخر)** حال مؤكدة، أي: أقول هذا ولا فخر، بل شكرًا وتحدثًا بالنعمة وإعلامًا للأمة، لأنه مما يجب تبليغ ليعتقدوا فضله على من سواه.

وبقية هذا الحديث عند رواته: وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، وكان الأولى للمصنف أن لا يتركها لإفادة أنه جاء عن صحابي آخر ولزيادة ولا فخر.

(رواه الترمذي) في المناقب: وقال حسن صحيح، وكذا رواه ابن ماجه وأحمد **(وعن ابن عمر قال: قال رسول اللّه ﷺ: أنا أول من تنشق عنه الأرض، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم آتي)**

بكر ثم عمر، ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي، ثم أنتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين. قال الترمذي. حسن صحيح. ورواه أبو حاتم وقال: حتى نحشر. وتقدم.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يصعق الناس حين يصعقون، فأكون أول من قام، فإذا موسى آخذ بالعرش: فما أدري أكان فيمن صعق». وفي رواية فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله». رواه البخاري.

والمراد بالصعق: غشي يلحق من سمع صوتًا أو رأى شيئًا يفزع منه.

بالمد أجيء **(أهل البقيع فيحشرون)** يجتمعون معي لكرامتهم على ربهم وشرفهم عنده باستغفار نبيهم لهم وقربهم منه **(ثم أنتظر أهل مكة)** المسلمين منهم حتى يقدموا عليّ تشريفًا لهم بجوار بيت الله **(حتى احشر بين الحرمين)** أي: حتى يكون لي ولهم اجتماع بينهما **(قال الترمذي: حسن صحيح)** وصححه الحاكم.

(ورواه أبو حاتم) ابن حبان **(وقال)** في روايته **(حتى نحشر)** أي: نجتمع كلنا **(وتقدم)** قريبًا: **(وعن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ يصعق)** بفتح العين **(الناس حين يصعقون، فأكون أول من قام، فإذا موسىٰ آخذ بالعرش، فما أدري أكان فيمن صعق:)** بكسر العين ترك تمامه استغناء بذكره في قوله: **(وفي رواية: فأكون أول من يفيق)** بضم أوله **(فإذا موسىٰ باطش:)** آخذ بقوة **(بجانب العرش)**.

وفي رواية: بقائمة من قوائم العرش **(فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله)** فلم يكن ممن صعق، أي: فإن كان أفاق قبلي فهي فضيلة ظاهرة، وإن كان ممن استثنى الله في فضيلة أيضًا.

وفي رواية: أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور ولا منافاة، فإن المعنى لا أدري أي الثلاثة كان الإفاقة أو الاستثناء أو المحاسبة بصعقة الطور.

(رواه) أي: المذكور من الروايتين **(البخاري)** ومسلم **(والمراد بالصعق غشي)** بفتح الغين وسكون الشين المعجمتين فتحتية خفيفة وبكسر الشين وشد الياء **(يلحق من سمع صوتًا أو رأى شيئًا يفزع منه)** أصل الغشي مرض معروف يحصل بطول القيام في الحر ونحوه وهو طرف من الإغماء وهو المراد هنا.

وأما قول الحافظ المراد به هنا الحالة القريبة منه فأطلقه عليه مجازًا، فإنما قاله في صلاة

ولم يبين في هذه الرواية -من الطريقين- محل الإفاقة، من أي الصعقتين. ووقع في رواية الشعبي عن أبي هريرة في تفسير سورة الزمر إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الأخيرة.

والمراد بقوله: «ممن استثنى الله» قوله تعالى: **﴿ففزع من في السمٰوات والأرض إلا من شاء الله﴾** [النمل/٨٧].

الكسوف في قول أسماء بنت أبي بكر، فقمت حتى تجلاني الغشي، فنقله هنا من نقل الشيء في غير موضعه، وإنما قال: هنا مثل لفظ المصنف بالحرف.

(ولم يبين في هذه الرواية من الطريقين محل الإفاقة من أي الصعقتين) الأولى أم الثانية.

(ووقع في رواية الشعبي) عامر بن شراحيل **(عن أبي هريرة في تفسير سورة الزمر)** من البخاري عن النبي ﷺ قال: **(إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الأخيرة)** أي: الثانية، ولفظ البخاري الآخر، قال المصنف: بمد الهمزة.

وبقية هذه الرواية في البخاري: فإذا أنا بموسىٰ متعلق بالعرش، فلا أدري أكذلك كان أم بعد النفخة، زاد الحافظ: ووقع في حديث أبي سعيد: فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض، كذا عند البخاري في كتاب الأشخاص بهذا اللفظ، وله في غيره: فأكون أول من يفيق، وجزم المزي بأنه الصواب، وأن تلك وهم من راويها وكونه أول من تنشق عنه الأرض صحيح، لكنه في حديث آخر ليس فيه ذكر موسىٰ، نقله عنه ابن القيم في كتاب الروح، ويمكن الجمع بأن النفخة الأولى يعقبها الصعق من جميع الخلق أحيائهم وأمواتهم وهو الفزع، كما قال تعالىٰ: ﴿ففزع من في السمٰوٰت ومن في الأرض﴾ [النمل/ ٨٧]، ثم تعقب ذلك الفزع للموتى زيادة فيما هم فيه وللأحياء موتًا، ثم ينفخ الثانية للبعث فيفيقون أجمعون، فمن كان مقبورًا انشقت عنه الأرض فخرج من قبره، ومن ليس مقبورًا إلا يحتاج إلى ذلك، وموسىٰ ممن قبر في الدنيا، كما قال ﷺ: مررت على موسىٰ ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره.

أخرجه مسلم عن أنس عقب حديث أبي هريرة وأبي سعيد المذكورين، ولعله أشار بذلك إلى ما قررته. انتهى.

(والمراد بقوله: ممن استثنى اللّه قوله تعالىٰ: ﴿ففزع من في السمٰوات ومن في الأرض إلاّ من شاء اللّه﴾) [النمل/ ٨٧]، وقال الداودي: أي جعله ثانيًا لي، قال الحافظ: وهو غلط شنيع، وفي البعث لابن أبي الدنيا من مرسل الحسن: فلا أدري أكان ممن استثنىٰ اللّه أن

وقد استشكل كون جميع الخلق يصعقون، مع أن الموتى لا إحساس لهم؟

فقيل المراد: أن الذين يصعقون هم الأحياء، وأما الموتى فهم في الاستثناء في قوله: ﴿**إلا من شاء الله**﴾ أي إلا من سبق له الموت قبل ذلك فإنه لا يصعق، وإلى هذا جنح القرطبي. ولا يعارضه ما ورد في الحديث: إن موسى ممن استثنى الله، لأن الأنبياء أحياء عند الله.

وقال القاضي عياض: يحتمل أن يكون المراد صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السماء والأرض.

وتعقبه القرطبي: بأنه صرح ﷺ بأنه يخرج من قبره فيلقى موسى وهو متعلق

لا تصيبه النفخة أو بعث قبلي.

وزعم ابن القيم: أن قوله: أكان ممن استثنىٰ اللّٰه وهم من بعض الرواة، والمحفوظ: أو جوزي بصعقة الطور، قال: لأن اللّٰه استثنىٰ قومًا من صعقة النفخ وموسىٰ داخل فيهم، وهذا لا يلتئم على سياق الحديث، فإن الإفاقة حينئذٍ هي إفاقة البعث فلا يحسن التردد فيها، وأما الصعقة العامة فتقع إذا جمعهم اللّٰه لفصل القضاء، فيصعق الخلق حينئذٍ جميعًا إلاَّ من شاء اللّٰه.

ويدل على ذلك قوله: أول من يفيق، فإنه دال على أنه ممن صعق، وتردد في موسىٰ هل صعق، فأفاق قبله أم لم يصعق، قال: ولو كان المراد الصعقة الأولى لزم أن يكون ﷺ جزم بأنه مات، وتردد في موسىٰ هل مات أو لا، والواقع أن موسىٰ كان قد مات، فدل على أنها صعقة فزع لا صعقة موت. انتهى.

(**وقد استشكل كون جميع الخلق يصعقون مع أن الموتى لا إحساس لهم، فقيل**) في الجواب: (**المراد أن الذين يصعقون هم الأحياء، وأما الموتى فهم في الاستثناء**) داخلون (**في قوله: إلا من شاء اللّٰه، أي: إلاَّ من سبق له الموت قبل ذلك، فإنه لا يصعق، وإلى هذا جنح**) مال (**القرطبي**) الشيخ أبو العباس في المفهم (**ولا يعارضه ما ورد في الحديث أن موسىٰ ممن استثنىٰ اللّٰه، لأن الأنبياء أحياء عند اللّٰه**) وإن كانوا في صورة الأموات بالنسبة إلى أهل الدنيا، وقد ثبت ذلك للشهداء، ولا شك أن الانبياء أرفع رتبة من الشهداء وهم ممن استثنىٰ اللّٰه.

أخرجه إسحٰق بن راهويه وأبو يعلى من طريق زيد بن أسلم عن أبيه، عن أبي هريرة: هكذا في الفتح، ويتلوه قوله: (**وقال القاضي عياض: يحتمل أن يكون المراد صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السماء والأرض**) وعلى هذا فلا يشكل هذا الحديث على حديث: أنا أول من ينشق عنه القبر.

(**وتعقبه القرطبي**) في المفهم (**بأنه صرح ﷺ بأنه يخرج من قبره، فيلقي موسى وهو**

بالعرش وهذا إنما هو عند نفخة البعث. انتهى.

ووقع في رواية أبي سلمة عند ابن مردويه: أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة فأقوم فأنفض التراب عن رأسي، فآتي قائمة العرش فأجد موسى قائمًا عندها، فلا أدري أنفض التراب عن رأسه قبلي، أو كان ممن استثنى الله.

واختلف في المستثنى من هو على عشرة أقوال: فقيل الملائكة، وقيل الأنبياء، وبه قال البيهقي في تأويل الحديث في تجويزه: أن يكون موسى ممن

متعلق بالعرش، وهذا إنما هو عند نفخة البعث. انتهى).

قال الحافظ: ويرده، أي: احتمال عياض صريحًا قوله في رواية: أن الناس يصعقون فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق، قال: ويؤيده أنه عبر بقوله: أفاق، لأنه إنما يقال: أفاق من الغشي بعث من الموت، ولذا عبر عن صعقة الطور بالإفاقة لأنها لم تكن موتًا بلا شك، وإذا تقرر ذلك ظهر صحة الحمل على أنها غشية تحصل للناس في الموقف، هذا محصل كلامه وتعقبه. انتهى.

وسبق للمصنف في الخصائص الجواب عن التعارض بقوله: الظاهر أنه عليه السلام لم يكن عنده علم ذلك، أي: كونه أول من ينشق عنه القبر حتى أعلمه اللّه تعالى فأخبر بذلك. انتهى، فإخباره بذلك يفيد أنه علم بإفاقته قبل موسى، فحينئذٍ يبقى التردد في أنه ممن استثنى اللّه أو جوزي بصعقة الطور **(ووقع في رواية أبي سلمة)** ابن عبد الرحمٰن بن عوف عن أبي هريرة **(عند ابن مردويه)** مرفوعًا: **(أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة فأقوم فأنفض التراب عن رأسي فآتي)** بالمد فعل المتكلم، أي: أجيء **(قائمة العرش فأجد موسىٰ قائمًا عندها فلا أدري أنفض التراب عن رأسه قبلي أو كان ممن استثنىٰ اللّه).**

قال الحافظ: يحتمل أن قوله: انفض التراب قبلي تجويز لسبقه في الخروج من القبر أو هو كناية عن الخروج منه وعلى كل ففيه فضيلة لموسى انتهى.

ومعلوم أنه لا يلزم من فضيلته من هذه الجهة أفضليته مطلقًا وبه صرح في المفهم، فقال: وهذه فضيلة عظيمة في حقه، ولكن لا توجب أفضليته على نبينا ﷺ، لأن الشيء الجزئي لا يوجب أمرًا كليًا انتهى.

(وقد اختلف في المستثنى من هو على عشرة أقوال) ذكر منها خمسة **(فقيل: الملائكة)** كلهم على ظاهر هذا القول وقيل: **الأنبياء، وبه قال البيهقي: في تأويل الحديث)** المذكور **(في تجويزه بأن يكون موسىٰ ممن استثنىٰ اللّه)** فإذا جوز ذلك في موسىٰ فبقية

استثنى الله، قال: وجهه عندي أنهم أحياء كالشهداء، فإذا نفخ في الصور النفخة الأولى صعقوا، ثم لا يكون ذلك موتًا في جميع معانيه إلا في ذهاب الاستشعار.

وقيل الشهداء: واختاره الحليمي قال: وهو مروي عن ابن عباس، فإن الله تعالى يقول: ﴿**أحياء عند ربهم يرزقون**﴾ [آل عمران/١٦٩]، وضعف غيره من الأقوال.

وقال أبو العباس القرطبي صاحب «المفهم»: الصحيح أنه لم يأتي في تعيينهم خبر صحيح، والكل محتمل.

وتعقبه تلميذه في «التذكرة» فقال: قد ورد في حديث أبي هريرة بأنهم الشهداء وهو صحيح. وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ سأل جبريل عن هذه

الأنبياء كذلك بجامع النبوة (**قال**) البيهقي: (**ووجهه عندي أنهم**) ردت إليهم أرواحهم بعدما قبضوا فهم (**أحياء**) عند ربهم (**كالشهداء، فإذا نفخ في الصور النفخة الأولى صعقوا، ثم لا يكون ذلك موتًا في جميع معانيه إلاَّ في ذهاب الاستشعار**) فإن كان موسى ممن استثنى اللّه فإنه لا يذهب استشعاره في تلك الحالة ويحاسب بصعقة يوم الطور، هذا بقية قول البيهقي.

قال السيوطي: وبهذا يتضح ترجيح أن المستثنى في الآية الملائكة الأربعة وحملة العرش الثمانية بناءً على أن المراد بالصعق فيها الموت وموسىٰ عليه السلام بناءً على أنه الغشية وكون الأمرين مرادين معًا وكون الاستثناء على الأمرين، ولا يصح استثناء الشهداء من الغشية؛ لأنه إذا حصلت الغشية للأنبياء حتى سيد المرسلين فالشهداء أولى انتهى.

(**وقيل: الشهداء واختاره الحليمي، قال: وهو مروي عن ابن عباس، فإن اللّه تعالىٰ يقول:** (﴿**أحياء عند ربهم يرزقون**﴾) [آل عمران/ ١٦٩]، (**وضعف**) الحليمي (**غيره من الأقوال**) بأن الاستثناء إنما وقع في سكان السموات والأرض، وحملة العرش ليسوا إلى آخر ما يأتي في قول المصنف قريبًا، وتعقب بأن... الخ.

(**وقال أبو العباس**) أحمد بن عمر بن إبراهيم الإمام المحدث العلامة (**صاحب المفهم**) في شرح مسلم: مات سنة ست وخمسين وستمائة (**الصحيح أنه لم يأت في تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل، وتعقبه تلميذه**) أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج مات سنة إحدى وسبعين وستمائة (**في التذكرة**) بأمور الآخرة (**فقال قد ورد في حديث أبي هريرة**) مرفوعًا تفسيره (**بأنهم الشهداء وهو الصحيح**) لوروده عن النبي ﷺ (و) أخرج أبو يعلى والحاكم والبيهقي (**عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية**) نقل

الآية: من الذين لم يشأ الله أن يصعقوا؟ قال: هم شهداء الله. وصححه الحاكم.

وقيل: هم حملة العرش وجبريل وميكائيل وملك الموت، ثم يموتون، وآخرهم [موتا] ملك الموت، وقيل هم الحور العين والولدان في الجنة.

بالمعنى ولفظ أبي يعلى ومن عطف عليه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: سألت جبريل عن هذه الآية: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السمٰوٰت ومن في الأرض إلاّ من شاء اللّه﴾ [الزمر/ ٦٨] الآية **(من الذين لم يشأ اللّه أن يصعقوا، قال)** جبريل: **(هم شهداء اللّه)** يتقلدون أسيافهم حول عرشه.

هذا بقية الحديث الذي **(صححه الحاكم، وقيل: هم حملة العرش)** الثمانية **(وجبريل وميكائيل)** زاد في رواية: وإسرافيل **(وملك الموت)** قال السيوطي: ولا تنافي بين هذا وبين الشهداء لإمكان الجمع بأن الجميع من المستثنىٰ **(ثم يموتون وآخرهم)** موتًا **(ملك الموت)** كما أخرجه البيهقي عن أنس رفعه: كان ممن استثنى اللّه ثلاثة: جبريل ومكيائيل وملك الموت، ؛ بقول اللّه وهو أعلم: يا ملك الموت من بقي؟، فيقول: بقي وجهك الباقي الدائم وعبدك جبريل وميكائيل وملك الموت، فيقول: توف نفس ميكائيل، ثم يقول: وهو أعلم يا ملك الموت من بقي؟، فيقول: وجهك الباقي الكريم وعبدك جبريل وملك الموت، فيقول: توف جبريل، ثم يقول: وهو أعلم يا ملك الموت من بقي، فيقول: بقي وجهك الباقي الكريم وعبدك ملك الموت وهو ميت، فيقول: مت ثم ينادي أنا بدأت الخلق ثم أعيده فأين الجبارون المتكبرون فلا يجيبه أحد، فيقول: هو اللّه الواحد القهّار. وورد أيضًا آخرهم موتًا جبريل.

أخرج الفريابي عن أنس أنهم قالوا: يا رسول اللّه من الذين استثنى اللّه، قال: جبريل وميكٰئيل وملك الموت وإسرافيل وحملة العرش، فإذا قبض اللّه أرواح الخلائق قال لملك الموت: من بقي؟، فيقول: سبحانك ربي وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام بقي جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، فيقول: خذ نفس إسرافيل، فيقول: يا ملك الموت من بقي؟، فيقول: بقي جبريل وميكائيل وملك الموت، فيقول: خذ نفس ميكائيل فيقع كالطود العظيم، فيقول: يا ملك الموت من بقي، فيقول: بقي جبريل وملك الموت، فيقول: مت يا ملك الموت فيموت، فيقول: يا جبريل من بقي؟، فيقول: بقي وجهك الدائم وجبريل الميت الفاني، قال: لا بدّ من موته فيقع ساجدًا يخفق بجناحيه، قال ﷺ: إن فضل خلقه على ميكائيل كالطود العظيم ولا يمكن الجمع بينهما، فيترجح الأول بأن في حديث أبي هريرة عند ابن جرير وأبي الشيخ وغيرهم مرفوعًا في حديث طويل: «إن آخرهم موتًا ملك الموت».

(وقيل: هم الحور العين والولدان في الجنة) وخزنة الجنة والنار وما فيها من الحيات

وتعقب: بأن حملة العرش ليسوا من سكان السمٰوات والأرض، لأن العرش فوق السمٰوات كلها، وبأن جبريل وميكائيل وملك الموت من الصافين المسبحين، ولأن الحور العين والولدان في الجنة، وهي فوق السمٰوات ودون العرش، وهي بانفرادها عالم مخلوق للبقاء فلا شك أنها بمعزل عما خلقه الله للفناء. ثم إنه وردت الأخبار بأن الله تعالى يميت حملة العرش وملك الموت وميكائيل ثم يحييهم. وأما أهل الجنة فلم يأتي عنهم خبر، والأظهر أنها دار خلود، فالذي يدخلها لا يموت فيها أبدًا، مع كونه قابلاً للموت، فالذي خلق فيها أولى أن لا يموت فيها أبدًا.

فإن قلت: قوله: ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه**﴾ [القصص/٨٨] يدل على أن

والعقارب (**وتعقب**) أي: رد هذا الحليمي وضعفه (**بأن**) الاستثناء في الآية إنما وقع من سكان السمٰوٰت والأرض؛ أن (**حملة العرش ليسوا بسكان السموات والأرض، لأن العرش**) وحملته (**فوق السمٰوات كلها**) فهذا ينابذ تفسيره بأنهم حملته (**وبأن جبريل وميكئيل**) وإسرائيل (**وملك الموت من الصافين**) أقدامهم في الصلاة وأداء الطاعة ومنازل الخدمة (**المسبحين**) المنزهين اللّه عما لا يليق به، قال البيضاوي: ولعل الأول إشارة إلى درجاتهم في الطاعات وهذا في المعارف وعبارة الحليمي من الصافين حول العرش. انتهى.

يعني: فهذا يضعف تفسيره بالأربعة وما قبله تضعيف للتفسير بحملة العرش (و ضعف القول الخامس (**لأن الحور العين والولدان في الجنة، وهي فوق السمٰوات ودون العرش**) فلم تدخل في الآية (**وهي بانفرادها عالم مخلوق للبقاء، فلا شك أنها بمعزل**) أي: بجانب بعيد (**عما خلقه اللّه للفناء**) وعبارة الحليمي والجنة والنار عالمان بانفرادهما خلقا للبقاء، فهما بمعزل عما خلق للفناء فلم يدخل أهلهما في الآية (**ثم أنه وردت الأخبار بأن اللّه تعالى يميت حملة العرش وملك الموت وميكئيل**) وإسرافيل وجبريل (**ثم يحييهم**).

(**وأما أهل الجنة فلم يأت عنهم خبر**) بمثل ذلك، فلا يقال أنهم مثل أولئك إذ لا دخل هنا للقياس (**والأظهر أنها دار خلود، فالذي يدخلها لا يموت فيها أبداً**) وكذلك النار، كما قال تعالىٰ: (﴿**لا يقضي عليهم فيموتوا**﴾) [فاطر/ ٣٦] (**مع كونه قابلاً للموت، فالذي خلق فيها أولى أن لا يموت فيها أبدًا**).

.قال الحليمي: وأيضًا فإن الموت لقهر المكلفين ونقلهم من دار إلى دار ولا تكليف على أهل الجنة فأعفوا من الموت أيضًا (**فإن قلت: قوله تعالىٰ: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾**)،

الجنة نفسها تفنى ثم تعاد ليوم الجزاء، ويموت الحور العين ثم يحيون.

أجيب: بأنه يحتمل أن يكون معنى قوله: ﴿كل شيء هالك﴾ أي أنه قابل للهلاك، فيهلك إن أراد الله به ذلك، إلا هو سبحانه فإنه قديم، والقديم لا يمكن أن يفنى، انتهى ملخصًا من تذكرة القرطبي.

ويؤيد القول بعد موت الحور العين قولهن: نحن الخالدات فلا نَموت، كما في الحديث.

ولا يقال: المراد من قولهن الخلود الكائن بعد القيامة، لأنه لا خصوصية فيه، والأوصاف المشتركة لا يتباهى بها، والله أعلم.

وفي كتاب العظمة لأبي الشيخ بن حبان من طريق وهب بن منبه من قوله: قال: خلق الله الصور من لؤلؤة بيضاء في صفاء الزجاجة، ثم قال للعرش: خذ

يدل على أن الجنة نفسها تفنى) وكذا النار **(ثم تعاد ليوم الجزاء ويموت الحور العين ثم يحيون)** وبه قال بعضهم: توفية بظاهر الآية.

(أجيب بأنه يحتمل أن يكون معنى قوله: (﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾)، أي قابل **للهلاك، فيهلك إن أراد الله به ذلك إلاَّ هو سبحانه فإنه قديم والقديم لا يمكن أن يفنى. انتهى. ملخصًا من تذكرة القرطبي)**

(ويؤيد القول بعدم موت الحور العين قولهن) فيما يغنين به لأزواجهن في الجنة **(نحن الخالدات فلا نموت)** أبدًا **(كما في الحديث، ولا يقال: المراد من قولهن)** ذلك **(الخلود الكائن بعد القيامة)** فلا ينافي موتهن قبلها **(لأنه لا خصوصية فيه)** لهن، إذ كل من دخل الجنة كذلك **(والأوصاف المشتركة لا يتباهى بها والله أعلم)** لكن يحتمل أن قولهن ذلك من باب التحدث بالنعمة **(وفي كتاب العظمة لأبي الشيخ بن حبان)** بفتح المهملة والتحتية الثقيلة واسمه عبد الله **(من طريق وهب بن منبه)** بشد الموحدة المكسورة **(من قوله)** أي: كلامه الذي لم يروه عن صاحب ولا رفعه إلى النبي ﷺ، فكأنه من الإسرائيليات، ولم يفهم هذا من تعسف، فجعل قول المصنف من قوله بيانًا لما مقدرة في قوله: وفي كتاب، أي: وما في كتاب وأنه عطف على قوله سابقًا قولهن من قوله، ويؤيد القول بعدم موت الحور، كذا قال مع أنه لا تأييد في هذا أصلاً لذلك، إذ لا ذكر فيه للحور، قال وهب: **(خلق الله الصور من لؤلؤة بيضاء في صفاء الزجاجة)** بزاي وجيمين واحدة الزجاج مثلث الزاي معروف كما في القاموس وتلك اللؤلؤة

الصور فتعلق به، ثم قال: كن فكان إسرافيل، فأمره أن يأخذ الصور فأخذه وبه ثقب بعدد كل روح مخلوقة ونفس منفوسة، فذكر الحديث وفيه: ثم تجتمع الأرواح كلها في الصور، ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ فيه فتدخل كل روح في جسدها. وعلى هذا فالنفخ يقع في الصور أولاً ليصل النفخ بالروح إلى الصّوَر وهي الأجساد،

الموصوفة بشدة البياض على صورة قرن، فلا يخالف ما رواه أبو داود والترمذي، وحسنه وصححه الحاكم وابن حبان عن عمرو أن أعرابيًا سأل النبي ﷺ عن الصور، فقال: قرن ينفخ فيه، وإلى ذلك يشير قول ابن مسعود: الصور كهيئة القرن ينفخ فيه.

أخرجه مسدد بسند صحيح عنه موقوفًا: (**ثم قال للعرش خذ الصور فتعلق به**) أي: أخذه (**ثم قال**) تعالىٰ. (**كن فكان**) أي: وجد، أي: خلق (**إسرافيل، فأمره أن يأخذ الصور**) من العرش (**فأخذه**) ولأحمد والطبراني بسند جيد عن زيد بن أرقم رفعه: كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وأحنى جبهته وأصغى السمع متى يؤمر، فسمع ذلك الصحابة فشق عليهم، فقال ﷺ: «قولوا حسبنا اللّه ونعم الوكيل»، وصحح الحاكم عن أبي هريرة رفعه: إن طرف صاحب الصور منذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دريان (**وبه ثقب**) بمثلثة وقاف وموحدة: جمع ثقب وهو الخرق (**بعدد كل روح مخلوقة ونفس منفوسة**) أي: مولودة كما في النهاية فالعطف مغاير، أي: ما من شأنها أن تولد وإلاّ فهناك نفوس تخلق من الطين ومن العفونات (**فذكر الحديث**).

فقال: لا يخرج روحان من ثقب واحد وفي وسط الصور كوة كاستدارة السماء والأرض وإسرافيل واضع فمه على تلك الكوة، ثم قال له الرب تعالى: قد وكلتك بالصور، فأنت للنفخة وللصيحة، فدخل إسرافيل في مقدم العرش، فأدخل رجله اليمنى تحت العرش وقدم اليسرى ولم يغض طرفه منذ خلقه اللّه ينتظر ما يؤمر به، قال: والبحر المسجور أوله في علم اللّه وآخره في إرادة اللّه فيه ماء ثخين شبه ماء الرجل تسير الموجة خلف الموجة سبعين عامًا لا تلحقها يمطر اللّه منه على الخلق أربعين يومًا بين الراجفة والرادفة فينبتون نبات الحبة في حميل السيل ويجمع أرواح المؤمنين من الجنان وأرواح الكفار من النار فتجعل في الصور (**وفيه: ثم تجتمع الأرواح كلها في الصور، ثم يأمر اللّه إسرافيل فينفخ فيه**) أي: الصور (**فتدخل كل روح في جسدها**).

وبقية هذا الأثر: ثم يأمر اللّه جبريل أن يدخل يده تحت الأرض فيحركها حتى تنشق وينفضهم على الأرض، فإذا هم قيام ينظرون (**وعلى هذا فالنفخ يقع في الصور أولاً ليصل النفخ**) أي: أثره (**بالروح**) أي: الأرواح فتذهب (**إلى الصور**) بفتح الواو (**وهي الأجساد:**) جمع

فإضافة النفخ إلى الصور الذي هو القرن حقيقة، وإلى الصور التي هي الأجساد مجاز.

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر، رفعه: «ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لِيتا ورفع لِيتا، ثم يرسل الله مطرًا كأنه الطل فينبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون».

و«الليت» بكسر اللام وبالمثناة التحتية ثم الفوقية: صفحة العنق، وهما ليتان.

وأصغى: أمال.

وأخرج البيهقي بسند قوي، عن ابن مسعود موقوفًا: «ثم يقوم ملك الصور بين السماء والأرض فينفخ فيه - والصور قرن - فلا يبقى الله خلق في السموات

صورة (**فإضافة النفخ إلى الصور**) بضم فسكون (**الذي هو القرن حقيقة وإلى الصور التي هي الأجساد مجاز**).

(**وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو**) بن العاصي (**رفعه**) أي قال: قال رسول الله ﷺ يخرج الدجال في أمتي، فذكر الحديث.

إلى أن قال: (**ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلاَّ أصغى ليتًا**) بكسر فسكون، أي: أمال صفحة عنقه (**ورفع ليتًا**) أي: أنه يميلها ويرفعها، وأسقط بعد هذا في مسلم، فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله فيصعق ويصعق الناس، وقوله: يلوط، أي: يطين ويصلح (**ثم يرسل الله مطرًا كأنه الطل**) المطر الخفيف (**فينبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى**) النفخة الثانية (**فإذا هم**) أي: جميع الموتى (**قيام ينظرون**) ينتظرون ما يفعل بهم (**والليت بكسر اللام وبالمثناة التحتية**) الساكنة، ثم (**الفوقية صفحة العنق وهما ليتان**) من الجانبين (**وأصغى: أمال**) صفحة عنقه مجازًا لأن حقيقته الاستماع.

(**وأخرج البيهقي**) في البعث وشيخه الحاكم وصححه (**بسند قوي عن ابن مسعود**) في حديث طويل (**موقوفًا**) عليه وما في نسخ مرفوعًا خطأ، فقد صرح في مجمع الزوائد بأنه موقوف، وأوله عند البيهقي وغيره عن ابن مسعود أنه ذكر عنده الدجال، فقال: تفترق الناس ثلاث فرق، فذكر الحديث إلى أن قال: (**ثم يقوم ملك الصور بين السماء والأرض فينفخ فيه**) قال القرطبي: قال علماؤنا: الأمم مجمعون على أن الذي ينفخ في الصور إسرافيل، وفي الأحاديث ما يدل على أن معه ملكًا آخر، فلعل له قرنًا آخر ينفخ فيه. انتهى.

والأرض إلا مات، إلا من شاء ربك، ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون».

وأخرج ابن المبارك في الرقاق من مرسل الحسن: بين النفختين أربعون سنة، الأولى يميت الله بها كل حي، والأخرى يحيي الله بها كل ميت، ونحوه عند ابن مردويه من حديث ابن عباس، وهو ضعيف.

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول الناس خروجًا إذا بعثوا، وأنا

وما ترجاه صرح به عند ابن ماجه والبزار عن أبي سعيد مرفوعًا: «إن صاحبي الصور بأيديهما قرنان يلاحظان النظر متى يؤمران»، وفي حديث عائشة عند الطبراني بسند حسن رفعته: «وملك الصور جاث على ركبته وقد نصب الأخرى فالتقم الصور فحنى ظهره، وقد أمر إذا رأى إسرافيل قد ضم جناحيه أن ينفخ في الصور».

قال الحافظ: هذا يدل على أن النافخ غير إسرافيل، فيحمل على أنه ينفخ النفخة الأولى إذا رأى إسرافيل ضم جناحيه، ثم ينفخ إسرافيل النفخة الثانية وهي نفخة البعث **(والصور قرن)** من لؤلؤة بيضاء على ما مر **(فلا يبقى الله خلق في السموات والأرض)** ممن كان حيًا حين النفخ **(إلا مات إلاّ من شاء ربك ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون)** أبهمه.

وقال الحليمي: اتفقت الروايات على أن بينهما أربعين سنة، وفي جامع ابن وهب: أربعين جمعة وسنده منقطع.

(وأخرج ابن المبارك في) كتاب **(الرقاق:)** بكسر الراء جمع رقيق، أي الأمور التي ترقق القلب وتلينه **(من مرسل الحسن)** البصري: **(بين النفختين أربعون سنة، الأولى يميت الله بها كل حي والأخرى يحيي الله بها كل ميت، ونحوه عند ابن مردويه من حديث ابن عباس)** موقوفًا: **(وهو ضعيف)** أي: إسناده في الصحيحين عن أبي هريرة رفعه: ما بين النفختين أربعون، قالوا: يا أبا هريرة أربعون يومًا، قال: أبيت، قالوا: شهرًا، قال: أبيت، قالوا: عامًا، قال: أبيت، قيل: معناه امتنعت عن بيان ذلك، وعلى هذا فعنده علم من ذلك سمعه منه ﷺ، وقيل: معناه امتنعت أن أسأله ﷺ عن ذلك، وعلى هذا لم يكن عنده علم، قال القرطبي: والأول أظهر وإنما لم يبينه لأنه لا ضرورة إليه، وقد ورد من طريق آخر أن بين النفختين أربعين عامًا. انتهى.

أي: عن أبي هريرة مرفوعًا في حديث عند أبي داود في كتاب البعث، لكن قال الحافظ: قد ورد من طرق أن أبا هريرة صرح بأنه ليس عنده علم بالتعيين، وعند ابن مردويه بسند جيد؛ أن أبا هريرة لما قال أربعون، قالوا: ماذا، قال هكذا سمعت.

(وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ أنا أول الناس خروجًا إذا بعثوا) من قبورهم وهو بمعنى قوله: أنا أول من تنشق عنه الأرض وهذا من كمال عناية ربه به حيث منحه هذا السبق

قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا شفيعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي، ولواء الحمد يومئذٍ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي، يطوف علي ألف خادم كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ منثور، رواه الدارمي، وقال الترمذي: حديث غريب.

ولم يقل: وأنا إمامهم، لأن دار الآخرة ليست دار تكليف.

وفيه مناسبة لسبقه بالنبوة **(وأنا قائدهم إذا وفدوا)** قدموا على ربهم ركبانًا على نجائب من نور من مراكب الآخرة والوافد الراكب، قاله ابن كثير وغيره، لكنه هنا مجرد عن بعض معناه مستعمل في مطلق القدم، لأن الذين يحشرون ركبانًا إنما هم المتقون، فأما العصاة فمشاة كما في أحاديث وهو ﷺ قائد لجميع المؤمنين الطائعين والعصاة **(وأنا خطيبهم)** أي: المتكلم عنهم **(إذا انصتوا)**.

قال بعض شراح الترمذي: هذه خطبة الشفاعة، وقيل: قبلها **(وأنا شفيعهم إذا حبسوا:)** منعوا عن الجنة **(وأنا مبشرهم)** بقبول شفاعتي لهم عند ربي ليريحهم **(إذا أيسوا)** من الناس، وفي رواية: أبلسوا من الإبلاس وهو الانكسار والحزن **(الكرامة)** التي يكرم اللّه عباده يومئذٍ **(والمفاتيح يومئذٍ)** أي: يوم القيامة ظرف له وللكرامة، والخبر قوله: كائنان **(بيدي)** تصرفي وقدرتي **(ولواء الحمد يومئذٍ بيدي وأنا أكرم ولد ءادم على ربي)** ودخل ءادم بالأول لأن في ولده من هو أكرم منه كإبراهيم وموسىٰ **(يطوف عليّ)** بشد الياء **(ألف خادم كأنهم بيض مكنون)** شبههم ببيض النعام المصون من الغبار، ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة، فإنه أحسن ألوان الأبدان **(أو لؤلؤ منثور)** من سلكه أو من صدفه وهو أحسن منه في غير ذلك، شبههم به لحسنهم وانتشارهم في الخدمة، وهذا قاله تحدثًا بنعمة ربه كما أمره.

قال القرطبي: ولأنه مما أمر بتبليغه لوجوب اعتقاده وأنه حق في نفسه وليرغب في الدخول في دينه ويتمسك به من دخل فيه، ولتعظم محبته في قلوب متبعيه فتكثر أعمالهم وتطيب أحوالهم فيحصل لهم شرف الدنيا والآخرة، لأن شرف المتبوع متعد لشرف التابع، فإن قيل: هذا راجع للاعتقاد فكيف يحصل القطع به من أخبار الآحاد، قلنا: من سمع شيئًا من هذه الأمور منه ﷺ مشافهة حصل له العلم به كالصحابة، ومن لم يشافهه حصل له العلم به من طريق التواتر المعنوي لكثرة أخبار الآحاد به.

(رواه الدارمي) عبد اللّه بن عبد الرحمٰن الحافظ **(وقال)** تلميذه **(الترمذي)** بعد روايته له مختصرًا، ولذا لم يعزه له المصنف **(حديث غريب)** وفيه الحسن بن يزيد الكوفي، قال أبو حاتم: لين **(ولم يقل وأنا إمامهم)** بدل قوله: وأنا قائدهم **(لأن دار الآخرة ليست دار تكليف)** وهو إخبار عن حاله فيها.

وفي حديث رواه صاحب كتاب «حادي الأرواح». أن رسول الله ﷺ يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه ينادي بالأذان.

وفي كتاب «ذخائر العقبى» للطبري، مما عزاه لتخريج الحافظ السلفي من حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: تبعث الأنبياء على الدواب، ويحشر صالح على ناقته، ويحشر ابنا فاطمة على ناقتيّ العضباء والقصواء، وأحشر أنا على البراق، خطوها عند أقصى طرفها، ويحشر بلال على ناقة من نوق الجنة.

(وفي حديث رواه صاحب كتاب حادي الأرواح) إلى ديار الأفراح وهو العلامة ابن القيم **(أن رسول اللّه ﷺ يبعث يوم القيامة وبلال)** بن رباح أحد السابقين الأولين **(بين يديه ينادي بالأذان)** كما كان ينادي به في الدنيا **(وفي كتاب ذخائر العقبى)** في مناقب ذوي القربى **(للطبري)** الحافظ محب الدين المكي **(مما عزاه)** نسبة **(لتخريج الحافظ)** العلامة الناقد الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن إبرهيم الأصبهاني **(السلفي)** بكسر المهملة وفتح اللام وبالفاء نسبة إلى سلفة لقب لجده أحمد، ومعناه: الغليظ الشفة له تصانيف.

وروى عنه الحفاظ ومات سنة ست وسبعين وخمسمائة؛ **(من حديث أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال: تبعث الأنبياء على الدواب:)** إبل من الجنة، وعند الحاكم والبيهقي وغيرهما عن علي أنه قرأ: ﴿يوم نحشر المتقين﴾ [مريم/ ٨٥]، فقال: واللّه ما يحشر الوفد على أرجلهم ولا يساقون سوقًا، ولكنهم يؤتون بنوق من نوق الجنة لم تنظر الخلائق إلى مثلها عليها جلال الذهب وأزمتها الزبرجد، فيركبون عليها حتى يقرعوا باب الجنة **(ويحشر صالح)** في قوة الاستثناء كأنه قال إلاَّ صالحًا، فيحشر **(على ناقته)** التي عقرها مكذبوا **(ويحشر إبنا فاطمة)** الحسن والحسين **(على ناقتي)** بشد الياء مثنى **(العضباء)** بمهملة فمعجمة فموحدة ومد **(والقصواء)** بالمد، وهذا حجة للقول بأنهما ناقتان، ورد للقول بأنهما واحدة، وللقول الآخر أنهما مع الجدعاء أسماء لناقة واحدة، ومر بسط ذلك في الدواب **(وأحشر أنا على البراق:)** بضم الموحدة دابة فوق الحمار دون البغل كما مر بيانه في المعراج المخصوص بنبينا ﷺ، ومر الخلاف هل ركب البراق غيره من الأنبياء في الدنيا أم لا ، فقول المصباح: تركبه الرسل عند المعراج إلى السماء صوابه الرسول بالإفراد لاختصاص المعراج به اتفاقًا، ثم بعد ذلك كونه عرج على البراق قول ضعيف، والصحيح أنه ربطه ببيت المقدس وعرج على المعراج **(خطوها)** بالتأنيث على معنى البراق وهو دابة **(عند أقصى طرفها)** منتهى بصرها **(ويحشر بلال)** المؤذن **(على ناقة من نوق الجنة)** المخلوقة من نور.

وأخرجه الطبراني والحاكم بلفظ: يحشر الأنبياء على الدواب، وأبعث على البراق، ويبعث بلال على ناقة من نوق الجنة فينادي بالأذان محضا وبالشهادة حقًا، حتى إذا قال أشهد أن محمدًا رسول الله، شهد له المؤمنون من الأولين والآخرين.

وعند ابن زنجويه في «فضائل الأعمال» عن كثير بن مرة الحضرمي، قال

(وأخرجه) أي حديث أبي هريرة المذكور **(الطبراني والحاكم بلفظ:)** قال رسول الله ﷺ **(تحشر الأنبياء)** يوم القيامة **(على الدواب)** ليوافوا المحشر ويبعث صالح على ناقته، هذا أسقطه المصنف من لفظ عزاه لهما **(وأبعث على البراق)** إكرامًا له بركوبه مركوبًا لا يشبهه ما يركبه غيره، وأسقط من لفظ من عزاه لهما ويبعث إبناي الحسن والحسين على ناقتين من نوق الجنة وبعده قوله **(ويبعث بلال على ناقة من نوق الجنة ينادي بالأذان محضًا)** خالصًا من معارضة المنكرين في الدنيا لكشف الغطاء وظهور الحق عيانًا، لأنه لا ينكره أحد ذلك اليوم **(وبالشهادة حقًا)** أي: ثابتًا لا يقبل التغيير ولا التبديل، ولا معارضة بين الروايتين فيما يركبه الحسنان لجواز ركوبهما الأمرين العضباء والقصواء، ثم يركبان ناقتين من الجنة أو عكسه زيادة في إكرامهما وتعظيمهما، إذ لو قصر ركوبهما على ناقتي جدهما لنقصا عن غيرهما الراكبين من نوق الجنة **(حتى إذا قال)** بلال: **(أشهد أن محمدًا رسول الله)** هكذا الرواية عند الطبراني والحاكم، فلا عبرة بما في نسخ سقيمة من زيادة أشهد أن لا إله إلا الله **(شهد له المؤمنون من الأولين والآخرين)** فقبلت ممن قلبت وردت على من ردت.

هذا بقية الحديث. عند من عزاه لهما فلم يوف بقوله بلفظ بل حذف منه جملاً كما علم.

(وعند ابن زنجويه:) بزاي مفتوحة فنون ساكنة فجيم مضمومة فواو ساكنة عند المحدثين، لأنهم لا يحبون، وبه وهو لقب لمخلد والد حميد بضم المهملة ابن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الأزدي أبي أحمد النسائي الحافظ الثقة الثبت، روى عن أبي عاصم النبيل وعلي بن المديني ومحمد بن يوسف الفريابي وعنه أبو داود والنسائي وغيرهما، مات سنة ثمان، وقيل: سبع وأربعين ومائتين، وقيل: سنة إحدى وخمسين ومائتين **(في فضائل الأعمال)** أحد تصانيفه **(عن كثير بن مرة الحضرمي)** نزيل حمص له إدراك، أرسل حديثًا فذكره عبدان المروزي وابن أبي خيثمة في الصحابة، وذكره غيرهما في التابعين، ووثقه ابن سعد والعجلي والنسائي وغيرهم وأدرك سبعين بدريا.

وروى له أصحاب السنن والبخاري في جزء القراء خلف الإمام، وذكره فيمن مات في

قال رسول الله ﷺ: «تبعث ناقة ثمود لصالح فيركبها من عند قبره حتى توافي به المحشر، وأنا على البراق اختصصت به من دون الأنبياء يومئذ، ويبعث بلال على ناقة من نوق الجنة ينادي على ظهرها بالأذان حقًا، فإذا سمعت الأنبياء وأممها: أشهد أن محمدًا رسول الله قالوا: ونحن نشهد على ذلك».

وذكر الشيخ زين الدين المراغي، مما عزاه لابن النجار في تاريخ المدينة عن كعب الأحبار، والقرطبي في «التذكرة» وابن أبي الدنيا عن كعب. أنه دخل على عائشة رضي الله عنها، فذكروا رسول الله ﷺ فقال كعب: ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفًا من الملائكة حتى يحفون بالقبر، ويضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي ﷺ حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط سبعون ألف ملك يحفون بالقبر

العشر الثاني من الهجرة قاله في الإصابة ملخصًا **(قال: قال رسول الله ﷺ تبعث ناقة ثمود)** يوم القيامة **(لصالح فيركبها من عند قبره حتى توافي)** أي تأتي **(به المحشر وأنا على البراق اختصصت)** بالبناء للمفعول، أي خصني الله **(به من دون الأنبياء يومئذٍ)** فإنهم يركبون على الدواب كما مر **(ويبعث بلال على ناقة من نوق الجنة ينادي على ظهرها بالأذان حقًا)** ثابتًا **(فإذا سمعت الأنبياء وأممها أشهد أن محمدًا رسول الله، قالوا: ونحن نشهد على ذلك)** وجزم الحليمي والغزالي بأن الذين يحشرون ركبانًا يركبون من قبورهم، وقال الإسمعيلي: يمشون من قبورهم إلى الموقف ويركبون من ثم جمعًا بينه وبين حديث الصحيحين يحشر الناس حفاة مشاة، قال البيهقي: والأول أولى، ثم لا يعارض هذا ما ورد مرسلاً أن المؤمن يركب عمله والكافر يركبه عمله، لأن بعضهم يركب الدواب وبعضهم الأعمال أو يركبونها فوق الدواب.

(وذكر الشيخ زين الدين المراغي:) بميم مفتوحة وغين معجمة من مراغة الصعيد بمصر **(مما عزاه لابن النجار)** محمد بن محمود الحافظ **(في تاريخ المدينة)** المسمى بالدرر الثمينة **(عن كعب الأحبار والقرطبي في التذكرة وابن أبي الدنيا)** وأبو الشيخ ابن المبارك كلهم **(عن كعب)** بن مانع المعروف بكعب الأحبار **(أنه دخل على عائشة رضي الله عنها فذكروا رسول الله)** أي ما يتعلق به مما خص به من الكرامات **(ﷺ، فقال كعب: ما من فجر يطلع إلاّ نزل سبعون ألفًا من الملائكة حتى يحفون)** أي: يطوفون.

كذا في النسخ بالنون **(بالقبر)** النبوي **(يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي ﷺ)** لفظ رواية المذكورين يضربون قبر النبي ﷺ بأجنحتهم ويحفون به ويستغفرون له ويصلون عليه **(حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط سبعون ألف ملك يحفون بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي ﷺ سبعون ألفًا بالليل وسبعون ألفًا بالنهار حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفًا**

يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي ﷺ، سبعون ألفًا بالليل وسبعون ألفًا بالنهار، حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفًا من الملائكة يوقرونه صلى الله عليه وسلم.

وفي «نوادر الأصول» للحكيم الترمذي من حديث ابن عمر قال: خرج رسول الله ﷺ ويمينه على أبي بكر وشماله على عمر، فقال: «هكذا نبعث يوم القيامة».

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى حلة من حلل الجنة، ثم أقوم عن يمين العرش، ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري». رواه الترمذي. وفي رواية جامع الأصول عنه: «أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى»، وفي رواية كعب: «حلة خضراء».

من الملائكة يوقرونه) يعظمونه (ﷺ) إكرامًا لم ينقل عن غيره ولعل كعبًا علم هذا من الكتب القديمة لأنه حبرها.

(**وفي نوادر الأصول للحكيم**) محمد بن علي (**الترمذي**) من طبقة البخاري (**من حديث ابن عمر، قال: خرج رسول الله ﷺ ويمينه على أبي بكر وشماله على عمر، فقال: هكذا نبعث يوم القيامة**) ولعل ذلك عقب خروجهم من القبر قبل ركوب المصطفى البراق وركوبهما الناقتين.

وعند ابن أبي عاصم عن ابن عمر: أن النبي ﷺ دخل المسجد.وأبو بكر عن يمينه آخذًا بيده وعمر عن يساره آخذًا بيده وهو متكىء عليهما، فقال: هكذا نبعث يوم القيامة ولا خلف، فإنه خرج من بيته ودخل المسجد.

(**وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ**) قال: (**أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى**) بالبناء للمفعول (**حلة من حلل الجنة**) تكرمة له حيث أتى من لباسها قبل دخولها كدأب الملوك مع خواصها، وشاركه في ذلك إبراهيم مجازاة على تجرده حين ألقي في النار (**ثم أقوم عن يمين العرش**) فوق كرسي يؤتى له به كما يأتي (**ليس أحد من الخلائق**) جمع خليقة فيمشل الثقلين والملائكة (**يقوم ذلك المقام غيري**) خصيصة، شرفني اللّه بها (**وأخذ أعم العام**) وهذا هو الفضل المطلق، والمراد بالمقام يمين العرش فلا يعارض ما ورد أن إبراهيم يقوم على يسار العرش.

(**رواه الترمذي**) وقال حسن صحيح غريب (**وفي رواية جامع الأصول، عنه**) أي الترمذي: (**أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى**) إلى آخر الحديث.

(**وفي رواية كعب**) بن لملك الأنصاري السلمي مرفوعًا في حديث بلفظ: ويكسوني ربي

وفي البخاري، من حديث ابن عباس، عنه ﷺ: «تحشرون حفاة عراة غرلا، كما بدأنا أول خلق نعيده وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم».

وأخرجه البيهقي، وزاد: «وأول من يكسى من الجنة إبراهيم، يكسى حلة من الجنة ويؤتى بكرسي فيطرح عن يمين العرش، ثم يؤتى بي فأكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر». وفيه: أنه يجلس على الكرسي عن يمين العرش.

(حلة خضراء) رواه الطبراني فبين لونها **(وفي البخاري)** في مواضع ومسلم والترمذي، ويأتي للمصنف قريبًا، عزوه للشيخين **(من حديث ابن عباس، عنه ﷺ)** أنه قال: إنكم **(تحشرون)** عند الخروج من القبور حال كونكم **(حفاة:)** بضم الحاء وخفة الفاء جمع حافٍ، أي بلا خف ولا نعل **(عراة)** لا ثياب عليهم **(غرلاً)** بضم الغين المعجمة وإسكان الراء، يعني غير مختونين والغرلة ما يقطعه الخاتن وهي القلفة، قال في البدور: ترد إليه الجلدة التي قطعت بالختان وكذلك يرد إليه كل جزء فارقه في الحياة كالشعر والظفر ليذوق نعيم الثواب وأليم العذاب انتهى.

ونحوه قول ابن عبد البر يحشر الآدمي عاريًا، ولكل من الأعضاء ما كان له يوم ولد، فمن قطع منه شيء يرد إليه حتى الأقلف، وقال أبو الوفاء بن عقيل: حشفة الأقلف موقاة بالقلفة فتكون أرق، فلما أزالوا تلك القطعة في الدنيا أعادها اللّه تعالىٰ ليذيقها من حلاوة فضله، ثم قرأ: **(كما بدأنا أول خلق نعيده)** أي نوجده بعينه بعد إعدامه مرة أخرى أو تركيب أجزائه بعد تفريقها من غير إعدام أو الأول أوجه، لأنه تعالى شبه الإعادة بالابتداء والابتداء ليس عبارة عن تركيب الأجزاء المتفرقة، بل عن الوجود بعد العدم، فوجب أن تكون الإعادة كذلك، وأورد الطيبي أن سياق الآية في إثبات الحشر والنشر، لأن المعنى نوجدكم من العدم كما أوجدناكم أولاً من العدم، فكيف يستشهد بها للمعنى المذكور، أي من كونهم غرلاً، وأجاب بأن سياق الآية وعبارتها يدل على إثبات الحشر وإشارتها على المعنى المراد من الحديث فهو من باب الإدماج انتهى.

(وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم) لأنه جرد حين ألقي في النار، أو لأنه أول من لبس السراويل.

(وأخرجه البيهقي) في البعث **(وزاد: وأول من يكسى من الجنة إبراهيم يكسى حلة من الجنة)** فبين ما يكساه **(ويؤتى بكرسي فيطرح)** أي: يجعل ويوضع **(عن يمين العرش ثم يؤتى)** بحاء **(بي فاكسى حلة من الجنة لا يقوم)** أي: لا يصلح **(لها البشر)** فاستعمل القيام في لازم معناه اللغوي وهو الاستقلال بالأمر دون غيره، وذلك اللازم عدم صلاحية غيره لتلك الحلة

ولا يلزم من تخصيص إبراهيم عليه السلام بأنه أول من يكسى أن يكون أفضل من نبينا ﷺ، على أنه يحتمل أن يكون نبينا ﷺ خرج من قبره في ثيابه التي مات فيها، والحلة التي يكساها يومئذٍ حلة الكرامة، بقرينة إجلاسه عند ساق العرش، فتكون أولية إبراهيم في الكسوة بالنسبة لبقية الخلق.

وأجاب الحليمي: بأنه يكسى إبراهيم أولاً، ثم يكسى نبينا، عليهما الصلاة والسلام، على ظاهر الخبر، لكن حلة نبينا أعلى وأكمل، فيجبر بنفاستها ما فات من الأولية

وفي حديث أبي سعيد عند أبي داود وصححه ابن حبان، أنه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها.

(وفيه) أي: في بقية حديث البيهقي المذكور **(أنه)** ﷺ **(يجلس على الكرسي عن يمين العرش)** فمعنى قوله في الحديث السابق: ثم أقوم عن يمين العرش، أي أثبت جالسًا على الكرسي بدليل هذه الرواية **(ولا يلزم من تخصيص إبراهيم عليه السلام بأنه أول من يكسى أن يكون أفضل من نبينا ﷺ)** لأن المفضول قد يمتاز بشيء يخص به ولا يلزم منه الفضيلة المطلقة، وقول صاحب المفهم: يجوز أن يراد بالخلائق ما عدا نبينا ﷺ فلا يدخل في عموم خطابه، تعقبه تلميذه في التذكرة بحديث علي عند ابن المبارك في الزهد: أول من يكسى يوم القيامة خليل الله قبطيتين، ثم يكسى محمد ﷺ حلة حبرة عن يمين العرش. انتهى.

(على أنه يحتمل أن يكون نبينا ﷺ خرج من قبره في ثيابه التي مات) أي دفن **(فيها والحلة التي يكساها يومئذٍ حلة الكرامة بقرينة إجلاسه عند ساق العرش، فتكون أولية إبراهيم في الكسوة بالنسبة لبقية الخلق)** وعلى هذا الاحتمال يكون ذلك خصوصية أخرى للمصطفى حيث تبلى ثياب الخلائق وثيابه لا تبلى حتى يكسى الحلة.

(وأجاب الحليمي بأنه يكسى إبراهيم أولاً. ثم يكسى نبينا عليهما السلام على ظاهر الخبر، لكن حلة نبينا أعلى وأكمل، فيجبر بنفاستها ما فات من الأولية) فكأنه كسي مع الخليل.

هذا بقية كلام الحليمي **(وفي حديث أبي سعيد الخدري عند أبي داود وصححه ابن حبان)** والحاكم **(أنه لما حضره الموت)** أي: أسبابه، وفي رواية: لما احتضر **(دعا بثياب جدد فلبسها، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها)**.

وعند الحارث بن أبي أسامة وأحمد بن منيع: فإنهم يبعثون في أكفانهم ويتزاورون في أكفانهم.

ويجمع بينه وبين ما في البخاري بأن بعضهم يحشر عاريًا وبعضهم كاسيًا، أو يحشرون كلهم عراة ثم يكسى الأنبياء، وأول من يكسى إبراهيم عليه السلام، أو يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر، فيحشرون عراة ثم يكون أول من يكسى إبراهيم.

وحمل بعضهم حديث أبي سعيد على الشهداء، فيكون أبو سعيد سمعه في الشهداء فحمله على العموم.

(وعند الحٰرث بن أبي أسامة وأحمد بن منيع) بفتح الميم وكسر النون ابن عبد الرحمٰن البغوي نزيل بغداد حافظ ثقة يروي عنه مسلم والأربعة وغيرهم، مات سنة أربع وأربعين ومائتين وله أربع وثمانون سنة، وكذا عند الخطيب الثلاثة عن جابر رفعه: إذا ولي أحدكم أخاه فليحسن كفنه **(فإنهم يبعثون)** من قبورهم **(في أكفانهم)** التي يكفنون فيها **(ويتزاورون)** يزور بعضهم بعضًا في القبور **(في أكفانهم)** إكرامًا للمؤمنين بتأنيس بعضهم ببعض كما كان حالهم في الدنيا وإن كانت الأحياء لا تشاهد ذلك، فأحوال البرزخ لا يقاس عليها، وحديث جابر هذا إسناده صالح كما نقله الحافظ في اللسان عن العقيلي.

ورواه هو والخطيب وسموية من حديث أنس مثله: **(ويجمع)** كما قال البيهقي وغيره **(بينه)** أي ما ذكر من هذه الأحاديث المصرحة بأنهم يحشرون كاسين **(وبين ما في البخاري)** ومسلم أنكم تحشرون حفاة عراة **(بأن بعضهم يحشر عاريًا وبعضهم كاسيًا)** بثيابه **(أو يحشرون كلهم عراة ثم تكسى الأنبياء وأول من بكسى إبرٰهيم عليه السلام)** لأنه جرد لما ألقي في النار، أو لأنه أول من لبس السراويل، أو لشدة خوفه من اللّٰه فعجلت له الكسوة أمانًا له ليطمئن قلبه.

واختاره الحليمي وروى ابن منده مرفوعًا: أول من يكسى إبرٰهيم، فيقول اللّٰه: اكسوا خليلي ليعلم الناس فضله عليهم **(أو يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها، ثم تتناثر:)** تتساقط **(عنهم عند ابتداء الحشر فيحشرون عراة، ثم يكون أول من يكسى إبرٰهيم)** عليه السلام **(وحمل بعضهم حديث أبي سعيد)** أن الميت يبعث في ثيابه التي مات فيها **(على الشهداء، فيكون أبو سعيد سمعه في الشهداء)** الذين أمر أن يدفنوا بثيابهم التي قتلوا فيها وبها الدم **(فحمله)** أبو سعيد **(على العموم)** في الشهداء وغيرهم، وهذا نقله القرطبي وفيه بعد.

وأما ما رواه الطبري في «الرياض النضرة» وعزاه للإمام أحمد في المناقب عن محدوج بن زيد الهذلي أن النبي ﷺ قال لعلي: أما علمت يا علي أنه أول من يدعى به يوم القيامة بي، فأقوم عن يمين العرش في ظله، فأكسى حلة خضراء من حلل الجنة، ثم يدعى بالنبيين بعضهم على أثر بعض، فيقومون سماطين عن يمين العرش ويكسون حللاً خضرًا من حلل الجنة، ألا وإن أمتي أول الأمم يحاسبون يوم القيامة، ثم أبْشِر، فأول من يدعى بك، فيدفع لك لوائي وهو لواء الحمد، فتسير به بين السماطين، آدم وجميع خلق الله تعالى يستظلون بظل لوائي يوم القيامة، وطوله مسيرة ألف سنة وستمائة سنة، وسنانه ياقوتة حمراء، قبضته فضة بيضاء، زجه درة خضراء، له ثلاث ذوائب من نور، ذؤابة في المشرق، وذؤابة في المغرب، والثالثة في وسط الدنيا، مكتوب عليه ثلاثة أسطر، الأول:

قال البيهقي: وبعضهم حمله على العمل الصالح لقوله ولباس التقوى ذلك خير **(وأما ما رواه الطبري)** الحافظ محب الدين **(في الرياض النضرة)** في فضائل العشرة **(وعزاه للإمام أحمد في المناقب عن محدوج)** بفتح الميم وإسكان الحاء المهملة فدال مهملة فواو فجيم **(ابن زيد الهذلي)** ذكره في الإصابة في القسم الأول وقال: قال أبو نعيم مختلف في صحبته **(أن النبي ﷺ قال لعلي: أما علمت يا علي أنه)** أي: الحال والشأن **(أول من يدعى به يوم القيامة بي)** يعني: نفسه ﷺ **(فأقوم عن يمين العرش في ظله)** أي: العرش **(فاكسى حلة خضراء من حلل الجنة، ثم يدعى بالنبيين بعضهم على إثر بعض فيقومون سماطين)** بكسر السين بزنة كتابين، أي جانبين **(عن يمين العرش ويكسون حللاً خضراً من حلل الجنة)** هذا منابذ لما صح لا يقوم ذلك المقام أحد غيري، يعني: الذي عن يمين العرش **(ألا)** بالفتح والتخفيف **(وأن أمتي أول الأمم يحاسبون يوم القيامة، ثم أبشر)** يا علي بهمزة قطع نحو أبشروا بالجنة **(فأول من يدعى بك)** أي: من الأمة بعد الأنبياء **(فيدفع لك لوائي وهو لواء الحمد)** بكسر اللام والمد **(فتسير به بين السماطين ءادم وجميع ما خلق الله تعالىٰ يستظلون بظل لوائي يوم القيامة وطوله مسيرة ألف سنة وستمائة سنة وسنانه ياقوتة خضراء)** وفي نسخة: حمراء، ولعل المراد بالسنان هنا ما يجعل في رأس اللواء **(قبضته المحل الذي)** يقبض منه، أي يمسك **(فضة بيضاء زجه)** بضم الزاي وبالجيم **(درة خضراء له ثلاث ذوائب)** بذال معجمة **(من نور ذؤابة في المشرق وذؤابة في المغرب والثالثة في وسط الدنيا مكتوب عليه ثلاثة أسطر، الأول بسم الله الرحمن الرحيم، الثاني الحمد لله رب العالمين، الثالث لا إله إلاَّ الله**

بسم الله الرحمٰن الرحيم، الثاني: الحمد لله رب العالمين، الثالث: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله، طول كل سطر ألف سنة، وعرضه مسيرة ألف سنة، فتسير باللواء والحسن عن يمينك، والحسين عن يسارك، حتى تقف بيني وبين إبراهيم عليه السلام في ظل العرش، ثم تكسى حلة من الجنة». والسماطان من الناس والنخل: الجانبان.

ورواه ابن سبع في الخصائص بلفظ: قال سأل عبد الله بن سلام رسول الله ﷺ عن لواء الحمد ما صفته؟ قال: «طوله مسيرة»... الحديث.

فقال الحافظ قطب الدين الحليمي: كما نقله عنه المحب بن الهائم: إنه موضوع بين الوضع. قال: والله أعلم بحقيقة لواء الحمد.

محمد رسول الله، طول كل سطر ألف سنة وعرضه مسيرة ألف سنة) فنقص كل سطر عن طوله ستمائة سنة لأنه قدم أن طوله ألف وستمائة **(فتسير)** يا علي **(باللواء والحسن عن يمينك والحسين عن شمالك حتى تقف بيني وبين إبرٰهيم عليه السلام في ظل العرش، ثم تكسى)** يا علي **(حلة من الجنة والسماطان من الناس والنخل الجانبان)**.

(ورواه ابن سبع) بفتح السين وسكون الموحدة وضمها أبو الربيع **(في)** كتاب **(الخصائص بلفظ: قال سأل عبد الله بن سلام)** الصحابي المبشر بالجنة **(رسول الله ﷺ عن لواء الحمد ما صفته فقال طوله مسيرة)** ألف سنة، فذكر **(الحديث)** المذكور **(فقال الحافظ قطب الدين)** عبد الكريم بن عبد النور الحلبي، ثم المصري مفيد الديار المصرية وشيخها: وكان حبرًا عالمًا متواضعًا حسن السمت غزير المعرفة متقنًا بلغ شيوخه الألف ولد في رجب سنة أربع وستين وستمائة ومات في رجب سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وله تصانيف عديدة **(كما نقله عنه المحب بن الهائم أنه موضوع بين)** أي: ظاهر **(الوضع)** ولا يقدح ذلك في جلالة من خرجه أحمد بن حنبل، لأن المحدثين إذا أبرزوا الحديث بسنده برئوا من عهدته **(قال)** القطب: **والله أعلم بحقيقة لواء الحمد)**، فيه إيماء إلى أنه حقيقي لا معنوي وفيه قولان نقلهما الطيبي وغيره، أحدهما أنه معنوي، لأن حقيقة اللواء الراية والمراد انفراده بالحمد يوم القيامة وشهرته على رؤوس الخلائق بالحمد، وقيل: حقيقي ورجح، وعليه التوربشتي حيث قال: لا مقام من مقامات عباد الله الصالحين أرفع وأعلى من مقام الحمد ودونه تنتهي جميع المقامات، ولما كان ﷺ أحمد الخلق في الدارين أعطي لواء الحمد ليأوي إلى لوائه الأولون والآخرون، وأضاف اللواء إلى الحمد الذي هو الثناء على الله بما هو أهله لأنه منصبه في الموقف وهو المقام المحمود المختص به اهـ.

وفي حديث أبي سعيد ـ عند الترمذي بسند حسن ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي آدم فمن سواه إلا تحت لوائي». الحديث.

واللواء: الراية، وفي عرفهم لا يمسكها إلا صاحب الجيش ورئيسه، ويحتمل أن تكون بيد غيره بإذنه وتكون تابعة له ومتحركة بحركته، تميل معه حيثما مال، لا أنه يمسكها بيده، إذ هذه الحالة أشرف.

وفي استعمال العرب عند الحروب، إنما يمسكها صاحبها، ولا يمنعه ذلك من القتال بها، بل يقاتل بها ممسكًا لها أشد القتال، ولذا لا يليق بأمساكها كل أحد، بل مثل علي رضي الله عنه، كما قال: «لأعطين الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله».

وإنما أضاف «اللواء» إلى «الحمد» الذي هو الثناء على الله بما هو أهله. لأن

(**وفي حديث أبي سعيد**) سعد بن مالك الخدري (**عند الترمذي بسند حسن**) قال الترمذي: حسن صحيح، (**قال: قال رسول الله ﷺ أنا سيد ولد ءادم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي ءادم فمن سواه إلاَّ تحت لوائي... الحديث**) قدم المصنف تتمته قريبًا، وهو: وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، ومر أن باقيه: وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر (**واللواء**) بالكسر والمد: (**الراية، وفي عرفهم**) أي: العرب (**لا يمسكها:**) يحملها (**إلاَّ صاحب الجيش ورئيسه**) عظيمه الشريف القدر.

(**ويحتمل أن تكون**) مراده وقد تجعل (**بيد غيره بإذنه وتكون تابعة له ومتحركة بحركته تميل معه حيثما مال لا أنه يمسكها بيده، إذ هذه الحالة أشرف**) من كونه يمسكها، أي: يحملها بيده (**وفي استعمال العرب عند الحروب إنما يمسكها صاحبها ولا يمنعه ذلك من القتال بها بل يقاتل بها**) حال كونه (**ممسكًا لها أشد القتال**) معمول يقاتل (**ولذا لا يليق بإمساكها كل أحد، بل**) البطل الشجاع الصنديد (**مثل علي رضي الله عنه، كما قال**) ﷺ في غزوة خيبر: (**لأعطين الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**) أراد وجود حقيقة المحبة وإلاَّ فكل مسلم يشترك مع علي في مطلق هذه الصفة وفيه تلميح بقوله تعالىٰ: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران/ ٣١]: فكأنه أشار إلى أن عليًا تام الاتباع له ﷺ حتى وصفه بصفة محبة الله، ولذا كانت محبته علامة الإيمان وبغضه علامة النفاق كما في مسلم وغيره مرفوعًا: وقدم الجملة الأولى على الثانية إشارة إلى أن محبة الله ورسوله لعلي جزاء له على محبته لهما (**وإنما أضاف اللواء إلى الحمد الذي هو الثناء على الله بما هو أهله، لأن**)

ذلك هو منصبه في ذلك الموقف دون غيره من الأنبياء.

وقد اختلف في هيئة حشر الناس.

ففي البخاري من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث، قالوا، وتبيت معهم

ذلك هو منصبه في ذلك الموقف دون غيره من الأنبياء) و، و المقام المحمود المخصوص به واللواء في عرصات القيامة مقامات لأهل الخير والشر ينصب في كل مقام لكل متبوع لواء يعرف به قدره، كما قال ﷺ: «إن لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به عند استه».

رواه أحمد والطيالسي عن أنس بإسناد حسن: وأعلى تلك المقامات مقام الحمد، فأعطي لأحمد الخلائق حمدًا أعظم الألوية وهو لواء الحمد ليأوي إليه الأولون والآخرون فهو لواء حقيقي، وعند الله علم حقيقته ولا وجه لصرفه إلى المجاز وإن أفتى به السيوطي، لأنه لا يعدل عن الحقيقة ما وجد إليها سبيل كما نص على ذلك ابن عبد البر وغيره في حديث أكل الشيطان.

(وقد اختلف في هيئة حشر الناس) أتى بلفظ هيئة إشارة إلى أنه لا خلاف في الحشر إنما الخلاف في صفته **(ففي البخاري من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ يحشر الناس على ثلاث)** ولمسلم ثلاثة **(طرائق:)** جمع طريق يذكر ويؤنث، قال المصنف: أي فرق فرقة **(راغبين راهبين)** يغيروا في الفرع كأصله، وقال في الفتح: وراهبين بالواو، وفي مسلم: بغير واو، وعلى الروايتين فهي الطريقة الأولى والفرقة الثانية **(واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة)** يعتقبون **(على بعير)**.

قال المصنف: بإثبات الواو في الأربعة في فرع اليونينية كهي، وقال الحافظ ابن حجر: بالواو في الأول فقط، وفي رواية مسلم والإسمعيلي: بالواو في الجميع ولم يذكر الخمسة والستة إلى العشرة إيجازًا واكتفاء بما ذكر من الأعداد مع أن الاعتقاب ليس مجزومًا به ولا مانع أن يجعل الله في البعير ما يقوى به على حمل العشرة، قال: ولم يذكر أن واحدًا على بعير إشارة إلى أنه يكون لمن فوقهم كالأنبياء، قال: ويحتمل أن يمشوا وقتًا، ثم يركبوا أو يكونوا ركبانًا، فإذا قاربوا المحشر نزلوا فمشوا، وأما الكفار فإنهم مشاة على وجوههم. انتهى.

وقال البيهقي: قوله راغبين إشارة إلى الأبرار وراهبين إشارة إلى المخلطين الذين هم بين الرجاء والخوف والذين تحشرهم النار الكفار، وذكر الحليمي مثله وزاد: إن الأبرار وهم المتقون يؤتون بنجائب من الجنة، وأما البعير الذي يحمل عليه المخلطون فيحتمل أنه من إبل الجنة وأنه

حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا» رواه الشيخان.

وقد مال الحليمي إلى أن هذا الحشر يكون عند الخروج من القبور، وجزم به الغزالي، وقيل: إنهم يخرجون من القبور بالوصف المذكور في حديث ابن عباس عند الشيخين: أن رسول الله ﷺ قال: «إنكم محشورون حفاة عراة غرلا، ثم قرأ: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين﴾» ثم يفترق حالهم من

من الإبل التي تحيا وتحشر يوم القيامة وهذا أشبه لأنهم بين الرجاء والخوف فلم يلق أن يردوا موقف الحساب على نجائب الجنة، قال: ويشبه أيضًا تخصيص هؤلاء بمن تغفر لهم ذنوبهم عند الحساب ولا يعذبون، أما المعذبون بذنوبهم فيكونون مشاة على أقدام نقلة في البدور **(وتحشر بقيتهم النار)** لعجزهم عن تحصيل ما يركبونه وهم الفرقة الثالثة، والمراد بالنار هنا نار الدنيا لا نار الآخرة، فلمسلم في حديث ذكر فيه الآيات الكائنة قبل قيام الساعة كطلوع الشمس من مغربها، ففيه: وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن ترحل الناس، وفي رواية له: تطرد الناس إلى حشرهم، قال المصنف: وقيل: المراد نار الفتنة و ليس المراد نار الآخرة، قال الطيبي: لأنه جعل النار هي الحاشرة ولو أريد نار الآخرة لقال إلى النار، ولقوله: **(تقيل)** من القيلولة **(معهم حيث قالوا: وتبيت)** من البيتوتة **(معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا)** فإنها جملة مستأنفة بيان للكلام السابق، فإن الضمير في تقيل راجع إلى النار الحاشرة وهو من الاستعارة، فيدل على أنها ليست النار الحقيقية بل نار الفتنة كما قال تعالى: ﴿كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله﴾ [المائدة/ ٦٤] انتهى. ولا يمتنع إطلاق النار على الحقيقة وهي التي تخرج من قعر عدن وعلى المجازية وهي الفتنة إذ لا تنافي بينهما.

(رواه الشيخان) باعتبار أصله وإن اختلفا في بعض ألفاظه، ولذا نسبه أولاً للبخاري، فلو قال: أولاً، فعن أبي هريرة، ثم قال: هنا رواه الشيخان واللفظ للبخاري لكان أحسن.

(وقد مال الحليمي إلى أن هذا الحشر) المذكور في حديث أبي هريرة: **(يكون عند الخروج من القبور، وجزم به الغزالي وقيل:)** وإليه أشار الخطابي **(أنهم يخرجون في القبور بالوصف المذكور في حديث ابن عباس عند الشيخين)** الذي قصر المصنف آنفًا في عزوه للبخاري وحده؛ **(أن رسول الله ﷺ قال:)** وفي رواية عن ابن عباس: قام فينا النبي ﷺ يخطب، فقال: **(إنكم تحشرون)** بضم الفوقية مبني للمفعول، وفي رواية: محشورون بفتح الميم اسم مفعول، وفي رواية عن ابن عباس: سمعت رسول الله ﷺ يخطب على المنبر، يقول: إنكم ملاقو الله **(حفاة عراة غرلاً)** بضم المعجمة وإسكان الراء: جمع أغرل، أي: أقلف، زاد في رواية للشيخين: مشاة **(ثم قرأ: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا أنا كنا فاعلين﴾)**

ثم إلى الموقف، كما في حديث أبي هريرة: «ويحشر الكافر على وجهه»، قال رجل: يا رسول الله، كيف يحشر على وجهه؟ قال: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة» أخرجه الشيخان.

الإعادة والبعث ونصب وعدًا على المصدر المؤكد لمضمون الجملة المتقدمة فناصبه مضمر، أي: وعدناه ذلك وعدًا.

ورواه الشيخان أيضًا عن عائشة بزيادة: فقلت يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض، فقال: يا عائشة الأمر يومئذٍ أشد من ذلك، وللطبراني والبيهقي عن سودة بنت زمعة: قلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض، قال: شغل الناس عن ذلك لكل امرىء منهم يومئذٍ شأن يغنيه، وللطبراني بسند صحيح عن أم سلمة: فقلت: يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض، فقال: شغل الناس، قلت: فما شغلهم؟، قال: نشر الصحائف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل **(ثم يفترق حالهم من ثم)** أي: من عند القبور **(إلى الموقف كما)** قال **(في حديث أبي هريرة)** المذكور: يحشر الناس على ثلاث طرائق... الخ.

فلا خلف بينه وبين حديث ابن عباس: **(ويحشر الكافر على وجهه)** كما قال تعالى: ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم﴾) [الإسراء/ ٩٧]، وقال: ﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم﴾) [الفرقان/ ٣٤] **(قال رجل)** قال الحافظ: لم أعرف اسمه **(يا رسول الله كيف يحشر الكافر)** ماشيًا **(على وجهه)** وحكمه ذلك المعاقبة على عدم سجوده لله في الدنيا وكفره، فمشى على وجهه إظهارًا لهوانه في ذلك المحشر العظيم جزاءً وفاقًا والسؤال للاستفهام عما سمعه السائل في القرءان، فلا حاجة لقول المصنف هذا السؤال مسبوق بمثل قوله: يحشر بعض الناس يوم القيامة على وجوههم **(قال)** ﷺ: **(أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادر)** بالرفع خبر الذي واسم ليس ضمير الشأن.

وروى بالنصب خبر ليس **(على أن يمشيه)** بضم التحتية وسكون الميم **(على وجهه يوم القيامة)** ولأحمد عن أبي هريرة أنهم قالوا: يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم، قال: إن الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم، أما أنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك، قال الحافظ: ظاهر الحديث أن المشي حقيقة، فلذلك استغربوه حتى سألوا عن كيفيته، وزعم بعض المفسرين أنه مثل وأنه كقوله تعالى: ﴿أفمن يمشي مكبًا على وجهه أهدي أمن يمشي سويًا﴾) [الملك/ ٢٢]، قال مجاهد: هذا مثل المؤمن والكافر، قلت: لا يلزم من تفسير مجاهد لهذه الآية بهذا أن يفسر به الآية الأخرى، فالجواب الصادر من النبي ﷺ ظاهر في تقرير المشي على حقيقته ا هـ.

(رواه الشيخان) البخاري في تفسير سورة الفرقان وفي الرقاق، ومسلم في التوبة عن أنس

وفي حديث أبي ذر عند النسائي مرفوعًا: «إن الناس يحشرون على ثلاثة أفواج. فوجًا راكبين طاعمين كاسين، وفوجًا تسحبهم الملائكة على وجوههم، وفوجًا يمشون ويسعون».

(**وفي حديث أبي ذر عند النسائي**) وأحمد والحاكم والبيهقي (**مرفوعًا**): قال: حدثني الصادق المصدوق ﷺ (**أن الناس يحشرون**) أسقط من الحديث يوم القيامة (**على ثلاثة** (**أفواج فوجًا**) كذا في النسخ بالنصب والذي في شرحه للبخاري والبدور السافرة فوج بالخفض بدل من ثلاثة المجرور بعلى وهي ثابتة في الحديث وفي أصل نسخ المواهب، ولما رآها الجهال فوجًا بالنصب تجاسروا وضربوا على لفظ على مع أنه لو روى بالنصب لكان بتقدير أعني ولا داعية لشطب على (**راكبين طاعمين كاسين**) وهم الأبرار (**وفوجًا**) بالخفض على الصوبا، وإن كان في النسخ فوجًا (**تسحبهم الملائكة على وجوههم**) وهم الكفار (**وفوجًا**) صوابه وفوج (**يمشون ويسعون**) وهم المؤمنون العاصون.

والرواية كما في شرحه للبخاري والبدور بتقديم قوله: وفوج يمشون على قوله وفوج تسحبهم... الخ.

قال المصنف في بقية الحديث أنهم سألوا عن السبب في مشي المذكورين، فقال ﷺ: يلقي الله الآفة على الظهر حتى لا تبقى ذات ظهر حتى إن الرجل ليعطي الحديقة المعجبة بالشارف ذات القتب، أي: يشتري الناقة المسنة لأجل كونها تحمله على القتب بالبستان الكريم لهوان العقار الذي عزم على الرحيل عنه وعزة الظهر الذي وصله إلى مقصوده وهذا لائق بأحوال الدنيا، لكن استشكل قوله فيه يوم القيامة، وأجيب بأنه مؤول على أن المراد به أن يوم القيامة يعقب ذلك فيكون من مجاز المجاورة، ويتعين ذلك لما وقع فيه أن الظهر يقل... الخ.

فإنه ظاهر جدًا في أنه من أحوال الدنيا لا بعد البعث ومن أين للذين يبعثون حفاة عراة حدائق يدفعونها في الشوارف، ومال الحليمي وغيره إلى أن هذا الحشر يكون عند الخروج من القبور، وجزم به الغزالي والتوربشتي وقرره بما يطول ذكره. انتهى كلام المصنف وعلى ما جزموا به يؤول في قوله: يلقي الله الآفة بأن المراد يعدمها يوم القيامة فلا يجدون ظهرًا، وأما قوله حتى أن الرجل... الخ.

فمعناه يود لو كانت له حديقة فيعطي... الخ على نحو قوله تعالى: ﴿يود المجرم﴾ [المعارج/ ١١]، وغير ذلك وليس التجوز في هذا بأبعد من التجوز في صرف يوم القيامة عن ظاهره، فإن بين النفختين أربعين سنة ولا يذهبون إلى الحشر قبل النخفة الأولى، بل إذا وقعت مات كل حي مكانه، ثم إذا نفخ فيه الثانية قاموا من قبورهم ذاهبين إلى محل الحشر، وأي

وفي حديث سهل بن سعد مرفوعًا: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة النقى ليس فيها علم لأحد» رواه الشخان.

مجاز يصح في قوله وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم، فإن الملائكة لا تفعل ذلك في الدنيا بالكفار.

(وفي حديث سهل بن سعد مرفوعًا: يحشر) بضم التحتية مبنيًا للمفعول **(الناس)** أي يحشرهم اللّٰه تعالى **(يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء)** بفتح المهملة وإسكان الفاء والمد ليس بياضها بالناصع، قاله الخطابي، وقال عياض: تضرب إلى حمرة قليلاً ومنه سمي عفر الأرض وهو وجهها، وقال ابن فارس: عفراء خالصة البياض والداودي شديدة البياض، قاله الحافظ والأول المعتمد **(كقرصة)** أي خبز **(النقي)** بفتح النون وكسر القاف، أي الدقيق النقي من القشر والنخال، قاله الخطابي **(ليس فيها علم لأحد)** بفتحتين لفظ مسلم، وفي البخاري: معلم بفتح الميم واللام بينهما مهملة ساكنة وهما بمعنى واحد، وهو ما يستدل به على الطريق، وقال عياض: ليس فيها علامة سكنى ولا بناء ولا أثر ولا شيء من العلامات التي يهتدي بها في الطرقات كالجبل والصخرة البارزة وفيه تعريض بأن أرض الدنيا ذهبت وانقطعت العلاقة منها، وقال الداودي: المراد أنه لا يجوز أحد منها شيئًا إلا ما أدرك منها، أي من المشي عليها والأكل منها كما في الصحيحين عن أبي سعيد مرفوعًا: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة» الحديث.

قال الداودي: النزل هنا ما يعجل للضيف قبل الطعام، أي: أنه يأكل منها في الوقف من يصير إلى الجنة لا أنهم يأكلون حين يدخلونها، وكذا قال ابن برجان: يأكل المؤمن من بين رجليه ويشرب من الحوض.

قال الحافظ: يستفاد منه أن المؤمنين لا يعاقبون بالجوع في طول الموقف، بل يقلب اللّٰه بقدرته طبع الأرض حتى يأكلوا منها من تحت أقدامهم ما شاء اللّٰه بغير علاج ولا كلفة، ويؤيد أن هذا مراد الحديث.

ما أخرجه ابن جرير عن سعيد بن جبير، قال: تكون الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير، والبيهقي عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ [إبراهيم/ ٤٨]، قال: تبدل الأرض أرضًا كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام ولم يعمل عليها خطيئة ورجاله رجال الصحيح، وهو موقوف، ورواه البيهقي من وجه آخر مرفوعًا وقال الموقوف أصح، ولابن جرير عن أنس مرفوعًا: يبدل اللّٰه الأرض بأرض من فضة لم يعمل عليها الخطايا، والحكمة في ذلك؛ كما قال ابن أبي جمرة: إن

وفي حديث عقبة بن عامر ـ عند الحاكم ـ رفعه: «تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس، فمنهم من يبلغ نصف ساقه، ومنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من يبلغ فخذه، ومنهم من يبلغ خاصرته، ومنهم من يبلغ منكبيه، ومنهم من يبلغ فاه» وأشار بيده ألجمها فاه، «ومنهم من يغطيه عرقه»، وضرب بيده على رأسه.

وله شاهد عند مسلم، من حديث المقداد بن الأسود، وليس بتمامه، وفيه: «تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق».

وهذا ظاهر في أنهم يستوون في وصول العرق إليهم ويتفاوتون في حصوله

ذلك اليوم يوم عدل وظهور حق، فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك طاهرًا عن عمل المعصية والظلم، وليكون تجليه سبحانه وتعالىٰ على عباده المؤمنين على أرض تليق بعظمته، ولأن الحكم فيه إنما يكون للّه وحده، فناسب أن يكون المحل خالصًا له وحده.

(**رواه الشيخان**) البخاري في الرقاق ومسلم في التوبة (**وفي حديث عقبة بن عامر عند الحاكم رفعه: تدنو:**) تقرب (**الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق**) بفتح الراء (**الناس، فمنهم من يبلغ**) عرقه (**نصف ساقه، ومنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من يبلغ فخذه، ومنهم من يبلغ خاصرته، ومنهم من يبلغ منكبيه:**) بفتح الميم وكسر الكاف مجتمع رأس العضد والكتف (**ومنهم من يبلغ فاه، وأشار بيده ألجمها فاه**) تفسير لما أشار به، أي: أنه جعل يده في فمه كما يجعل اللجام في الفم إشارة إلى أن العرق يصل إلى فمه (**ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده**) أي جعلها (**على رأسه وله شاهد عند مسلم من حديث المقداد بن الأسود وليس بتمامه، وفيه:**) وهو أوله من طريق سليم بن عامر، قال: حدثني المقداد بن الأسود، قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: (**تدنو**) أي تقرب (**الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل**) قال سليم بن عامر: فواللّه ما أدري ما يعني بالميل، أمسافة الأرض أم الميل الذي تكحل به العين، هكذا في مسلم، قال القرطبي: الميل مشترك بينهما، ولهذا أشكل الأمر على سليم والأولى به هنا مسافة الأرض، لأنها إذا كان بينها وبين الرؤوس مقدار المرود فهي متصلة بالرؤوس لقلة مقدار المرود. انتهى.

قال: (**فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق**) فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم، من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا.

قال: وأشار رسول اللّه ﷺ بيده إلى فيه، هذا بقية حديث مسلم بلفظه: وبه تعلم ما زاد عليه في حديث عقبة (**وهذا ظاهر في أنهم يستوون في وصول العرق إليهم**) كلهم إلاَّ

فيهم.

فإن قلت: الشمس محلها السماء، وقد قال الله تعالى: ﴿**يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب**﴾ [الأنبياء/١٠٤] والألف واللام في «السماء» للجنس، بدليل ﴿**والسمٰوات مطويات بيمينه**﴾ [الزمر/٦٧] فما طريق الجمع؟

فالجواب: يجوز أن تقام بنفسها دانية من الناس في المحشر ليقوى هوله وكربه، عافانا الله من كل مكروه.

وقال ابن أبي جمرة: ظاهر الحديث يقتضي تعميم الناس بذلك، ولكن دلت الأحاديث الأخرى على أنه مخصوص بالبعض وهم الأكثر، ويستثنى الأنبياء والشهداء ومن شاء الله، فأشدهم الكفار، ثم أصحاب الكبائر ثم من بعدهم.

الأنبياء والشهداء ومن شاء اللّه كما يأتي (**ويتفاوتون في حصوله فيهم**).

وأورد القرطبي في المفهم أن العرق للزحام ودنو الشمس وحر الأنفاس وحر النار التي تحدق بالمحشر فترشح رطوبة بدن كل أحد فيلزم أن يسبح الجميع فيه سبحًا واحدًا ولا يتفاضلون في القدر، وأجاب بأنه يزول هذا الاستبعاد بأن يخلق اللّه تعالى في الأرض التي تحت كل واحد ارتفاعًا بقدر عمله فيرتفع العرق بقدر ذلك وجواب ثانٍ وهو أن يحشر الناس جماعات متفرقة فيحشر من بلغ كعبيه في جهة ومن بلغ حقويه في جهة وهكذا. انتهى.

(**فإن قلت الشمس محلها السماء، وقد قال اللّه تعالى: يوم نطوى السماء كطي السجل**) اسم ملك (**للكتب**) صحيفة ابن ءادم عند موته واللام زائدة، أو السجل الصحيفة والكتاب بمعنى المكتوب واللام بمعنى على وفي قراءة للكتب جمعًا، وقيل: السجل اسم كاتب للنبي ﷺ (**والألف واللام في السماء للجنس**) فيشمل السبع (**بدليل والسمٰوات مطويات**) مجموعات (**بيمينه**) بقدرته (**فما طريق الجمع، فالجواب: يجوز أن تقام**) أي: توجد الشمس (**بنفسها**) بلا سماء تكون فيها (**دانية من الناس في المحشر ليقوى هوله وكربه، عافانا اللّه من كل مكروه**).

(**وقال ابن أبي جمرة**) بجيم وراء (**ظاهر الحديث يقتضي تعميم الناس بذلك**) أي: العرق (**ولكن دلت الأحاديث الأخرى على أنه مخصوص بالبعض وهم الأكثر ويستثنى الأنبياء والشهداء ومن شاء اللّه**) من غيرهم، كالذين في ظل العرش (**فأشدهم الكفار، ثم أصحاب الكبائر، ثم من بعدهم**) والمسلمون منهم قليل بالنسبة إلى الكفار، هذا باقي قول ابن أبي جمرة.

وأخرج أبو يعلى، وصححه ابن حبان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ﴿**يوم يقوم الناس لرب العالمين**﴾ [المطففين/٦] قال: «مقداره نصف يوم من خمسين ألف سنة، فيهون على المؤمنين كتدلي الشمس إلى أن تغرب». وأخرج أحمد وابن حبان نحوه من حديث أبي سعيد.

وللبيهقي في البعث عن أبي هريرة: «يحشر الناس قيامًا أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء، فيلجمهم العرق من شدة الكرب».

وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عنه ﷺ: «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا، ويلجمهم العرق حتى يبلغ آذانهم».

(**وأخرج أبو يعلى وصححه ابن حبان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ**) في تفسير قوله تعالى: (**يوم**) بدل من محل ليوم عظيم فناصبه مبعوثون (**يقوم الناس**) من قبورهم (**لرب العالمين**) الخلائق لأجل أمره وحسابه وجزائه (**قال: مقداره**) أي: مدته (**قدر نصف يوم من خمسين ألف سنة**) حقيقة على ظاهره أو لشدته على الكفار، أو لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات (**فيهون على المؤمنين كتدلي الشمس**) للغروب (**إلى أن تغرب**) كناية عن قصره جدًا.

(**وأخرج أحمد وابن حبان نحوه من حديث أبي سعيد**) الخدري، وروى البيهقي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ [السجدة/ ٥]، قال: هذا في الدنيا تعرج الملائكة في يوم مقداره ألف سنة، وقوله: في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، قال: هذا يوم القيامة جعله اللّه على الكافر مقدار خمسين ألف سنة، لو قدرتموه لكان خمسين ألف سنة من أيامكم.

(**وللبيهقي في البعث عن أبي هريرة: يحشر الناس قيامًا أربعين سنة شاخصة:**) رافعة (**أبصارهم إلى السماء**) أي: إلى جهة العلو (**فيلجمهم العرق من شدة الكرب**) الذي غشاهم.

(**وفي البخاري**) في الرقاق ومسلم في صفة النار (**من حديث أبي هريرة، عنه ﷺ**) قال: (**يعرق**) بفتح الراء (**الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم:**) يجري سائحًا (**في**) وجه (**الأرض**) ثم يغوص فيها (**سبعين ذراعًا**) بالذراع المتعارف أو الملكي، وللإسمعيلي سبعين باعًا (**ويلجمهم**) بضم التحتية وسكون اللام وكسر الجيم من ألجمه الماء إذا بلغ فاه (**العرق حتى يبلغ آذانهم**) ظاهره استواؤهم في وصول العرق إلى الآذان وهو مشكل بالنظر إلى العادة أن الواقفين في ماء على أرض مستوية يتفاوتون في ذلك بالنظر إلى طول بعضهم وقصر بعضهم.

وعند البيهقي من حديث ابن مسعود: إذا حشر الناس قاموا أربعين عامًا شاخصة أبصارهم إلى السماء، لا يكلمهم، والشمس على رؤوسهم حتى يلجم العرق كل بر منهم وفاجر.

وفي حديث أبي سعيد، عند أحمد، أنه يخفف الوقوف عن المؤمن حتى يكون كصلاة [فريضة] مكتوبة، وسنده حسن.

وللطبراني من حديث ابن عمر: ويكون ذلك اليوم أقصر على المؤمن من ساعة من نهار.

وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاصي: أن الذي يلجمه العرق الكافر، أخرجه البيهقي في البعث بسند حسن عنه قال: «يشتد كرب الناس ذلك اليوم

وأجيب بأنه إشارة إلى غاية ما يصل، ولا ينفي أن يصل إلى دون ذلك كما مر في حديثي عقبة والمقداد **(وعند البيهقي من حديث ابن مسعود: إذا حشر الناس قاموا أربعين عامًا شاخصة أبصارهم إلى السماء)** أي: جهة العلو **(لا يكلمهم)** شخوص أبصارهم، بمعنى: لا يتركون الشخوص هذه المدة **(والشمس على رؤوسهم)** أي: قريبة منها بدليل الحديث السابق: تدنو الشمس **(حتى يلجم العرق كل بر منهم وفاجر)** أما أن يحمل هذا على البعض فلا يخالف حديثي عقبة والمقداد، وأما أنه يجوز أن أصل العرق يقع لجميع الناس كرشحه في الدنيا ولو على ما مر بحسب الأعمال.

(وفي حديث أبي سعيد عند أحمد أنه يخفف الوقوف) أي: هوله **(عن المؤمن حتى يكون كصلاة مكتوبة)** ثلاثية أو رباعية أو ثنائية **(وسنده حسن)** وهو بشرى عظيمة، ولفظه عند أحمد وأبي يعلى وابن حبان والبيهقي عن أبي سعيد، قال: سئل ﷺ عن يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم؟، فقال: والذي نفسي بيده أنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا.

(وللطبراني من حديث ابن عمر) بن الخطاب: **(ويكون ذلك اليوم على المؤمن أقصر من ساعة من نهار)** وللحاكم والبيهقي عن أبي هريرة مرفوعًا وموقوفًا: «يوم القيامة على المؤمنين كمقدار ما بين الظهر والعصر وطريق الجمع بين الأحاديث؛ أن ذلك يختلف باختلاف المؤمنين **(وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاصي» أن الذي يلجمه العرق الكافر»)**.

(أخرجه البيهقي في البعث بسند حسن، عنه قال): ذكر لفظه بعد أن ساق معناه، فقال: **(يشتد كرب الناس ذلك اليوم حتى يلجم)** من ألجم **(الكافر)** بالنصب **(العرق، قيل له: فأين**

حتى يلجم الكافر العرق»، قيل له: فأين المؤمنون؟ قال: «على كراسي من ذهب ويظلل عليهم الغمام».

وبسند قوي عن أبي موسى قال: «الشمس فوق رؤوس الناس يوم القيامة، وأعمالهم تظلهم».

وأخرج ابن المبارك في «الزهد» وابن أبي شيبة في «المصنف» واللفظ له، بسند جيد عن سلمان قال: «تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين، ثم تدنو من جماجم الرأس حتى تكون قاب قوسين، فيعرقون حتى يرشح العرق في الأرض قامة، ثم يرتفع حتى يغرغر الرجل». زاد ابن المبارك في روايته: «ولا يضر حرها يومئذ مؤمنًا ولا مؤمنة».

قال القرطبي: المراد من يكون كامل الإيمان كما يدل عليه حديث المقداد وغيره: أنهم يتفاوتون في ذلك بحسب أعمالهم.

وفي رواية عند أبي يعلى، وصححها ابن حبان: «إن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة حتى يقول: يا رب، أرحني ولو إلى النار».

وهو كالصريح في أن ذلك كله في الموقف.

المؤمنون؟، قال: على كراسي) بشد الياء، وقد تخفف جمع كرسي بضم الكاف أشهر من كسرها **(من ذهب ويظلل عليهم الغمام)** فلا يجدون حرًا فلا يعرقون، وهذا البعض المؤمنين.

(و) عند البيهقي أيضًا **(بسند قوي عن أبي موسى)** الأشعري **(قال: الشمس فوق رؤوس الناس يوم القيامة وأعمالهم تظلهم، وأخرج)** عبد الله **(بن المبارك)** المروزي **(في)** كتاب **(الزهد)** له **(وابن أبي شيبة في المصنف، واللفظ له بسند جيد عن سلمان)** الفارسي **(قال: تعطي الشمس يوم القيامة حر عشر سنين وتدنو:)** تقرب **(من جماجم الناس)** بمقدار ميل **(حتى تكون قاب قوسين فيعرقون حتى يرشح العرق في الأرض قامة، ثم يرتفع)** يعلو **(حتى يغرغر الرجل).**

(زاد ابن المبارك في روايته: ولا يضر حرها يومئذٍ مؤمنًا ولا مؤمنة، قال القرطبي: المراد من يكون كامل الإيمان كما يدل عليه حديث المقداد وغيره) كعقبة **(أنهم يتفاوتون في ذلك بحسب أعمالهم).**

(وفي رواية عند أبي يعلى وصححها ابن حبان) وغيره **(إن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة حتى يقول: يا رب أرحني ولو إلى النار)** من شدة كربه **(وهو كالصريح في أن ذلك**

ومن تأمل الحالة المذكورة، عرف عظيم الهول فيها، وذلك أن النار تحف بأرض الموقف، وتدنو الشمس من الرؤوس قدر ميل، فكيف تكون حرارة تلك الأرض، وماذا يرونه من العرق مع أن كل أحد لا يجد إلا قدر موضع قدميه، فكيف يكون حال هؤلاء في عرقهم مع تنوعهم فيه.

إن هذا لما يبهر العقول، ويدل على عظيم القدرة، ويقتضي بالإيمان بأمور الآخرة، وأن ليس للعقل فيه مجال، ولا يُعترض على ذلك بعقل ولا قياس ولا عادة، وإنما يؤخذ بالقبول.

فتأمل ـ رحمك الله ـ شدة هذا الازدحام والانضمام والاتساق والالتصاق، واجتماع الإنس والجان، ومن يجمع معهم من سائر أصناف الحيوان، وانضغاطهم وتدافعهم واختلاطهم، وقرب الشمس منهم، وما يزاد في حرها، ويضاعف في وهجها، ولا ظل إلا ظل عرش ربك بما قدمته، مع ما انضاف إلى ذلك من حر البأس، لتزاحم الناس واحتراق القلوب، لما غشيها من الكروب.

كله في الموقف، ومن تأمل الحالة المذكورة عرف عظم الهول:) المخافة من الأمر، لا يدري ما هجم عليه منه كما في القاموس وفي ذلك الشدة الزائدة **(فيها، وذلك أن النار تحف:)** تحيط **(بأرض الموقف وتدنو الشمس من الرؤوس قدر ميل، فكيف تكون حرارة تلك الأرض وماذا يرونه من العرق مع أن كل أحد لا يجد إلاَّ قدر موضع قدميه، فكيف يكون حال هؤلاء في عرقهم مع تنوعهم فيه أن هذا لـمـا)** أي: من الأشياء التي، وفي نسخ لما بفتح اللام وخفة الميم **(يبهر)** بفتح الهاء يغلب **(العقول ويدل على عظيم القدرة ويقتضي الإيمان بأمور الآخرة، وأن ليس للعقل فيه مجال)** مدخل **(ولا يعترض على ذلك بعقل ولا قياس)** لعدم الجامع **(ولا عادة، وإنما يؤخذ بالقبول، فتأمل رحمك الله شدة هذا الازدحام)** الضيق **(والانضمام)** الاجتماع **(والاتساق)** الانتظام **(والالتصاق)** بالصاد وبالزاي وبالسين لغات معناها الاجتماع بالجنب والألفاظ الأربعة متغايرة بالاعتبار أو متساوية **(واجتماع الإنس والجان ومن يجمع معهم من سائر أصناف الحيوان وانضغاطهم)** بضاد وغير معجمتين، أي: انعصارهم **(وتدافعهم واختلاطهم وقرب الشمس منهم وما يزاد في حرها ويضاعف)** يزاد **(في وهجها)** توقدها وحرها **(ولا ظل إلاَّ ظل عرش ربك بما قدمته)** من عمل تجازى عليه بالظل **(مع ما انضاف)** انضم **(إلى ذلك من حر البأس)** بموحدة الشدة **(لتزاحم الناس واحتراق القلوب لما غشيها من الكروب، ولا ريب أن هذا موجب لحصول العطش في ذلك اليوم وكثرة**

ولا ريب أن هذا موجب لحصول العطش في ذلك اليوم، وكثرة الالتهاب، والماء ثم أعز موجود، وأعظم مفقود، فلا منهل مورود إلا حوض صاحب المقام المحمود ﷺ وزاده فضلاً وشرفًا لديه، ولا مشرب لأمته سواه، ولا تبرد أكبادهم إلا به، فالشربة منه كما ورد تروي الظمأ، وتشفي من الصدى، وتذهب بكل داء فلا يظمأ شاربها ولا يسقم بعدها أبدًا.

وفي حديث أنس عند البزار: من شرب منه ـ أي من الحوض ـ شربة لم يظمأ أبدًا، ومن لم يشرب منه لم يرو أبدًا، وزاد في حديث أبي أمامة عند أحمد وابن حبان: ولم يسود وجهه أبدًا.

وفي حديث ثوبان عند الترمذي وصححه الحاكم: أكثر الناس عليه ورودًا فقراء المهاجرين.

الالتهاب والماء، ثم) بالفتح والتشديد هناك **(أعز موجود وأعظم مفقود، فلا منهل مورود إلاّ حوض صاحب المقام المحمود)** مقام الشفاعة، ويأتي للمصنف (ﷺ: **وزاده فضلاً وشرفًا) لديه ولا مشرب لأمته سواه ولا يبرد أكبادهم إلاّ إياه)**.

كذا في نسخ، وهي المناسبة للسجع لا نسخة إلاّ به **(فالشربة منه تروي الظمأ:)** العطش **(وتشفي من الصدى)** العطش، فحسنه اختلاف اللفظ **(وتذهب بكل داء فلا يظمأ شاربها ولا يشكو)** وفي نسخة: ولا يسقم **(بعدها أبدًا)** فهي ري وشفاء.

(ففي حديث أنس عند البزار) والطبراني في الأوسط قال: قال رسول الله ﷺ: حوضي من كذا إلى كذا فيه من الآنية عدد النجوم أطيب ريحًا من المسك وأحلى من العسل وأبيض من اللبن **(من شرب منه، أي: من الحوض شربة لم يظمأ أبدًا، ومن لم يشرب منه لم يروَ أبدًا)**.

(وزاد في حديث أبي أمامة عند أحمد وابن حبان) والبيهقي عن أبي أمامة الباهلي أن يزيد بن الأخنس قال: يا رسول الله ما سعة حوضك؟، قال: ما بين عدن إلى عمان وأن فيه مثعبين من ذهب وفضة، قال: فماء حوضك؟، قال: أشد بياضًا من اللبن وأحلى مذاقة من العسل وأطيب رائحة من المسك، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا **(ولم يسود وجهه أبدًا)** والمثعب: بفتح الميم والعين المهملة بينهما مثلثة ساكنة وآخره موحدة مسيل الماء.

(وفي حديث ثوبان عند الترمذي وصححه الحاكم: أكثر الناس عليه ورودًا فقراء المهاجرين) وجاء بلفظ: أول عند مسلم وأحمد والترمذي وابن ماجه عن ثوبان: سمعت

وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي، عند الشيخين: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، ورائحته أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء،

رسول الله ﷺ يقول: «حوضي من عدن إلى عمان ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل وأكاويبه عدد النجوم، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، أول الناس ورودًا عليه فقراء المهاجرين»، فقال عمر بن الخطاب: من هم يا رسول الله؟، قال: «هم الشعث رؤوساً، الدنس ثيابًا، الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم السدد» يعني أبواب السلاطين.

ووقع في حديث النواس بن سمعان عند ابن أبي الدنيا: أول من يرد عليه من يسقي كل عطشان ولا خلف، فهذا بتقدير من أي، من أول من يرد عليه من كان في الدنيا يسقي كل عطشان، أو المراد الأول بعد فقراء المهاجرين.

(وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي عند الشيخين) قال: قال النبي ﷺ **(حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن)** قال المازري: مقتضى كلام النحاة أن يقال: أشد بياضًا ولا يقال أبيض، ومنهم من أجازه في الشعر، ومنهم من أجازه بقلة، ويشهد له هذا الحديث وغيره، قال الحافظ: ويحتمل أنه من تصرف الرواة، ففي مسلم عن أبي ذر، وأحمد عن ابن مسعود، وابن أبي عاصم عن أبي أمامة، كلهم بلفظ: أشد بياضًا من اللبن. انتهى.

وقال المصنف: فيه حجة للكوفيين على إجازة أفعل التفضيل من اللون، وقال البصريون: لا يصاغ منه ولا من الثلاثي، فقيل: لأن اللون الأصل أن أفعاله زائدة على ثلاثة، وقيل: لأنه خلق ثابت في العادة، وإنما يتعجب مما يقبل الزيادة والنقصان، فجرت لذلك مجرى الأجسام الثابتة على حال واحدة، قالوا: وإنما يتوصل إلى التفضيل وفيما زاد على الثلاثي بأفعل مصوغًا من فعل دال على مطلق الرجحان والزيادة نحو أكبر وأزيد وأرجح وأشد، قال الجوهري: تقول هذا أشد بياضًا من كذا، ولا تقل أبيض منه وأهل الكوفة يقولونه ويحتجون بقول الراجز:

جارية في درعها الفضفاض أبيض من أخت بني أباض

قال المبرد: ليس البيت الشاذ بحجة على الأصل المجمع عليه، وأما قول طرفة:

إذا الرجال شتوا واشتد أكلهم فأنت أبيضهم سربال طباخ

فيحتمل أن لا يكون بمعنى أفعل الذي تصحبه من للمفاضلة، وإنما هو بمنزلة قولك: هو أحسنهم وجهًا وأكرمهم أبا تريد حسنهم وجهًا وكريمهم أبًا، فكأنه قال: فأنت مبيضهم سربالاً، فلما أضافه انتصب ما بعده على التمييز وجعل ابن لملك قوله أبيض من الشاذ، وقال النووي: هو لغة قليلة الاستعمال. انتهى.

قال الأبي: ليس في الحديث ولا الأبيات صيغة تعجب وإنما فيها صيغة أفعل لكنهما

من شرب منه شربة لا يظمأ أبدًا».

قال القرطبي في «التذكرة»: ذهب صاحب «القوت» وغيره إلى أن الحوض يكون بعد الصراط، وذهب آخرون إلى العكس، والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين، أحدهما في الموقف قبل الصراط، والآخر داخل الجنة، وكل منهما يسمى كوثرًا.

وتعقبه شيخ الحفاظ ابن حجر: بأن الكوثر نهر داخل الجنة، وماؤه يصب في الحوض، ويطلق على الحوض كوثرًا لكونه يمد منه. فغاية ما يؤخذ من كلام القرطبي أن الحوض يكون قبل الصراط لأن الناس يردون من الموقف عطاشًا، فيرد المؤمنون الحوض، ويتساقط الكفار في النار بعد أن يقولوا ربنا عطشنا، فترفع لهم

أخوان، فما جاز بناء أحدهما منه جاز بناء الآخر معه، وما امتنع امتنع **(وريحه أطيب)** ريحًا **(من المسك، وكيزانه كنجوم)** السماء) في الإشراق والكثرة، ففي حديث أنس في الصحيحين: فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء، ولأحمد عن أنس: أكثر من عدد نجوم السماء، قال عياض: كناية عن الكثرة كما قيل، فيقوله: وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون، وحديث: لا يضع العصا عن عاتقه، ومنه قولهم: كلمته في هذا ألف مرة وهو من المبالغة المعروفة لغة ولا يعد كذبًا، لكن شرط إباحته أن يكون المكني عنه بذلك كثيرًا في نفسه لا قليلاً، وتعقبه النووي بأن المختار والصواب حمله على ظاهره، لا سيما وقد أقسم ولا مانع شرعي ولا عقلي ولا نقلي يمنع منه، ورده الأبي بأنه يمنع منه إن ما يعم نجوم السماء من المساحة أكثر من مساحة الحوض **(من شرب منها)** أي: الكيزان، وللكشميهني منه، أي: الحوض **(لم يظمأ أبدًا)** فشربه بعد ذلك في الجنة إنما هو تنعم وتلذذ لا للظمأ.

(قال القرطبي في التذكرة: ذهب صاحب القوت) أي: كتاب قوت القلوب وهو أبو طالب المكي **(وغيره إلى أن الحوض يكون بعد الصراط، وذهب آخرون إلى العكس)** أي: المخالفة وهو أنه قبل الصراط **(والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين، أحدهما في الموقف قبل الصراط والآخر داخل الجنة وكل منهما يسمى كوثرًا وتعقبه الشيخ ابن حجر)** الحافظ أحمد العسقلاني **(بأن الكوثر نهر لا حوض)** داخل الجنة وماؤه يصب في الحوض الذي في الموقف **(ويطلق على الحوض كوثر)** بالرفع نائب فاعل يطلق، وفي نسخة: بالنصب بتضمين يطلق، معنى: يسمى كوثرًا **(لكونه يمد منه، فغاية ما يؤخذ من كلام القرطبي أن الحوض يكون قبل الصراط)** لا أنهما حوضان **(لأن الناس يردون من الموقف عطاشًا، فيرد المؤمنون الحوض ويتساقط الكفار في النار بعد أن يقولوا: ربنا عطشنا فترفع لهم جهنم كأنها سراب)** شعاع

جهنم كأنها سراب فيقال ألا تردون، فيظنونها ماء فيتساقطون فيها.

وفي حديث أبي ذر مما رواه مسلم: «إن الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة» وهو حجة على القرطبي لا له، لأن الصراط جسر جهنم، وهو بين الموقف والجنة، والمؤمنون يمرون عليه لدخول الجنة، فلو كان الحوض دونه لحالت النار بينه وبين الماء الذي يصب من الكوثر في الحوض، وظاهر الحديث أن الحوض بجانب الجنة ليصب فيه الماء من النهر الذي داخلها.

وقال القاضي عياض: ظاهر قوله ﷺ: «من شرب منه لم يظمأ بعدها أبدًا» يدل على أن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار، لأن ظاهر حال من لا يظمأ أن لا يعذب بالنار، ولكن يحتمل أن من قدر عليه التعذيب منهم أن لا يعذب فيها بالظمأ بل بغيره.

يرى عند اشتداد الحر نصف النهار يشبه الماء (**فيقال: ألا تردون فيظنونها ماء فيتساقطون فيها**).

(**وفي حديث أبي ذر مما رواه مسلم: «إن الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة» وهو حجة على القرطبي**) في اختياره الهول بأنه قبل الصراط (**لا له، لأن الصراط جسر جهنم وهو بين الموقف والجنة والمؤمنون يمرون عليه لدخول الجنة، فلو كان الحوض دونه**) أي: قبل الصراط (**لحالت النار بينه وبين الماء الذي يصب من الكوثر في الحوض**) وهذا بناءً على العادة وأحوال القيامة لا تبنى عليها، فلا مانع أن ماء الكوثر يمر على الهواء حتى يصل إلى الحوض ولا تحول النار بينهما، ونظيره في الدنيا ما قيل: إن بين السماء والأرض بحرًا ومع ذلك فليس بحائل من رؤية السماء ولا نجومها.

(**وظاهر الحديث أن الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي**) هو، أو يكون (**داخلها**) وهو الكوثر (**وقال القاضي عياض: ظاهر قوله ﷺ: من شرب منه**) شربة (**لم يظمأ بعدها أبدًا يدل على أن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار، لأن ظاهر حال من لم يظمأ أن لا يعذب بالنار**) وظاهر هذا ترجيح أن الحوض بعد الصراط.

وقد قال الحافظ: رجحه عياض، قال: وأما ما أورد عليه من حديث أن جماعة يدفعون عن الحوض، فجوابه أنهم يقربون من الحوض بحيث يرونه ويردون فيدفعون في النار قبل أن يخصلوا من بقية الصراط (**ولكن يحتمل**) على القول بأنه قبل الصراط (**إن من قدر عليه التعذيب ومنهم أن لا يعذب فيها**) أي: النار (**بالظمأ، بل بغيره**) والله على كل شيءٍ قدير (**و**) جاء

وعن أنس قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: «أنا فاعل إن شاء الله»، قلت: فأين أطلبك؟ قال: «أول ما تطلبني على الصراط»، قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: «فاطلبني عند الميزان»، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطىء هذه الثلاثة مواطن». رواه الترمذي وقال: حسن غريب.

وفي حديث ابن مسعود عند أحمد: «ثم أوتي بكسوتي فألبسها فأقوم عن يمين العرش مقامًا لا يقومه أحد، فيغبطني به الأولون والآخرون». قال: «ويفتح لهم من الكوثر إلى الحوض». الحديث.

وقد بين في حديث ابن عمرو بن العاصي، عند البخاري، أن الحوض مسيرة شهر، وزاد في رواية مسلم من هذا الوجه: زواياه سواء طوله كعرضه. وهذه الزيادة

(بن أنس) ما يدل على أن الحوض بعد الصراط، فإنه (قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: أنا فاعل) أي: شافع لك (إن شاء الله، قلت: فأين أطلبك؟، قال: أول ما تطلبني على الصراط، قلت: فإن لم ألقك على الصراط، قال: فاطلبني عند الميزان، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان، قال: فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطىء) بضم الهمزة وكسر الطاء، أي: لا أتجاوز (هذه الثلاث مواطن) إلى غيرها، فظاهر هذا الحديث أن الحوض بعد الصراط وصنيع البخاري في إيراده لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة بعد نصب الصراط مشعر بذلك.

قال السيوطي: ويحتمل الجمع بأن يقع الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم ويتأخر بعده لآخرين بحسب ما عليهم من الذنوب حتى يذهبوا منها على الصراط ولعل هذا أقوى، قال: ثم رأيت في الزهد للإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة، قال: كأني أنظر إلينا صادرين عن الحوض للحساب فيلقى الرجل الرجل، فيقول: أشربت يا فلان؟، فيقول: لا واعطشاه.

(رواه الترمذي وقال: حسن غريب) من جهة تفرد راويه فيجامع الحسن.

(وفي حديث ابن مسعود عند أحمد: ثم أوتي بكسوتي فألبسها فأقوم عن يمين العرش مقامًا لا يقومه أحد) غيري (فيغبطني به الأولون والآخرون) وهذا عند القيام من القبر، وذكره لقوله: (قال: ويفتح لهم من الكوثر إلى الحوض الحديث) فإنه دال على أن الحوض يمد من الكوثر (وقد بين في حديث) عبد الله (بن عمرو بن العاصي عند البخاري) ومسلم كما قدمه قريبًا: (أن الحوض مسيرة شهر).

ـ كما قاله في فتح الباري ـ تدفع تأويل من جمع بين مختلف الأحاديث في تقدير مسافة الحوض على اختلاف العرض والطول.

وفي حديث أبي سعيد عند ابن ماجه رفعه: إن لي حوضًا ما بين الكعبة وبيت المقدس.

وفي حديث أبي برزة عند الطبراني وابن حبان في صحيحه: ما بين ناحيتي حوضي كما بين أيلة وصنعاء، مسيرة شهر عرضه كطوله.

وفي حديث أنس ـ عند الشيخين ـ كما بين صنعاء والمدينة.

(وزاد مسلم من هذا الوجه) أي: الطريق الذي أخرجه منه البخاري **(وزواياه)** أي أركانه **(سواء)** فهو مربع مستدير الأضلاع، لأن تساوي الزوايا يدل على تساوي الأضلاع.

قال بعضهم: وفيه دلالة على معرفته ﷺ بسائر العلوم، لأن هذا من علم الهندسة والتكسير والحساب، وهو كقوله في الآخر طوله وعرضه سواء، قاله عياض: قيل: كون زواياه سواء لا يدل على تساوي الأضلاع لولا قوله **(طوله كعرضه)**، وعلى ذلك فميسرة الشهر لكل من طوله وعرضه، قاله الأبي: **(وهذه الزيادة كما قاله في فتح الباري تدفع تأويل من جمع بين مختلف الأحاديث)** التالية **(في تقدير مسافة الحوض على اختلاف العرض والطول)** فمسافة شهر مثلاً محمولة على طوله وأنقص منه على عرضه.

(وفي حديث أبي سعيد عند ابن ماجه رفعه: أن لي حوضًا) طوله **(ما بين الكعبة وبيت المقدس، وفي حديث أبي برزة)** بفتح الموحدة والزاي بينهما راء ساكنة واسمه نضلة بفتح النون وسكون المعجمة ابن عبيد بضم العين **(عند الطبراني وابن حبان في صحيحه)** والحاكم وصححه والبيهقي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(ما بين ناحيتي حوضي كما بين أيلة وصنعاء)** بفتح المهملتين بينهما نون ساكنة ممدود **(مسيرة شهر عرضه كطوله)** فصرح بتساويهما، فلا يصح ذلك الجمع.

(وفي حديث أنس عند الشيخين) أنه ﷺ قال: إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، هكذا لفظ حديث أنس عند الشيخين: وليس فيهما عنه **(كما بين صنعاء والمدينة)** وأيلة بفتح الهمزة واللام بينهما تحتية ساكنة ثم هاء تأنيث مدينة كانت عامرة بطرف بحر القلزم من طرف الشام، وهي الآن خراب يمر بها الحاج من مصر فتكون من شمالهم، ويمر بها الحاج من غزة وغيرها فتكون أمامهم، واليها نسبت العقبة المشهورة عند أهل مصر، قال الحافظ: وبين أيلة والمدينة النبوية نحو شهر، يسير الأثقال إن اقتصروا كل يوم على

وفي حديث عتبة بن عبد السلمي عند ابن حبان في صحيحه كما بين صنعاء إلى بصرى.

وفي حديث أبي أمامة عند الطبراني: ما بين عدن وعُمان ـ بضم المهملة وتخفيف الميم ـ وقال ابن الأثير في النهاية في حديث الحوض: عرضه من مقامي إلى عمَّان ـ هي بفتح العين وتشديد الميم ـ مدينة قديمة بالشام من أرض البلقاء، فأما بالضم والتخفيف فهو صقع عند البحرين. انتهى.

مرحلة وإلاَّ فدون ذلك.

(**وفي حديث عتبة**) بضم المهملة وإسكان الفوقية (**ابن عبد**) بلا إضافة (**السلمي**) بضم السين (**عند ابن حبان في صحيحه**) والبيهقي، قال: قام أعرابي إلى رسول الله ﷺ، فقال: ما حوضك الذي تحدث عنه، فقال: هو كـ (**ما بين صنعاء إلى بصرى**) بضم الموحدة وسكون المهملة بلد معروف بطرف الشام من جهة الحجاز.

(**وفي حديث أبي أمامة عند الطبراني**) مرفوعًا: حوضي كـ (**ما بين عدن**) بفتح المهملتين ونون بلد باليمن (**وعمان بضم المهملة وتخفيف الميم**) بلد على ساحل البحر من جهة البحرين.

(**وقال ابن الأثير في النهاية: في حديث الحوض عرضه من مقامي**) محل إقامتي المدينة (**إلى عمان، هي بفتح العين وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام من أرض البلقاء**) بفتح الموحدة وسكون اللام فقاف وبالمد بلدة معروفة من فلسطين يقول فيها القائل:

في وجهه خالان لولاهما ما بت مفتونا بعمان

(**فأما بالضم والتخفيف فهو صقع**) بضم المهملة وإسكان القاف، أي: ناحية (**عند البحرين**) بلفظ: تثنية بحر اسم لموضع (**انتهى**).

وفي الصحيحين عن ابن عمر مرفوعًا: أمامكم حوضي كما بين جربا وأذرح بفتح الجيم والموحدة بينهما راء ساكنة والقصر.

قال عياض: جاءت في البخاري ممدودة، وقال الشريف اليونيني: رأيته في أصل مقروء من رواية الحافظ أبي ذر والأصيلي بالقصر، وصوبه النووي، وقال المد: خطأ، لكن يؤيده قول أبي عبيد البكري تأنيث أجرب وأذرح بفتح الهمزة وسكون المعجمة وضم الراء وحاء مهملة عند الجمهور، وللعذري في مسلم بالجيم، قال عياض: وهو وهم قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليالٍ، قاله ابن الأثير وغلطه الصلاح العلائي، بل بينهما غلوة سهم وهما معروفتان بين القدس

وهذه المسافات كلها متقاربة، وظن بعضهم أنه وقع اضطراب في ذلك، وليس كذلك.

وأجاب النووي عن ذلك: بأنه ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة، فالأكثر ثابت بالحديث الصحيح فلا معارضة.

وحاصله يشير إلى أنه أخبر أولاً بالمسافة اليسيرة ثم أُعلم بالمسافة الطويلة فأخبر بما كان الله تفضل عليه باتساعه شيئًا بعد شيء، فيكون الاعتماد على أطولها مسافة.

فإن قلت: هل لكل نبي من الأنبياء غير نبينا ﷺ حوض هناك يقوم عليه

والكرك، ولا يصح التقدير بالثلاث لمخالفة الروايات، لا سيما. وقد قال الحافظ: الضياء المقدسي أن في سياق لفظها غلطًا لاختصار وقع من بعض الرواة، ثم ساقه بسند حسن عن أبي هريرة مرفوعًا: فقال فيه عرضه مثل ما بينكم وبين جربا وأذرح.

قال الضياء: فظهر بهذا أنه وقع في حديث ابن عمر حذف تقديره كما بين مقامي وبين جربا وأذرح فسقط مقامي وبين.

قال العلائي: ثبت المقدر المحذوف عند الدارقطني وغيره بلفظ: ما بين المدينة وجربا وأذرح (**وهذه المسافات كلها متقاربة**) ترجع إلى شهر أو تزيد عليه قليلاً أو تنقص قليلاً (**وظن بعضهم؛ أنه وقع اضطراب في ذلك وليس كذلك**) إذ ليس ذلك في حديث واحد حتى يكون اضطرابًا، وإنما هو في أحاديث مختلفة عن غير واحد من الصحابة سمعوه في مواطن، فروى كل واحد منهم ما سمع، واختلاف عبارته ﷺ إنما هو بحسب ما سنح له من العبارة تقريبًا للإفهام، فذكر ما بين كل بلدين من البعد لا على التقدير المحقق لما بينهما، بل إعلام وكناية عن السعة، قاله عياض: وهو جواب حسن.

(**وأجاب النووي عن ذلك**) بجواب آخر وكلاهما حسن (**بأنه ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة فالأكثر ثابت بالحديث الصحيح. فلا معارضة**) لأن الأقل داخل في الأكثر (**وحاصله يشير إلى أنه أخبر**) بالبناء للمفعول (**أولاً بالمسافة اليسيرة، ثم أعلم**) بالبناء للمفعول أيضًا: أي أخبره وأعلمه اللّه (**بالمسافة الطويلة، فأخبر**) ﷺ (**بما كان تفضل اللّه عليه باتساعه شيئًا بعد شيء، فيكون الاعتماد على ما يدل على أطولها مسافة**).

قال المصنف: ومنهم من حمله على السير المسرع والبطيء، لكن في حمله على أقلها وهو الثلاث نظر، إذ هو عسر جدًا، لا سيما مع ما سبق واللّه الموفق.

(**فإن قلت: هل لكل نبي من الأنبياء غير نبينا ﷺ حوض هناك**) في الموقف (**يقوم**

كنبينا؟

فالجواب: أنه اشتهر اختصاص نبينا ﷺ بالحوض. قال القرطبي في «المفهم» مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به، أنه تعالى قد خص نبيه محمدًا ﷺ بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي، إذ روى ذلك عنه ﷺ من الصحابة نيف على الثلاثين، منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين، وفي غيرهما بقية ذلك، كما صح نقله واشتهرت رواته، ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين أمثالهم، ومن بعدهم أضعاف أضعافهم وهلم جرًا، واجتمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف. انتهى.

لكن أخرج الترمذي من حديث سمرة رفعه: «إن لكل نبي حوضًا» وأشار

عليه كنبينا؟، فالجواب أنه اشتهر اختصاص نبينا عليه السلام بالحوض).

(قال القرطبي في المفهم: مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله تعالى قد خص نبيه محمدًا ﷺ بالحوض المصرح باسمه، وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي).

قال الأبي: ظاهره أن الإيمان به من قواعد العقائد التي يجب تقريرها لمن أسلم، ولم يذكر ذلك الموثوق بهم في تقريره ذلك لمن أسلم **(إذ روي ذلك عنه ﷺ من الصحابة نيف على الثلاثين منهم في الصحيحين ما يزيد على العشرين)** ففي البخاري: تسعة عشر، وفي مسلم: سبعة عشر، لكنهما اتفقا على أكثرها، فلذا كان ما فيهما يزيد على عشرين **(وفي غيرهما: بقية ذلك)** الزائد على ثلاثين، وقد أوصلهم الحافظ إلى ست وخمسين، والسيوطي في البدور إلى ثمانٍ وخمسين ذاكرًا لفظ كل واحد.

(كما صح نقله واشتهرت رواته) وأحاديثهم بعضها في مطلق ذكر الحوض وبعضها في صفته وبعضها فيمن يرد عليه وبعضها فيمن يدفع عنه، وبلغني أن بعض المتأخرين أوصلها إلى ثمانين صحابيًا، قاله الحافظ **(ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين أمثالهم ومن بعدهم أضعاف أضعافهم وهلم جرا)** إشارة إلى أن تواتره من أوله إلى آخره **(واجتمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف. انتهى).**

لكن أخرج الترمذي من حديث سمرة) بن جندب **(رفعه: إن لكل نبي حوضًا)** على قدر رتبته وأمته، والمتبادر أنه حوض حقيقي، وجوز الطيبي حمله على المجاز ويراد به العلم

إلى أنه اختلف في وصله وإرساله، وأن المرسل أصح، والمرسل أخرجه ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي حوضًا، وهو قائم على حوضه بيده عصا يدعو من عرف من أمته، ألا وإنهم يتباهون أيهم أكثر تبعًا، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم تبعًا».

وأخرجه الطبراني من وجه آخر عن سمرة موصولاً مرفوعًا مثله، وفي سنده لين.

والهدى ونحوه. انتهى وفيه نظر.

وقال الحكيم الترمذي: الحياض يوم القيامة للرسل لكل على قدره وقدر تبعه وهو شيء يلطف الله به عباده، فإنهم تخلصوا من مرارة الموت وطالت مدتهم في اللحد ورأوا أو الهول العظيم وغوث الله للموحدين مترادف أغاثهم يوم ﴿ألست بربكم﴾ فأثبت أسماءهم بالولاية ونقلهم في الأصلاب حتى آواهم إلى آخر قالب، ثم أنزلهم إلى الدنيا فرباهم وهداهم وكلأهم وختم لهم بما ابتلاهم به من الموت المر وحبسهم مع البلاء الطويل، ثم أنشرهم إلى موقف عظيم، فمن غوثه أن جعل الرسول الذي أجابه فرطًا قد هيأ لهم مشربًا يروى منه فلا يظمأ بعدها أبدًا. انتهى.

وبقية هذا الحديث في الترمذي وأنهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة (**وأشار**) الترمذي (**إلى أنه اختلف**) أي اختلفت رواته (**في وصله وإرساله وأن المرسل**) أي رواية من أرسله (**أصح**) من رواية من وصله (**والمرسل**).

(**أخرجه ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن الحسن**) البصري (**قال: قال رسول الله ﷺ أن لكل نبي حوضًا وهو قائم على حوضه**) ظاهره حتى صالح، وقال البكري المعروف بابن الواسطي: إلا صالحًا فإن حوضه ضرع ناقته.

قال القرطبي: ولم أقف على ما يدل عليه أو يشهد له (**بيده عصا يدعو من عرف من أمته**) ظاهره أن المراد بالأنبياء الرسل الذين لهم شرائع وأمم، وبه صرح الحكيم كما علم ويحتمل عمومه وإن لم يكن رسولاً على ظاهر قوله: نبي ويكون الدعاء والتباهي للرسل ولا مانع من ذلك (**ألا**) بالفتح والتخفيف (**وأنهم يتباهون أيهم أكثر تبعًا، ألا وإني لأرجو**) ورجاؤه محقق الوقوع (**أن أكون أكثرهم تبعًا**).

وفي رواية الترمذي: واردة كما مر، أي: أمة واردة على الحوض، ولابن أبي عاصم عن أبي أمامة مرفوعًا: أن الأنبياء مكاثرون يوم القيامة فلا تخزوني، فإني جالس لكم على الحوض.

(**وأخرجه الطبراني من وجه**) أي: طريق (**آخر عن سمرة موصولاً مرفوعًا مثله وفي سنده لين**) أي: ضعف محتمل (**وأخرجه ابن أبي الدنيا من حديث أبي سعيد رفعه: كل نبي**

وأخرج ابن أبي الدنيا أيضًا من حديث أبي سعيد رفعه: «وكل نبي يدعو أمته، ولكل نبي حوض، فمنهم من يأتيه الفئام، ومنهم من يأتيه العصبة، ومنهم من يأتيه الواحد، ومنهم من يأتيه الاثنان، ومنهم من لا يأتيه أحد، وإني لأكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة»، وفي إسناده لين.

فإن ثبت، فالمختص بنبينا ﷺ الكوثر الذي يصب من مائه في حوضه، فإنه لم ينقل نظيره لغيره، ووقع الامتنان عليه به في سورة ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ انتهى ملخصًا من فتح الباري.

و «الفئام» كما في الصحاح، الجماعة من الناس، لا واحد له من لفظه، والعامة تقول «فيام» بلا همز.

وفي رواية مسلم من حديث أبي هريرة رفعه، قال: «ترد عليَّ أمتي الحوض، وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل عن إبله»، قالوا: يا رسول الله، تعرفنا؟ قال: نعم، لكم سيما ليست لأحد غيركم، تردون علي غرا محجلين من آثار الوضوء».

يدعو أمته ولكل نبي حوض، فمنهم من يأتيه الفئام) بكسر الفاء والهمز **(ومنهم من يأتيه العصبة)** أي: أقاربه **(ومنهم من يأتيه الواحد، ومنهم من يأتيه الإثنان، ومنهم من لا يأتيه أحد وإني لأكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة وفي إسناده لين، فإن ثبت)** أي: كان حسنًا أو صحيحًا في نفس الأمر **(فالمختص بنبينا ﷺ الكوثر الذي يصب من مائه في حوضه، فإنه لم ينقل نظيره لغيره ووقع الامتنان عليه به في سورة: (﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾)** [الكوثر/ ١]. **(انتهى ملخصًا من فتح الباري)** ويختص أيضًا بأن حوضه أعرض الحياض كما في الخصائص **(والفئام)** بالفاء **(كما في الصحاح: الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه والعامة تقول فيام بلا همز)**.

(وفي رواية مسلم من حديث أبي هريرة رفعه، قال: ترد عليّ أمتي الحوض وأنا أذود) بمعجمه، ثم مهملة أطرد **(الناس عنه كما يذود الرجل عن إبله)** وفي رواية: وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه **(قالوا: يا رسول الله تعرفنا)** يومئذٍ بتقدير همزة الاستفهام **(قال: نعم لكم، سيما)** بكسر فسكون، أي: علامة **(ليست لأحد)** من الأمم **(غيركم، تردون)** الحوض **(عليّ غرا)** بضم المعجمة والتشديد جمع أغر، أي: ذي غرة بياض في جبهة الفرس فوق درهم، ثم استعملت في الجمال وطيب الذكر شبه به نورهم في الآخرة **(محجلين)** من التحجيل بياض في قوائم الفرس أو في ثلاث منها أو في غيره، قل: أو كثر بعد ما يجاوز

قالوا: والحكمة في الذود المذكور، أنه ﷺ يريد أن يرشد كل أحد إلى حوض نبيه، كما تقدم «إن لكل نبي حوضًا»، فيكون هذا من جملة إنصافه ﷺ ورعاية إخوانه من النبيين، لا أنه يطردهم بخلاً عليهم بالماء، ويحتمل أن يكون بطرد من لا يستحق الشرب من الحوض. والله أعلم.

وفي حديث أنس أنه ﷺ قال: «لحوضي أربعة أركان، الأول بيد أبي بكر الصديق، والثاني بيد عمر الفاروق، والثالث بيد عثمان ذي النورين، والرابع بيد علي بن أبي طالب. فمن كان محبًا لأبي بكر مبغضاً لعمر لا يسقيه أبو بكر، ومن كان محبًا لعلي مبغضًا لعثمان لا يسقيه علي». رواه أبو سعد في «شرف النبوة» والغيلاني والله أعلم.

الإرساغ ولا يجاوز الركبتين (**من آثار الوضوء**) بضم الواو ويجوز فتحها، وظاهره أن هذه السيما إنما تكون لمن توضأ بالفعل، أما من لم يتوضأ فلا يحصلان له كما جزم به شيخ الإسلام على البخاري خلافًا للزناتي وتقدم الرد عليه في الخصائص (**قالوا: والحكمة في الذود أنه ﷺ يريد أن يرشد كل أحد إلى حوض نبيه، كما تقدم أن لكل نبي حوضًا**) وهذا ظاهر فيمن بلغتهم دعوته وعملوا بشرعه، أما أهل الفترات فعلم حالهم في الشرب عند اللّه (**فيكون هذا من جملة إنصافه عليه السلام ورعاية إخوانه من النبيين، لا أنه يطردهم بخلا عليهم**) بالماء حاشاه من ذلك (**ويحتمل أن يكون يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض واللّه أعلم**) بحقيقة ذلك.

(**وفي حديث أنس أنه ﷺ قال: «لحوضي أربعة أركان: الأول بيد أبي بكر الصديق والثاني بيد عمر الفاروق والثالث بيد عثمن ذي النورين**) بنتي النبي ﷺ (**والرابع بيد علي بن أبي طالب، فمن كان محبًا لأبي بكر مبغضًا لعمر لا يسقيه أبو بكر**) بسبب بغضه لعمر ولا يلتفت إلى كونه محبًا له (**ومن كان محبًا لعلي مبغضًا لعثمن لا يسقيه علي»**) وكذا عكسه.

(**رواه أبو سعد**) بسكون العين النيسابوري (**في**) كتاب (**شرف النبوة والغيلاني**) بغين معجمة أبو طالب بن غيلان، ولا يعارض هذا قوله ﷺ: علي بن أبي طالب صاحب حوضي يوم القيامة.

أخرجه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة وجابر، وأخرج ابن أبي عاصم في السنة عن الحسن بن علي أنه قال لمعٰوية: أنت الساب لعلي، أما واللّه لتردن عليه الحوض وما أراك ترد

وأما تفضيله ﷺ بالشفاعة والمقام المحمود فقد قال تعالى: ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا**﴾. اتفق المفسرون على أن كلمة «عسى» من الله واجب، قال أهل المعاني: لأن لفظة«عسى» تفيد الإطماع، ومن أطمع إنسانًا في شيء ثم أحرمه كان عارًا، والله تعالى أكرم من أن يطمع أحدًا في شيء ثم لا يعطيه ذلك.

وقد اختلف في تفسير المقام المحمود على أقوال:

أحدها: أنه الشفاعة. قال الواحدي: أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة كما قال ﷺ في هذه الآية: هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي.

وقال الإمام ابن الخطيب: اللفظ مشعر بذلك، لأن الإنسان إنما يصير محمودًا إذا حمده حامد، والحمد إنما يكون على الإنعام، فهذا المقام المحمود يجب أن يكون مقامًا أنعم فيه رسول الله ﷺ على قوم فحمدوه على ذلك الإنعام،

فتجده مشمر الأزار على ساق يذود عنه لا يأتي المنافقون ذود غريبة الإبل قول الصادق المصدوق، وقد خاب من افترى نقلهما في البدور (**وأما تفضيله ﷺ بالشفاعة والمقام المحمود**) عطف مغاير، لأنه محل يقوم فيه للشفاعة يحتوي عليها، فلا ينافي المشهور أنه الشفاعة، لأن المضاف غير المضاف إليه، فهو يقوم مقامًا محمودًا للشفاعة (**فقد قال تعالىٰ:**) ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك (**عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا**﴾) [الإسراء/ ٧٩]، (**اتفق المفسرون على أن كلمة عسى**) وسائر صيغ الترجي الواقعة (**من الله**) تعالى أمر (**واجب**) ثابت محقق الوقوع، وأن مدلولها من الترجي ليس مرادًا في حقه تعالى.

(**قال أهل المعاني: لأن لفظة عسى تفيد الأطماع، ومن أطمع إنسانًا في شيء ثم أحرمه كان عارًا**) عرفًا يلام عليه (**والله تعالىٰ: أكرم من أن يطمع أحدًا في شيء ثم لا يعطيه ذلك**) كيف وقد قال تعالىٰ: ﴿وربك الأكرم﴾ [العلق/ ٣]، وقال ﷺ: الأجود الله (**وقد اختلف في تفسير المقام المحمود على أقوال: أحدها أنه الشفاعة، قال الواحدي**) أبو الحسن علي تلميذ الثعالبي: (**أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة، كما قال ﷺ في**) تفسير (**هذه الآية: هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي، وقال الإمام**) فخر الدين الرازي (**ابن الخطيب:**) بالري بلدة كان أبوه خطيبًا بها (**اللفظ مشعر بذلك، لأن الإنسان إنما يصير محمودًا إذا حمده حامد، والحمد إنما يكون على الأنعام، فهذا المقام المحمود يجب أن يكون مقامًا أنعم فيه رسول الله ﷺ على قوم، فحمدوه على ذلك الأنعام**) وهو الشفاعة

وذلك الإنعام لا يجوز أن يكون هو تبليغ الدين وتعليمهم الشرع لأن ذلك كان حاصلاً في الحال. وقوله: ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا**﴾ يدل على أنه يحصل للنبي ﷺ في ذلك المقام حمد بالغ عظيم كامل، ومن المعلوم أن حمد الإنسان على سعيه في التخلص عن العقاب أعظم من سعيه في زيادة من الثواب لا حاجة به إليها، لأن احتياج الإنسان في دفع الآلام العظيمة عن النفس فوق احتياجه إلى تحصيل المنافع الزائدة التي لا حاجة إلى تحصيلها.

وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من قوله: ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا**﴾ هو الشفاعة في إسقاط العقاب على ما هو مذهب أهل السنة.

ولما ثبت أن لفظ الآية مشعر بهذا المعنى إشعارًا قويًا، ثم وردت الأخبار الصحيحة في تقرير هذا المعنى كما في البخاري من حديث ابن عمر قال: سئل رسول الله ﷺ عن المقام المحمود فقال: هو الشفاعة. وفيه أيضًا عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثًى كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا

فيهم (**وذلك الأنعام لا يجوز أن يكون هو تبليغ الدين وتعليمهم الشرع، لأن ذلك كان حاصلاً في الحال**) أي: وقت نزول الآية عليه في الدنيا (**وقوله تعالى: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا﴾، يدل على أنه يحصل للنبي ﷺ في ذلك المقام حمد بالغ عظيم كامل**) لأن مدلولها الوعد بأمر مستقبل (**ومن المعلوم أن حمد الإنسان على سعيه في التخلص عن العقاب أعظم من سعيه في زيادة من الثواب ولا حاجة به إليها**) الواو للحال، وفي نسخة: بلا واو على أن الجملة صفة والنسختان بمعنى: لأن الحال وصف في المعنى (**لأن احتياج الإنسان في دفع الآلام العظيمة عن النفس فوق احتياجه إلى تحصيل المنافع الزائدة التي لا حاجة إلى تحصيلها، وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من قوله: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا﴾، هو الشفاعة في إسقاط العذاب على ما هو مذهب أهل السنّة،**) (**و**) جب أيضًا ذلك (**لما**) أي: لأجل ما (**ثبت أن لفظ الآية مشعر بذلك إشعارًا قويًا**) من جهة أنها وعد بشيء يحصل في المستقبل كما قدمه (**ثم وردت الأخبار الصحيحة في تقرير هذا المعنى**) أي: إثباته (**كما في البخاري من حديث ابن عمر، قال: سئل رسول اللّه ﷺ عن المقام المحمود، فقال: هو الشفاعة**).

(**وفيه**) أي: البخاري أيضًا (**عنه**) أي: ابن عمر (**قال: قال رسول اللّه ﷺ: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثى**) بضم الجيم وفتح المثلثة المخففة منونًا مقصورًا، قال الحافظ: جمع

فلان اشفع لنا، حتى تنتهي الشفاعة إلي فذلك المقام المحمود».

فإذا ثبت هذا، فيجب حمل اللفظ عليه قال: ومما يؤكد هذا، الدعاء المشهور: وابعثه مقامًا محمودًا يغبطه فيه الأولون والآخرون.

ونصب قوله «مقامًا» على الظرفية، أي وابعثه يوم القيامة فأقمه مقامًا محمودًا، أو على أنه مفعول به، وضمن معنى «ابعثه» معنى «أقمه»، ويجوز أن يكون حالاً بعد حال، أي: ابعثه ذا مقام. قال الطيبي: وإنما نكّره لأنه أفخم وأجزل، أي مقامًا محمودًا بكل لسان. وقول النووي: «إن الرواية ثبتت بالتنكير، وأنه كأنه

جثوة كخطوة وخطى، وحكى ابن الأثير؛ أنه روي بكسر المثلثة وشد التحتية جمع جاث وهو الذي يجلس على ركبتيه.

وقال ابن الجوزي عن ابن الخشاب: إنما هو جثا: بفتح المثلثة وتشديدها جمع جاثٍ مثل غاز وغزا، أي: جماعات (**كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع لنا**).

زاد الحافظ أبو ذر: يا فلان إشفع لنا (**حتى تنتهي الشفاعة إلى**) لفظ البخاري إلى النبي ﷺ، زاد في رواية: معلقة عنده في الزكاة فيشفع ليقضي بين الخلق (**فذلك المقام المحمود**) لفظ البخاري: فذلك يوم يبعثه اللّه المقام المحمود، فهذا ثابت من لفظ الحديث، فلا يكون جوابًا لما في قول الرازي ولما ثبت كما زعم، وإنما هي لما بالكسر والتخفيف كما قدمه (**فإذا ثبت هذا وجب حمل اللفظ عليه، قال**) ابن الخطيب: (**ومما يؤكد**) وفي نسخة: يؤيد ومعناهما واحد (**هذا**) القول أن المراد الشفاعة (**الدعاء المشهور**) في الحديث المرفوع: من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة (**وابعثه مقامًا محمودًا**) الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة (**يغبطه فيه الأولون والآخرون**) تقدم أن المراد يستحسنه تجريدًا للغبطة عن بعض معناها، لأنها تمني مثل ما للغير من غير زواله عنه، وليس أحد يتمنى ذلك يومئذٍ لعلمهم أنه خاص به.

(**ونصب قوله: مقامًا على الظرفية، أي**) وهو (**وابعثه يوم القيامة فأقمه مقامًا محمودًا، أو على أنه مفعول به، وضمن**) بالبناء للمفعول أو الفاعل (**معنى ابعثه معنى أقمه**) والأولى أنه مفعول مطلق (**ويجوز أن يكون حالاً بعد حال، أي: ابعثه ذا مقام**) عظيم.

(**قال الطيبي: وإنما نكره لأنه أفخم وأجزل**) أي: أعظم كأنه قيل: مقامًا، وأي مقام (**أي مقامًا محمودًا بكل لسان**) تكل عن أوصافه ألسنة الحامدين ويشرف على جميع العالمين.

(**وقول النووي؛ أن الرواية**) في الحديث المعبر عنه أولاً بالدعاء المشهور وابعثه مقاماً

حكاية للفظ القرآن» متعقب بأنه جاء في هذه الرواية بعينها بالتعريف عند النسائي.

قال ابن الجوزي: الأكثر على أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة، وادعى الإمام فخر الدين الاتفاق عليه.

القول الثاني: قال حذيفة: يجمع الله الناس في صعيد واحد، فلا تكلم نفس، فأول مدعو محمد ﷺ فيقول: «لبيك وسعديك والخير في يديك، والشر ليس إليك، والمهتدى من هديت، وعبدك بين يديك، وبك وإليك، ولا ملجأ منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، سبحانك رب البيت»، قال: «فهذا هو المراد من قوله

محمودًا **(ثبتت بالتنكير، وأنه كأنه حكاية للفظ القرءان متعقب بأنه جاء في هذه الرواية بعينها بالتعريف عند النسائي)** بلفظ: المقام المحمود، فالحديث يروى بالوجيهن.

(قال ابن الجوزي: الأكثر على أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة) العظمى في فصل القضاء **(وادعى الإمام فخر الدين)** الرازي **(الاتفاق عليه)** ولعله أراد اتفاق المفسرين كما تقدم عن الواحدي أجمع عليه المفسرون، **(والثاني قال حذيفة)** بن اليمان: **(يجمع اللّه الناس في صعيد واحد فلا تكلم)** بحذف إحدى التاءين والأصل، فلا تتكلم **(نفس)** بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة إلا بإذن اللّه، كقوله: ﴿لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن﴾ [النبأ/ ٣٨]، وهذا في موقف وقوله تعالى: ﴿هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾، [المرسلات/ ٣٦]، في موقف آخر أو المأذونون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع منه هي الأعذار الباطلة.

قاله البيضاوي: **(فأول مدعو محمد ﷺ، فيقول: لبيك)** إجابة لك بعد إجابة **(وسعديك)** مساعدة بعد مساعدة وهما من المصادر التي لا تستعمل إلا مضافة مثناة **(والخير في يديك والشر ليس إليك)** أي: لا يضاف إليك مخاطبة ونسبة تأدبًا، لأنه وإن كان بقضائه وقدره وخلقه لكن لا يحبه ولا يرضاه بخلاف الخير فإنه بتقديره وإرادته ورضاه ومحبته جميعًا، فبالنظر إلى جانب المحبة والرضا يضاف إليه الخير، كما قال: بيدك الخير، وبالنظر إلى القدرة والخلق والإرادة يضاف إليه، كلاهما كما قال سبحانه: ﴿قل كل من عند اللّه﴾، **(والمهدي)** كذا في نسخ صحيحة، وفي بعضها المهتدى بزيادة تاء والمذكور في الفتح المهدى بلا تاء **(من هديت وعبدك بين يديك)**.

وفي رواية النسائي: عبدك وابن عبدك لك **(وبك)** متمسك **(وإليك)** راجع **(ولا ملجأ)** باللام ولا منجا بالنون **(منك)** لأحد **(إلا إليك)**.

تعالى: ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا**﴾» رواه الطبراني وقال ابن منده: حديث مجمع على صحة إسناده وثقة رجاله.

قال الرازي: والقول الأول أولى، لأن سعيه في الشفاعة يفيد إقدام الناس على حمده فيصير محمودًا، وأما ما ذكر من الدعاء فلا يفيد إلا الثواب، أما الحمد فلا.

فإن قيل: لم لا يجوز أن يقال: أنه تعالى يحمده على هذا القول؟ فالجواب: لأن الحمد في اللغة مختص بالثناء المذكور في مقابلة الإنعام فقط، فإن ورد لفظ «الحمد» في غير هذا المعنى فعلى سبيل المجاز.

القول الثالث: مقام تحمد عاقبته، قال الإمام الدين: وهذا أيضاً ضعيف للوجه الذي ذكرنا.

القول الرابع، قيل: هو إجلاسه ﷺ على العرش وقيل على الكرسي، روي

هكذا الرواية بالجمع بينهما كما في الفتح، فسقطت الثانية من قلم المصنف أو نساخه (**تباركت**) تعاظمت (**وتعاليت**) عما يتوهمه الأوهام ويتصوره العقول (**سبحانك رب البيت**») أي: يا رب البيت (**قال**) حذيفة: (**فهذا هو المراد من قوله تعالىٰ**: (﴿**عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا**﴾) [الإسراء/ ٧٩] الآية.

(رواه الطبراني) والنسائي بإسناد صحيح، وصححه الحاكم كما في الفتح، فالعزو للنسائي أولى، إذ ليس في رواية الطبراني زيادة عليه سوى قوله: سبحانك رب البيت، قال الحافظ: ولا منافاة بينه وبين حديث ابن عمر، لأن هذا الكلام كأنه مقدمة للشفاعة (**قال ابن منده: حديث مجمع على صحة إسناده وثقة رجاله، قال الرازي: والقول الأول**) إنه الشفاعة (**أولى، لأن سعيه في الشفاعة يفيد إقدام الناس على حمده فيصير محمودًا، وأما ما ذكر من الدعاء فلا يفيد إلاّ الثواب، أما الحمد فلا**) لكن لما كان مقدمة للشفاعة كما ترجاه الحافظ صار كأنه سعى فيها.

(**فإن قيل: لم لا يجوز أن يقال إنه تعالىٰ يحمده على هذا القول**) فيبطل قولك، أما الحمد فلا (**فالجواب: أن الحمد في اللغة مختص بالثناء المذكور في مقابلة الأنعام فقط**) والله تعالى المنعم (**فإن ورد لفظ الحمد في غير هذا المعنى فعلى سبيل المجاز**) وقولي: أما الحمد فلا مبني على الحقيقة (**القول الثالث: مقام تحمد عاقبته، قال الإمام فخر الدين: وهذا أيضًا ضعيف للوجه الذي ذكرناه**) يعني قوله: لأن سعيه في الشفاعة... الخ.

(**القول الرابع، قيل: هو إجلاسه عليه السلام على العرش**) حملاً للمقام على أنه مصدر

عن ابن مسعود أنه قال: يقعد الله تعالى محمدًا ﷺ على العرش، وعن مجاهد أنه قال: يجلسه معه على العرش.

قال الواحدي: وهذا قول رذل موحش فظيع، ونص الكتاب ينادي بفساد هذا التفسير، ويدل عليه وجوه.

الأول: أن البعث ضد الإجلاس، يقال: بعثت البارك والقاعد فانبعث، ويقال بعث الله الميت أي أقامه من قبره، فتفسير البعث بالإجلاس تفسير الضد بالضد وهو فاسد.

والثاني: يوجب أنه تعالى لو كان جالسًا على العرش بحيث يجلس عنده محمد ﷺ لكان محدودًا متناهيًا، ومن كان كذلك فهو محدث تعالى الله علوًا كبيرًا.

والثالث: أنه تعالى قال: ﴿مقامًا محمودًا﴾ ولم يقل مقعدًا، والمقام موضع

ميمي لا اسم مكان (**وقيل: على الكرسي**) بناء على أنه غير العرش وهو الصحيح.

(**وروى**) عند الثعلبي (**عن ابن مسعود أنه قال يقعد**) بضم أوله (**الله تعالىٰ محمدًا ﷺ على العرش**) وهذا له حكم الرفع، إذ لا دخل للرأي فيه وابن مسعود ليس ممن يأخذ عن أهل الكتاب.

(**وعن مجاهد أنه قال: يجلسه**) الله (**معه على العرش**)، أخرجه عنه عبد بن حميد وغيره (**قال الواحدي: وهذا قول رذل**) بذال معجمة، أي رديء (**موحش**) منفر (**فظيع**) متجاوز الحد في القبح (**ونص الكتاب**) أي: قوله ﴿عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا﴾ (**ينادي بفساد هذا التفسير، ويدل عليه**) على فساده (**وجوه**).

(**الأول: أن البعث ضد الإجلاس، يقال: بعثت البارك والقاعد فانبعث، ويقال: بعث الله الميت أي أقامه من قبره، فتفسير البعث بالإجلاس تفسير الضد بالضد وهو فاسد**) على هذا إن كان مقصورًا على ما زعمه وإلا فقد قال الفارابي: بعثه إذا أهبه وبعث به وجهه، وقال الجوهري: بعثه وابتعثه بمعنى، أي: أرسله، فالمعنى على هذا عسى أن يرسلك مقامًا تجلس فيه على الكرسي أو العرش على هذا القول.

(**والثاني: يوجب أنه تعالىٰ لو كان جالسًا على العرش بحيث يجلس عنده محمد ﷺ لكان محدودًا متناهيًا، ومن كان كذلك فهو محدث تعالىٰ الله علوًا كبيرًا**) ويأتي رد هذا.

(**والثالث: أنه تعالىٰ قال: مقامًا محمودًا ولم يقل مقعدًا، والمقام موضع القيام**

القيام، لا موضع القعود.

الرابع: إذا قيل: السلطان بعث فلانًا، فهم منه أنه أرسله إلى قوم لإصلاح مهماتهم، ولا يفهم منه أنه أجلسه مع نفسه، فثبت أن هذا القول ساقط، لا يميل إليه إلا قليل العقل عديم الدين، انتهى.

وتعقب القول الثاني: بأنه تعالى يجلس على العرش كما أخبر جل وعلا عن نفسه المقدسة بلا كيف، وليس إقعاد محمد ﷺ على العرش موجبًا له صفة الربوبية، أو مخرجًا له عن صفة العبودية، بل هو رفع لمحله وتشريف له على خلقه، وأما قوله «معه» فهو بمنزلة قوله تعالى: ﴿**إن الذين عند ربك**﴾ وقوله: ﴿**رب ابن لي عندك بيتًا في الجنة**﴾ فكل هذا ونحوه عائد على الرتبة والمنزلة والحظوة والدرجة الرفيعة، لا إلى المكان.

وقال شيخ الإسلام أبو الفضل السعقلاني: قول مجاهد «يجلسه معه على

لا موضع القعود) وأجيب بأنه يصح على أن المقام مصدر ميمي لا اسم مكان.

(والرابع: **إذا قيل السلطان بعث فلانًا، فهم منه أنه أرسله إلى قوم لإصلاح مهماتهم، ولا يفهم منه أنه أجلسه مع نفسه)** وهذا مردود بأن هذا عادة يجوز تخلفها على أن أحوال الآخرة لا تقاس على أحوال الدنيا (**فثبت أن هذا القول ساقط لا يميل إليه إلاَّ قليل**) أي: ناقص (**العقل عديم الدين**) فاقده أصلاً وهذا مجازفة في الكلام لا تليق بطالب فضلاً عن عالم بعد ثبوت القول عن تابعي جليل، ووجد مثله عن صحابيين ابن عباس وابن مسعود كما يأتي.

(**انتهى**) كلام الواحدي (**وتعقب القول**) أي الوجه (**الثاني**) من الأوجه الأربعة التي رد بها القول الرابع؛ (**بأنه تعالىٰ يجلس على العرش كما أخبر جل وعلا عن نفسه المقدسة**) بقوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾ ﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾ [طه/٥]، (**بلا كيف وليس إقعاد محمد ﷺ على العرش موجبًا له صفة الربوبية**) بل كإجلاس الملك على سريره من يعظمه ولا يوجب له صفة الملك (**أو محرجًا له عن صفة العبودية بل هو رفع لمحله وتشريف له على خلقه، وأما قوله معه فهو بمنزلة قوله تعالىٰ: ﴿إن الذين عند ربك﴾**) أي: الملائكة (**وقوله: ﴿رب ابن لي عندك بيتًا في الجنة﴾**) [التحريم/١١].

فالعندية فيهما للتشريف، فكذلك المعية فيما نحن فيه (**فكل هذا ونحوه عائد على الرتبة والمنزلة والحظوة**) بضم الحاء وكسرها (**والدرجة الرفيعة لا إلى المكان**) حتى يلزم منه التناهي وأنه محدود.

(**وقال شيخ الإسلام أبو الفضل العسقلاني: قول مجاهد يجلسه معه على العرش ليس**

العرش» ليس بمدفوع لا من جهة النقل ولا من جهة النظر. وقال ابن عطية: هو كذلك إذا حمل على ما يليق به قال: وبالغ الواحدي في رد هذا القول: ونقل النقاش عن أبي داود صاحب السنن أنه قال: من أنكر هذا القول فهو متهم. وقد جاء عن ابن مسعود عند الثعلبي، وعن ابن عباس عند أبي الشيخ قال: إن محمدًا يوم القيامة يجلس على كرسي الرب بين يدي الرب، فيحتمل أن تكون الإضافة إضافة تشريف، وعلى ذلك يحمل ما جاء عن مجاهد وغيره، ويحتمل أن يكون المراد بالمقام المحمود الشفاعة كما هو المشهور، وأن يكون الإجلاس هي المنزلة المعبر عنها بالوسيلة. كذا قاله بعضهم، ويحتمل أن يكون الإجلاس علامة الإذن في الشفاعة.

بمدفوع لا من جهة النقل) لأنه لم ينفرد به **(ولا من جهة النظر)** وأشار للثاني بقوله **(وقال ابن عطية: هو كذلك إذا حمل على ما يليق به)** من أنها معية تشريف **(قال: وبالغ الواحدي في رد هذا القول)** بما قدمه المصنف آنفًا.

وأشار للأول بقوله: **(ونقل النقاش)** المفسر **(عن أبي داود صاحب السنن)** سليمٰن بن الأشعث احترازًا على الطيالسي أبي داود وسليمٰن بن داود صاحب المسند **(أنه قال: من أنكر (هذا القول فهو متهم)** بعدم المعرفة حيث أنكر شيئًا ثابتًا بمجرد ما قام في عقله (و) لم ينفرد به مجاهد، فإنه **(قد جاء عن ابن مسعود عند الثعلبي)** ويقال له أيضًا الثعالبي وهو شيخ الواحدي.

(وعن ابن عباس عند أبي الشيخ، قال: إن محمدًا يوم القيامة يجلس على كرسي الرب بين يدي الرب) وهذا له حكم الرفع، لأنه جاء عن صحابي ولا دخل للرأي فيه **(فيحتمل أن تكون الإضافة إضافة تشريف، وعلى ذلك يحمل ما جاء عن مجاهد وغيره)** كما مر ولا فساد فيه ولا قبح **(ويحتمل أن يكون المقام المحمود الشفاعة كما هو المشهور وأن يكون الإجلاس)** على الكرسي والعرش **(هي)** أنث لمراعاة الخبر وهو **(المنزلة المعبر عنها بالوسيلة)**.

(كذا قاله بعضهم: ويحتمل أن يكون الإجلاس علامة الإذن في الشفاعة) وعلى ذلك فلا ينافي المشهور، وقيل: المقام المحمود أخذه بحلقة باب الجنة، وقيل: إعطاؤه لواء الحمد.

وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن أبي هلال أنه بلغه أن المقام المحمود الذي ذكر اللّٰه أن النبي ﷺ يكون يوم القيامة بين الجبار وبين جبريل يغبطه لمقامه ذلك أهل الجمع ورجاله ثقات.

لكنه مرسل، وعنده أيضًا عن علي بن الحسين بن علي: أخبرني رجل من أهل العلم أن

واختلف في «فاعل» الحمد في قوله تعالى: ﴿مـحمودًا﴾ فالأكثر على أن المراد به أهل الموقف، وقيل: النبي ﷺ، أي أنه يحمد عاقبة ذلك المقام بتهجده في الليل، والأول أرجح لما ثبت في حديث ابن عمر بلفظ: «مقامًا محمودًا يحمده أهل الجمع كلهم» ويجوز أن يحمل على أعم من ذلك، أي: مقامًا يحمده القائم فيه وكل من عرفه، وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات، واستحسن هذا أبو حيان، وأيده بأنه نكرة فدل على أنه ليس المراد مقامًا مخصوصًا. انتهى.

فإن قلت: إذا قلنا بالمشهور، أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة، فأي شفاعة هي؟

فالجواب: إن الشفاعة التي وردت في الأحاديث، في المقام المحمود نوعان: النوع الأول: العامة في فصل القضاء، والثاني: في الشفاعة في إخراج المذنبين من النار، لكن الذي يتجه: رد هذه الأقوال كلها إلى الشفاعة العظمى

النبي ﷺ قال: تمد الأرض مد الأديم... الحديث.

وفيه: ثم يؤذن لي في الشفاعة فأقول: أي رب عبادك عبدوك في أطراف الأرض، قال: فذلك المقام المحمود رجاله ثقات وهو صحيح إن كان الرجل صحابيًا كما في الفتح.

(**واختلف في فاعل الحمد في قوله تعالى: ﴿مـحمودًا﴾، فالأكثر أن المراد به أهل الموقف**) يحمدونه (**وقيل:**) فاعله (**النبي ﷺ، أي: أنه يحمد عاقبة ذلك المقام بتهجده في الليل**) المأمور به أول الآية (**والأول**) أي أهل الموقف (**أرجح لما ثبت في حديث ابن عمر: مقامًا محمودًا يحمده أهل الجمع كلهم**) فهذا نص صريح (**ويجوز**) مع ذلك (**أن يحمل على أعم من ذلك، أي: يحمده القائم فيه**) ﷺ (و) يحمده (**كل من عرفه**) وهم أهل الجمع (**وهو مطلق في كل ما يجلبه**) بجيم وموحدة، أي: يسببه (**الحمد من أنواع الكرامات، واستحسن هذا**) الحمل على الأعم (**أبو حيان وأيده بأنه نكرة، فدل على أنه ليس المراد مقامًا مخصوصًا... اهـ**).

(**فإن قلت: إذا قلنا بالمشهور أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة، فأي شفاعة هي**) لأن له ﷺ عدة شفاعات تأتي (**فالجواب أن الشفاعة التي وردت في الأحاديث في المقام المحمود نوعان: النوع الأول العامة في فصل القضاء**) بين الخلائق (و) النوع (**الثاني في الشفاعة في إخراج المذنبين من النار، لكن الذي يتجه رد**) أي: ترجع (**هذه الأقوال**)

العامة، فإن إعطائه لواء الحمد، وثناءه على ربه وكلامه بين يديه، وجلوسه على كرسيه كل ذلك صفات للمقام المحمود الذي يشفع فيه ليقضى بين الخلق.

وأما شفاعته في إخراج المذنبين من النار فمن توابع ذلك، وقد أنكر بعض المعتزلة والخوارج الشفاعة في إخراج من أدخل النار من المذنبين وتمسكوا بقوله تعالى: **﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾** [المدثر/٤٨] وقوله تعالى: **﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾** [غافر/١٨].

وأجاب أهل السنة بأن هذه الآيات في الكفار. قال القاضي عياض: مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً، ووجوبها سمعًا، لصريح قوله تعالى: **﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمٰن ورضي له قولا﴾** [طه/١٠٩] وقوله: **﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾** [الأنبياء/٢٨] وكقوله: **﴿عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا﴾** المفسر بها عند الأكثرين، كما قدمنا.

المذكورة في المقام المحمود (**كلها إلى الشفاعة العظمى العامة**) في فصل القضاء (**فإن إعطاءه لواء الحمد وثناءه على ربه وكلامه بين يديه وجلوسه على كرسيه**) أو عرشه (**كل ذلك صفات للمقام المحمود الذي يشفع فيه ليقضي بين الخلق**).

(**وأما شفاعته في إخراج المذنبين من النار فمن توابع ذلك**) فلا تراد استقلالاً (**وقد أنكر بعض المعتزلة والخوارج الشفاعة في إخراج من أدخل النار من المذنبين**) فأما الشفاعة في فصل القضاء فلم يكذب بها أحد من المعتزلة ولا غيرهم، قاله الفاكهاني (**وتمسكوا بقوله تعالىٰ**: (**﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾**) [المدثر/ ٤٨]، من الملائكة والأنبياء والصالحين، والمعنى لا شفاعة لهم (**وقوله تعالىٰ: ﴿ما للظالمين﴾**) الكافرين (**﴿من حميم﴾**) محب **﴿ولا شفيع يطاع﴾ الآية**) لا مفهوم للوصف؛ إذ لا شفيع لهم أصلاً، فما لنا من شافعين أوله مفهوم بناءً على زعمهم أن لهم شفعاء، أي: لو شفعوا فرضًا لم يقبلوا.

(**وأجاب أهل السنّة بأن هذه الآيات في الكفار**) فلا حجة فيها (**قال القاضي عياض: مذهب أهل السنّة جواز الشفاعة عقلاً**) إذ ليست بمحال فيه (**ووجوبها**) ثبوتها (**سمعًا لصريح قوله تعالىٰ: ﴿يومئذٍ لا تنفع الشفاعة﴾**) أحدًا (**﴿إلا من أذن له الرحمٰن﴾**) أن يشفع له (**﴿ورضي له قولاً﴾**) بأن يقول: لا إله إلا اللّه، ووجه صراحته أن الاستثناء من النفي إثبات (**وقوله تعالىٰ: ﴿ولا يشفعون﴾**) أي الملائكة (**﴿إلا لمن ارتضىٰ﴾**) اللّه سبحانه أن يشفعوا له (**وكقوله: عسىٰ أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا المفسر بها**) أي: بالشفاعة العظمى (**عند**

وقد جاءت الأحاديث التي بلغ مجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وعن أم حبيبة قالت: قال رسول الله ﷺ: أريت ما تلقي أمتي من بعدي، وسفك بعضهم دماء بعض، وسبق لهم من الله ما سبق للأمم قبلهم فسألت الله أن يوليني فيهم شفاعة يوم القيامة ففعل.

وفي حديث أبي هريرة لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبىء دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة. وفي رواية أنس: فجلعت دعوتي شفاعة لأمتي. وهذا من مزيد شفقته علينا، وحسن تصرفه حيث جعل دعوته المجابة في أهم أوقات حاجاتنا، فجزاه الله عنا أفضل الجزاء.

وعن أبي هريرة؛ قلت: يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة؟ فقال: شفاعتي لمن شهد أن لا إلٰه إلا الله مخلصًا يصدق لسانه قلبه.

الأكثرين كما قدمته) وليس النزاع فيها إنما هو في الشفاعة للمذنبين، ففي الاستدلال بالآية عنده شيء **(وقد جاءت الأحاديث التي بلغ مجموعها التواتر بصحة)** أي: وقوع **(الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين)** فلا معنى لإنكارها لحصول القطع بها وأخرج الحاكم والبيهقي وصححاه **(عن أم حبيبة)** أم المؤمنين **(قالت: قال رسول الله ﷺ: أريت)** بضم الهمزة وكسر الراء، أي أراني الله تعالى **(ما تلقى أمتي من بعدي)** بعد وفاتي **(وسفك بعضهم دماء بعض)** أسقط من لفظه: فأحزنني **(وسبق لهم من الله)** في علمه **(ما سبق)**.

وفي رواية: وسبق لهم ذلك من الله كما سبق **(للأمم قبلهم، فسألت الله أن يوليني فيهم شفاعة يوم القيامة، ففعل)** ذلك.

(وفي حديث أبي هريرة: لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها وأريد أن أختبىء:) ادخر **(دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة)** تقدم شرحه في آخر المقصد التاسع.

(وفي رواية أنس) عند مسلم: **(فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي وهذا من مزيد شفقته علينا وحسن تصرفه، حيث جعل دعوته المجابة)** على سبيل القطع **(في أهم أوقات حاجاتنا، فجزاه الله عنا أفضل الجزاء)**.

(وعن أبي هريرة: قلت: يا رسول الله ماذا ورد عليك) من الوحي ومنه الإلهام من الله **(في)** شأن **(الشفاعة، قال: شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله)** أي ومحمد رسول الله **(مخلصًا يصدق لسانه)** بالرفع فاعل **(قلبه)** مفعول، أي: يخبر لسانه عن صدق قلبه، فليس كالمنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ويجوز عكسه.

وعن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيبصرهم الناظر، ويسمعهم الداعي، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس ألا ترون إلى ما أنتم فيه، إلى ما بلغتم، ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم، فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه،

(وعن أبي زرعة) بن عمرو بن جرير بن عبد اللّه البجلي الكوفي، قيل: اسمه هرم، وقيل: عمرو، وقيل: عبد اللّه، وقيل: عبد الرحمٰن، وقيل: جرير **(عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللّه ﷺ أنا سيد الناس)** ءادم وجميع ولده، أي: أنا الفائق المفزوع إليه في الشدائد وخص **(يوم القيامة)** لارتفاع دعوى السؤدد فيها لغيره، كقوله: لمن الملك اليوم، خص السؤال به لأنه يوم تنقطع فيه الدعاوي، ولأنه يستلزم سيادته في الدنيا بطريق الأولوية ونهيه عن التفضيل على طريق التواضع **(هل تدرون مم ذلك)**.

وفي رواية: ذاك بألف بدل اللام **(يجمع اللّه الأولين والآخرين في صعيد واحد)** أرض واسعة مستوية **(فيبصرهم الناظر)** أي: يحيط بهم بصر الناظر بحيث لا يخفى عليه منهم شيء لاستواء الأرض وعدم الحجاب.

وفي رواية: وينفذهم البصر بتحتية مفتوحة وذال معجمة على الأصح، أي: تحيط بهم أبصار الناظرين من الخلق لاستواء الصعيد، وهذا أوجه من قول أبي عبيد بصر الرحمٰن، لأن اللّه أحاط بالناس أولاً وآخرًا في الصعيد المستوى وغيره **(ويسمعهم الداعي)** بضم الياء من الإسماع، أي: إذا دعاهم سمعوه **(وتدنو الشمس)** من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين ويزاد في حرها عشر سنين كما مر **(فيبلغ الناس)** بالنصب، أي يصل إليهم **(من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون)** فاعل يبلغ **(فيقول الناس: ألا)** بفتح الهمزة وخفة اللام **(ترون إلى ما أنتم فيه)** من الغم والكرب **(إلى ما بلغكم)** بدل من قوله: إلى ما أنتم فيه.

وفي رواية مسلم: ألاَّ ترون ما قد بلغكم، أي: وصل إليكم، ويقع في أكثر نسخ المواهب: بلغتم بمثناة بدل الكاف ولا وجود لها في الصحيحين ولا في أحدهما **(ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم)** حتى يريحكم من مكانكم هذا **(فيقول بعض الناس:)** هم رؤساء الأمم كما في الفتح، وقال ابن برجان: رؤساء اتباع الرسل **(لبعض أبوكم ءادم)** وفي رواية: ائتوا ءادم، وللبخاري: عليكم بآدم **(فيأتونه فيقولون: يا ءادم أنت أبو البشر)** وشأن الأب الحنان والشفقة **(خلقك اللّه بيده)** بقدرته بغير واسطة **(ونفخ فيك من روحه)** بأن أمر الروح أن

وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن نفيه وما بلغنا؟ فقال: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا

تدخل في جسدك وتجري مجرى نفسك.

قال الكرماني: الإضافة إلى الله لتعظيم المضاف وتشريفه **(وأمر الملائكة فسجدوا لك)** كلهم **(وأسكنك الجنة)** وفي رواية للبخاري: وأسكنك جنته وعلمك أسماء كل شيء وذكروا هذا إشارة إلى أن من حوى هذه الفضائل أهل للشفاعة، ولذا قدموها على قولهم: **(ألاَّ)** بأداة العرض **(تشفع لنا إلى ربك ألاَّ ترى ما نحن فيه)** من الغم والكرب **(وما بلغنا)** بفتح الغين على الصحيح المعروف، ويدل له قوله: قبل، ألاَّ ترون إلى ما قد بلغكم، ولو كان بإسكان الغين لقال بلغتم، قاله النووي.

وفي رواية للشيخين: ألاَّ ترى ما نحن فيه، ألاَّ ترى إلى ما قد بلغنا **(فقال: إن ربي غضب)** بكسر الضاد **(اليوم غضبًا لم يغضب)** بفتح الضاد فيهما **(قبله مثله ولا يغضب)**.

كذا رواها الحموي والمستملي في البخاري بلفظ: لا، ورواه غيرهما فيه، وكذا رواه مسلم بلفظ: ولن يغضب بلن **(بعده مثله)** وكل من لن، ولا يفيد النفي في المستقبل، والمراد من الغضب كما قال الكرماني لازمه وهو إرادة إيصال العذاب، وقال النووي: المراد به ما يظهر من انتقامه ممن عصاه وما شاهده أهل الجمع من الأهوال التي لم تكن ولا يكون مثلها **(وأنه)** بالواو ودونها روايتان **(نهاني عن الشجرة)** أي: عن الأكل منها **(فعصيته)** وأكلت منها **(نفسي نفسي نفسي)** ذكرها ثلاثًا.

وفي رواية للشيخين أيضًا: مرتين، أي: نفسي هي التي تستحق أن يشفع لها، إذ المبتدأ والخبر إذا اتحدا، فالمراد بعض لوازمه، إذ قوله: نفسي مبتدأ والخبر محذوف، وفي حديث أنس عند سعيد بن منصور: إني أخطأت وأنا في الفردوس، فإن يغفر لي اليوم حسبي.

وكذا عنده في بقية الأنبياء بعده، ومن البديهي أن المصنف لم يذكر ذلك لأنه إنما ساق حديث أبي هريرة في الصحيحين وليس فيه ذلك، لا للإشعار بأنه ليس ذنبًا يستغفر منه، وإنما قالوه تعظيمًا لله وأنه لا ينبغي أن يوجد من مثلهم خلاف الأولى فضلاً عن الذنب، فإن هذا وإن كان ظاهرًا في نفسه لكن لو كان كذلك لترك المصنف الحديث بالمرة، إذ ليس بأشد من قوله نهاني فعصيته.

وفي رواية أنس في الصحيح: فيقول: لست لها، وفي لفظ: لست هناكم، وفي حديث حذيفة: لست بصاحب ذاك، فالمعنى إن هذا المقام ليس لي بل لغيري **(اذهبوا إلى غيري)** زاد

إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا عليه السلام فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل بعث إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدًا شكورًا، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما بلغنا، ألا تشفع لنا إلا ربك؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة، دعوت بها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم عليه السلام فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني كنت كذبت ثلاث كذبات، فذكرها، نفسي نفسي

في حديث سلمٰن: فيقولون: إلى من تأمرنا، فيقول: ائتوا عبدًا شاكرًا (**اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل بعث إلى**) قومه من (**أهل الأرض وقد سماك الله**) في كتابه (**عبدًا شكورًا**) أي: كثير الشكر حامدًا في جميع أحواله (**ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما بلغنا**) بفتح الغين (**ألا تشفع لنا إلى ربك**) حتى يريحنا من مكاننا (**فيقول**) نوح: (**إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب**).

وفي رواية: ولن يغضب (**بعده مثله**) أي: أنه ظهر من انتقامه من العصاة وأليم عقابه ما لم يكن قبل ولا يوجد بعد (**وأنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي**) هي التي أغرق بها أهل الأرض، يعني: أن له دعوة واحدة محققة الإجابة وقد استوفاها بدعائه على أهل الأرض، فيخشى أن يطلب فلا يجاب.

وفي حديث أنس عند الشيخين: ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله ربه بغير علم، فجمع بينهما بأنه اعتذر بأمرين، أحدهما أنه استوفى دعوته المستجابة، وثانيهما سؤاله ربه بغير علم، حيث قال: إن ابني من أهلي، فخشى أن تكون شفاعته لأهل الموقف من ذلك (**نفسي نفسي نفسي**) ثلاث مرات، أي: هي التي تستحق أن يشفع لها.

وفي رواية: مرتين (**اذهبوا إلى غيري**) زاد في رواية سلمٰن: فيقولون إلى من تأمرنا، فيقول: (**اذهبوا إلى إبرٰهيم**) زاد في حديث أنس خليل الرحمٰن: (**فيأتون إبرٰهيم فيقولون:**) يا إبرٰهيم (**أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض**) لا ينفي وصف الخلة الثابت للمصطفى على وجه أعلى من إبرٰهيم (**اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، فيقول لهم: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني كنت كذبت ثلاث كذبات**) بفتحات (**فذكرها**) لفظ البخاري، فذكرهن أبو حيان في الحديث، أي: ذكرهن يحيىٰ بن سعيد التيمي تيم الرباب الراوي عن أبي زرعة، وانتصرهن من بعده في مسلم من طريق عمارة بن

نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى عليه السلام، فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضلك برسالته وبكلامه على الناس، ألا ترى ما نحن فيه، اشفع لنا إلى ربك، فيقول: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله: ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسًا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى عليه السلام فيقولون: يا عيسى: أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد، ألا

القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة، قال: وذكر قوله: في الكوكب هذا ربي، وقوله لآلهتهم: بل فعله كبيرهم هذا، وقوله: إني سقيم.

وفي حديث أبي سعيد قال ﷺ: ما منها كذبة إلاَّ ما حل بها عن دين اللّه وما حل بمهملة جادل، وذكر أن الثالثة قوله: لأمر أنه حين أتى على الملك أخبريه أني أخوك (**نفسي نفسي نفسي**) ثلاثًا.

وفي رواية: مرتين (**اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسىٰ**) بيان لقوله: غيري (**فيأتون موسىٰ فيقولون: يا موسىٰ أنت رسول اللّه فضلك اللّه برسالاته**) بالجمع عند مسلم، أما البخاري فبالإفراد كما قال المصنف: (**وبكلامه على الناس**) عام مخصوص بغير المصطفى، فإن كلامه له ثابت على وجه أكمل من موسىٰ كما مر في المعراج، ولا يلزم منه أن يشتق له من اسمه الكليم كموسىٰ، إذ هو وصف غلب على موسىٰ كالمحبة للمصطفى (**ألاً ترى ما نحن فيه اشفع لنا إلى ربك**).

كذا في النسخ والذي في الصحيحين اشفع لنا إلى ربك، ألاً ترى ما نحن فيه، زاد مسلم: ألاً ترى ما قد بلغنا (**فيقول: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله وإني قد قتلت نفسًا لم أومر**) بضم الهمزة وسكون الواو (**بقتلها**) يريد القبطي المذكور في آية القصص، وإنما استعظمه واعتذر به لأنه لم يؤمر بقتل الكفار، أو لأنه كان مؤمناً فيهم، فلم يكن له اغتياله ولا يقدح في عصمته لكونه خطأ وعده من عمل الشيطان في الآية، وسماه ظلمًا واستغفر منه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم وإن لم تكن ذنبًا.

وفي حديث أنس عند سعيد بن منصور: إني قتلت نفسًا بغير نفس وأن يغفر لي اليوم، حسبي (**نفسي نفسي نفسي**) ثلاثًا، وفي رواية: مرتين (**اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول اللّه وكلمته ألقاها إلى مريم**) أي: أوصلها إليها وجعلها فيها (**وروح**) صدر (**منه**) لا يتوسط ما يجري مجرى الأصل والمادة له (**وكلمت الناس**

ترى إلى ما نحن فيه، اشفع لنا إلى ربك، فيقول عيسى عليه السلام: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبًا، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمدًا ﷺ فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ألا ترى إلى ما نحن فيه، اشفع لنا إلى ربك، فأنطلق فآتي تحت

في المهد) مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه **(ألاّ ترى إلى ما نحن فيه)** من الكرب **(اشفع لنا إلى ربك)** لفظ الشيخين: اشفع لنا إلى ربك، ألاّ ترى إلى ما نحن فيه.

زاد مسلم: ألاّ ترى ما قد بلغنا **(فيقول عيسىٰ: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبًا)** وفي حديث ابن عباس: إني اتُخذت إلهًا من دون اللّه، وفي حديث أنس عند سعيد ابن منصور نحوه.

وزاد: وأن يغفر لي اليوم، حسبي **(نفسي نفسي نفسي)** ثلاثًا، ولمسلم مرتين في الكل **(اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد)** زاد في رواية أنس عند الشيخين: فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمدًا عبدًا غفر اللّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر **(فيأتون محمدًا ﷺ فيقولون: يا محمد أنت رسول اللّه وخاتم الأنبياء وقد غفر اللّه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر)** يعني: أنه غير مؤاخذ بذنب لو وقع.

قال الحافظ: يستفاد من قول عيسى في نبينا هذا، ومن قول موسىٰ: إني قتلت نفسًا وأن يغفر لي اليوم، حسبي مع أن اللّه قد غفر له بنص القرءان التفرقة بين من وقع منه شيء ومن لم يقع منه شيء أصلاً، فإن موسىٰ مع وقوع المغفرة له لم يرتفع إشفاقه من المؤاخذة بذلك ورأى في نفسه تقصير عن مقام الشفاعة مع وجود ما صدر منه بخلاف نبينا ﷺ في ذلك كله، ومن ثم احتج عيسىٰ بأنه صاحب الشفاعة لأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، بمعنى، أن اللّه أخبر أن لا يؤاخذه بذنب لو وقع منه، قال: وهذا من النفائس التي فتح اللّه بها في فتح الباري فله الحمد.

وقال القاضي عياض: يحتمل أنهم علموا أن صاحبها محمد ﷺ معينًا وتكون إحالة كل واحد منهم على الآخر على تدريج الشفاعة في ذلك إليه إظهارًا لشرفه في ذلك المقام العظيم، وإنما خص الخمسة بالمجيء إليهم دون باقي الأنبياء لأنهم مشاهير الرسل وأصحاب شرائع عمل بها مددًا طويلة مع أن ءادم والد الجميع ونوح الأب الثاني وإبراهيم مجمع على الثناء عليه عند جميع أهل الأديان وهو أبو الأنبياء بعده وموسىٰ أكثر الأنبياء أتباعًا بعد المصطفى وعيسى، لأنه ليس بينه وبينه نبي، ولأنه من أمته ﷺ ولم يلهموا المجيء إليه من أول وهلة لإظهار فضله

العرش فأقع ساجدًا لربي، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال: يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما

وشرفه.

قال الحافظ: ولا شك أن في السائلين يومئذٍ من سمع هذا الحديث في الدنيا وعرف أن ذلك خاص به ومع ذلك فلا يستحضره إذ ذاك أحد منهم وكأن اللّه أنساهم ذلك للحكمة المذكورة (**ألاً ترى إلى ما نحن فيه اشفع لنا إلى ربك**) الذي في الصحيحين تقديم هذه الجملة على التي قبلها، وزاد مسلم: ألاً ترى إلى ما قد بلغنا (**فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي**).

وفي حديث أنس: **فأقوم فأمشي** بين سماطين من المؤمنين حتى استأذن على ربي، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجدًا فيدعني ما شاء اللّه أن يدعني والمستأذن له جبريل، ففي رواية أبي بكر الصديق عند أبي عوانة: فيأتي جبريل ربه فيقول: ائذن له وبشره بالجنة، فينطلق به جبريل فيخر ساجدًا قدر جمعة، وسئل الجلال البلقيني عن حكم سجوده ﷺ من حيث الوضوء، فأجاب بأنه باقٍ على طهارة غسل الميت لأنه حي لا يموت في قبره ولا ناقض لطهارته، ويحتمل: أن يجاب بأن الآخرة ليست دار تكليف، فلا يتوقف السجود على وضوء قاله في البدور، ويحتمل أنه توضأ من حوضه (**ثم يفتح اللّه عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي**).

وفي بعض طرق الحديث عند البخاري: فيلهمني اللّه محامد لا أقدر عليها الآن فأحمده بتلك المحامد، قال المصنف وغيره: وقد ورد ما لعله يفسر به بعض تلك المحامد لا جميعها، ففي النسائي وغيره من حديث حذيفة رفعه: يجمع اللّه الناس في صعيد واحد، فيقال: يا محمد، فأقول: لبيك وسعديك... الحديث السابق قريبًا (**ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه**) بسكون الهاء للسكت (**واشفع تشفع**) بشد الفاء المفتوحة، أي: تقبل شفاعتك (**فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب أمتي يا رب**) مرتين، وهذه الشفاعة بعد العامة لجميع الأمم في فصل القضاء، ففي السياق حذف كما يأتي إيضاحه، وفي مسند البزار: فأقول يا رب عجل على الخلق الحساب (**فيقال: يا محمد أدخل**) بكسر الخاء أمر من الإدخال.

وفي رواية مسلم: أدخل الجنة (**من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة**) وهم سبعون ألفًا أول من يدخلها (**وهم**) أيضًا (**شركاء الناس فيما سوى ذلك**

سوى ذلك من الأبواب». الحديث رواه البخاري ومسلم.

قال في فتح الباري: وقد استشكل قولهم لنوح: «أنت أول الرسل من أهل الأرض»، فإن آدم نبي مرسل، وكذا شيث وإدريس، وهم قبل نوح.

ومحصل الأجوبة عن ذلك: أن الأولية مقيدة بقوله «أهل الأرض» لأن آدم ومن ذكر معه لم يرسلوا إلى أهل الأرض، أو أن الثلاثة كانوا أنبياء ولم يكونوا رسلاً، وإلى هذا جنح ابن بطال في حق آدم. وتعقبه القاضي عياض ما صححه ابن حبان من حديث أبي ذر، فإنه كالصريح في أنه كان مرسلاً، وفيه التصريح بإنزال الصحف على شيث وهو من علامات الإرسال. وأما إدريس فذهبت طائفة إلى أنه

من الأبواب) يعني: لا يلجؤون إلى الدخول من الأيمن، بل إن شاؤوا الدخول من غيره دخلوا وإن خصوا بالباب الأيمن دون غيرهم.

قال القرطبي: وهذا يدل على أنه ﷺ شفع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف، فإنه لما أمر بإدخال من لا حساب عليه من أمته شرع في حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم.

(الحديث) تمامه، ثم قال: والذي نفسي بيده إن بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى.

(رواه البخاري) في مواضع **(ومسلم)** في الإيمان، وروياه أيضًا من حديث أنس وفيه تكرار السجود أربع مرات، وجاء من حديث صحابة أخر مطولاً ومختصرًا، ساقها في البدور بألفاظها.

(قال في فتح الباري: وقد استشكل قولهم لنوح أنت أول الرسل من أهل الأرض بأن ءادم نبي مرسل، وكذا شيث) ابنه **(وإدريس وهم قبل نوح)** إلاَّ أن في كون إدريس قبله خلافًا **(فمحصل الأجوبة عن ذلك أن الأولية مقيدة بقوله: أهل الأرض، لأن ءادم ومن ذكر معه)** شيث وإدريس **(لم يرسلوا إلى أهل الأرض)** وإنما أرسلوا إلى بعض أهلها ويلزم على ذلك عموم رسالة نوح.

وأجيب بأنه بصدد أن يبعث في زمنه غيره بخلاف نبينا ﷺ وبغير ذلك مما سبق **(أو أن الثلاثة كانوا أنبياء ولم يكونوا رسلاً، وإلى هذا جنح)** مال **(ابن بطال في حق ءادم وتعقبه القاضي عياض بما صححه ابن حبان من حديث أبي ذر فإنه كالصريح في أنه كان مرسلاً)** ولفظه قلت: يا رسول الله كم الرسل منهم، أي الأنبياء؟، قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير، قلت: من كان أولهم؟، قال: ءادم **(وفيه التصريح بإنزال الصحف على شيث)** بكسر المعجمة وإسكان الياء ومثلثة **(وذلك من علامات الإرسال)**.

كان من بني إسرائيل.

ومن الأجوبة: أن رسالة آدم كانت إلى بنيه، وهم موحدون، ليعلمهم شريعته، ونوح رسالته كانت إلى قوم كفار يدعوهم إلى التوحيد.

وذكر الغزالي في كتاب «كشف علوم الآخرة» أن بين إتيان أهل الموقف آدم وإتيانهم نوحًا ألف سنة، وكذا بين كل نبي ونبي، إلى نبينا صلى الله عليه وسلم.

قال الحافظ ابن حجر: ولم أقف لذلك على أصل، قال: ولقد أكثر في هذا الكتاب من إيراد أحاديث لا أصول لها، فلا يغتر بشيء منها.

ووقع في رواية حذيفة: أن الخليل عليه السلام قال: لست بصاحب ذاك،

(**وأما إدريس فذهبت طائفة إلى أنه كان من بني إسرائيل**) يعقوب وهو بعد نوح بزمان طويل (**ومن الأجوبة أن رسالة ءادم كانت إلى بنيه وهم موحدون ليعلمهم شريعته**) فهي كالتربية للأولاد (**ونوح رسالته كانت إلى قوم كفار يدعوهم إلى التوحيد**) وينذرهم بالهلاك إن لم يوحدوا (**وذكر الغزالي في كتاب كشف علوم الآخرة أن بين إتيان أهل الموقف ءادم وإتيانهم نوحًا ألف سنة**).

(**وكذا بين كل نبي ونبي إلى نبينا محمد ﷺ، قال الحافظ ابن حجر: ولم أقف لذلك على أصل، قال: ولقد أكثر في هذا الكتاب من إيراد أحاديث لا أصول لها فلا يغتر بشيء منها**) وتعقبه العيني بأن جلالة قدر الغزالي تنافي ما ذكره، وعدم وقوفه على أصل لذلك لا يستلزم نفي وقوف غيره لذلك على أصل، فإنه لم يحط علمًا بكل ما ورد حتى يدعي هذه الدعوى، وأجاب الحافظ في انتقاض الاعتراض بأن جلالة الغزالي لا تنافي أنه يحسن الظن ببعض الكتب، فينقل منها ويكون ذلك المنقول غير ثابت كما وقع له ذلك في الإحياء في نقله من قوت القلوب، كما نبه على ذلك غير واحد من الحفاظ، وقد اعترف الغزالي بأن بضاعته في الحديث مزجاة، قال: ولم أدع أني أحطت علمًا وإنما نفيت اطلاعي وإطلاقي في الثاني محمول على تقييدي في الأول.

والحديث لا يثبت بالاحتمال، فلو كان هذا المعترض اطلع على شيء يخالف قولي لأبرزه وتبجح به. انتهى.

(**ووقع في رواية حذيفة**) وأبي هريرة معًا (**أن الخليل عليه السلام قال:**) ولفظ مسلم عن أبي هريرة وحذيفة، قالا: قال ﷺ يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون ءادم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلاَّ خطيئة أبيكم

إنما كنت خليلاً من وراء وراء». بفتح الهمزة [فيهما] بلا تنوين، ويجوز البناء فيها على الضم للقطع عن الإضافة نحو «من قبل ومن بعد» واختاره أبو البقاء، قال الأخفش: يقال لقيته من وراء وراء بالضم، وقال:

إذا أنا لم أومن عليك ولم يكن لقاؤك إلا من وراء وراء

ويجوز فيهما النصب والتنوين جوازًا جيدًا، قاله أبو عبد الله الأبي.

ومعناه: لم أكن في التقريب والإدلال بمنزلة الحبيب، وقيل: مراده: إن الفضل الذي أعطيته كان بسفارة جبريل، ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله بلا واسطة، وكرر «وراء» إشارة إلى نبينا ﷺ لأنه حصلت له الرؤية والسماع بلا واسطة، فكأنه قال: أنا من وراء موسى، الذي هو من وراء محمد، وسبق مزيد

ءادم لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله، فيقول إبراهيم: **(لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلاً من وراء وراء بفتح الهمزة فيهما بلا تنوين)** على المشهور لتضمنهما معنى الحرف، فالتقدير من وراء، من وراء فركبا تركيب خمسة عشر وأكدا كشذر مذر وبين بين قاله القرطبي: **(يجوز البناء على الضم)** فيهما **(للقطع عن الإضافة نحو)** قوله تعالىٰ: اللّه الأمر **(من قبل ومن بعد، واختاره أبو البقاء)** قائلاً: لأن تقديره من وراء أو من وراء شيء آخر **(قال الأخفش: يقال لقيته من وراء وراء بالضم)** فيهما **(وقال)** الشاعر:

(إذا أنا لم أومن عليك ولم يكن لقاؤك إلاّ من وراء وراء)

(ويجوز فيهما النصب والتنوين جوازًا جيدًا، قاله أبو عبد اللّه الأبي) في شرح مسلم، قال القرطبي في المفهم: ووجدت في أصل شيخنا أيوب الفهري وكان في اعتنائه بهذا الكتاب، أي مسلم الغاية من وراء من وراء بتكرير من وفتح الهمزتين وليس بمعنى بنائه في الأول لظهور من المضمرة في الأول، وإنما وجهه أن يكون وراء قطعت عن الإضافة إلى معين، فصارت كأنها اسم علم وهي مؤنثة، فاجتمع فيها التعريف والتأنيث فمنعت الصرف، قال: ووجدت بخط معتبر، قال الفراء: تقول العرب فلان يكلمني من وراء وراء بالنصب على الظرف **(ومعناه)** كما قال النووي: **(لم أكن في التقريب والإدلال بمنزلة الحبيب، وقيل: مراده)** كما نقله النووي عن صاحب التحرير، قال: هذه كلمة تقال على وجه التواضع، وكأنه أشار إلى **(أن الفضل الذي أعطيته كان بسفارة)** بكسر السين، أي: بواسطة **(جبريل، ولكن ائتوا موسىٰ الذي كلمه اللّه بلا واسطة)** إشارة إلى قوله في الحديث: اعمدوا إلى موسىٰ الذي كلمه اللّه تكليمًا **(وكرر وراء إشارة إلى نبينا ﷺ لأنه حصلت له الرؤية)** للّه سبحانه **(والسماع)** لكلامه تعالى **(بلا واسطة، فكأنه قال: أنا من وراء موسىٰ الذي هو من وراء محمد، وسبق مزيد لذلك في الخصائص)**

لذلك في الخصائص.

وأما ما ذكره من الكذبات الثلاث، فقال البيضاوي: الحق أنها إنما كانت من معاريض الكلام، لكن لما كانت صورتها صورة الكذب أشفق منها استقصارًا لنفسه عن الشفاعة، لأن من كان أعرف بالله وأقرب إليه منزلة، كان أعظم خوفًا.

وأما قوله عن عيسى: «إنه لم يذكر ذنبًا» فوقع في حديث ابن عباس عند أحمد والنسائي: إني اتُخِذْت إلهًا من دون الله.

وفي حديث النضر بن أنس عن أبيه قال: حدثني نبي الله ﷺ قال: إني لقائم

في أوائلها (**وأما ما ذكره من الكذبات الثلاث، فقال البيضاوي: الحق إنها إنما كانت من معاريض الكلام**) التي قال ﷺ: إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب.

رواه البخاري في الأدب المفرد وابن عدي وابن السني والبيهقي: جمع معراض كمفتاح من التعريض وهو خلاف التصريح، وعرفه المتقدمون بأنه ذكر لفظ محتمل يفهم منه السامع خلاف ما يريده المتكلم (**لكن لما كانت صورتها صورة الكذب أشفق:**) خاف (**منها استقصارًا لنفسه عن الشفاعة، لأن من كان أعرف بالله وأقرب إليه منزلة كان أعظم خوفًا**) وقال في المفهم: الكلمات الثلاث ليست بكذب حقيقة ولا في شيء منها ما يوجب عتبًا، لكن هول المقام حمله على الخوف منها، فأما الأولى، فقال المفسرون: كانت في حال الصغر والطفولية، فلما اتضح له الأمر، قال: إني وجهت وجهي الآية وهذا لا يليق، فالانبياء معصومون، ولم يحفظ عن نبي أنه تلبس بخبائث قومه، ولو كان لغيرهم به أممهم، وقيل: هو استفهام إنكار والهمزة محذوفة، وقيل: قاله على سبيل الاحتجاج على قومه والتنبيه لهم على أن ما يتغير لا يصلح للربوبية، وأما الثانية، فإنما قالها توطئة منه للاستدلال على أنها ليست آله وقطعًا لدعواهم أنها تضر وتنفع، ولذا عقبه بقوله: فاسألوهم وأجابوه بقولهم: لقد علمت... الآية فقال حينئذٍ: أتعبدون... الآية.

وأما الثالثة، فإنما قالها تعريضًا بأنه سيسقم في المستقبل واسم الفاعل يكون بمعنى المستقبل، ويحتمل أن يريد أني سقيم الحجة في الخروج معكم، وأما قوله إنها أختي، فإنما عنى أنها أخته في الإسلام، كما نص عليه بقوله: أنت أختي في الإسلام.

(**وأما قوله عن عيسىٰ أنه لم يذكر ذنبًا، فوقع في حديث ابن عباس عند أحمد والنسائي: إني اتخذت**) بالبناء للمفعول (**إلهًا من دون الله**) وفي حديث أنس نحوه، وزاد: وأن يغفر لي اليوم حسبي، فسماه ذنبًا وليس بذنب، إذ لا صنع له فيه البتة.

(**وفي حديث النضر**) بضاد معجمة (**ابن أنس**) بن مالك الأنصاري البصري، ثقة، من رجال

انتظر أمتي عند الصراط، إذ جاء عيسى فقال: يا محمد، هذه الأنبياء قد جاءتك يسألونك لتدعو الله أن يفرق جمع الأمم إلى حيث شاء، لعظم ما هم فيه».

فأفادت هذه الرواية تعيين موقف النبي ﷺ حينئذ، وإن هذا الذي وصف من كلام أهل الموقف كله يقع عند نصب الصراط بعد تساقط الكفار في النار، وأن عيسى هو الذي يخاطب نبينا ﷺ، وأن جميع الأنبياء يسألونه في ذلك.

وفي حديث سلمان عند ابن أبي شيبة: «يأتون محمدًا فيقولون: يا نبي الله، أنت فتح الله بك وختم بك، وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، وجئت في هذا اليوم، وترى ما نحن فيه فقم فاشفع لنا إلى ربك، فيقول: «أنا صاحبكم، فيجوس الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة».

فإن قلت: ما الحكمة في انتقاله ﷺ من مكانه إلى الجنة؟

أجيب: بأن أرض الموقف لما كانت مقام عرض وحساب كانت مقام مخافة وإشفاق، ومقام الشافع يناسب أن يكون في مكان إكرام.

الجميع، مات سنة بضع ومائة (**عن أبيه قال: حدثني نبي الله ﷺ، قال: إني لقائم أنتظر أمتي عند الصراط إذ جاء عيسى، فقال: يا محمد هذه الأنبياء قد جاءتك يسألونك لتدعو الله**) اللام لام السؤال، وفي نسخ: لتدعو بالواو فاللام للتعليل (**أن يفرق جمع الأمم إلى حيث شاء لعظم ما هم فيه**) من الغم والكرب (**فأفادت هذه الرواية تعيين موقف النبي ﷺ حينئذٍ**) وهو عند الصراط (**وأن هذا الذي وصف من كلام أهل الموقف كله يقع عند نصب الصراط بعد تساقط**) وقوع (**الكفار في النار، وأن عيسىٰ هو الذي يخاطب نبينا ﷺ، وأن جميع الأنبياء يسألون في ذلك، وفي حديث سلمٰن**) الفارسي (**عند ابن أبي شيبة: يأتون محمدًا فيقولون: يا نبي الله أنت فتح الله بك**) كل خير (**وختم**) بك النبيين (**وغفر لك ما تقدم وما تأخر وجئت في هذا اليوم وترى ما نحن فيه**) من شدة الهول (**فقم فاشفع لنا إلى ربك، فيقول: أنا صاحبكم**) المعين للشفاعة.

وفي رواية: أنا لها أنا لها (**فيجوس**) بالجيم، وقيل: بالحاء وهما بمعنى أي يتخلل (**الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة فإن قلت: ما الحكمة في انتقاله ﷺ من مكانه إلى الجنة من ذنبك أجيب بأن أرض الموقف لما كانت مكان عرض وحساب كانت مكان مخافة وإشفاق**) عطف مساوٍ (**ومقام الشافع يناسب أن يكون في مقام إكرام**) لعلو مقامه.

وفي حديث أُبي بن كعب عند أبي يعلى رفعه: فأسجد له سجدة يرضى بها عني، ثم أمتدحه بمدحة يرضى بها عني.

وفي حديث أبي بكر الصديق، فينطلق إليه جبريل، فيخر ساجدًا قدر جمعة، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك.

وفي رواية النضر بن أنس: فأوحى الله إلى جبريل أن اذهب إلى محمد فقل له: ارفع رأسك.

وعلى هذا، فالمعنى يقول لي على لسان جبريل، والظاهر أنه ﷺ يلهم التحميد قبل سجوده وبعده وفيه، ويكون في كل مكان ما يليق به، فإنه ورد في رواية: فأقوم بين يديه فيلهمني بمحامد لا أقدر عليها، ثم أخر ساجدًا. وفي رواية البخاري: فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني.

وفي رواية أبي هريرة، عند الشيخين: «فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي

(**وفي حديث أبي بن كعب عند أبي يعلى**) قال: يعرفني اللّه نفسه يوم القيامة (**فأسجد له سجدة يرضى:**) يزيد رضاه (**بها عني، ثم أمتدحه:**) اثني عليه (**بمدحة**) يلهمنيها: (**يرضى بها عني**) ثم يؤذن لي بالكلام... الحديث.

(**وفي حديث أبي بكر الصديق**) عند أبي عوانة: فيأتي جبريل ربه فيقول: ائذن له وبشره بالجنة (**فينطلق إليه جبريل فيخر ساجدًا**) إذ رأى ربه كما في حديث أنس: (**قدر جمعة**) من جمع الدنيا (**فيقال: يا محمد إرفع رأسك**).

(**وفي رواية النضر بن أنس**) عن أبيه: (**فأوحى اللّه إلى جبريل أن اذهب إلى محمد، فقل له: إرفع رأسك، وعلى هذا فالمعنى يقول لي على لسان جبريل، والظاهر أنه ﷺ يلهم التحميد قبل سجوده وبعده، وفيه**) أي: في سجوده (**ويكون في كل مكان**) من الثلاثة (**ما يليق به، فإنه ورد في رواية**) للشيخين عن أنس: فأوتي فأقول أنا لها، فانطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي (**فأقوم بين يديه**) أي اللّه سبحانه وتعالى (**فيلهمني بمحامد لا أقدر عليها**) أي الآن في الدنيا، لكن لفظ مسلم: لا أقدر عليها إلاَّ أن يلهمنيها اللّه، ولفظ البخاري: فيلهمني اللّه محامد أحمده بها لا تحضرني الآن (**ثم أخر ساجدًا**) فصرح بأنه يحمده قبل سجوده.

(**وفي رواية البخاري**) من حديث أنس أيضًا: (**فأرفع رأسي فأحمد ربي**) بتحميد يعلمني (**وفي رواية: يعلمنيه**) ولأحمد بمحامد لم يحمده بها أحد قبلي ولا يحمده أحد بعدي، فصرح في هذه الرواية بأنه يحمد بعد الرفع من السجود.

(**وفي رواية أبي هريرة عند الشيخين**) الماضية قريبًا: (**فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا**

ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك». الحديث.

وفي رواية البخاري من حديث قتادة عن أنس: ثم أشفع، فيحد لي حدًا، ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة.

قال الطيبي: أي يبين لي كل طور من أطوار الشفاعة حدًا أقف عنده فلا أتعداه، مثل أن يقول: شفعتك فيمن أخل بالجماعة، ثم فيمن أخل بالصلاة، ثم فيمن شرب الخمر، ثم فيمن زنا، وهكذا على هذا الأسلوب، والذي يدل عليه سياق الأخبار أن المراد به تفصيل مراتب المخرجين في الأعمال الصالحة، كما وقع عند أحمد عن يحيى القطان عن سعيد بن أبي عروبة.

لربي، ثم يفتح الله عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي) ولا يحمده به أحد بعدي كما رأيت، لأنه لا يفتحه عليه فهو من خصائصه **(ثم يقال: يا محمد إرفع رأسك... الحديث)** فصرح بأنه يحمده في السجود، وطريق الجمع ما رأيت أنه يلهمه في المواضع الثلاث.

(وفي رواية البخاري من حديث قتادة عن أنس:) عقب قوله: فأحمد ربي بتحميد يعلمني **(ثم أشفع فيحد)** بفتح التحتية وضم الحاء المهملة، أي يبين **(لي حدًا ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة)** ثم أعود فأقع ساجدًا مثله في الثالثة أو الرابعة حتى أقول: يا رب ما بقي إلاَّ من حبسه القرءان، هذا بقية الحديث في البخاري.

وأخرجه مسلم أيضًا، وفي رواية لهما من وجه آخر عن أنس: بالجزم بتكرار الشفاعة أربع مرات.

(قال الطيبي:) في معنى يحد **(أي يبين لي كل طور)** أي: في كل طور **(من أطوار الشفاعة)** الأربع **(حدًا أقف عنده فلا أتعداه، مثل أن يقول شفعتك فيمن أخل بالجماعة)** في الحد الأول **(ثم فيمن أخل بالصلاة)** في الثاني **(ثم فيمن شرب الخمر)** في الثالث **(ثم فيمن زنى)** في الرابع **(وهكذا على هذا الأسلوب)** يعني أربعة أنواع من المعاصي يعين له في كل طور واحدًا منها لا يتعداه إلى غيره، وهذا إيضاح لقوله: مثل أن يقول وإشارة إلى أنه لا يتعين وإنما هو تقريب للفهم.

(و) لكن تعقبه الحافظ، بأن **(الذين يدل عليه سياق الأخبار؛ أن المراد به تفصيل)** بصاد مهملة، أي: تبيين **(مراتب المخرجين في الأعمال الصالحة كما وقع عند أحمد عن)** شيخه **(يحيى)** بن سعيد **(القطان، عن سعيد بن أبي عروبة)** مهران، عن قتادة في هذا الحديث بعينه.

وفي رواية ثابت عند أحمد فأقول: «أي رب، أمتي أمتي، فيقول: أخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة، وفي حديث سلمان: فيشفع في كل من كان في قلبه مثقال حبة من حنطة، ثم شعيرة، ثم حبة خردل، فذلك المقام المحمود».

وفي رواية أبي سعيد عند مسلم: «ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير». قال القاضي عياض: قيل معنى الخير: اليقين بالإيمان. وأما قوله في رواية أنس عند البخاري: «فأخرجهم من النار» فقال الداودي: كأن راوي هذا الحديث ركب شيئًا على غير أصله، وذلك أن في أول الحديث ذكر الشفاعة في الإراحة من كرب الموقف، وفي آخره ذكر الشفاعة في الإخراج من النار، يعني: وذلك إنما يكون بعد التحول من الموقف والمرور على الصراط وسقوط من يسقط في تلك الحالة في النار. ثم تقع بعد ذلك الشفاعة في الإخراج. وهو إشكال قوي.

وقد أجاب عنه النووي، ومن قبله القاضي عياض: بأنه قد وقع في حديث

(**وفي رواية ثابت**) عن أنس (**عند أحمد: فأقول أي رب أمتي أمتي**) مرتين (**فيقول: أخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة**) من عمل صالح.

(**وفي حديث سلمٰن**) الفارسي: (**فيشفع فيمن كان في قلبه حبة**) أي: مثال حبة (**من حنطة ثم شعيرة ثم**) حبة من (**خردل، فذلك المقام المحمود**).

(**وفي رواية أبي سعيد**) الخدري (**عند مسلم**) في حديث طويل: (**ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير**) فأدخلوه الجنة برحمتي، والأمر للمؤمنين الذين خلصوا من الصراط ناجين وطلبوا الشفاعة في العصاة كما في سياق الحديث في مسلم.

(**قال القاضي عياض: قيل معنى الخير اليقين بالإيمان وأما قوله في رواية أنس عند البخاري**) ومسلم: (**فأخرجهم من النار**) وأدخلهم الجنة.

(**فقال الداودي**) أحمد بن نصر في شرح البخاري: (**كأن راوي هذا الحديث ركب شيئًا على غير أصله**) أي أدخل حديثًا في حديث (**وذلك أن في أول الحديث ذكر الشفاعة في الإراحة من كرب الموقف، وفي آخره ذكر الشفاعة في الإخراج من النار، يعني: وذلك إنما يكون بعد التحول من الموقف والمرور على الصراط وسقوط من يسقط في تلك الحالة**) وهي المرور على الصراط (**في النار، ثم تقع بعد ذلك الشفاعة في الإخراج**) كما ثبت ذلك كله في أحاديث أخر (**وهو إشكال قوي، وقد أجاب عنه النووي ومن قبله القاضي عياض**) كلاهما في شرح مسلم؛ (**بأنه قد وقع في حديث حذيفة وأبي هريرة**) معًا عند

حذيفة وأبي هريرة: فيأتون محمدًا فيقول فيؤذن له في الشفاعة، وترسل معه الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط، يمينًا وشمالاً، أي يقفان في ناحيتي الصراط. قال القاضي عياض: فبهذا ينفصل الكلام، لأن الشفاعة التي لجأ الناس إليه فيها هي لإراحة الناس من كرب الموقف، ثم تجيء الشفاعة في الإخراج. انتهى.

والمعنى في قيام الأمانة والرحم، أنهما لعظم شأنهما، ومخافة ما يلزم العباد من رعاية حقهما، يوقفان للأمين والخائن، وللواصل والقاطع، فيحاجان عن المحق، ويشهدان على المبطل.

وقد وقع في حديث أبي هريرة بعد ذكر الجمع في الموقف: الأمر باتباع كل أمة ما كانت تعبد، ثم تمييز المنافقين من المؤمنين، ثم حلول الشفاعة بعد وضع الصراط والمرور عليه، فكأن الأمر باتباع كل أمة ما كانت تعبد هو أول

مسلم عقب ما قدمته، فيأتون موسىٰ فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة اللّٰه وروحه، فيقول عيسىٰ: لست بصاحب ذلك **(فيأتون محمدًا)** الحبيب صاحب القرب الأعظم الخليل لا من وراء وراء بل مع الكشف والعيان **(فيقوم فيؤذن له في الشفاعة وترسل معه الأمانة والرحم)** يصوران بصفة شخصين على الصفة التي يريدها اللّٰه تعالىٰ **(فيقومان جنبتي الصراط)** بفتح الجيم والنون والموحدة ويجوز سكون النون، وأنكر ابن جني فتحها **(يميناً وشمالاً)**.

(قال القاضي عياض: فبهذا ينفصل الكلام) قال الأبي: يعني أن الراوي أسقط ذلك من هذا الطريق **(لأن الشفاعة التي لجأ الناس إليه فيها هي الإراحة للناس من كرب الموقف، ثم تجيء)** بعدها **(الشفاعة في الإخراج)** من النار. **(انتهى)**.

قال الأبي: ويحتمل أن يكون شفع في الأمرين، واكتفى في حديث أنس بشفاعة الإخراج، لأنها تستلزم الأخرى لأن الإخراج فرع وقوع الحساب فيه. انتهى.

ويؤيده رواية البزار، فأقول: يا رب عجل على الخلق الحساب **(والمعنى في قيام الأمانة والرحم أنهما لعظم شأنهما ومخافة ما يلزم العباد من رعاية حقهما يوقفان للأمين والخائن وللواصل والقاطع فيحاجان عن المحق ويشهدان على المبطل)**.

وفي شرح مسلم للمصنف: ليطالبا من يريد الجواز على الصراط، فمن وفى بحقهما عاوناه على الجواز وإلاَّ تركاه، ثم عاد المصنف لذكر بقية كلام عياض، وهو: **(وقد وقع في حديث أبي هريرة)** وفي الصحيحين مطولاً **(بعد ذكر الجمع في الموقف الأمر باتباع كل أمة: ما كانت تعبد، ثم تمييز المنافقين من المؤمنين، ثم حلول الشفاعة بعد وضع الصراط**

فصل القضاء، والإراحة من كرب الموقف، وبهذا تجتمع متون الأحاديث وتترتب معانيها. انتهى.

فظهر أنه ﷺ أول من يشفع ليقضى بين الخلق، وأن الشفاعة فيمن يخرج من النار ممن سقط تقع بعد ذلك، وأن العرض والميزان وتطاير الصحف يقع في هذا الموطن، ثم ينادي لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيسقط الكفار في النار، ثم يميز بين المؤمنين والمنافقين بالامتحان بالسجود عند كشف الساق، ثم يؤذن في نصب الصراط والمرور عليه، فيطفأ نور المنافقين، فيسقطون في النار أيضًا، ويمر المؤمنون عليه إلى الجنة،فمن العصاة من يسقط، ويوقف بعض من نجا عند القنطرة

والمرور عليه، فكأن) بالتشديد اختصار لقول عياض، فيحتمل أن **(الأمر باتباع كل أمة ما كانت تعبد هو أول فصل القضاء والإراحة من كرب الموقف)** والشفاعة الأخرى هي الشفاعة في المؤمنين على الصراط، وهي له ﷺ لا لغيره، ثم بعدها شفاعة الإخراج، هذا حذفه من كلام عياض ويتلوه **(وبهذا تجتمع متون الأحاديث وتترتب معانيها. انتهى)** كلام عياض.

قال الحافظ: فكأن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر، وأما قول الطيبي جوابًا عن ذلك: لعل المؤمنين صاروا فرقتين، فرقة سيق بهم إلى النار من غير توقف، وفرقة حبسوا في المحشر واستشفعوا به ﷺ، فخلصهم مما هم فيه وأدخلهم الجنة، ثم شرع في شفاعة الداخلين في النار زمرًا بعد زمر كما دل عليه قوله: فيحد لي حدًا... الخ.

فاختصر الكلام، أو يراد بالنار الحبس والكربة وما كانوا فيه من الشدة ودنو الشمس إلى رؤوسهم وحرها وسفعها حتى ألجمهم العرق وبالخروج الخلاص منها فهو احتمال بعيد إلاَّ أن يقال إنه يقع إخراجان، وقع ذكر أحدهما في حديث الباب على اختلاف طرقه، والمراد به الخلاص من كرب الموقف، والثاني بعد تمام الخلاص من الموقف ونصب الصراط والإذن في المرور عليه، ويقع الإخراج الثاني لمن يسقط في النار حال المرور فيتجه **(فظهر أنه ﷺ أول من يشفع ليقضي بين الخلق، وإن الشفاعة فيمن يخرج من النار ممن سقط تقع بعد ذلك)** أي: بعد الشفاعة في فصل القضاء **(وأن العرض والميزان وتطاير الصحف يقع في هذا الموطن، ثم ينادى لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فيسقط الكفار في النار، ثم يميز بين المؤمنين والمنافقين بالامتحان بالسجود)** فلا يستطيعه المنافقون **(عند كشف الساق)** هو عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء، يقال: كشفت الحرب عن ساق إذا اشتد الأمر فيها، وقيل: غير ذلك **(ثم يؤذن في نصب الصراط والمرور عليه فيطفأ نور المنافقين فيسقطون:)** يقعون **(في النار أيضًا، ويمر المؤمنون عليه إلى الجنة، فمن العصاة من يسقط**

للمقاصصة بينهم، ثم يدخلون الجنة.

وقد قال النووي ومن قبله القاضي عياض: الشفاعات خمس:

الأولى: في الإراحة من هول الموقف.

الثانية: في إدخال قوم الجنة بغير حساب.

الثالثة: في إدخال قوم حوسبوا واستحقوا العذاب أن لا يعذبوا.

الرابعة: في إخراج من أدخل النار من العصاة.

الخامسة: في رفع الدرجات. انتهى.

فأما الأولى، وهي التي لإراحة الناس من هول الموقف، فيدل عليها حديث أبي هريرة وغيره المتقدم، وحديث أنس عند البخاري، ولفظه: قال ﷺ: يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون: لو اسشفعنا إلى ربنا، حتى يريحنا من مكاننا، فيأتون أدم

الأمر فيها، وقيل: غير ذلك **(ثم يؤذن في نصب الصراط والمرور عليه فيطفأ نور المنافقين فيسقطون:)** يقعون **(في النار أيضًا، ويمر المؤمنون عليه إلى الجنة، فمن العصاة من يسقط ويوقف بعض من نجا عند القنطرة)** التي بعد الجواز على الصراط بين الجنة والنار **(للمقاصصة بينهم، ثم يدخلون الجنة)** برحمة الله.

(وقد قال النووي ومن قبله القاضي عياض: الشفاعات خمس الأولى: في الإراحة من هول الموقف) كربه وشدته **(الثانية: في إدخال قوم الجنة بغير حساب، الثالث في)** منع **(إدخال قوم حوسبوا واستحقوا العذاب أن لا يعذبوا)** أي: أن لا يدخلوا النار كما عبر به عياض والنووي وتبعهما في الأنموذج **(الرابعة: في إخراج من أدخل النار من العصاة)** قبل استيفاء ما يستحقه من المكث فيها **(الخامسة: في رفع الدرجات)** في الجنة. **(انتهى)**.

قال النووي: والمختص به ﷺ الأولى والثانية وتجوز الثالثة والخامسة، ورده بعضهم بما صرحوا به أن الخصائص لا تثبت بالاحتمال **(فأما الأولى وهي التي لإراحة الناس من هول الموقف، فيدل عليها حديث أبي هريرة وغيره المتقدم، وحديث أنس عند البخاري)** ومسلم **(ولفظه: قال ﷺ: يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون:)** من الضجر والجزع مما هم فيه **(لو استشفعنا إلى ربنا)**.

وفي رواية للشيخين: على ربنا بعلى بدل إلى، ووجهت بأنه ضمن على معنى الاستعانة، لأن الاستشفاع طلب الشفاعة وهي انضمام الأدنى إلى الأعلى ليستعين به على ما يرومه **(حتى يريحنا)** بحاء مهملة من الإراحة، أي: يخلصنا **(من مكاننا)** هذا وأهواله، ولو هي المتضمنة للتمني والطلب فلا تحتاج إلى جواب أو جوابها محذوف نحو لكان خيرًا مما نحن فيه **(فيأتون**

فسجدوا لك، فاشفع لنا عند ربك فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته، ائتوا نوحًا، وذكر إتيانهم الأنبياء واحدًا واحدًا، إلى أن قال: فيأتوني، فأستأذن على ربي، فإذا رأيته وقعت ساجدًا، فيدعني في السجود ما شاء الله ثم يقالُ لي: ارفع رأسك، سل تعطه، وقل يسمع واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني الحديث.

وأما الثانية: وهي إدخال قوم الجنة بغير حساب، فيدل عليها ما في آخر حديث أبي هريرة عند البخاري ومسلم الذي قدمته فأرفع رأسي فأقول: يا رب

بيده:) بقدرته وهو تنبيه على أن خلقه ليس كخلق بنيه من تقلبهم في الأرحام وغير ذلك من الوسائط، وإلاَّ فكل شيء بقدرته تعالىٰ **(ونفخ فيك من روحه)** إضافة خلق وتشريف، زاد في رواية: وأسكنك جنته وعلمك أسماء كل شيء ووضع شيء موضع أشياء، أي: المسميات كقوله تعالىٰ: (﴿**وعلم ءادم الأسماء كلها**﴾) [البقرة/ ٣١]، أي أسماء المسميات **(وأمر الملائكة فسجدوا لك)** سجود خضوع لا سجود عبادة **(فاشفع لنا عند ربنا)** حتى يريحنا من مكاننا هذا **(فيقول: لست هناكم)** بضم الهاء وخفة النون، أي: لست في المكانة والمنزلة التي تحسبونني يريد به مقام الشفاعة، قاله تواضعًا وإكبارًا لما سألوه، أو إشارة إلى أن هذا المقام ليس لي بل لغيري، ويؤيده قوله في حديث حذيفة: لست بصاحب ذاك **(ويذكر خطيئته)** التي أصابها اعتذارًا عن التقاعد عن الشفاعة **(ائتوا نوحًا)**.

(وذكر إتيانهم الأنبياء) الأربعة **(واحدًا واحدًا)** بنحو ما سبق في حديث أبي هريرة **(إلى أن قال: فيأتوني)** بإشارة عيسىٰ.

زاد في رواية للشيخين: فأقول أنا لها أنا لها **(فاستأذن على ربي)** زاد في رواية للبخاري وغيره: في داره فيؤذن، أي في دخولها وهي الجنة، أضيفت إلى الله تعالىٰ إضافة تشريف **(فإذا رأيته)** تعالىٰ **(وقعت)** حال كوني **(ساجدًا فيدعني في السجود ما شاء الله)** زاد مسلم: أن يدعني، وللطبراني في حديث عبادة: فإذا رأيته خررت له ساجدًا شكرًا له **(ثم يقال لي: ارفع رأسك)** على لسان جبريل كما مر **(سل تعطه)** بهاء السكت، ويحتمل أنها ضمير، أي: سل ما شئت تعط سؤالك **(وقل يسمع)** بتحتية أي: قولك **(واشفع تشفع)** تقبل شفاعتك **(فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني)**.

وفي رواية مسلم: يعلمنيه... **(الحديث)** ذكر في بقيته: ثم أشفع فيحد لي إلى آخر ما مر **(وأما الثانية وهي إدخال قوم الجنة بغير حساب، فيدل عليها ما في آخر حديث أبي هريرة عند البخاري ومسلم الذي قدمته)** وهو قوله: **(فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي يا رب**

أمتي، يا رب أمتي، فيقال: يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة قال أبو حامد: والسبعون ألفًا الذين يدخلون الجنة بلا حساب، لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفًا، وإنما هي براءة مكتوبة: لا إله إلا الله محمد رسول الله، هذه براءة فلان ابن فلان، قد غفر له وسعد سعادة لا شقاء بعدها أبدًا، فما مر عليه شيء أسر من ذلك المقام.

وأما الثالثة: وهي إدخال قوم حوسبوا أن لا يعذبوا، فيدل على ذلك قوله في حديث حذيفة عند مسلم: ونبيكم على الصراط يقول: رب سلم سلم.

وأما الرابعة: وهي في إخراج من أدخل النار من العصاة، فدلائلها كثيرة، وقد روى البخاري عن عمران بن حصين مرفوعًا: يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميين.

أمتي، فيقال: يا محمد أدخل بكسر الخاء **(من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة)** وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب.

(قال أبو حامد) الغزالي: **(والسبعون ألفًا الذين يدخلون الجنة بلا حساب لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفًا)** أي: أوراقًا مكتوبًا فيها أعمالهم **(وإنما هي)** أي: صورة الصحف **(براءة مكتوبة لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله، هذه براءة فلان بن فلان قد غفر له وسعد سعادة لا شقاء بعدها أبدًا، فما مر عليه شيء أسر من ذلك المقام)** ويحتاج إلى ثبوت ذلك **(وأما الثالثة وهي إدخال قوم حوسبوا)** واستحقوا العذاب **(أن لا يعذبوا)** تقدم أن لفظ عياض وتابعه أن لا يدخلوا النار **(فيدل على ذلك قوله)** ﷺ **(في حديث حذيفة)** وأبي هريرة، جميعًا **(عند مسلم: ونبيكم)** قائم **(على الصراط يقول رب سلم)** سلم مرتين كما في مسلم، كلفظ قائم، فإسقاطه وذكر سلم مرة واحدة مع العزو لمسلم لا يليق، ولعل وجه دلالته أن قوله ذلك على الصراط يستدعي طلب منع تعذيبهم بعد استحقاقهم للعذاب، أي: رب سلمهم من الوقوع في النارك.

(وأما الرابعة وهي في إخراج من أدخل النار من العصاة فدلائلها كثيرة، وقد روى البخاري) وأبو داود والترمذي وابن ماجه **(عن عمران بن حصين مرفوعًا)** عن النبي ﷺ، قال: **(يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة ويسمون)** بفتح الميم المشددة **(الجهنميين)** وللبخاري عن أنس مرفوعًا: يخرج من النار قوم بعدما احترقوا فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين، زاد في حديث أبي سعيد عند الطبراني: من أجل سواد في

وأما الخامسة: وهي في رفع الدرجات، فقال النووي «في الروضة»: إنها من خصائصه ﷺ ولم يذكر لذلك مستندًا فالله أعلم.

وقد ذكر القاضي عياض شفاعة سادسة، وهي شفاعته ﷺ لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب لما ثبت في الصحيح أن العباس قال لرسول الله ﷺ: إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك، فهل نفعه ذلك؟ قال: نعم، وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح. وفي الصحيح أيضًا من طريق أبي سعيد أنه ﷺ قال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه.

وجوههم، فيقولون: يا ربنا أذهب عنا هذا الاسم، فيأمرهم فيغتسلون من نهر في الجنة، فيذهب ذلك الاسم عنهم.

(وأما الخامسة وهي في رفع الدرجات، فقال النووي في الروضة: إنها من خصائصه ﷺ ولم يذكر لذلك مستندًا) أي: دليلاً **(فالله أعلم)** بذلك.

(وقد ذكر القاضي عياض شفاعة سادسة وهي شفاعته ﷺ لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب) عنه **(لما ثبت في الصحيح)** للبخاري ومسلم؛ **(أن العباس قال لرسول الله ﷺ: إن أبا طالب كان يحوطك)** بضم الحاء المهملة من الحياطة وهي المراعاة، وفي رواية: يحفظك **(وينصرك:)** يعينك على ما تريد فعله **(ويغضب لك)** أي: لأجلك إشارة إلى ما كان يرد به عنه من القول والفعل؟ **(فهل نفعه ذلك، قال: نعم وجدته في غمرات من النار، فأخرجته إلى ضحضاح)** بضادين معجمتين مفتوحتين وحاءين مهملتين أولاهما ساكنة وأصله الماء الذي يبلغ الكعب، ويقال: أيضًا لما قرب من الماء وهو ضد الغمر، والمعنى أنه خفف عنه العذاب كما في الفتح وغيره، وصريح هذا الحديث، إنه خفف عنه عذاب القبر في الدنيا ويوم القيامة، يكون في ضحضاح أيضًا كما في الحديث الآخر، وهو: **(وفي الصحيح)** للبخاري ومسلم **(أيضًا من طريق أبي سعيد)** الخدري **(أنه ﷺ قال)** وذكر عنده عمه أبو طالب **(لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي)** بفتح أوله وسكون المعجمة وكسر اللام **(منه دماغه)**.

وفي رواية: أم دماغه، أي: رأسه من تسمية الشيء بما يقاربه ويجاوره، وصرح العلماء بأن الرجاء من الله ومن نبيه للوقوع، بل قال في النور عن بعض شيوخه: إذا وردت عن الله ورسله وأوليائه معناها التحقيق، ولا يشكل هذا بقوله تعالى: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾، لأنه خص

وزاد بعضهم سابعة: وهي الشفاعة لأهل المدينة، لحديث سعد، رفعه: لا يثبت أحد على لأوائها إلا كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة.

وتعقبه الحافظ ابن حجر: بأن متعلقها لا يخرج عن واحد من الخمس الأول، وبأنه لو عدَّ مثل ذلك لعدَّ حديث عبد الملك بن عباد: سمعت النبي ﷺ يقول: أول من أشفع له أهل المدينة ثم أهل مكة. ثم أهل الطائف. رواه البزار، وأخرى لمن زار قبره الشريف، وأخرى لمن أجاب المؤذن ثم صلى عليه ﷺ،

من عموم الآية لصحة الحديث.

قاله البيهقي: ولذا عد في الخصائص النبوية، أو لأن المنفعة الإخراج من النار، وفي الحديث بالتخفيف قاله القرطبي، وقيل: غير ذلك كما مر في وفاة أبي طالب مع شرح الحديثين مبسوطًا.

(وزاد بعضهم سابعة: وهي الشفاعة لأهل المدينة لحديث سعد) بسكون العين ابن أبي وقاص، وحديث أبي سعيد سعد بن مالك الخدري **(رفعه: لا يثبت)** المتقدم: لا يصبر **(أحد على لأوائها:)** شدتها وجوعها **(إلاَّ كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة)** تقدم مشروحًا في فضل المدينة.

(وتعقبه الحافظ ابن حجر بأن متعلقها) بفتح اللام المشددة، أي: الشفاعة **(لا يخرج عن واحد من الخمس الأول)** فليست بزائدة **(وبأنه لو عد مثل ذلك لعد حديث عبد الملك بن عباد)** بن جعفر المخزومي.

ذكره ابن شاهين وغيره في الصحابة، وقال في البخاري في تاريخه: سمع النبي ﷺ وذكره ابن حبان في التابعين، وقال: من زعم أن له صحبة فقد وهم، قال الحافظ: فماذا يصنع بقوله: **(سمعت النبي ﷺ يقول أول من أشفع له أهل المدينة ثم أهل مكة ثم أهل الطائف، رواه البزار)** في مسنده وابن شاهين، وأخرجه الزبير بن بكار من طريق أخرى عن محمد بن عباد ابن جعفر عن النبي ﷺ مرسلاً، فإن كان عبد الملك أخا محمد حكمنا بأن قوله: سمعت وهم من بعض رواته، لأن والدهما عبادًا لا صحبة له. انتهى.

وكان هذا من إرخاء العنان لابن حبان، وإلا فمعلوم تقديم رواية الوصل على الإرسال وتقديم من أثبت الصحبة، لا سيما البخاري على من نفاها بلا دليل إذ المثبت تمسك بقوله: سمعت النبي ﷺ **(وأخرى لمن زار قبره الشريف)** للحديث السابق: من زار قبري وجبت له شفاعتي **(وأخرى: لمن أجاب المؤذن ثم صلى ﷺ)** ثم سأل له الوسيلة، قال: فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة كما في مسلم وغيره، وتقدم في مقصد المحبة **(وأخرى في**

وأخرى في التجاوز عن تقصير الصلحاء. لكن قال الحافظ ابن حجر إنها مندرجة في الخامسة.

وزاد القرطبي: أنه أول شافع في دخول أمته الجنة قبل الناس، [ويدل له ما رواه...].

وزاد في فتح الباري أخرى، فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة، لما أخرجه الطبراني عن ابن عباس قال: السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يرحمه الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون بشفاعته ﷺ.

وأرجح الأقوال في أصحاب الأعراف أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم.

التجاوز عن تقصير الصلحاء، لكن قال الحافظ ابن حجر) العسقلاني؛ (**أنها مندرجة**) أي: داخلة (**في الخامسة**) التي هي رفع الدرجات فليست بزائدة (**وزاد القرطبي أنه أول شافع في دخول أمته الجنة قبل الناس ويدل عليه ما رواه**).

(**وزاد في فتح الباري أخرى فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة لما رواه الطبراني عن ابن عباس**) عن النبي ﷺ: شفاعتي لأهل البكائر من أمتي (**قال**) ابن عباس عقبه، موقوفًا عليه: (**السابق بالخيرات**) وهو الذي يضم إلى العمل بالكتاب التعليم والإرشاد إلى العمل به (**يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد**) الذي يعمل بالكتاب في غالب الأوقات (**يرحمه الله والظالم لنفسه**) بالتقصير بالعمل به (**وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعته ﷺ، وأرجح الأقوال**) الإثني عشر (**في أصحاب الأعراف**) سور بين الجنة والنار، وقيل: جبل أحد يوضع هناك كما في التذكرة (**أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم**).

وأخرج ابن مردويه وأبو الشيخ عن جابر: سئل ﷺ عمن استوت حسناته وسيئاته، فقال: أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون، وأخرج البيهقي عن حذيفة رفعه: يجمع الناس يوم القيامة، فيؤمر بأهل الجنة إلى الجنة ويؤمر بأهل النار إلى النار، ثم يقال لأصحاب الأعراف: ما تنتظرون؟، قالوا: ننتظر أمرك، فيقال لهم: إن حسناتكم تجاوزت بكم النار أن تدخلوها وحالت بينكم وبين الجنة خطاياكم، فادخلوا بمغفرتي ورحمتي، فهذا نص المصطفى، ولذا رجحه القرطبي وقال: القول الثاني قوم صالحون فقهاء علماء، والثالث: الشهداء، والرابع: فضلاء المؤمنين، والشهداء فرغوا من شغل أنفسهم وتفرغوا لمطالعة أحوال الناس، والخامس: قوم خرجوا للجهاد عصاة بغير إذن آبائهم، فتعادل عقوقهم واستشهادهم، ورد به حديث السادس:

وشفاعة أخرى وهي شفاعته فيمن قال: «لا إلٰه إلا الله» ولم يعمل خيرًا قط، لرواية الحسن عن أنس: «فأقول يا رب ائذن لي في الشفاعة فيمن قال: لا إلٰه إلا الله، قال: ليس ذلك لك، ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لأخرجن من النار من قال: لا إلٰه

عدول يوم القيامة الذين يشهدون على الناس وهم من كل أمة، السابع: فئة من الأنبياء، الثامن: قوم لهم صغائر لم تكفر عنهم بالآلام والمصائب في الدنيا ولا كبائر لهم، فوقفوا لينالهم بالحبس غم يقابل صغائرهم، التاسع: أصحاب الذنوب العظام من أهل القبلة، العاشر: أولاد الزنا، الحادي عشر: ملائكة موكلون بهذا السور يميزون الكافرين من المؤمنين قبل إدخالهم الجنة والنار، الثاني عشر: هم العباس وحمزة وعلي وجعفر. انتهى كلام القرطبي.

قال السيوطي: القول الخامس والثامن يمكن اجتماعهما مع الأول، لأن المدار في كل على تساوي الحسنات والسيئات، فتجتمع الأحاديث كلها ويقطع بترجيحه (**وشفاعة أخرى وهي شفاعته ﷺ فيمن قال لا إله إلا اللّه**) ومحمد رسول اللّه، لأنها علم عليهما شرعًا (**ولم يعمل خيرًا قط لحديث الحسن**) البصري (**عن أنس**) بن مالك في الصحيحين، ثم أرجع إلى ربي في الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر ساجدًا، فيقال: إرفع رأسك وقل: يسمع لك، وسل تعطه واشفع تشفع (**فأقول: يا رب إئذن لي في الشفاعة فيمن قال: لا إله إلاّ اللّه**).

قال الحميدي: يعني من قالها من أمته، وقال أبو طالب عقيل بن أبي طالب: يحتمل ذلك ويحتمل من قالها: من كل أمة، ويؤيده طلبه الإذن في الشفاعة، لأنه أذن له في الشفاعة في أمته، لأنه إنما يقدم عليها بإذنه، قال تعالىٰ: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ [البقرة/ ٥٥]، وحالات المشفوع فيه أربع: من عنده مثقال برة، ومن عنده مثقال ذرة، ومن عنده أدنى ذرة، والرابعة: من قال لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه مرة واحدة صدقًا من قلبه، ثم غفل عن استصحابها، قال الحميدي: لأنه إن قالها مرتين، فالثانية خير زائد على الإيمان يرجع إلى أحد المقادير الأول (**قال: ليس ذلك لك**) وإنما أفعله تعظيمًا لإسمي وإجلالاً لتوحيدي، ولا يقال: أطلق تعالى في السؤال ووعدة الإعطاء ووعده تعالىٰ صدق، لأنه إنما وعد ما يمكن إعطاؤه وهذا غير ممكن، لأنه مما استأثر اللّه به، وإنما سأله المصطفى ظنًا أن إعطاءه ممكن، لأنه وإن علمه في الدنيا فيجوز أن ينساه في الآخرة لجواز النسيان عليه، ولا سيما ذلك اليوم، وقد يتعين هذا لأنه لا يجوز أن نبيًا يسأل ما يعلم أنه لا يمكن، قاله أبو عبد اللّه الأبي: (**ولكن وعزتي:**) غلبتي على الجبارين وقهري لهم (**وكبريائي**) عبارة عن كمال يقتضي ترفعًا على الغير، ولذا حرم في حق المخلوق ووجب للّه، لأن له الكمال المطلق، وأصله من كبر السن أو كبر الجرم (**وعظمتي**) بمعنى الكبرياء، لكنها لا تقضي تعظمًا على الغير كما يقتضيه الكبرياء، ولأنها تستعمل

إلا الله».

فالوارد على الخمسة أربعة، وما عداها لا يرد، كما لا ترد الشفاعة في التخفيف عن صاحبي القبرين وغير ذلك لكونه من جملة أحوال الدنيا. انتهى.

فإن قلت: فأي شفاعة ادخرها ﷺ لأمته؟ أما الأولى فلا تختص بهم بل هي لإراحة الجمع كلهم، وهي المقام المحمود كما تقدم، وكذلك باقي الشفاعات الظاهر أنه يشاركهم فيها بقية الأمم.

فالجواب: أنه يحتمل أن المراد الشفاعة العظمى التي للإراحة من هول الموقف وهي وإن كانت غير مختصة بهذه الأمة لكن هم الأصل فيها، وغيرهم تبع لهم، ولهذا كان اللفظ المنقول عنه ﷺ فيها أنه قال: «يا رب أمتي أمتي»

فيما لا يستعمل فيه التعاظم، فيقال: كبير السن ولا يقال عظيمه.

زاد في رواية مسلم وجبريائي بكسر الجيم لموازاة كبريائي كما قالوا الغدايا والعشايا والأصل وجبروتي وهو العظمة والسلطان والقهر: (**لأخرجن**) بفضلي بغير شفاعة (**من النار من قال لا إله إلاّ الله**) من كل أمة، والظاهر أنه لا يأتي هنا احتمال التخصيص بالمحمدية (**فالوارد**) أي: الزائد لا أنه يعترض بها (**على الخمسة أربعة**) هي الشفاعة في أبي طالب وزائر القبر الشريف ومجيب المؤذن ومن استوت حسناته وسيئاته، ولم يعد زيادة القرطبي أنه أول شافع في دخول أمته الجنة قبل الناس، كأنه لأنها ليست بذاتها شفاعة وإنما خص بأوليتها (**وما عداها لا يرد كما لا ترد الشفاعة في التخفيف عن صاحبي القبرين**) اللذين مر عليهما النبي ﷺ فسمع صوتهما، فقال: يعذبان وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى كان أحدهما لا يستبرىء من بوله وكان الآخر يمشي بالنميمة، ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين، فوضع على كل قبر منهما كسرة، وقال: لعله يخفف عنهما ما لم تيبسا كما في الصحيحين (**وغير ذلك لكونه من جملة أحوال الدنيا. انتهى**) كلام الحافظ.

(**فإن قلت: فأي شفاعة ادخرها ﷺ لأمته، أما الأولى فلا تختص بهم، بل هي لإراحة الجمع**) أي: جمع الخلق (**كلهم**) من هول الموقف (**وهي المقام المحمود كما تقدم، وكذلك باقي الشفاعات الظاهر أنه يشاركهم**) أي: أمته (**فيها بقية الأمم فالجواب أنه يحتمل أن المراد الشفاعة العظمى التي للإراحة من هول الموقف، وهي وإن كانت غير مختصة بهذه الأمة، لكن هم الأصل فيها وغيرهم تبع لهم**) فيها (**ولهذا كان اللفظ المنقول عنه ﷺ فيها**) في الشفاعة العامة (**أنه قال: يا رب أمتي أمتي**) بناءً على إبقائه على ظاهره،

فدعا لهم فأجيب، وكان غيرهم تبعًا لهم في ذلك، ويحتمل أن تكون الشفاعة الثانية، وهي التي في إدخال قوم الجنة بغير حساب هي المختصة بهذه الأمة، فإن الحديث الوارد فيها: يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفًا بغير حساب، الحديث. ولم ينقل ذلك في بقية الأمم، ويحتمل أن يكون المراد مطلق الشفاعة المشتركة بين الشفاعات الخمس. وكون غير هذه الأمة يشاركونهم فيها أو في بعضها لا ينافي أن يكون ﷺ أخر دعوته شفاعة لأمته، فلعله لا يشفع لغيرهم من الأمم بل يشفع لهم أنبياؤهم، ويحتمل أن تكون الشفاعة لغيرهم تبعًا كما تقدم مثله في الشفاعة العظمى، والله أعلم بالشفاعة التي ادخرها لأمته.

وأنه لا تقصير فيه من الراوي ولا وهم (**فدعا لهم فأجيب وكان غيرهم تبعًا لهم في ذلك**) وهذا يصلح جوابًا عن إشكال الداودي السابق.

(**ويحتمل أن تكون الشفاعة الثانية وهي التي في إدخال قوم الجنة بغير حساب هي المختصة بهذه الأمة، فإن الحديث**) الصحيح (**الوارد فيها يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفًا بغير حساب... الحديث**) في الصحيحين عن ابن عباس مطولاً، وللترمذي وحسنه عن أبي أمامة: «رفعه وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفًا وثلاث حثيات من حثيات ربي»، ولأحمد وأبي يعلى عن الصديق رفعه: فاستزدت ربي فزادني مع كل واحد سبعين ألفًا، وللطبراني والبيهقي عن عمرو بن حزم الأنصاري رفعه: فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفًا سبعين ألفًا، قلت: رب وتبلغ أمتي هذا؟، قال: أكمل لك العدد من الأعراب، ولأحمد والبزار والطبراني عن عبد الرحمن بن أبي بكر، رفعه: «إن ربي أعطاني سبعين ألفًا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب»، فقال عمر: فهلا استزدته؟، قال: قد استزدته، فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفًا، قال عمر: فهلا استزدته؟، قال: قد استزدته فأعطاني، هكذا وفرج بين يديه وبسط باعيه وحثا، وللطبراني بسند جيد رفعه: إن في أصلاب أصلاب أصلاب رجال من أصحابي رجالاً ونساء يدخلون الجنة بغير حساب، وظاهر أن لا تعارض لأنه أخبر بسبعين ألفًا قبل الاستزادة، فلما حصلت أخبر بها (**ولم ينقل ذلك**) أي: مثله (**في بقية الأمم**) فيقوي احتمال أنها الشفاعة التي ادخرها لأمته.

(**ويحتمل أن يكون المراد مطلق الشفاعة المشتركة بين الشفاعات الخمس وكون غير هذه الأمة يشاركونهم فيها**) كلها (**أو في بعضها لا ينافي أن يكون عليه السلام أخر دعوته شفاعة لأمته، فلعله لا يشفع لغيرهم من الأمم، بل يشفع لهم أنبياؤهم**).

(**ويحتمل أن تكون الشفاعة لغيرهم تبعًا كما تقدم مثله في الشفاعة العظمى والله أعلم**

وعن بريدة أن رسول الله ﷺ قال: «إني لأرجو أن أشفع يوم القيامة عدد ما في الأرض من شجرة ومدرة»، رواه أحمد.

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «نحن آخر الأمم وأول من يحاسب، يقال: أين الأمة الأمية ونبيها، فنحن الآخرون الأولون»، رواه ابن ماجه.

وفي حديث ابن عباس عند أبي داود الطيالسي مرفوعًا: «فإذا أراد الله أن يقضي بين خلقه نادى مناد: أين محمد وأمته فأقوم وتتبعني أمتي غرا محجلين من أثر الطهور». قال رسول الله ﷺ: «فنحن الآخرون الأولون وأول من يحاسب، وتفرج لنا الأمم عن طريقنا وتقول الأمم: كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها».

وقد صح أن أول ما يقضى بين الناس في الدماء. رواه البخاري.

بالشفاعة التي ادخرها لأمته).

(وعن بريدة) بضم الموحدة مصغر **(أن رسول الله ﷺ قال: إني لأرجو)** ورجاؤه محقق الوقوع **(أن أشفع يوم القيامة)** شفاعات كثيرة **(عدد ما على الأرض)** أو التقدير في جمع عددهم كعدد ما على الأرض والأول أولى لاقتضائه كثرة الشفاعات.

وفي رواية الطبراني والبيهقي: لأكثر مما على وجه الأرض **(من شجرة ومدرة)** بفتحتين التراب المتلبد واحدة مدر بزنة قصب وقصبة وقد جاء أيضًا بالجمع من شجر ومدر.

(رواه أحمد) والطبراني في الأوسط والبيهقي **(وعن ابن عباس؛ أن النبي ﷺ قال: نحن آخر الأمم)** في الوجود في الدنيا **(وأول من يحاسب)** يوم القيامة **(يقال: أين الأمة الأمية)** نسبة إلى نبيها، فلا ينافي أن كثيرًا من الأمة يكتب **(ونبيها، فنحن الآخرون)** في الوجود **(الأولون)** في الحساب وغيره.

(رواه ابن ماجه، وفي حديث ابن عباس عند أبي داود) سليمٰن بن داود بن الجارود **(الطيالسي مرفوعًا: فإذا أراد اللّٰه أن يقضي بين خلقه نادى منادٍ)** للتشريف: **(أين محمد وأمته، فأقوم وتتبعني أمتي غرًا محجلين من أثر الطهور)** بضم الطاء وفتحها.

(قال رسول اللّٰه ﷺ: فنحن الآخرون الأولون وأول من يحاسب وتفرج:) بفتح التاء وكسر الراء توسع **(لنا الأمم عن طريقنا، وتقول الأمم: كادت)** قاربت **(هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها)** لما لهم من الشمائل الحسنة والنور الظاهر.

(وقد صح أن أول ما يقضى) بضم أوله **(بين الناس)** يوم القيامة **(في الدماء)** التي جرت بينهم في الدنيا تعظيمًا لأمرها، فإن البداءة تكون بالأهم فالأهم وهي حقيقة بذلك، فإن الذنوب

وللنسائي مرفوعًا: «أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء».

وفي البخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «أنا أول من يجثو يوم القيامة بين يدي الرحمٰن للخصومة»، يريد قصته في مبارزته هو وصاحباه الثلاثة من كفار قريش. قال أبو ذر: وفيهم نزلت ﴿**هذان خصمان اختصموا في ربهم**﴾ [الحج/١٩].

وعن أبي هريرة: قال قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما عمل فيه، وعن ماله

تعظم بحسب عظم المفسدة الواقعة بها، أو بحسب فوات المعصية المتعلقة بعدمها وهدم البنية الإنسانية من أعظم المفاسد.

قال: بعض المحققين: ولا ينبغي أن يكون بعد الكفر أعظم منه (**رواه البخاري**) في الرقاق والديات ومسلم في الحدود عن ابن مسعود، قال النبي ﷺ: «أول ما يقضي بين الناس في الدماء»، ولبعض رواة البخاري بالدماء بموحدة بدل في ولما احتمل اللفظ من حيث هو أن الأولية خاصة بما يقع الحكم فيه بين الناس وأنها أولية مطلقًا، وجاء ما يؤيد الأول، أتبعه به فقال: (**وللنسائي**) عن ابن مسعود مرفوعًا: (**أول ما يحاسب عليه العبد**) الإنسان حرًا أو عبدًا ذكرًا أو، أنثى (**الصلاة**) لأنها أم العبادات وأول الواجبات بعد الإيمان (**وأول ما يقضي بين الناس في الدماء**) لأنها أكبر الكبائر بعد الكفر ولا تناقض، لأن هذا في حق الخلق، والصلاة في حق الحق.

قال الحافظ العراقي: وظاهر الأخبار أن الذي يقع أولاً المحاسبة على حق اللّه (**وفي البخاري عن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه أنه قال: أنا أول من يجثو يوم القيامة بين يدي الرحمٰن للخصومة يريد**) على (**قصته في مبارزته**) بإضافة المصدر للفاعل (**هو وصاحباه**) حمزة وعبيدة بن الحرث المطلبي (**الثلاثة**) بالنصب مفعول مبارزة (**من كفار قريش**) وهم شيبة بن ربيعة وأخوه عتبة بضم المهملة وإسكان الفوقية وابنه الوليد بن عتبة، ومرت قصتهم في بدر وتصحف اسم عتبة في عبارة بعتيبة، فحيرت من رآها.

(**قال أبو ذر: وفيهم نزلت**: (﴿**هذان خصمان اختصموا في ربهم**﴾) [الحج/ ١٩]) ومر أن الثلاثة الكفار قتلوا وأن عبيدة الصحابي استشهد.

(**وعن أبي هريرة**) الذي في الترمذي عن أبي برزة الأسلمي (**قال: قال رسول اللّه ﷺ**: «**لا تزول قدما عبد**) عن الموضع الذي هو واقف فيه (**يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن**

من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه. رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وفي البخاري من حديث عائشة أن النبي ﷺ قال: «من نوقش الحساب عذب».

وروى البزار عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين: ديوان فيه العمل الصالح، وديوان فيه ذنوبه، وديوان فيه النعم

عمره فيما أفناه) طاعة أم عصيان **(وعن علمه فيما عمل به)** هل أخلص فيه للّه تعالى أم لا ، كذا في النسخ: والذي في الترمذي علمه ما عمل فيه وله من رواية ابن مسعود وماذا عمل فيما علم **(وعن ماله من أين اكتسبه)** من حلال أو حرام أو شبهة **(وفيما أنفقه)** أفي وجوه الطاعات أو ضدها **(وعن جسمه فيما أبلاه»)** أي: أفناه.

وفي رواية ابن مسعود: وعن شبابه فيما أبلاه **(رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح)** لكن عن أبي برزة الأسلمي لا عن أبي هريرة.

ورواه أيضًا عن ابن مسعود مرفوعًا بلفظ: لا تزول قدما ابن ءادم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وماذا عمل فيما علم، وعدها تارة أربعًا وأخرى خمسًا بالاعتبار، لأن السؤال عن المال كسبًا وإنفاقًا يعد مرة أو مرتين.

(وفي البخاري) في العلم والرقاق ومسلم **(من حديث عائشة: أن النبي ﷺ قال: من)** مبتدأ موصول **(نوقش)** بضم أوله وكسر القاف صلة الموصول **(الحساب)** نصب على المفعولية، أي من ناقشه اللّه، أي استقصى حسابه **(عذب)** بضم أوله مبني للمفعول خبر المبتدأ. قال عياض: له معنيان، أحدهما: أن نفس مناقشة الحساب وعرض الذنوب والتوقيف على قبيح ما سلف والتوبيخ تعذيب، والثاني: أنه يفضي إلى استحقاق العذاب، إذ لا حسنة للعبد إلاَّ من عند اللّه لإقداره عليها وتفضيله عليه بها وهدايته لها، ولأن الخالص لوجهه قليل، ويؤيد هذا الثاني قوله في الرواية الأخرى هلك.

وقال النووي: التأويل الثاني هو الصحيح، لأن التقصير غالب على الناس، فمن استقصى عليه ولم يسامح هلك وبقية الحديث، قالت: أي عائشة، قلت: أليس يقول اللّه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا، قال ذلك العرض.

(وروى البزار عن أنس بن مٰلك عن النبي ﷺ، قال: يخرج) أي: يؤتى **(لابن ءادم يوم القيامة ثلاثة دواوين، ديوان فيه العمل الصالح)** الذي عمله في الدنيا **(وديوان فيه ذنوبه،**

من الله تعالى عليه، فيقول الله تعالى: لأصغر نعمة ـ أحسبه قال من ديوان النعم ـ: خذي بثمنك من عمله الصالح، فتستوعب عمله الصالح وتقول: وعزتك ما استوفيت، وتبقى الذنوب والنعم، وقد ذهب العمل الصالح فإذا أراد الله أن يرحم عبدًا، قال: يا عبدي، قد ضاعفت لك حسناتك، وتجاوزت عن سيئاتك ـ أحسبه قال: ووهبت لك نعمي».

وروى الإمام أحمد بسند حسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليختصمن كل شيء يوم القيامة، حتى الشاتان فيما انتطحتا».

وعن أنس: بينا رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه،

وديوان فيه النعم من اللّه عليه، فيقول اللّه لأصغر نعمة أحسبه) أي: أظنه **(قال من ديوان النعم:)** يعني أنه تحقق أنه قال لأصغر نعمه دون قوله من ديوان النعم فلم يتحققه، وإنما ظنه **(خذي بثمنك من عمله الصالح فتستوعب)** تلك النعمة **(عمله الصالح)** كله **(وتقول: وعزتك ما استوفيت)** ثمني **(وتبقى الذنوب والنعم)**.

(وقد ذهب العمل الصالح) جملة حالية **(فإذا أراد اللّه أن يرحم عبدًا، قال: يا عبدي قد ضاعفت لك حسناتك:)** الحسنة بعشرة إلى أكثر مما شاء اللّه **(وتجاوزت عن سيئاتك، أحسبه)** أظنه **(قال: ووهبت لك نعمي)** وللطبراني عن واثلة رفعه: «يبعث اللّه يوم القيامة عبدًا لا ذنب له، فيقول اللّه: بأي الأمرين أحب إليك أن أجزيك بعملك أو بنعمتي عليك، قال: رب أنت تعلم إني لم أعصك، قال: خذوا عبدي بنعمة من نعمي فما تبقى له حسنة إلاَّ استغرقتها تلك النعمة فيقول رب بنعمتك ورحمتك».

(وروى الإمام أحمد بسند حسن عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللّه ﷺ ليختصمن كل شيء) من الأشياء التي وقع فيها ما يوجب الخصومة **(يوم القيامة حتى الشاتان فيما)** أي: في أي شيء **(انتطحتا)** عدلاً من الحكم العدل ثم تكون البهائم كلها ترابًا، ولأحمد عن أبي هريرة، قال: يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير فيبلغ من عدل اللّه أن يأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول: كونا ترابًا، فذلك حين يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابًا، ولأحمد في الزهد عن أبي عمران الجوني، قال: حدثت إن البهائم إذا رأت بني ءادم قد تصدعوا من بين يدي اللّه صنفين صنفًا إلى الجنة وصنفًا إلى النار تناديهم البهائم يا بني ءادم، الحمد للّه الذي لم يجعلنا اليوم مثلكم لا جنة نرجوا ولا عقاباً نخاف.

(وعن أنس: بينا رسول اللّه ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت:) ظهرت **(ثناياه)**،

فقال له عمر: ما أضحكك يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، قال: «رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة، فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من أخي، فقال الله: ما تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء؟ قال: يا رب فليتحمل من أوزاري - وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ثم قال: - إن ذلك ليوم عظيم، يحتاج الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم، فقال الله للطالب: ارفع بصرك فانظر، فقال: يا رب أرى مدائن من ذهب وفضة مكللة باللؤلؤ، لأي نبي هذا، أو لأي صديق هذا، أو لأي شهيد هذا؟ قال: هذا لمن يعطي الثمن، فقال: يا رب، ومن يملك ذلك؟ قال: أنت تملكه، قال: بماذا؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا رب فإني قد عفوت عنه، قال الله تعالى: فخذ بيد أخيك وأدخله الجنة، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله يصلح بين المسلمين [يوم القيامة]» رواه

(فقال له عمر) بن الخطاب: **(ماأضحكك يا رسول الله؟)** أفديك **(بأبي أنت وأمي، قال:)** أضحكني **(رجلان:)** أي خبر رجلين **(من أمتي جثيا بين يدي رب العزة، فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي)** بفتح الميم وكسر اللام **(من أخي)** في الدين **(فقال الله)** للطالب **(ما تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء، قال يا رب فليحمل من أوزاري وفاضت:)** سالت **(عينا رسول الله ﷺ بالبكاء)** شفقة ورأفة ورحمة على المؤمنين **(ثم قال: إن ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس)** إلى **(أن يحمل عنهم من أورزاهم، فقال الله)** للطالب: **(ارفع بصرك)** إلى جهة العلو **(فانظر، فقال: يا رب أرى:)** أبصر **(مدائن من ذهب وفضة مكللة باللؤلؤ)** وفي نسخة: باللآلىء بالجمع **(لأي نبي هذا، أو لأي صديق هذا، أو لأي شهيد هذا، قال: هذا لمن أعطي الثمن، قال: يا رب ومن يملك ذلك)** الثمن **(قال أنت تملكه، قال: بماذا)** أي بأي شيء أملكه يا رب **(قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا رب فإني قد عفوت عنه، قال الله تعالى: فخذ بيد أخيك فأدخله الجنة)** معك، فعفا بفضله عنهما جميعًا وأرضى الخصم عن مظلمته **(فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم)** أي: الحال الذي يقع به الاجتماع يتلاقى خلل الشيء **(فإن الله يصلح بين المسلمين)** وفي لفظ: المؤمنين **(يوم القيامة)** أي: يوفق بينهم بإلهام المظلوم العفو عن ظالمه وتعويضه عن ذلك بأحسن الجزاء.

وللطبراني بسند حسن عن أنس رفعه: «إذا التقى الخلائق يوم القيامة نادى منادٍ يا أهل الجمع تداركوا المظالم بينكم وثوابكم عليّ»، وله أيضًا عن أم هانىء رفعته: إن الله يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد، ثم ينادي منادٍ من تحت العرش: يا أهل التوحيد

الحاكم والبيهقي في البعث، كلاهما عن عباد بن أبي شيبة الحبطي، عن سعيد بن أنس عنه، وقال الحاكم: صحيح الإسناد. كذا قال.

وقد نقل: لو أن رجلاً له ثواب سبعين نبيًا، وله خصم بنصف دانق لم يدخل الجنة حتى يرضي خصمه. وقيل: يؤخذ بدانق سبعمائة صلاة مقبولة فتعطى للخصم. ذكره القشيري في التحبير.

ثم بعد انقضاء الحساب يكون وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها.

إن اللّه عزّ وجلّ قد عفا عنكم، فيقوم الناس فيتعلق بعضهم ببعض في ظلامات، فينادي منادٍ: يا أهل التوحيد ليعفو بعضكم عن بعض وعليّ الثواب.

قال الغزالي: هذا محمول على من تاب من الظلم ولم يعد إليه وهم الأوابون في قوله تعالىٰ: ﴿فإنه كان للأوابين غفورًا﴾ [الإسراء/ ٣٥].

قال القرطبي: وهذا تأويل حسن، قال: أو يكون فيمن له خبيئة من عمل صالحًا يغفراللّه له به ويرضي خصماءه ولو كان عامًا في جميع الناس ما دخل أحد النار.

(**رواه الحاكم والبيهقي في البعث كلاهما**) وكذا رواه أبو يعلى وسعيد بن منصور كلهم (**عن عباد بن أبي شيبة الحبطي**) بفتح المهملة والموحدة نسبة إلى الحبطات بطن من تميم (**عن سعيد بن أنس، عنه**) أي: عن أبيه أنس بن لملك (**وقال الحاكم: صحيح الإسناد، كذا قال:**) تبرأ منه لقول الذهبي عباد ضعفوه وشيخه سعيد لا يعرف فأنّى له الصحة. انتهى.

ونزاعه إنما هو في الصحة وإلا فله شواهد ترفعه إلى درجة الحسن، منها حديث أنس وإسناده حسن وحديث أم هانىء السابقان.

(**وقد نقل: لو أن رجلاً له ثواب سبعين نبيًا وله خصم بنصف دانق لم يدخل الجنة حتى يرضى خصمه**) هذا إن صح لا يعارض ذاك، لأن اللّه إذا أراد أرضى خصمه عنه وجازاه، فصدق أنه أرضى خصمه فليس فيه تقوية لتضعيف الحديث، كما أومأ له المصنف (**وقيل: يؤخذ بدانق سبعمائة صلاة مقبولة فتعطى للخصم، ذكره القشيري**) أبو القاسم (**في التحبير**).

وهذا أيضًا لا يعارض، لأنها إذا أخذت وقد عفا اللّه أدخله الجنة برحمته، وقوله: (**ثم بعد انقضاء الحساب يكون وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها**) نقله في

وقد ذكر الله تعالى الميزان في كتابه بلفظ الجمع، وجاءت السنة بلفظ الإفراد والجمع، فقيل: إن صورة الإفراد محمولة على أن المراد الجنس، جمعًا بين الكلامين، وقال بعضهم: يحتمل أن يكون تعددها بتعدد الأعمال، فيكون هناك موازين للعامل الواحد، يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله، ذهبت طائفة إلى أنها ميزان واحد يوزن بها للجميع، وإنما ورد في الآية بصيغة الجمع للتفخيم، وليس المراد حقيقة العدد، وهو نظير قوله: ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾

التذكرة عن العلماء، وقال: أفاد بهذا تقديم الحساب على الميزان، وأن المراد بالحساب السؤال، ولهذا لا ميزان لمن يدخل الجنة بغير حساب ولا للكفار، وإنما الميزان للمخلصين من المؤمنين.

قال السيوطي: ومن ثم بدىء بإلقاء الكفار في النار، قال: ولم يتعرض القرطبي للميزان والصراط أيهما قبل، لكن صنيعه وصنيع البيهقي يدلان على أن الميزان قبل، لأنهما ذكرا أبواب الميزان قبل الصراط، ووقع في كلام القرطبي نقلاً عن بعضهم استطرادًا ما يقتضي أن الحساب قبل الصراط، وفي أثر أيفع الكلاعي ما يقتضي أن الحساب على قناطر الصراط. انتهى.

(**وقد ذكر الله تعالى الميزان في كتابه بلفظ الجمع**): ﴿ونضع الموازين القسط فمن ثقلت موازينه﴾ [المؤمنون/ ١٠٢]، وأما قوله تعالى: ﴿والسماء رفعها ووضع الميزان﴾، فالمراد النهي عن عدم تحرير الوزن في معاملات الدنيا والأمر بإقامة العدل فيما بينهم (**وجاءت السنة بلفظ الإفراد**) كقوله ﷺ: «خلق الله كفتي الميزان مثل السماء والأرض».

رواه ابن مردويه: وقوله ﷺ: «يوضع الميزان يوم القيامة فلو وضعت فيه السموٰت والأرض لوسعت»... الحديث.

رواه الحاكم (**والجمع**) كقوله ﷺ: توضع الموازين، وكحديث حذيفة: صاحب الموازين يوم القيامة جبريل، رواه ابن جرير (**فقيل**) في وجه الجمع بينهما: (**إن صورة الإفراد محمولة على أن المراد الجنس**) الصادق بالمتعدد (**جمعًا بين الكلامين، وقال بعضهم: يحتمل أن يكون تعددها بتعدد الأعمال فيكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل واحد منها صنف من أعماله**) كما قال الشاعر:

ملك تقوم الحادثات لأجله ... فلكل حادثة لها ميزان

(**وذهبت طائفة**) وهم الأكثرون (**إلى أنها ميزان واحد يوزن بها للجميع، وإنما ورد في الآية بصيغة الجمع للتفخيم وليس المراد حقيقة العدد**) أي: الجمع الذي أقله ثلاثة (**وهو نظير قوله تعالى**: (﴿**كذبت قوم نوح المرسلين**﴾) [الشعراء/ ١٠٥]، (**والمراد رسول واحد**) وهو نوح

[الشعراء/١٠٥]، والمراد رسول واحد، وهذا هو المعتمد، وعليه الأكثرون.

واختلف في كيفية وضع الميزان، والذي جاء في أكثر الأخبار، أن الجنة توضع عن يمين العرش، والنار عن يسار العرش، ثم يؤتى بالميزان، فينصب بين يدي الله تعالى، فتوضع كفة الحسنات مقابل الجنة، وكفة السيئات مقابل النار. ذكره الحكيم الترمذي في «نواد الأصول».

واختلف أيضًا في الموزون نفسه. فقال بعضهم: توزن الأعمال نفسها. وهي وإن كانت أعراضًا إلا أنها تجسم يوم القيامة فتوزن، وقال بعضهم: الموزون صحائف الأعمال، ويدل له حديث البطاقة المشهور، وقد رواه الترمذي، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي، يرفعه بلفظ: «إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل منها مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟

عليه السلام (**وهذا هو المعتمد وعليه الأكثرون**) وقيل: الجمع باعتبار العباد وأنواع الموزونات.

(**واختلف في كيفية وضع الميزان، والذي جاء في أكثر الأخبار أن الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش، ثم يؤتى بالميزان**) مذكر وأصله الواو لجمعه على موازين (**فينصب بين يدي الله تعالى، فتوضع كفة الحسنات مقابل الجنة وكفة السيئات مقابل النار**) بتثليث كاف كفة، كما ذكره صاحب القاموس في كتابه المثلثات.

(**ذكره الحكيم الترمذي**) محمد بن علي (**في نوادر الأصول**) اسم كتاب له (**واختلف أيضًا في الموزون نفسه، فقال بعضهم: توزن الأعمال نفسها، وهي وإن كانت أعراضًا**) والعرض لا يقوم بنفسه ولا يوصف بخفة ولا ثقل (**إلاَّ أنها تجسم يوم القيامة فتوزن**) كما جاء عن ابن عباس ولا يلزم من ذلك محال لذاته وإن عجزت عقولنا عن إدراكه فنكل علمه إلى الله ولا نشتغل بكيفيته (**وقيل الموزون صحائف الأعمال**) وصححه ابن عبد البر والقرطبي (**ويدل له حديث البطاقة المشهور**).

(**وقد رواه الترمذي**) وقال: حسن غريب، وابن ماجه وابن حبان والحاكم.

وصححه البيهقي (**من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي، يرفعه بلفظ: إن الله يستخلص رجلاً**) وفي رواية ابن ماجه: يصاح برجل (**من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً**) مائة إلاَّ واحدًا (**كل سجل منها مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا، أظلمك كتبتي الحافظون؟، فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك**

فيقول: لا، يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا، يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء».

فإن قلت: إن من شأن الميزان أن يوضع في كفته شيء وفي الأخرى ضده، فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة، والذي يقابل شهادة التوحيد الكفر، ويستحيل أن يأتي عبد واحد بالكفر والإيمان معًا حتى يوضع الإيمان في كفة والكفر في أخرى.

أجاب الترمذي الحكيم: بأنه ليس المراد وضع شهادة التوحيد في كفة الميزان، وإنما المراد وضع الحسنة المترتبة على النطق بهذه الكلمة مع سائر

عذر) في فعل ذلك؟ (**فيقول: لا يا رب**) لفظ الحديث عند المذكورين، فيقول: أفلك عذر أو حسنة فيهاب الرجل؟، فيقول: لا يا رب (**فيقول: بلى. إن لك عندنا حسنة**) فهذا جواب لقوله: أو حسنة، الساقط من قلم المصنف أو كتابه؛ (**وأنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة**) رقعة صغيرة مكتوبًا (**فيها أشهد أن لا إله إلاَّ اللّه وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟، فقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفه، فطاشت**) خفت (**السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم اللّه شيء**) إذ لا شيء يعدله، وقيل: يوزن العبد مع عمله، ويؤيده حديث أحمد بسند حسن عن ابن عمرو بن العاصي، مرفوعًا: «توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى الرجل فيوضع في كفة ويوضع ما أحصي عليه فيتمايل به الميزان فيبعث به إلى النار، فإذا أدبر به إذا صائح يصيح من عند الرحمٰن لا تعجلوا لا تعجلوا، فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا اللّه فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان» (**فإن قلت: إن من شأن الميزان أن يوضع في كفته شيء وفي الأخرى ضده، فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة، والذي يقابل شهادة التوحيد الكفر، ويستحيل أن يأتي عبد واحد بالكفر والإيمان معًا حتى يوضع الإيمان في كفة، والكفر في كفة**) إذ الضدان لا يجتمعان قلت: (**أجاب الترمذي الحكيم بأنه ليس المراد وضع شهادة التوحيد في كفة الميزان**) حتى يجتمع الضدان (**وإنما المراد وضع الحسنة المترتبة على النطق بهذه الكلمة مع سائر الحسنات، ويدل لما قاله قوله:** بلى إن

الحسنات. ويدل لما قاله قوله: «بلى إن لك عندنا حسنة» ولم يقل لك عندنا إيمانًا. وقد سئل ﷺ عن لا إله إلا الله، أمن الحسنات هي؟ فقال من أعظم الحسنات. أخرجه البيهقي وغيره. ويجوز ـ كما قاله القرطبي في التذكرة ـ أن تكون هذه الكلمة هي آخر كلامه في الدنيا، كما في حديث معاذ: قال رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة».

وفي «التحبير» للقشيري: قيل لبعضهم في المنام: ما فعل الله بك؟ قال: وزنت حسناتي فرجحت السيئات على الحسنات، فسقطت صرة في كفة الحسنات فرجحت، فحلت الصرة فإذا فيها، كف تراب ألقيته في قبر مسلم.

لك عندنا حسنة ولم يقل لك عندنا إيمانًا، وقد سئل عليه السلام عن لا إله إلا اللّه أمن الحسنات هي، فقال: من أعظم الحسنات).

(أخرجه البيهقي وغيره) قال القرطبي: وتوز أعمال الجن كما توزن أعمال الإنس **(ويجوز كما قاله القرطبي في التذكرة أن تكون هذه الكلمة هي آخر كلامه في الدنيا كما في حديث معاذ)** بن جبل عند أحمد وأبي داود والحاكم، وصححه قال: **(قال رسول اللّه ﷺ من كان آخر كلامه)** في الدنيا، قال أبو البقاء آخر بالرفع اسم كان و **(لا إله إلاّ اللّه)** في موضع نصب خبر ويجوز عكسه. انتهى.

فإن قيل: أهل الكتاب ينطقون بكلمة التوحيد فلم لم يذكر قرينتها، أجاب الطيبي بأن قرينتها صدورها عن صدر الرسالة، قال الكشاف في إنما يعمر مساجد اللّه من آمن باللّه لما علم وشهر أن الإيمان باللّه قرينته الإيمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة عليهما مزدوجين كأنهما واحد غير منفك أحدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الإيمان باللّه الإيمان برسوله **(دخل الجنة)** لأنهما شهادة شهد بها عند الموت وقد ماتت شهواته وذهلت نفسه لما حل به من هول الموت وذهب حرصه ورغبته وسكنت أخلاقه السيئة وذل وانقاد لربه، فاستوى ظاهره بباطنه، فغفر له بهذه الشهادة لصدقها، وقائلها في الصحة قلبه مشحون بالشهوات والمنى ونفسه شرهة بطرة ميتة على الدنيا عشقًا وحرصًا، فلا يستوجب المغفرة بها إلاّ بعد رياضة نفسه وموت شهواته وصفاته عن التخليط.

(وفي التحبير للقشيري، قيل لبعضهم في المنام: ما فعل اللّه بك؟، قال: وزنت حسناتي) وسيئاتي **(فرجحت السيئات على الحسنات، فسقطت صرة في كفة الحسنات فرجحت)** الحسنات **(فحلت الصرة، فإذا فيها كف تراب ألقيته في قبر مسلم)** بحسن نية

وفي الخبر: إذا خفت حسنات المؤمن أخرج رسول الله ﷺ بطاقة كالأنملة فيلقيها في كفة الميزان التي فيها الحسنات فترجح الحسنات، فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي ﷺ: بأبي أنت وأمي ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك، فمن أنت؟ فيقول أنا نبيك محمد، وهذه صلاتك عليّ وقد وفيتك إياها أحوج ما تكون إليها. ذكره القشيري في تفسيره.

وذكر الغزالي أنه يؤتى برجل يوم القيامة، فما يجد حسنة يرجح بها ميزانه، وقد اعتدلت بالسوية، فيقول الله له ـ رحمة منه ـ: إذهب في الناس فالتمس من

وانكسار، وعلم بأني صائر إلى ذلك وأن لذات الدنيا التي حصلت لي كلاشيء.

(**وفي الخبر: إذا خفت حسنات المؤمن أخرج رسول الله ﷺ**) من حجزته (**بطاقة**) بيضاء (**كالأنملة فيلقيها في كفة الميزان التي فيها حسناته، فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد**) بعد أن يؤمر به إلى الجنة (**للنبي ﷺ بأبي أنت وأمي ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك فمن أنت؟، فيقول: أنا نبيك محمد وهذه صلاتك عليّ وقد وفيتك إياها أحوج ما تكون إليها، ذكره القشيري في تفسيره**).

وأخرجه ابن أبي الدنيا مطولاً عن عبد الله بن عمر، وقال: إن لآدم من الله عزّ وجلّ موقفًا في فسح من العرش عليه ثوبان أخضران كأنه نخلة سحوق ينظر إلى من ينطلق به من ولده إلى الجنة والنار، فبينما ءادم على ذلك إذ نظر إلى رجل من أمة محمد ﷺ ينطلق به إلى النار، فينادي ءادم: يا أحمد يا أحمد، فيقول: لبيك يا أبا البشر، فيقول: هذا رجل من أمتك منطلق به إلى النار، فأشد المئزر وأسرع في أثر الملائكة وأقول: يا رسل ربي قفوا، فيقولون: نحن الغلاظ الشداد لا نعصي الله ما أمرنا ونفعل ما نؤمر، فإذا أيس ﷺ قبض على لحيته بيده اليسرى واستقبل العرش بوجهه، فيقول: رب قد وعدتني أن لا تخزيني في أمتي، فيأتي النداء من عند العرش: أطيعوا محمدًا وردوا هذا العبد إلى المقام، فأخرج من حجزتي بطاقة بيضاء كالأنملة فألقيها في كفة الميزان اليمنى وأنا أقول: بسم الله، فترجح الحسنات على السيئات فينادي: سعد وسعد جده وثقلت موازينه، انطلقوا به إلى الجنة، فيقول: يا رسل ربي قفوا حتى أسأل هذا العبد الكريم على ربه، فيقول: بأبي أنت وأمي ما أحسن وجهك وأحسن خلقك من أنت فقد أقلتني عثرتي ورحمت عبرتي؟، فأقول: أنا نبيك محمد وهذه صلاتك التي كنت تصلي عليّ وافتك أحوج ما تكون إليها.

(**وذكر الغزالي أنه يؤتى برجل يوم القيامة فما يجد حسنة ترجح بها ميزانه وقد اعتدلت بالسوية**) لتساوي حسناته وسيئاته (**فيقول الله تعالىٰ له رحمة منه: اذهب في الناس**

يعطيك حسنة أدخلك بها الجنة، فما يجد أحدًا يكلمه في ذلك الأمر إلا قال له: أنا أحوج لذلك منك فييأس، فيقول له رجل: لقد لقيت الله فما وجدت في صحيفتي إلا حسنة واحدة، وما أظنها تغني عني شيئًا، خذها هبة مني، فينطلق بها فرحًا مسرورًا، فيقول الله له ما بالك؟ - وهو أعلم - فيقول: يا رب اتفق لي من أمري كيت وكيت، قال: فينادي الله تعالى بصاحبه الذي وهب له الحسنة فيقول له تعالى: كرمي أوسع من كرمك، خذ بيد أخيك وانطلقا إلى الجنة.

وكذا تستوي كفتا الميزان لرجل، فيقول الله تعالى له: لست من أهل الجنة ولا من أهل النار، فيأتي الملك بصحيفة فيضعها في كفة الميزان فيها مكتوب «أف» فترجح على الحسنات لأنها كلمة عقوق، فيؤمر به إلى النار، قال فيتطلب الرجل أن يرد إلى الله تعالى، فيقول الله تعالى: ردوه، فيقول له: أيها العبد العاق لأي شيء تطلب الرد إلي؟ فيقول: إلهي، إني سائر إلى النار وكنت عاقًا لأبي وهو سائر إلى النار مثلي، فضعف عليَّ عذابه وأنقذه منها، قال: فيضحك الله تعالى ويقول: عققته في الدنيا وبررته في الآخرة، خذ بيد أبيك وانطلقا إلى الجنة.

فالتمس من يعطيك حسنة أدخلك) بضم اللام صفة لحسنة (**بها الجنة، فما يجد أحدًا يكلمه في ذلك الأمر إلاَّ قال له: أنا أحوج لذلك منك، فييأس فيقول له: رجل لقد لقيت اللّه فما وجدت في صحيفتي إلاَّ حسنة واحدة وما أظنها تغني عني شيئًا، خذها هبة مني، فينطلق بها فرحًا مسرورًا فيقول اللّه: ما بالك**) شأنك وحالك (**وهو أعلم؟، فيقول: يا رب اتفق لي من أمري كيت وكيت**) أي: كذا وكذا بفتح التاء الفوقية فيهما وقد تكسر وهي هاء في الأصل، فصارت تاء في الوصل (**قال: فينادي اللّه تعالىٰ بصاحبه الذي وهبه الحسنة، فيقول له تعالىٰ: كرمي أوسع من كرمك خذ بيد أخيك وانطلقا إلى الجنة، وكذا تستوي كفتا الميزان لرجل فيقول اللّه تعالى له: لست من أهل الجنة ولا من أهل النار، فيأتي الملك بصحيفة فيضعها في كفة الميزان فيها مكتوب أف فترجح على الحسنات لأنها كلمة عقوق فيؤمر به إلى النار**).

(**قال: فيتطلب الرجل أن يرد إلى اللّه تعالىٰ، فيقول اللّه تعالىٰ: ردوه، فيقول له، أيها العبد العاق لأي شيء تطلب الرد إليّ؟، فيقول: إلهي إني سائر إلى النار، وكنت عاقًا لأبي وهو سائر إلى النار مثلي فضعف عليَّ عذابه**) أي: أبيه.

وفي نسخة: عذابي (**وأنقذه منها، قال: فيضحك اللّه تعالىٰ**) يرضى عنهما جميعًا (**ويقول: عققته في الدنيا وبررته**) بكسر الراء الأولى وإسكان الثانية بزنة علمته (**في الآخرة،**

وقد روى حذيفة أن صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام، وهو الذي يزن الأعمال يوم القيامة. رواه ابن جرير في تفسيره.

واختلف أيضًا في كيفية الرجحان والنقص فقال بعضهم:

الراجح أن الموزون في الآخرة يصعد، عكس ما في الدنيا، واستشهد في ذلك بقوله تعالى: ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب**﴾ [فاطر/١٠] الآية. قال الزركشي: وهو غريب مصادم لقوله تعالى: ﴿**فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية**﴾ [القارعة/٧].

وهل توزن الأعمال كلها أو خواتيمها؟ حكي عن وهب بن منبه أنه قال: يوزن من الأعمال خواتيمها، واستدل بقوله ﷺ: «إنما الأعمال بخواتيمها».

خذ بيد أبيك وانطلقا إلى الجنة) برحمة اللّه تعالى.

(وقد روى حذيفة بن اليمان أن صاحب الميزان يوم القيامة) أي: الذي يتولى أمره **(جبريل عليه السلام وهو الذي يزن الأعمال يوم القيامة).**

(رواه ابن جرير في تفسيره) وكذا ابن أبي حاتم في تفسيره وهو موقوف له حكم الرفع، وللبيهقي عن أنس رفعه: ملك الموت موكل بالميزان، وللطبراني الصغير عن أبي هريرة رفعه: يقول اللّه: يا ءادم قد جعلتك حكمًا بيني وبين ذريتك، قم عند الميزان فانظر ما يرفع إليك من أعمالهم، فمن رجح منهم خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة حتى تعلم أني لا أدخل منهم النار إلا ظالمًا.

(واختلف أيضًا في كيفية الرجحان والنقص، فقال بعضهم: الراجح أن من الموزون في الآخرة يصعد) إلى العلو **(عكس ما في الدنيا واستشهد بقوله تعالىٰ: (﴿إليه يصعد الكلم الطيب)** والعمل الصالح يرفعه﴾ **(الآية).**

(قال الزركشي: وهو غريب مصادم:) مدافع، أي: مدفوع **(لقوله تعالىٰ: (﴿فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية﴾)**، في الجنة، أي: ذات رضا بأن يرضاها، أي: مرضية له، فإن القرءان وارد بلغة العرب والتعبير بثقلت وفي مقابله بخفت، إنما يفهم منه أنها كميزان الدنيا، وأما قوله: ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ فمعناه يقبله.

(وهل توزن الأعمال كلها أو خواتيمها؟، حكي عن وهب بن منبه أنه قال: إنما يوزن من الأعمال خواتيمها) وإذا أراد اللّه بعبد خيرًا ختم له بخير عمله، وإذا أراد به شرًا ختم له بشر عمله، هذا من جملة المروي عن وهب.

(واستدل بقوله عليه السلام: «إنما الأعمال بخواتيمها») وظاهر الأحاديث والآثار أنها

وذكر الحافظ أبو نعيم عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «من قضى لأخيه المؤمن حاجة كنت واقفًا عند ميزانه، فإن رجحت وإلا شفعت له».

وقال بعض أهل العلم، فيما حكاه القرطبي في «التذكرة»: ولن يجوز أحد على الصراط حتى يسأل على سبع قناطر، فأما القنطرة الأولى: فيسأل عن الإيمان بالله، وهو شهادة أن لا إلٰه إلا الله، فإن جاء بها مخلصًا جاز، ثم يسأل في القنطرة الثانية عن الصلاة، فإن جاء بها تامة جاز، ثم يسأل في القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان، فإن جاء به تامًا جاز، ثم يسأل في القنطرة الرابعة عن الزكاة، فإن جاء بها تامة جاز، ثم يسأل في القنطرة الخامسة عن الحج والعمرة، فإن جاء بهما تامين جاز، ثم يسأل في السادسة عن الغسل والوضوء، فإن جاء بهما تامين جاز، ثم يسأل في السابعة، وليس في القناطر أصعب منها، فيسأل عن ظلامات الناس.

توزن كلها، ومن أصرحها ما رواه أحمد في الزهد عن ابن مسعود أن النبي ﷺ نزل عليه جبريل وعنده رجل يبكي، فقال: من هذا؟، قال: فلان، قال جبريل: إنا نزن أعمال بني ءادم كلها إلاَّ البكاء، فإن اللّه يطفىء بالدمعة بحورًا من نيران جهنم، وللبيهقي مرفوعًا: «ما من شيء إلاَّ له مقدار وميزان إلاَّ الدمعة، فإنه يطفأ بها بحار من النار.

(وذكر) أي: روى **(الحافظ أبو نعيم عن نافع عن ابن عمر: أن رسول اللّه ﷺ قال: من قضى لأخيه)** في الدين **(المؤمن حاجة)** أي: حاجة كانت **(كنت واقفًا عند ميزانه، فإن رجحت وإلاَّ شفعت له)** فترجح ميزانه فينجو من النار.

(وقال بعض أهل العلم فيما حكاه القرطبي في التذكرة: ولن يجوز أحد) من هذه الأمة وغيرها **(على الصراط حتى يسأل على سبع قناطر فأما القنطرة الأولى فيسأل عن الإيمان باللّه وهي شهادة أن لا إله إلاَّ اللّه، فإن جاء بها مخلصًا)** عن الشك والشرك **(جاز)** على الصراط، وإلاَّ وقع في النار **(ثم يسأل في القنطرة الثانية عن الصلاة، فإن جاء بها تامة جاز، ثم يسأل في القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان، فإن جاء به تامًا جاز، ثم يسأل في القنطرة الرابعة عن الزكاة، فإن جاء بها تامة جاز، ثم يسأل في القنطرة الخامسة عن الحج والعمرة، فإن جاء بهما تامين جاز، ثم يسأل في السادسة).**

وفي نسخة: ثم إلى القنطرة السادسة فيسأل **(عن الغسل والوضوء، فإن جاء بهما تامين جاز، ثم يسأل في السابعة وليس في القناطر أصعب منها:)** لعل المراد بعد الأولى التي هي الإيمان **(فيسأله عن ظلامات الناس).**

وفي حديث أبي هريرة عنه ﷺ: «ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجوز عليه، ولا يتكلم يومئذٍ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى، فتخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله ومنهم

(وفي حديث أبي هريرة:) أثناء حديث طويل **(عنه ﷺ: ويضرب)** بضم أوله وفتح ثالثه، أي يمد **(الصراط بين ظهراني جهنم)** أي: بين أجزاء ظهرها كأنها محيطة به.

قال القرطبي: الصراط لغة الطريق وعرفا جسر يضرب على ظهر جهنم تمر الناس عليه إلى الجنة فينجو المؤمنون على كيفيات تأتي ويسقط المنافقون.

وفي رواية للبخاري: ويضرب جسر جهنم، أي: الصراط **(فأكون أنا وأمتي أول من يجيز)** بضم التحتية وكسر الجيم بعدها تحتية فزاي معجمة، أي: من يمضي عليه ويقطعه، يقال: جاز الوادي وأجازه لغتان بمعنى قطعه وخلفه، وقال الأصمعي: جازه مشى فيه وأجازه قطعه، قاله النووي: وغيره وقال القرطبي: يحتمل أن الهمزة للتعدية، لأنه لما كان هو وأمته أول من يجوز عليه لزم تأخير غيرهم حتى يجوزوا، فإذا جازوا كأنه أجاز بقية الناس.

وفي رواية للبخاري: فأكون أنا أول من يجوز بأمته، وله أيضًا: أول من يجيزها، أي: جهنم، أي: يجوز عليها **(ولا يتكلم يومئذٍ)** أي: حين الإجازة **(إلاَّ الرسل)** لشدة الهول، لأن في غيره تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ويسأل الناس بعضهم بعضًا ويتلاومون ويخاصم التابع المتبوعين **(ودعاء الرسل)**.

وفي رواية: ولا يتكلم إلاَّ الأنبياء ودعوى الرسل **(يومئذٍ: اللهم سلم سلم)** مرتين من كمال شفقتهم **(وفي جهنم كلاليب:)** جمع كلوب بفتح الكاف وضم اللام الشديدة حديدة مقطوفة الرأس.

وفي رواية: وبه، أي: الصراط كلاليب **(مثل شوك السعدان:)** بفتح السين والدال بينهما عين ساكنة مهملات جمع سعدانة نبات ذو شوك يضرب به المثل في طيب مرعاه، قالوا: مرعى ولا كالسعدان والتشبيه به لسرعة اختطافها وكثرة الانتشاب فيها مع الحرز والتصون تمثيلاً بما عرفوه في الدنيا وألفوه بالمباشرة.

زاد في رواية للشيخين: هل رأيتم السعدان؟، قالوا: نعم يا رسول اللّه، قال: فإنها مثل شوك السعدان **(غير أنه)** أي: الشأن.

وفي رواية: أنها، أي: الشوكة **(لا يعلم قدر)** ولمسلم: لا يعلم ما قدر، قال القرطبي: قيدناه عن بعض مشايخنا بضم الراء على أن ما استفهامية، وقدر مبتدأ وبنصبها على أن ما زائدة،

من يخردل ثم ينجو، الحديث رواه البخاري.

وفي حديث حذيفة وأبي هريرة عند مسلم: ونبيكم ﷺ قائم على الصراط يقول: رب سلِّم سلِّم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يأتي الرجل فلا يستطيع

وقدر مفعول يعلم (**عظمها**) بكسر العين وفتح المعجمة.

وقال ابن التين: ضبطناه بضم العين وسكون الظاء والأول أشبه، لأنه لا يعلم قدر كبرها (**إلاَّ الله تعالى**) وفي الاستثناء إشارة إلى أن التشبيه لم يقع في مقداره (**فتخطف**) بكسر الطاء أفصح من فتحها، كما قاله ثعلب وتبعه النووي وغيره: (**الناس بأعمالهم**) بسبب أعمالهم القبيحة.

وفي رواية السدي: وبحافتيه ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس (**فمنهم من يوبق بعمله**) وفي رواية: الموبق وهما بموحدة بمعنى الهلاك، ولبعض رواة مسلم: الموثق بمثلثة من الوثاق، ولبعض رواة البخاري ومسلم: المؤمن بكسر الميم بعدها نون يقي بعمله بفتح التحتية وكسر القاف من الوقاية، أي يستره عمله، وصوب في المطالع: المؤمن، وقال: وفي يقي على هذا الوجه ضبطان بموحدة والثاني بتحتية، ولبعض رواة مسلم: يعني بمهملة ساكنة ونون مكسورة بدل بقي وهو تصحيف، كما قاله الحافظ: (**ومنهم من يخردل**) بلفظ المضارع.

وفي رواية: المخردل اسم مفعول وهما بخاء معجمة وراء ودال مهملة ولام، أي: يقطع بالكلاليب فيهوي في النار، ويحتمل أنه من الخردل، أي: جعلت أعضاؤه كالخردل، وقيل: معناه أنها تقطعهم عن لحوقهم بمن نجا، وقيل: المخردل المصروع، ورجحه ابن التين بأنه أنسب بسياق الخبر، ولبعض رواة البخاري: بجيم بدل الخاء ووهاه عياض والجردلة بجيم الإشراف على السقوط والدال مهملة للجميع، وحكي إعجامها، ورجح ابن قرقول الخاء المعجمة والدال المهملة، ولمسلم ومنهم المجازي بضم الميم وخفة الجيم وزاي مفتوحتين بينهما ألف من المجازاة، أي بأعماله (**ثم ينجو**).

وفي رواية: ثم ينجى بضم التحتية وفتح النون والجيم المشددة... (**الحديث**) بطوله (**رواه البخاري**) في مواضع مدارها على الزهري عن سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي، كلاهما عن أبي هريرة.

وكذا رواه مسلم في الإيمان من طرق لكنه أحال طريق شعيب عن الزهري على رواية ذكرها قبلها ولذا لم يعزه المصنف لهما، لأنه ساق لفظ رواية شعيب ومسلم لم يسق لفظها وإن ساق إسنادها.

(**وفي حديث حذيفة وأبي هريرة عند مسلم: ونبيكم**) ﷺ (**قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم**) بكسر اللام المشددة فيهما (**حتى تعجز**) بكسر الجيم (**أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلاَّ زحفًا**) بزاي وحاء مهملة ساكنة ففاء مشي الرجل الضعيف

السير إلاّ زحفًا، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به: فمخدوش ناج ومكردس في النار.

وهذه الكلاليب هي الشهوات المشار إليها في الحديث «حفت النار بالشهوات» فالشهوات موضوعة على جوانبها، فمن اقتحم الشهوة سقط في النار. قاله ابن العربي.

ويؤخذ من قوله: «فمخدوش الخ» أن المارين على الصراط ثلاثة أصناف: ناج بلا خدش، وهالك من أول وهلة، ومتوسط بينهما مصاب ثم ينجو.

(قال: وفي حافتي) بخفة الفاء جانبي **(الصراط كلاليب)** وهي المسماة في بعض الروايات خطاطيف **(معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش)** بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة فدال مهملة فواو ساكنة فشين معجمة، وخدش الجلد قشره بعود ونحوه **(ناج)** بنون وجيم من النار **(ومكردس في النار)** بضم الميم وفتح الكاف وسكون الراء وفتح الدال المهملة فسين مهملة المكسور الظهر من الكردوس وهو فقار الظهر، ويحتمل أنه بمعنى المكدوس.

يقال: كردس الرجل، قاله المصنف على مسلم، وفي حديث أبي سعيد في الصحيحين: فناج مسلم ومخدوش ومكدوس في جهنم حتى يمر أحدهم فيسحب سحبًا، قال الحافظ: اختلف في ضبط مكدوس، ففي مسلم بمهملة، أي: الراكب بعضه على بعض، وقيل: بمعنى مكردس.

ورواه بعضهم بالمعجمة ومعناه السوق الشديد، والمراد أنه يلقى في قعر جهنم. انتهى.

وبقية حديث مسلم: والذي نفس أبي هريرة بيده أن قعر جهنم لسبعين خريفًا **(وهذه الكلاليب هي الشهوات المشار إليها في الحديث و)** هو **(حفت)** وفي رواية: حجبت **(النار بالشهوات فالشهوات موضوعة على جوانبها، فمن اقتحم الشهوة سقط في النار)** لأنها خطاطيفها **(قاله ابن العربي)** أبو بكر **(ويؤخذ من قوله: فمخدوش إلى آخره أن المارين على الصراط ثلاثة أصناف ناج بلا خدش)** هذا لا يؤخذ منه كما هو ظاهر، وإنما يؤخذ من حديث أبي سعيد من قوله فناج مسلم بشد اللام، أي: لا يصيبه مكروه أصلاً. نعم يؤخذ مما تركه من حديث أبي هريرة وحذيفة وهو: وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يمينًا وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير وشد الرحال تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط... الخ.

(وهالك من أول وهلة) من قوله: ومكردس في النار **(ومتوسط بينهما مصاب، ثم ينجو)** يؤخذ من قوله: مخدوش ناج، ومن حديث أبي هريرة الذي قبله من قوله: ومنهم من يخردل، ثم

وفي حديث المغيرة عند الترمذي: شعار المؤمنين على الصراط: ربِّ سلِّم سلِّم. ولا يلزم من كون هذا الكلام شعار المؤمنين أن ينطقوا به، بل تنطق به الرسل، يدعون للمؤمنين بالسلامة، فيسمى ذلك شعارًا لهم.

وفي حديث ابن مسعود: فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم، يسعى بين أيديهم، الحديث؛ وفيه: فيمرون على قدر نورهم، منهم من يمر كطرفة العين، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالسحاب، ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد الفرس، ومنهم من يمر كشد الرجل، حتى يمر الرجل الذي يعطى نوره على ظهر

ينجو على أن هذا كله إنما أخذه ابن أبي جمرة من حديث أبي سعيد، كما ذكره المصنف في شرح البخاري، فقال: ويؤخذ منه كما في بهجة النفوس أن المارين على الصراط ثلاثة أصناف، فذكرها.

(**وفي حديث المغيرة**) بن شعبة (**عند الترمذي**) عن النبي ﷺ، قال: (**شعار المؤمنين على الصراط رب سلم رب سلم، ولا يلزم من كون هذا الكلام شعار المؤمنين**) أي: علامتهم التي يعرفون بها (**أن ينطقوا به**) فلا يخالف قوله: ولا يتكلم يومئذٍ إلاَّ الرسل (**بل تنطق به الرسل يدعون للمؤمنين بالسلامة، فيسمى ذلك شعارًا لهم**) باعتبار دعاء الرسل لهم به، وللطبراني عن ابن عمر ورفعه: شعار أمتي إذا حملوا على الصراط يا الله لا إله إلاَّ أنت ولعلهم يتكلمون به في نفوسهم.

(**وفي حديث ابن مسعود**) في قوله تعالىٰ:) ﴿يسعى نورهم بين أيديهم﴾ [الحديد/ ١٢]، قال: يمرون على الصراط (**فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين أيديهم... الحديث**) ومنهم من نوره مثل النخلة، وأدناهم نورًا من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ أخرى (**وفيه: فيمرون على قدر نورهم، منهم من يمر كطرفة العين**) بسكون الراء، أي: تحريكها (**ومنهم من يمر كالبرق**) وهو ما يلمع من السحاب، قيل: أي شيء كمر البرق، قال ﷺ: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين كما في مسلم (**ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب**) سقوطه (**ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد الفرس**) عدوه وجريه (**ومنهم من يمر كشد الرجل**) بالجيم على الصحيح المعروف المشهور، أي: سرعة جريه، ولبعض الرواة بحاء مهملة مفرد رحال، أي: كشد ذي الرحل.

قال عياض: وهما متقاربان في المعنى وشدهما عدوهما البالغ وجريهما (**حتى يمر الرجل**

قدميه، يحبو على وجهه ويديه ورجليه، تُجرّ يد وتعلق يد، وتجر رجل وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فلا يزال كذلك حتى يخلص، فإذا خلص وقف عليها وقال: الحمد لله الذي أعطاني ما لم يعط أحدًا إذ نجاني منها بعد أن رأيتها. الحديث. رواه ابن أبي الدنيا والطبراني.

وروى مسلم: قال أبو سعيد، بلغني أن الصراط أحد من السيف وأرق من الشعرة. وفي رواية ابن منده من هذا الوجه: قال سعيد بن أبي هلال. ووصله البيهقي عن أنس عن النبي ﷺ مجزومًا به، وفي سنده لين.

الذي يعطى نوره على ظهر قدميه، يحبو:) يمشي **(على وجهه ويديه ورجليه تُجرّ يد وتعلق يد وتجر رجل وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار، فلا يزال كذلك حتى يخلص)** من النار **(فإذا خلص وقف عليها، وقال: الحمد لله الذي أعطاني ما لم يعط أحدًا إذ نجاني منها بعد أن رأيتها... الحديث).**

(رواه ابن أبي الدنيا والطبراني) موقوفًا لفظًا مرفوعًا حكمًا إذ لا دخل للرأي فيه **(وروى مسلم: قال أبو سعيد)** الخدري: **(بلغني أن الصراط)** لفظ مسلم الجسر فذكره المصنف بالمعنى **(أحد من السيف وأرق)** بالراء **(من الشعرة)** بالإفراد، قاله المصنف وذكر الحافظ البرهان الحلبي أن الصراط شعرة من شعر جفون لملك خازن النار، لكنه لم يذكر له مستندًا ولا من خرجه، فالله تعالى أعلم.

(وفي رواية ابن منده من هذا الوجه، قال سعيد بن أبي هلال) الليثي مولاهم المدني، ثم المصري راوي أصل الحديث عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري: فجعل قائل: **(بلغني)** سعيد بن أبي هلال أبا سعيد **(ووصله البيهقي عن أنس، عن النبي ﷺ مجزومًا به)** بلفظ: على جهنم جسر مجسور أرق من الشعر وأحد من السيف... الحديث.

وللبيهقي أيضًا عن أنس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الصراط كحد السيف وإن الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات، وإن جبريل لآخذ بحجزتي، وإني لأقول: يا رب سلم سلم، فالزالون والزالات يومئذٍ كثير **(وفي سنده لين)** لكنه منجبر، فقد رواه أحمد عن عائشة، قالت: قال ﷺ لجهنم جسر أرق من الشعرة وأحد من السيف... الحديث.

ولابن منيع عن أبي هريرة رفعه: الصراط كحد السيف دحض مزلة ذا حسك وكلاليب، وللطبراني والبيهقي بسند صحيح عن ابن مسعود، قال: يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرهف.

(ولابن المبارك) والبيهقي وابن أبي الدنيا **(من مرسل عبيد بن عمير)** أحد كبار التابعين،

ولابن المبارك من مرسل عبيد بن عمير: أن الصراط مثل السيف وبجنبتيه كلاليب، والذي نفسي بيده إنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر. وأخرجه ابن أبي الدنيا من هذا الوجه وفيه: والملائكة على جنبتيه يقولون: رب سلم سلم.

وعن الفضيل بن عياض: بلغنا أن الصراط مسيرة خمس عشرة ألف سنة، خمسة آلاف صعود، وخمسة آلاف هبوط، وخمسة آلاف مستوى، أرق من الشعرة وأحد من السيف على متن جهنم، لا يجوز عليه إلا ضامر مهزول من خشية الله. ذكره ابن عساكر في ترجمته، قال في فتح الباري: وهذا معضل لا يثبت.

قال: وعن سعيد بن أبي هلال: بلغنا أن الصراط أرق من الشعرة على بعض الناس، ولبعض الناس مثل الوادي الواسع، أخرجه ابن المبارك، وهو مرسل أو معضل.

عن النبي ﷺ: **(أن الصراط مثل السيف)** نقل بالمعنى ولفظه الصراط على جهنم مثل حرف السيف **(وبجنبتيه)** بفتح الجيم والنون ويجوز سكونها بعدها موحدة تثنية جنبة، أي: ناحيتيه **(كلاليب)**.

زاد في رواية البيهقي وابن أبي الدنيا: وحسك يركبه الناس فيختطفون **(والذي نفسي بيده إنه ليؤخذ بالكلوب الواحد)** بالفتح والتشديد بزنة تنور حديدة معطوفة الرأس يعلق عليها اللحم ويرسل في التنور **(أكثر من ربيعة ومضر)**.

(وأخرجه ابن أبي الدنيا) والبيهقي **(من هذا الوجه وفيه: والملائكة على جنبتيه)** تثنية جنبة **(يقولون: رب سلم سلم)** والملائكة يخطفون بكلاليب، هذا بقية الحديث.

(وعن الفضيل بن عياض: بلغنا أن الصراط مسيرة خمسة عشر ألف سنة، خمسة آلاف صعود وخمسة آلاف هبوط، وخمسة آلاف مستوى أرق من الشعرة وأحد من السيف على متن) أي: ظهر **(جهنم، لا يجوز عليه إلاَّ ضامر مهزول من خشية اللّه)** تعالى **(ذكره)** أي: رواه **(ابن عساكر في ترجمته)** أي: الفضيل **(قال في فتح الباري)**: **(وهذا معضل لا يثبت، وعن سعيد)** بكسر العين **(ابن أبي هلال: بلغنا أن الصراط أرق من الشعرة على بعض الناس ولبعض الناس مثل الوادي الواسع)**.

(أخرجه ابن المبارك) وابن أبي الدنيا **(وهو مرسل أو معضل)** سقط منه اثنان فأكثر، ولأبي نعيم عن سهل بن عبد اللّه التستري، قال: من دق الصراط عليه في الدنيا عرض عليه في

وقد ذهب بعضهم إلى أن المراد من قوله تعالى: ﴿**وإن منكم إلا واردها**﴾ [مريم/٧١] الجواز على الصراط لأنه ممدود على النار.

وروى ابن عساكر عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار أنهم قالوا: الورود المرور على الصراط.

وقيل الورود: الدخول.

وعن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود، فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن، وقال

الآخرة، ومن عرض عليه الصراط في الدنيا دق عليه في الآخرة، ومعناه؛ أن من عرف الصراط وأن مآله إليه وقف عند أوامر اللّه جوزي باتساعه له ومروره عليه بلا ضرر وعكسه بعكسه.

(**وقد ذهب بعضهم إلى أن المراد من قوله تعالى**: (﴿**وإن منكم إلاَّ واردها**﴾) [مريم/ ٧١]، (**الجواز على الصراط**) ورجحه النووي (**لأنه ممدود على النار**).

(**وروى ابن عساكر عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار أنهم قالوا: الورود المرور على الصراط**) وكذا قال الحسن البصري عند البيهقي بلفظ: الورود المرور عليها من غير أن يدخلها.

وكذا قاله خالد بن معدان وعكرمة عند البيهقي وغيره، وللطبراني وابن عدي عن يعلى بن منبه عن النبي ﷺ، قال: تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي (**وقيل: الورود الدخول**) ورجحه القرطبي.

وأخرجه الحاكم عن ابن مسعود والبيهقي عن ابن عباس، وقاله جماعة: قال في فتح الباري وهذان القولان أصح ما ورد ولا تنافي بينهما، لأن من عبر بالدخول تجوز به عن المرور، لأن المار عليها فوق الصراط في معنى من دخلها، لكن تختلف أحوالهم باختلاف أعمالهم، فأعلاهم من يمر كلمح البرق كما بين في حديث الشفاعة، ويؤيده صحة هذا التأويل ما في مسلم أن النبي ﷺ قال: لا يدخل النار أحد شهد الحديبية، فقالت حفصة: أليس اللّه يقول: ﴿وأن منكم إلا واردها﴾ [مريم/ ٧١]، فقال: أليس اللّه يقول: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم/ ٧٢]، وفي هذا ضعف القول بأن الورود مختص بالكفار، والقول بأن معناه الدنو منها، والقول بأنه الإشراف عليها، وقيل: معنى ورودها ما يصيب المؤمن في الدنيا من الحمى وهذا ليس ببعيد ولا ينافيه بقية الأحاديث. انتهى.

(**وعن أبي سمية**) بضم السين مصغر تابعي مقبول ذكره في التقريب في الكنى ولم يذكر له اسمًا (**قال اختلفنا في الورود**) في الآية (**فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن**) وروي ذلك عند ابن جرير والبيهقي عن ابن عباس؛ أنه قال: وإن منكم إلاَّ واردها، فقال: يعني الكفار، وقال: لا يردها

بعضنا: ندخلها جميعًا، ثم ينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد اللّه فقلت له: إنا اختلفنا في الورود، فقال جابر: يردونها جميعًا، فقلت: إنا اختلفنا في ذلك، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا: يدخلونها جميعًا، فأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال: صمتاً إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الورود الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلامًا كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار ـ أو قال: لجهنم ـ ضجيجًا من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا». رواه أحمد والبيهقي بإسناد حسن.

وأخرج ابن الجوزي ـ كما ذكره القرطبي في التذكرة ـ رفعه: «الزالون عن الصراط كثير، وأكثر من يزل عنه النساء»، قال: «وإذا صار الناس على طرفي الصراط نادى ملك من تحت العرش: يا فطرة الملك الجبار جوزوا على الصراط وليقف كل عاص منكم وظالم. فيا لها من ساعة ما أعظم خوفها، وأشد حرها، يتقدم فيها من كان في الدنيا ضعيفًا مهينًا، ويتأخر عنها من كان فيها عظيمًا

مؤمن (**وقال بعضنا: ندخلها جميعًا ثم ينجي اللّه الذين اتقوا**) الشرك والكفر منها (**فلقيت جابر بن عبد اللّه، فقلت له: إنا اختلفنا في الورود، فقال جابر: يردونها جميعًا**) المؤمن والكافر (**فقلت: إنا اختلفنا في ذلك، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا: ندخلها جميعًا**) أعاد عليه السؤال ليعلم دليله لأنه أجابه أولاً بدون دليل، فلما فهم منه طلب الدليل، لأنه القاطع للنزاع، ذكره (**فأهوى بإصبعيه إلى أذنيه وقال: صمتًا إن لم أكن سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: .الورود الدخول، لا يبقى بر**) متق (**ولا فاجر إلاَّ دخلها فتكون على المؤمنين بردًا وسلامًا كما كانت على إبراهيم**) نار الدنيا (**حتى إن للنار، أو قال: لجهنم**) شك الراوي (**ضجيجًا**) صياحًا قويًا (**من بردهم**) الذي قام بهم وضجيجها حقيقي لا أنه من مجاز الحذف، أي: أهلها لأنهم يودون بردها عليهم، وتقدم في الحديث: تقول النار للمؤمن جز والأصل الحقيقة ولا داعية للتأويل، لا سيما المفسد للمعنى كما هنا (**ثم ينجي اللّه الذين اتقوا**) الكفر بالإيمان (**ويذر الظالمين:**) يترك الكافرين (**فيها جثيًا**).

(**رواه أحمد**) والحاكم (**والبيهقي بإسناد حسن**) وصححه الحاكم.

(**وأخرج ابن الجوزي كما ذكره القرطبي في التذكرة، رفعه: «الزالون عن الصراط كثير، وأكثر من يزل عنه النساء»، قال: «وإذا صار الناس على طرفي الصراط نادى مالك من تحت العرش: يا فطرة**) خلقة (**الملك**) بكسر اللام (**الجبار جوزوا على الصراط وليقف كل عاص منكم وظالم**) كافر، (**فيا لها من ساعة ما أعظم**) أكبر (**خوفها وأشد حرها، يتقدم فيها من كان في الدنيا ضعيفًا مهينًا**) بفتح فكسر (**ويتأخر عنها من كان فيها عظيمًا مكينًا:**) مرتفع

مكينًا، ثم يؤذن لجميعهم بعد ذلك في الجواز على الصراط على قدر أعمالهم، فإذا عصف الصراط بأمة محمد ﷺ نادوا: وامحمداه وامحمداه، فيبادر ﷺ من شدة إشفاقه عليهم، وجبريل آخذ بحجزته، فينادي ﷺ رافعًا صوته: رب أمتي أمتي، لا أسألك اليوم نفسي ولا فاطمة ابنتي، والملائكة قيام عن يمين الصراط ويساره ينادون رب سلم. وقد عظمت الأهوال واشتدت الأوجال، والعصاة يتساقطون عن اليمين والشمال، والزبانية يتلقونهم بالسلاسل والأغلال. وينادونهم: أما نهيتم عن كسب الأوزار، أما أنذرتم كل الإنذار، أما جاءكم النبي المختار. ذكره ابن الجوزي في كتابه «روضة المشتاق».

وقد جاء في حديث أبي هريرة عنه ﷺ قال: «من أحسن الصدقة في الدنيا مر على الصراط». رواه أبو نعيم.

وفي الحديث: من يكن المسجد بيته ضمن الله له بالرَوح والرحمة والجواز

القدر (**ثم يؤذن لجميعهم بعد ذلك في الجواز على الصراط على قدر أعمالهم، فإذا عصف الصراط**) اشتد وصعب أمره (**بأمة محمد ﷺ، نادوا: وامحمداه وامحمداه**) مرتين (**فيبادر عليه الصلاة والسلام من شدة إشفاقه:**) خوفه (**عليهم وجبريل آخذ بحجزته**) بضم المهملة وإسكان الجيم معقد الإزار (**فينادي ﷺ رافعًا صوته: رب أمتي أمتي**) مرتين (**لا أسأل اليوم نفسي ولا فاطمة ابنتي والملائكة قيام عن يمين الصراط ويساره ينادون، رب سلم سلم**) مرتين (**وقد عظمت الأهوال واشتدت الأوجال:**) جمع وجل بجيم الخوف (**والعصاة يتساقطون عن اليمين والشمال والزبانية**) سموا بذلك من الزبن وهو الدفع لدفعهم أهل النار فيها (**يتلقونهم بالسلاسل**) ويسحبونهم بها (**والأغلال**) في أعناقهم تشتد فيها السلاسل (**وينادونهم**) للتوبيخ (**أما نهيتم عن كسب الأوزار**) الآثام (**أما أنذرتم كل الإنذار**) البالغ البين (**أما جاءكم النبي المختار**).

(**ذكره ابن الجوزي في كتابه روضة المشتاق**) أحد تصانيفه الكثيرة جدًا (**وقد جاء في حديث أبي هريرة عنه ﷺ أنه قال: من أحسن الصدقة**) بأن حصلها من حل وتصدق بها على مستحق (**في الدنيا جاز على الصراط**) حال كونه مدلا كما (**رواه أبو نعيم**) في الحلية والأصبهاني في الترغيب، فسقط مدلاً من المصنف أو نساخه، قال الأصبهاني: أي آمنا غير خائف والإدلال الانبساط والوثوق بما يأتي ويفعل.

(**وفي الحديث**) المرفوع: (**من يكن المسجد بيته**) بحيث يلزمه ويعظمه، ورفع المسجد ونصب بيته أولى من عكسه، لأن الغرض الحكم عن المسجد بأنه اتخذ بيتًا (**ضمن**)

على الصراط إلى الجنة.

وروى القرطبي عن ابن المبارك عن عبد الله بن سلام: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأنبياء نبيًا نبيًا، وأمة أمة، ويضرب الجسر على جهنم وينادي أين أحمد وأمته، فيقوم رسول الله ﷺ وتتبعه أمته، برها وفاجرها، حتى إذا كان على الصراط طمس الله أبصار أعدائه فيتهافتون في النار يمينًا وشمالاً، ويمضي النبي ﷺ والصالحون معه، فتتلقاهم الملائكة فيدلونهم على الطريق، على يمينك، على شمالك، حتى ينتهي إلى ربه، فيوضع له كرسي عن يمين العرش، ثم يتبعه عيسى عليه السلام على مثل سبيله، وتتبعه أمته برها وفاجرها، حتى إذا كانوا على الصراط طمس الله أبصار

أي: تكفل (**الله له بالروح**) بالفتح الراحة (**والرحمة والجواز على الصراط إلى الجنة**).

وهذا الحديث رواه سعيد بن منصور والطبراني والبزار وحسنه عن أبي الدرداء: المساجد بيوت المتقين وقد ضمن الله لمن كانت المساجد بيوتهم بالروح والراحة والجواز على الصراط إلى رضوان الله... الحديث.

وللطبراني وابن حبان عن عائشة وابن عساكر عن ابن عمر، رفعاه: من كان وصلة لأخيه المسلم إلى ذي سلطان في تبليغ بر أو تيسير عسير أعانه الله على إجازة الصراط يوم القيامة عند دحض الأقدام، وفي الباب أحاديث وآثار في البدور.

(**وروى القرطبي عن ابن المبارك**) بسنده (**عن عبد الله بن سلام**) بالتخفيف الإسرائيلي المبشر بالجنة، وقد رواه الحاكم وصححه عنه، قال: (**إذا كان يوم القيامة جمع الله الأنبياء نبيًا نبيًا و**) جمع الأمم (**أمة أمة**) ولفظ الحاكم: يبعث الله الخليقة أمة أمة ونبيًا نبيًا حتى يكون أحمد وأمته آخر الأمم مركزًا (**ويضرب**) وللحاكم: ثم يضرب (**الجسر**) بفتح الجيم وتكسر (**على جهنم وينادي**) بالبناء للمفعول، وللحاكم: ثم ينادى منادٍ: (**أين أحمد وأمته، فيقوم رسول الله ﷺ وتتبعه أمته برها وفاجرها حتى إذا كان على الصراط طمس الله**) بفتح الميم، أي محا (**أبصار**) أي نور أبصار (**أعدائه فيتهافتون:**) يتساقطون (**في النار يمينًا وشمالاً ويمضي النبي ﷺ والصالحون**) المؤمنون (**معه فتتلقاهم الملائكة**).

زاد الحاكم: تبوؤهم منازلهم في الجنة (**فيدلونهم على الطريق**) قائلين (**على يمينك على شمالك حتى ينتهي إلى ربه فيوضع له كرسي عن يمين العرش ثم يتبعه عيسى عليه السلام على مثل سبيله**) وللحاكم: ثم ينادي منادٍ أين عيسى وأمته؟، فيقوم (**وتتبعه أمته برها وفاجرها حتى إذا كانوا على الصراط طمس الله أبصار أعدائه، فيتهافتون:**) يتساقطون

أعدائهم فيتهافتون في النار يمينًا وشمالاً. الحديث.

واعلم أن في الآخرة صراطين: أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم إلا من دخل الجنة بغير حساب، أو يلتقطه عنق من النار، فإذا خلص من خلص من الصراط الأكبر حبسوا على صراط آخر لهم، ولا يرجع إلى النار أحد من هؤلاء إن شاء الله لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم. وقد روى البخاري من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي

(في النار يمينًا وشمالاً).

(الحديث) بقيته: وينجو النبي والصالحون ثم تتبعهم الأنبياء حتى يكون آخرهم نوح، قال الذهبي: غريب موقوف انتهى، فيحتمل أن ابن سلام نقله من الكتب القديمة لأنه حبرها، ويحتمل أنه سمعه من النبي ﷺ: **(واعلم أن في الآخرة صراطين)** كما ذكره القرطبي **(أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم)** ثقيلهم وخفيفهم **(إلاَّ من دخل الجنة بغير حساب، أو يلتقطه عنق)** بضم العين والنون أي طائفة وجانب **(من النار فإذا خلص من خلص من الصراط الأكبر)** قال في التذكرة ولا يخلص منه إلا المؤمنون الذين علم اللّه منهم أن القصاص لا يستنفد حسناتهم **(حبسوا على صراط آخر لهم ولا يرجع إلى النار أحد من هؤلاء إن شاء اللّه، لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم)** الذي يسقط فيها من أوبقه ذنبه وأربى على الحساب بالقصاص جرمه كما في كلام القرطبي.

(وقد روى البخاري) في المظالم والرقاق **(من حديث أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول اللّه ﷺ)** زاد الإسمعيلي في هذه الآية: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين﴾ [الحجر/ ٤٧] الآية **(يخلص)** بفتح التحتية وضم اللام، أي: ينجو **(المؤمنون من)** السقوط في **(النار)** بعدما يجوزون الصراط **(فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار)** قيل: إنها صراط آخر، وقيل: إنها من تتمة الصراط وإنها طرفه الذي يلي الجنة، قال الحافظ: لعل أصحاب الأعراف منهم على القول الراجح **(فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا)** بضم التحتية وسكون القاف ثم فوقية مفتوحة.

كذا في الفرع بضم التحتية، وضبطه الحافظ وتبعه العيني بفتحها، فاللام زائدة أو الفاعل محذوف وهو اللّه تعالى أو من أقامه في ذلك: وللبخاري في المظالم: فيقتص بعضهم من

نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا».

وأما تفضيله ﷺ بأنه أول من يقرع باب الجنة وأول من يدخلها، **ففي** صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أكثر الناس تبعًا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة.

بعض، وفي رواية: فيقص بضم التحتية وفتح القاف وبدون تاء مبنياً للمفعول، قاله المصنف: **(حتى إذا هذبوا)** بضم الهاء وكسر المعجمة المشددة فموحدة من التهذيب **(ونقوا)** بضم النون والقاف المشددة من التنقية.

قال الجوهري: التهذيب كالتنقية ورجل مهذب، أي: مطهر الأخلاق، فعلى هذا قوله: ونقوا تفسير لهذبوا والمراد التخليص من التبعات، فإذا خلصوا منها **(أذن)** بضم الهمزة وكسر المعجمة **(لهم في دخول الجنة)** وليس في قلوب بعضهم على بعض غل كما في الحديث، أي حقد كامن في قلوبهم، بل ألقى الله فيها التواد والتحاب **(فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم)** فتح اللام للتأكيد وأحد مبتدأ خبره قوله: **(أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله)** الذي **(كان في الدنيا)**.

قال الطيبي: هدى لا يتعدى بالباء بل باللام، وإلى، فالوجه أن يضمن معنى اللصوق، أي: ألصق بمنزله هاديًا إليه، وفي معناه قوله: يهديهم ربهم بإيمانهم، أي: يهديهم في الآخرة بنور إيمانهم إلى طريق الجنة فجعل تجري من تحتهم الأنهار بيانًا له وتفسيرًا لأن التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها. انتهى، وما سبق عن عبد الله بن سلام؛ أن الملائكة تدلهم على طريق الجنة يمينًا وشمالاً، فهو محمول على من لم يحبس بالقنطرة أو على الجميع، وأن الملائكة تقول لهم ذلك قبل دخول الجنة، فمن دخلها عرف منزله، لأن منازلهم كانت تعرض عليهم غدوا وعشيًا والله أعلم.

(وأما تفضيله ﷺ بأنه أول من يقرع) يدق ويطرق **(باب الجنة وأول من يدخلها، ففي صحيح)** أي: فدليله، أو فيدل عليه ما في **(مسلم)** في كتاب الإيمان **(من حديث المختار ابن فلفل)** بضم الفاءين وإسكان اللام الأولى مولى عمرو بن حريث، صدوق له أوهام **(عن أنس:)** هذا هو الصواب، ويقع في نسخ **(عن ابن عباس)**: وهو خطأ، فالذي في مسلم عن أنس بن ملك **(قال: قال رسول الله ﷺ أنا أكثر الناس)** كذا في النسخ، والذي في مسلم: الأنبياء **(تبعًا:)** بفتح الفوقية والموحدة جمع تابع **(يوم القيامة)** لبقاء شريعته ودوامها إلى يوم القيامة، وخصه لأنه يوم ظهور ذلك لأهل الجمع ويوضحه خبر مسلم أيضًا، أن من الأنبياء من يأتي يوم القيامة ما معه مصدق غير واحد ولا يعارضه، وأرجو أن أكون أكثرهم تبعًا إما لأن رجاءه محقق الوقوع

وفيه أيضًا من حديث أنس قال ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت، لا أفتح لأحد قبلك. ورواه الطبراني وزاد فيه: قال فيقوم الخازن ويقول: لا أفتح لأحد قبلك، ولا أقوم

أو قاله قبل أن يكشف له عن أمته ويراهم، فلما حقق اللّه رجاءه ورآهم جزم به **(وأنا أول من يقرع باب الجنة)** أي: يطرقه للاستفتاح فيكون أول داخل **(وفيه)** أي مسلم في الإيمان **(أيضًا من حديث)** ثابت البناني عن **(أنس)** بن ملك، قال: **قال** ﷺ: **آتي)** بمد الهمزة **(باب الجنة يوم القيامة)** بعد الحشر والحساب، وعبر بآتي دون أجيء للإشارة إلى أن مجيئه على تمهل وأمان بلا تعب، لأن الإتيان كما قال الراغب مجيء بسهولة والمجيء أعم **(فأستفتح)** بسين الطلب إيماء إلى تحقق وقوع مدخولها، أي: أطلب فتحه بالقرع كما في الأحاديث لا بالصوت، وفاء التعقيب إشارة إلى أنه أذن له من اللّه بلا واسطة خازن ولا غيره بحيث صار الخازن مأموره منتظرًا قدومه **(فيقول الخازن)** الحافظ المؤتمن على ما استحفظه وأل عهدية والمعهود رضوان، وخص مع كثرة الخزنة لأنه أعظمهم، وعظيم الرسل إنما يتلقاه عظيم الخزنة **(من أنت)** أجابه بالاستفهام وأكده بالخطاب تلذذًا بمناجاته وإلا فأبواب الجنة شفافة كما في خبر وهو العلم الذي لا يشتبه والتمييز الذي لا يلتبس، وقد رآه رضوان قبل ذلك وعرفه أتم معرفة، ولذا اكتفى بقوله: **(فأقول محمد)** وإن كان المسمى به كثيرًا، ولا ينافي كون أبواب الجنة شفافة خبر أبي يعلى عن أنس، رفعه: أقرع باب الجنة فيفتح لي باب من ذهب وحلقة من فضة، لأن ما في الدنيا لا يشبه ما في الجنة إلا في مجرد الاسم، كما في حديث: فلا مانع من كونه ذهبًا شفافًا ولم يقل أنا لإبهامه مع إشعاره بتعظيم النفس وهو سيد المتواضعين.

قال ابن الجوزي أنا لا تخلو عن نوع تكبر، كأنه يقول: أنا لا أحتاج إلى ذكر اسمي ولا نسبي لسمو مقامي، وذهب بعض الصوفية والعلماء إلى كراهة إخبار الرجل عن نفسه بأنا تمسكًا بظاهر الخبر حتى قالوا: إنها كلمة لم تزل مشؤومة على قائلها، كقول إبليس: أنا خير، وفرعون: أنا ربكم، قال بعض المحققين: وليس كما قالوا، بل الشؤم لما صحبه من دعوى الخير والربوبية، وقد ناقضهم نصوص كثيرة إنما أنا بشر أنا أول المسلمين وما أنا من المتكلفين أنا سيد ولد ءادم أنا أثر الأنبياء تبعًا وغير ذلك، وقد قال النووي: لا بأس أن يقول أنا الشيخ فلان أو القاضي فلان إذا لم يحصل التمييز إلا به وخلا عن الخيلاء والكبر **(فيقول: بك)** بسببك متعلق بقوله: **(أمرت)** بالبناء للمفعول والفاعل اللّه قدمت للتخصيص، ويجوز أن تكون صلة للفعل، وأن قوله: **(لا أفتح)** بدل من الضمير المجرور، أي: أمرت بعدم الفتح **(لأحد قبلك)** والرواية في مسلم: لا أفتح بدون أن قبلها كما ذكره المصنف هنا خلافًا لما وقع له في الخصائص

لأحد بعدك».

فقيامه له ﷺ خاصة، فيه إظهار لمزيته ومرتبته، وأنه لا يقوم في خدمة أحد بعده، بل خزنة الجنة يقومون في خدمته وهو كالملك عليهم، وقد أقامه الله تعالى في خدمة عبده ورسوله محمد ﷺ.

وروى سهيل بن أبي صالح عن زياد المهري عن أنس بن مالك قال: قال

والسيوطي في جامعيه من زيادة أن.

وقد تعقب بأن الذي في نسخ مسلم الصحيحة المقروءة بدون أن، وأحد في سياق النفي للعموم، فيفيد استغراق جميع الأفراد، أي: لا من الأنبياء ولا من غيرهم، وفيه أن طلب الفتح إنما هو للخازن وإلا لما كان هو المجيب ولم يطلبه منها بلا واسطة مع أنه جاء عن الحسن وقتادة وغيرهما أن أبوابها يرى ظاهرها من باطنها وعكسه؛ وأنها تتكلم وتكلم وتعقل ما يقال لها انفتحي انغلقي، لأن الظاهر كما قال بعضهم أنها مأمورة بعدم الاستقلال بالفتح والغلق وأنها لا تستطيع ذلك إلا بأمر عريفها المالك لأمرها بإذن ربها، وإنما يطالب بما يراد من القوم عرفًا وهم ولا تعارض بين الحديث وبين قوله تعالىٰ: ﴿جنات عدن مفتحة لهم الأبواب حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها﴾ [الزمر/ ٧١]، ووجهه الرازي وغيره بأنه يوجب السرور والفرح حيث نظروها مفتحة من بعد وفيه الخلاص من ذل الوقوف للاستفتاح، لأن أبوابها تفتح أولاً بعد الاستفتاح من جمع ويكون مقدمًا بالنسبة إلىٰ البعض كما يقتضيه خبر أن الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام، والظاهر أنها لا تغلق بعد فتحها للفقراء هذا أحسن الأجوبة الستة كما قال بعض المحققين ونوقش في باقيها.

(ورواه الطبراني وزاد فيه، قال: فيقوم الخازن) رضوان **(فيقول: لا أفتح لأحد قبلك)** كما أمرت، ولا يعارضه خبر الديلمي وأبي نعيم: «أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة فيفتحها اللّه عزّ وجلّ لي» لأنه تعالى هو الفاتح الحقيقي وتولي رضوان ذلك إنما هو بأمره تعالى وإقداره وتمكينه **(ولا أقوم لأحد بعدك، فقيامه له ﷺ خاصة فيه إظهار لمزيته ومرتبته، وأنه لا يقوم في خدمة أحد بعده، بل خزنة الجنة يقومون في خدمته)** أي: رضوان **(وهو كالملك)** الحاكم **(عليهم، وقد أقامه الله تعالى في خدمة عبده ورسوله محمد ﷺ)** حتى مشى وفتح له الباب وحكمة اتخاذ الخدمة للجنة مع أنها إنما تكون عرفًا لما خيف ضياعه أو تلفه أو نقصه فيفوت كله أو بعضه أو وصفه على صاحبه ولا يمكن ذلك في الجنة هي مراعاة الداخلين إكرامًا لهم، فتقدم الخزنة لكل منهم ما أعد له من النعيم **(وروى سهيل)** بضم السين مصغر **(ابن أبي صالح)** ذكوان السمان أبو يزيد المدني، صدوق تغير حفظه بأخرة.

رسول الله ﷺ: «أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر». وهو في مسند الفردوس لكن من حديث ابن عباس.

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وما من نبي آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، قال: فيفزع الناس ثلاث فزعات، فيأتون آدم»، فذكر الحديث إلى أن قال: فيأتوني فأنطلق معهم، قال ابن

روى عنه لملك ونحوه قبل التغير، وروى له الستة إلاَّ أن البخاري إنما روى له حديثًا واحدًا مقرونًا بيحيى بن سعيد وعلق له في مواضع مات في خلافة المنصور **(عن زياد المهري)** بفتح الميم وإسكان الهاء نسبة إلى مهرة قبيلة من قضاعة **(عن أنس ابن لملك، قال: «قال رسول الله ﷺ أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر»)** بذلك، بل بمن أعطانيه **(وهو في مسند الفردوس)** للديلمي **(لكن من حديث ابن عباس)** وقد رواه أحمد والترمذي عن أنس رفعه: «أنا أول من يأخذ بحلقة الباب فأقعقعها»، ففي هذا كله أنا أول من يدخل الجنة استشكل بالسبعين ألفًا الداخلين بغير حساب فإنهم يدخلون قبله، وبحديث رؤياه ﷺ بلالاً سبقه في دخولها، وحديث المرأة التي تبادره في دخولها، وبقوله ﷺ: أول من يقرع باب الجنة عبد أدى حق اللّه وحق مواليه.

رواه البيهقي، وبإدريس: فإنه أدخل الجنة بعد موته وهو فيها كما ورد، وأجيب بأن دخوله ﷺ يتعدد، فالدخول الأول لا يتقدمه ولا يشاركه فيه أحد ويتخلل بينه وبين ما بعده دخول غيره، وقد روى ابن منده في حديث؛ أنه كرر الدخول أربع مرات، وأما إدريس فلا يرد، لأن المراد الدخول التام يوم القيامة وإدريس يحضر الموقف للسؤال عن التبليغ، هذا أظهر الأجوبة ويأتي بعضها.

(وعن أبي سعيد) الخدري **(قال: قال رسول اللّه ﷺ أنا سيد ولد ءادم)** وفي أولاده من هو أفضل منه وذلك يستلزم سيادته على ءادم **(يوم القيامة و لافخر)** لا عظمة **(وبيدي لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وما من نبي ءادم)** بالرفع بدل من محل نبي المجرور لفظًا بمن الزائدة **(فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر)** تقدم شرح هذا كله **(قال: فيفزع الناس ثلاث فزعات)** من زفرات جهنم.

روى أبو نعيم عن كعب، قال: إذا كان يوم القيامة جمع اللّه الأولين والآخرين في صعيد واحد، فنزلت الملائكة فصاروا صفًا، فيقول اللّه لجبريل: أئت بجهنم، فيأتي بها تقاد بسبعين ألف زمام حتى إذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت لها أفئدة الخلائق،

جدعان قال أنس: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ، قال: «فآخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها، فيقال: من هذا؟ فيقال: محمد، فيفتحون لي ويرحبون بي فيقولون: مرحبًا، فأخر ساجدًا، فيلهمني الله من الثناء والحمد، فيقال: ارفع رأسك». الحديث. رواه الترمذي وقال: حسن.

وفي حديث سلمان: فيأخذ بحلقة الباب وهي من ذهب، فيقرع الباب فيقال: من هذا؟ فيقول: محمد، فيفتح.

ثم زفرت زفرة ثانية فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلاّ جثا لركبتيه، ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر وتذهب العقول الحديث (**فيأتون ءادم، فذكر الحديث**) في إتيانهم الأنبياء الخمسة (**إلى أن قال: فيأتوني فأنطلق معهم**).

(**قال ابن جدعان:**) بضم الجيم وسكون الدال وعين مهملتين علي بن زيد بن عبد اللّه بن زهير بن عبد اللّه بن جدعان القرشي التيمي، نزل البصرة وهو المعروف بعلي بن زيد بن جدعان ينسب أبوه إلى جده الأعلى، ضعيف مات سنة إحدى وثلاثين ومائة، وقيل: قبلها كما في التقريب.

(**قال أنس**) بن مالك: (**كأني أنظر**) حال تحديثي بذلك (**إلى رسول اللّه ﷺ**) إشارة إلى تحقق ما أخبر به واستحضاره ونفي الشك عنه (**قال:**) أي قائلاً: (**فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها**) أي: أدق عليها فتصوت؛ إلى هنا ما رواه عن أنس كما أفاده السيوطي ثم عاد إلى حديث أبي سعيد (**فيقال: من هذا؟، فيقال: محمد**) بالبناء للمفعول فيهما للعلم به (**فيفتحون لي**) لا يعارضه ما مر أن الذي يفتح رضوان الجواز أنه لما يقوم للفتح تبعه جنده لأنهم في خدمته وهو كالملك عليهم (**ويرحبون بي فيقولون**) كلهم: (**مرحبًا**) زيادة في تعظيم المصطفى إذ رحبوا به أجمعون (**فأخر ساجدًا فيلهمني اللّه من الثناء والحمد**) ما لا أقدر عليه الآن (**فيقال: ارفع رأسك... الحديث**) تمامه وسل تعط، واشفع تشفع، وقل: يسمع لقولك وهو المقام المحمود الذي قال اللّه: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا﴾ [الإسراء/ ٧٩].

(**رواه الترمذي وقال حسن**) ورواه ابن خزيمة أيضًا (**وفي حديث سلمٰن الفارسي: فيأخذ بحلقة الباب وهي من ذهب**) يخالفه ما لأبي يعلى عن أنس، رفعه: «أقرع باب الجنة فيفتح لي باب من ذهب وحلقة من فضة»، ويمكن الجمع بأن كونها من فضة حكم على المجموع، فلا ينافي أن حلقة منها ذهب أو أنها لمجاورتها للذهب سماها باسمه مجازًا (**فيقرع:**) يدق ﷺ (**الباب، فيقال:**) أي يقول الخازن (**من هذا؟، فيقول**) عليه السلام (**محمد، فيفتح الباب**).

وفي حديث الصور: إن المؤمنين إذا انتهوا إلى باب الجنة تشاوروا فيمن يستأذن لهم في الدخول، فيقصدون آدم ثم نوحًا ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمدًا ﷺ، كما فعلوا عند العرصات عند استشفاعهم إلى الله عز وجل في فصل القضاء ليظهر شرف نبينا محمد ﷺ على سائر البشر كلهم في المواطن كلها.

وروى أبو هريرة مرفوعًا: «أنا أول من يفتح له باب الجنة، إلا أن امرأة تبادرني فأقول لها مالك؟ أو ما أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على يتامى. رواه أبو

(وفي حديث الصور:) إضافة لأدنى ملابسة لذكره فيه وهو حديث طويل نحو أربع ورقات عن أبي هريرة مرفوعًا: وهو أول حديث في البدور وعزاه لجماعة، وقال: اختلف في تصحيحه وتضعيفه، فصححه ابن العربي والقرطبي ومغلطاي.

وضعفه البيهقي وعبد الحق وصوبهما الحافظ ابن حجر **(إن المؤمنين إذا انتهوا إلى باب الجنة تشاوروا فيمن يستأذن لهم في الدخول)** ولفظه: فإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة، قالوا: من يشفع لنا إلى ربنا، فندخل الجنة، فيقولون: من أحق من أبيكم ءادم **(فيقصدون ءادم ثم نوحًا ثم إبرٰهيم ثم موسىٰ ثم عيسىٰ)** وكل يقول: ما أنا بصاحب ذلك ويذكر ذنبًا إلاَّ عيسى، فيقول: ما أنا بصاحبكم ولكن عليكم بمحمد ﷺ **(ثم محمدًا)** قال (ﷺ:) فيأتوني فأنطلق فآتي الجنة، فآخذ بحلقة الباب ثم أستفتح فيفتح لي، فأحيى ويرحب بي، فإذا دخلت الجنة فنظرت إلى ربي خررت ساجدًا، فيأذن اللّه لي في حمده وتمجيده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه، ثم يقول: ارفع رأسك واشفع تشفع وسل تعطه، فإذا رفعت رأسي، قال اللّه وهو أعلم: ما شأنك؟، فأقول: يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في أهل الجنة يدخلون الجنة، فيقول: قد شفعتك فيهم وأذنت لهم في دخول الجنة **(كما فعلوا عند العرصات عند استشفاعهم إلى اللّٰه عزّ وجلّ في فصل القضاء)** وهي مذكورة قبل ذلك في نفس هذا الحديث. بلفظ: فيأتون ءادم فيطلبون ذلك إليه، فيأبى ويقول: ما أنا بصاحب ذلك، فيأتون الأنبياء نبيًا نبيًا كلما جاؤوا نبيًا يأبى عليهم حتى يأتوني، فأنطلق معهم حتى الفحص قدام العرش، فأخر ساجدًا حتى يبعث اللّه ملكًا فيأخذ بعضدي، فيقول لي: يا محمد، فأقول: نعم يا رب، فيقول: ما شأنك وهو أعلم؟، فأقول: يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك فاقض بينهم، فيقول: قد شفعتك آتيكم فأقضي بينكم **(ليظهر شرف نبينا ﷺ على سائر البشر كلهم في المواطن كلها)**.

(وروى أبو هريرة مرفوعًا) أي: قال: قال رسول اللّه ﷺ: **(أنا أول من يفتح له باب الجنة)** أي: لا يتقدم عليّ أحد في فتحه **(إلاَّ أن امرأة تبادرني)** تسابقني **(فأقول لها: مالك، أو ما أنت؟)** شك الراوي وعبر بما لأنه سؤال عن الصفة، أي: ما الصفة التي أوجبت لك أن تبادريني.

يعلى، ورواته لا بأس بهم. قال المنذري: إسناده حسن إن شاء الله.

وقوله: «تبادرني» أي لتدخل معي، أو تدخل في أثري، ويشهد له حديث أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وقال بأصبعيه السبابة والوسطى رواه البخاري من حديث سهل بن سعد. قال ابن بطال: حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الجنة أفضل من ذلك، انتهى، ويحتمل أن يكون المراد قرب المنزلة حالة دخوله الجنة كما في الحديث قبله.

وفي نسخة: أو من أنت (**فتقول: أنا امرأة قعدت على يتامى**) لي، وفي البدور: على أيتامي، لكنه قال: (**رواه أبو يعلى**) والأصفهاني، فلعله لفظه ولفظ أبي يعلى ما للمصنف ولا خلف بينهما كما أشرت إليه.

وفي الفتح عازيًا لأبي يعلى وحده: أنا امرأة تأيمت (**ورواته لا بأس بهم**) كما قال الحافظ (**وقال المنذري: إسناده حسن إن شاء الله، وقوله: تبادرني، أي: لتدخل معي أو تدخل في أثري**) ثم إن كانت امرأة واحدة فلعلها قامت بأيتامها على صفة لم تتفق لغيرها، فلا يرد أن كثيرًا من النساء كذلك وإن كان المراد جنس امرأة قعدت على يتاماها وهو مقتضى سياق المنذري في الترغيب.

لهذا الحديث وقضية الحديث التالي فلا إشكال (**ويشهد له حديث: أنا وكافل اليتيم**) أي: القيم بأمره ومصالحه هبة من ماله، أو من مال اليتيم.

زاد في رواية الموطأ له أو لغيره، وللبزار عن أبي هريرة رفعه: من كفل يتيمًا ذا قرابة أو لا قرابة له (**في الجنة هكذا، وقال**) أي: أشار (**بإصبعيه**) بالتثنية (**السبابة والوسطى**) وفرج بينهما.

(**رواه البخاري من حديث سهل بن سعد**) أي: فرق بينهما منشورتين مفرجًا بينهما، أي أن الكافل معه ﷺ في الجنة إلاَّ أن درجته لا تبلغ درجته، بل تقاربها، وظاهره أن المشير هو المصطفى، وفي الموطأ رواية يحيى بن بكير: وأشار النبي ﷺ بالسبابة والوسطى، وفي أكثر الموطآت: وأشار بإصبعيه بإبهام المشير، وفي مسلم: وأشار لملك بالسبابة والوسطى.

(**قال ابن بطال: حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة ولا منزلة في الجنة أفضل من ذلك. انتهى**).

(**ويحتمل أن يكون المراد قرب المنزلة حالة دخوله الجنة كما في الحديث قبله**) كما قاله الحافظ وزاد: ويحتمل أن المراد مجموع الأمرين سرعة الدخول وعلو المنزلة.

وقد روى أبو داود عن عوف بن لملك، رفعه: «أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة امرأة ذات منصب وجمال حبست نفسها على يتاماها حتى ماتوا أو بانوا»، فهذا فيه قيد،

ووجه التشبيه: أن النبي ﷺ من شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلاً لهم ومرشدًا، وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه، بل ولا دنياه ويعلمه ويحسن أدبه.

وعن ابن عباس قال: جلس ناس من أصحاب النبي ﷺ ينتظرونه، قال: فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم وهم يتذاكرون، فسمع حديثهم، فقال بعضهم: عجبًا إن الله اتخذ من خلقه خليلاً، اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وقال اخر: ماذا بأعجب من كلام موسى، كلمه تكليمًا، وقال آخر: فعيسى روح الله، وقال آخر: وآدم اصطفاه الله، فخرج عليهم فسلم وقال: قد سمعت كلامكم وعجبكم، إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً وهو كذلك، وموسى كلمه الله وهو كذلك، وعيسى روح الله وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك. ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا

وللطبراني الصغير عن جابر، قلت: يا رسول الله مم اضرب منه يتمي؟، قال: ما كنت ضاربًا منه ولدك غير واقٍ مالك بماله، وزاد في رواية لملك: حتى يستغنى عنه فيستفاد منه أن للكفالة المذكورة أمدًا. انتهى.

(ووجه التشبيه) كما نقله الحافظ عن شيخه العراقي في شرح الترمذي بين النبي والكافل: **(أن النبي من شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم، فيكون كافلاً لهم ومرشدًا)** لهم ومعلمًا **(وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه، بل)** إضراب انتقالي **(ولا دنياه ويعلمه ويحسن أدبه)** فناسب علو منزلته بقرب النبي ﷺ.

(وعن ابن عباس قال: جلس:) قعد **(ناس من أصحاب النبي ﷺ ينتظرونه، قال)** ابن عباس: **(فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم وهم يتذاكرون، فسمع حديثهم فقال بعضهم: عجبًا ان اللّه اتخذ من خلقه خليلاً)** مع أنه لا نسبة بين الخالق والمخلوق **(اتخذ اللّه إبرٰهيم خليلاً)**.

(وقال آخر: ماذا بأعجب من كلام موسىٰ كلمه تكليمًا، وقال آخر: فعيسىٰ روح اللّه، وقال آخر: فآدم اصطفاه اللّه فخرج ﷺ عليهم، فسلم وقال: قد سمعت كلامكم وعجبكم أن اللّه اتخذ إبرٰهيم خليلاً وهو كذلك) فإنه تعالىٰ قال: ﴿واتخذ اللّه إبرٰهيم خليلا﴾ [النساء/ ١٨٥] **(وموسىٰ كليم اللّه وهو كذلك)** قال تعالىٰ: **(﴿وكلم اللّه موسىٰ تكليمًا﴾)** [النساء/ ١٦٤] **(وعيسىٰ روح اللّه وهو كذلك)** في القرءان **(وءادم اصطفاه اللّه وهو كذلك)** إن اللّه اصطفى ءادم **(ألا)** بالفتح والتخفيف، أي: تنبهوا لما تعلموه مما حباني به زيادة عليهم

حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر». رواه الترمذي.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول الناس خروجًا إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وقائدهم إذا وفدوا، وشافعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا يئسوا، لواء الحمد بيدي، ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد

(**وأنا حبيب الله ولا فخر**) ولم يقل: وإني خليل الله مع قوله في حديث آخر: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً»، لأنه في مقام بيان ما زاد به عليهم (**وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع**) بشد الفاء مفتوحة، أي: مقبول الشفاعة، وذكره لأنه قد يشفع اثنان فيشفع الثاني قبل الأول، وفيه أن غيره يشفع ويشفع وكونه أولاً فيهما يبين علو منزلته وتقدم هذا (**ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة**) بفتح اللام جمع حلقة بسكونها على غير قياس، وفي لغة بفتحها، فالجمع قياسي (**فيفتح الله لي**) لا يعارضه ما مر أن الفاتح رضوان، لأن الفاتح الحقيقي هو الله تعالى وتولي رضوان ذلك إنما هو بأمره وإقداره وتمكينه، ونظيره: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ [الزمر/ ٣٩]، قل يتوفاكم ملك الموت (**فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين**) أي: يدخلون عقبه بسرعة فكأنهم دخلوا معه، ولأبي داود عن أبي هريرة رفعه أن أبا بكر أول من يدخل الجنة ولأبي نعيم عن أبي هريرة مرفوعًا: أنا أول من يدخل الجنة ولا فخر وأول من يدخل عليّ الجنة ابنتي فاطمة، أي: من النساء وأبو بكر من الرجال فلا خلف (**ولا فخر**) أي: لا افتخر بذلك، بل بمن أعطانيه، أو أقول ذلك شكرًا لا فخرًا وهو ادعاء العظمة والمباهاة (**وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر**).

(**رواه الترمذي:**) والحاصل أنه ﷺ أول داخل على الإطلاق، ثم تقع المفاضلة في تقديم أمته بعده بحسب أعمالهم، فما يقع في الأحاديث الكثيرة أول، أما على تقدير من، أو سمي غير الأول أولاً باعتبار من بعده، أو المراد الأول ممن صنع كذا.

(**وعن أنس بن مٰلك، قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أول الناس خروجًا**) من القبر (**إذا بعثوا**) وهذا بمعنى قوله: أنا أول من تنشق عنه الأرض (**وأنا خطيبهم**) المتكلم عنهم (**إذا أنصتوا وقائدهم إذا وفدوا**) على ربهم (**وشافعهم إذا حبسوا**) منعوا عن دخول الجنة (**وأنا مبشرهم**) بقبول شفاعتي لهم عند ربهم ليريحهم (**إذا أيسوا**) من الناس (**لواء الحمد بيدي ومفاتيح الجنة يومئذٍ بيدي**) يعني: أشفع فيمن شئت، فكأن المفاتيح بيدي افتح بها لمن شئت وأدخله وأمنع من شئت، ويحتمل أنها بيده حقيقة على ظاهره وإن كانت لا تغلق بعد أن تفتح على ما

آدم على ربي ولا فخر، ويطوف علي ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون»، رواه الترمذي والبيهقي واللفظ له.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة» رواه مسلم.

وعنه أيضًا، عن النبي ﷺ قال: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولاً الجنة».

فهذه الأمة أسبق الأمم خروجًا من الأرض وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف، وأسبقهم إلى ظل العرش، وأسبقهم إلى فصل القضاء، وأسبقهم إلى الجواز على الصراط، وأسبقهم إلى دخول الجنة، وهي أكثر أهل الجنة.

استظهر زيادة في كرامته في اليوم المشهود **(وأنا أكرم ولد ءادم على ربي)** ودخل ءادم بالأولى لأن في ولده من هو أكرم منه كإبراهيم وموسىٰ **(ولا فخر)** لا عظمة ولا مباهاة **(ويطوف عليّ ألف خادم كأنهم)** في الحسن واللطافة **(اللؤلؤ المكنون)** المصون في الصدف لأنه فيها أحسن منه في غيرها.

وفي رواية الدارمي كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ منثور **(رواه الترمذي والبيهقي واللفظ له)** ورواه الدارمي بنحوه وقدم المصنف لفظه: قال الترمذي: حديث غريب وهذه الألف من جملة ما أعد له، فقد روى ابن أبي الدنيا عن أنس، رفعه: «إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم».

وعنده أيضًا عن أبي هريرة قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنيء لمن يغدو ويروح عليه خمسة عشر ألف خادم ليس منهم خادم إلاَّ معه طرفة ليست مع صاحبه».

(وعن أبي هريرة، قال: قال رسول اللّه ﷺ: نحن الآخرون) زمانًا **(الأولون)** أي: السابقون **(يوم القيامة)** في كل شيء **(ونحن أول من يدخل الجنة)** قبل الأمم **(رواه مسلم، وعنه أيضًا عن النبي ﷺ، قال: نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولاً الجنة)** هذا مثل ما قبله غايته أنه عبر بالناس بدل من **(فهذه الأمة أسبق الأمم خروجًا من الأرض وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف)** لأنهم يكونون على تل يومئذٍ كما مر في الخصائص، وفي لفظ: على كوم عالٍ وهما بمعنى، ويحتمل أن يؤخذ من قوله هنا الأولون بمعنى السابقين، لأن العلو سبق أيضًا **(وأسبقهم إلى ظل العرش وأسبقهم إلى فصل القضاء وأسبقهم إلى الجواز على الصراط وأسبقهم إلى دخول الجنة)** ولمسلم من حديث حذيفة: نحن

وروى عبد الله ابن الإمام أحمد من حديث أبي هريرة: لما نزلت هذه الآية **﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾** [الواقعة/٣٩ - ٤٠] قال ﷺ: «أنتم ثلثا أهل الجنة، أنتم نصف أهل الجنة، أنتم ثلثا أهل الجنة»، قال الطبراني: تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري.

وفي حديث بهز بن حكيم، رفعه: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، أنتم منها ثمانون».

وعن عمر بن الخطاب، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الجنة حرمت على

الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق **(وهي)** أي: هذه الأمة **(أكثر أهل الجنة)**.

(روى عبد الله ابن الإمام أحمد) بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الرحمن البغدادي الحافظ، ابن الحافظ روى عن أبيه وابن معين وخلق، وعنه النسائي والطبراني وجماعة، قال الخطيب: كان ثقة ثبتًا فهمًا ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين ومات سنة تسعين ومائتين **(من حديث أبي هريرة، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ثلة﴾)** جماعة **(﴿من الأولين وثلة من الآخرين﴾)** [الواقعة/ ٣٩. ٤٠]، قيل: الأولى من الأمم الماضية والثانية من هذه الأمة، لكن ورد بسند حسن عن أبي بكر، رفعه أنهما جميعًا من هذه الأمة، فالأولى الصحابة والثانية ممن بعدهم، لكن يؤيد الأول أنه **(قال ﷺ)** مخاطبًا للحاضرين ومن بعدهم إلى آخر الدنيا من أمة الإجابة: **(أنتم ثلث أهل الجنة، أنتم نصف أهل الجنة، أنتم ثلثا أهل الجنة)** يحتمل أنه فهم أولاً أنهم ثلث نظرًا لكثرة الأولين، ثم عدل عنه إلى النصف نظرًا إلى أن الأصل التساوي في مثل هذا لقوله: ثلة من الأولين وثلة من الآخرين، ثم أوحى إليه في الحال ولو بالإلهام أنهم ثلثان، فأخبر به هذا ما ظهر لي والله أعلم.

(قال الطبراني: تفرد برفعه ابن المبارك) عبد الله **(عن الثوري)** سفيان بن سعيد **(وفي حديث بهز)** بفتح الموحدة وإسكان الهاء وزاي منقوطة **(ابن حكيم)** بفتح فكسر ابن معاوية القشيري صدوق لم يلق أحدًا من الصحابة، مات في بضع وخمسين ومائة **(رفعه: أهل الجنة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون)** صفا، فهم ثلثا أهل الجنة، وهذا رواه أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه على شرطهما عن بريدة بن الحصيب، قال: «قال رسول الله ﷺ: أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم».

(و روى الطبراني في الأوسط وابن النجار والدارقطني **(عن عمر بن الخطاب أن**

الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي. قال الدارقطني: غريب عن الزهري.

فإن قلت: فما تقول في الحديث الذي صححه الترمذي من حديث بريدة بن الحصيب قال: أصبح رسول الله ﷺ، فدعا بلالاً فقال: يا بلال، بم سبقتني إلى الجنة، فما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي. الحديث.

أجاب عنه ابن القيم: بأن تقدم بلال بين يديه ﷺ إنما هو لأنه كان يدعو إلى الله أولاً بالأذان، ويتقدم أذانه بين يدي النبي ﷺ، فيتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم. قال: وقد روي في حديث أن النبي ﷺ يبعث يوم القيامة

رسول الله ﷺ قال: إن الجنة حرمت) أي: منعت **(على الأنبياء كلهم)** المراد بهم ما يشمل المرسلين **(حتى أدخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي)** أي: أن المطيع الذي لم يعذب من أمته يدخلها قبل الطائع الذي لم يعذب من أمة غيره، وداخل النار من أمته يدخل الجنة قبل داخل النار من أمة غيره، فجملة أمته وتمام دخولها الجنة سابق على دخول أمة غيره، فلا يرد ما قد يتوهم أنه لا يدخل أحد من سابق الأمم الطائعين إلاَّ بعد خروج العاصين من الأمة المحمدية من النار، ولذا لم يؤكد بكل في الأمم بخلاف الأنبياء، وأخذ من الحديث أن هذه الأمة يخفف عن عصاتها ويخرجون قبل عصاة غيرها.

(قال الدارقطني: غريب عن الزهري) محمد بن مسلم بن شهاب **(فإن قلت:)** إذا ثبت أنه ﷺ أول داخل على الإطلاق **(فما تقول في الحديث)** أي: فما الجمع بينه وبين الحديث **(الذي)** رواه أحمد و **(صححه الترمذي)** وابن حبان والحاكم **(من حديث بريدة)** بموحدة مصغر **(ابن الحصيب)** بمهملتين مصغر الأسلمي.

(قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالاً، فقال: يا بلال بم سبقتني إلى الجنة، فما دخلت الجنة قط إلاَّ سمعت خشخشتك) بخاءين وشينين معجمات، أي: صوتك **(أمامي)** بالفتح قدامي، إني دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامي **(الحديث)** بقيته المقصود منه هنا قوله: إني دخلت البارحة... الخ.

وباقيه رؤيته قصرًا من ذهب لعمر **(أجاب عنه ابن القيم؛ بأن تقدم بلال بين يديه ﷺ إنما هو لأنه كان يدعو إلى الله أولاً بالأذان، ويتقدم أذانه بين يدي النبي ﷺ)** يوم القيامة على ناقة **(فيتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم، قال: وقد روي في حديث أن النبي ﷺ يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه)** ينادي **(بالأذان، فتقدمه بين يديه كرامة له ﷺ**

وبلال بين يديه [ينادي] بالأذان، فتقدمه بين يديه كرامة له ﷺ، وإظهارًا لشرفه وفضيلته لا سبقًا من بلال له.

وروى ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: أتاني جبريل فأخذ بيدي، فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي، فقال أبو بكر: يا رسول الله وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه، فقال ﷺ: أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي.

وقد دل هذا الحديث على أن لهذه الأمة بابًا مختصًا يدخلون منه الجنة دون سائر الأمم.

فإن قلت: من أي أبواب الجنة يدخل النبي ﷺ؟

فالجواب: أنه قد ذكر الترمذي الحكيم أبواب الجنة، كما نقله عنه القرطبي

وإظهارًا لشرفه وفضيلته لا سبقًا من بلال له).

وتعقب هذا بأنه لا يلائم السياق، إذ لو كان كحاجبه لما قال له: بم سبقتني، فقال له بلال: ما أذنت قط إلاَّ صليت ركعتين وما أصابني حدث قط إلاَّ توضأت وصليت ركعتين، فقال ﷺ: بهذا كما في رواية في الجامع الكبير، فالأولى في الجواب أنها رؤيا منام ولا يرد بأن رؤيا الأنبياء حق، لأن معناه ليست من الشيطان فمثل له بلال ماشيًا أمامه إشارة إلى أنه استوجب الدخول لسبقه إلى الإسلام وتعذيبه في اللّه وأن ذلك صار أمرًا محققًا، وأولى منه ما سبق أن الدخول النبوي يتعدد أربع مرات.

(وروى) الحافظ أبو بكر عبد اللّه بن محمد **(بن أبي شيبة)** واسمه إبرهيم الواسطي الكوفي صاحب تصانيف، مات سنة خمس وثلاثين ومائتين كما في التقريب وغيره، وتقدم مرارًا **(من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول اللّه ﷺ أتاني جبريل، فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي، فقال أبو بكر)** الصديق: **(يا رسول اللّه وددت)** بكسر الدال الأولى **(أني كنت معك حتى أنظر إليه، قال ﷺ: أما)** بالفتح والتخفيف **(إنك)** بكسر الهمزة **(يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي)** من الرجال وفاطمة أول من يدخل من النساء كما ورد أيضًا فلا خلف، وما ورد من الأولية في غيرهما فالمراد بعدهما؛ **(فقد دل هذا الحديث)** وقد رواه أحمد وصححه الحاكم **(على أن لهذه الأمة بابًا مختصًا يدخلون منه الجنة دون سائر الأمم)** تشريفًا لهم.

(فإن قلت: من أي أبواب الجنة يدخل النبي ﷺ؟ فالجواب أنه قد ذكر الترمذي

في التذكرة، فذكر باب محمد ﷺ قال: وهو باب الرحمة، وهو باب التوبة.

فإن قلت: كم عدة أبواب الجنة؟

فاعلم أن في حديث أبي هريرة عند الشيخين مرفوعًا: «من أنفق زوجين في سبيل الله دعي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب

الحكيم أبواب الجنة كما نقله عنه القرطبي في التذكرة، فذكر باب محمد ﷺ، قال: وهو باب الرحمة وهو باب التوبة) مناسب لكونه أرسل رحمة للعالمين ولكونه يحب توبة أمته عليه السلام.

(فإن قلت كم عدة أبواب الجنة، فاعلم أن في حديث أبي هريرة عند الشيخين مرفوعًا:) أن رسول الله ﷺ قال: **(من أنفق زوجين)** أي: شيئين من نوع واحد من أنواع المال، وقد جاء تفسيره مرفوعًا: بعيرين شاتين حمارين درهمين، وفي رواية: فرسين نعلين، زاد في بعض طرق الحديث من ماله **(في سبيل الله)** أي: في طلب ثوابه أعم من الجهاد وغيره من العبادات.

وقيل: المراد شيئين ولو اختلف نوعهما كدينار ودرهم ودرهم وثوب وخف ولجام، أي: لأن الزوج يطلق على الواحد المقترن بغيره كما يطلق على الاثنين، وجوز التوربشتي أن يريد الإنفاق مرة بعد أخرى.

قال الطيبي: وهو الوجه إذا حملت التثنية على التكرير، لأن القصد من الإنفاق التثبيت من الأنفس بإنفاق كرائم الأموال والمواظبة على ذلك كما قال تعالىٰ: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتًا من أنفسهم﴾ [البقرة/ ٢٦٥]، أي: ليتثبتوا ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله أشق شيء على النفس من سائر العبادات الشاقات **(دعي)** وفي رواية: نودي **(من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير)** قال الحافظ: أي فاضل لا بمعنى أفضل وإن أوهمه اللفظ، ففائدته رغبة السامع في طلب الدخول من ذلك الباب.

وفي لفظ للبخاري: دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب، أي: خزنة كل باب، أي: قل هلم بضم اللام لغة في فلان، وبه ثبتت الرواية، وقيل: ترخيمه فاللام مفتوحة **(فمن كان من أهل الصلاة)** أي: كانت أغلب أعماله وأكثرها **(دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة)** المكثرين منها **(دعي من باب الصدقة)** لا يتكرر مع قوله: أولاً من أنفق زوجين، لأن الإنفاق ولو قل من الخيرات العظيمة وذلك حاصل من كل أبواب الجنة وهذا استدعاء خاص **(ومن كان من أهل الصيام)** المكثرين منه **(دعي من**

الريان».

وروى الترمذي من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعًا: «ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء»، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله إلا فتحت له من أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء». بزيادة «من».

قال القرطبي وهو يدل على أن أبواب الجنة أكثر من ثمانية، قال: وانتهى عددها إلى الثلاثة عشر بابًا، كذا قال:

باب الريان) مشتق من الري، خص بذلك لما في الصوم من الصبر على ألم العطش في الهواجر.

قال الحافظ: ومعنى الحديث أن كل عامل يدعي من باب ذلك العمل، ولأحمد وابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن أبي هريرة: لكل عامل باب من أبواب الجنة يدعى منه بذلك العمل، فذكر أربعة أبواب وهي ثمانية وبقي الحج فله باب بلا شك، وباب الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، رواه أحمد عن الحسن مرسلاً إن للّه بابًا في الجنة لا يدخله إلاّ من عفا عن مظلمة، والباب الأيمن الذي يدخل منه من لا حساب عليه ولا عذاب، والثامن لعله باب الذكر، ففي الترمذي ما يومىء إليه ويحتمل أنه باب العلم، ويحتمل أن الأبواب التي يدعى منها أبواب من داخل أبواب الجنة الثمانية الأصلية، لأن الأعمال الصالحة أكثر عددًا من ثمانية، والمراد ما يتطوع به من الأعمال المذكورة لا واجباتها لكثرة من يجتمع له العمل بالواجبات بخلاف التطوعات، فقل من يجتمع له العمل بجميع أنواعها، وإليه الإشارة بقوله في بقية الحديث، فقال أبو بكر: يا رسول اللّه ما على من يدعى من هذه الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من هذه الأبواب كلها، قال: نعم وأرجو أن تكون منهم، ولابن حبان، فقال: أجل وأنت هو يا أبا بكر.

(وروى الترمذي من حديث عمر بن الخطاب مرفوعًا: ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء) بإتيان فرائضه وسننه وآدابه **(ثم قال)** في مسلم: ثم يقول: **(أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وأن محمدًا عبده ورسوله إلاّ فتحت له من أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء بزيادة من)** في رواية الترمذي وليست في رواية مسلم.

(قال القرطبي: وهو يدل على أن أبواب الجنة أكثر من ثمانية) لأن الثمانية بالرفع نائب فاعل فتحت وجملة من أبواب الجنة حال، ومن للتبعيض، أي: فتحت له الثمانية حالة كونها بعض أبواب الجنة، فلا يرد عليه منع إفادة من للزيادة، لأن غايته إفادة أنه فتحت له بعض الأبواب الموصوفة بأنها ثمانية وقد يكون هذا أقرب ليوافق رواية مسلم بدون من وهو حديث واحد، ويحتمل أن من ليست للتبعيض بل للبيان لرواية مسلم **(قال: وانتهى عددها إلى ثلاثة عشر بابًا، كذا قال:)** تبرأ منه لاحتياجه إلى توقيف، ولأن دليله محتمل.

فإن قلت: أي الجنان يسكنها النبي ﷺ؟

فاعلم ـ منحني الله وإياك التمتع بذاته القدسية في الحضرة الفردوسية ـ أن الله تعالى قد اتخذ من الجنان دارًا اصطفاها لنفسه، وخصها بالقرب من عرشه، وغرسها بيده، فهي سيدة الجنان، والله يختار من كل نوع أعلاه وأفضله، كما اختار من الملائكة جبريل ومن البشر محمدًا ﷺ، وربك يخلق ما يشاء ويختار.

وفي الطبراني من حديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل الله تعالى في آخر ثلاث ساعات بقين من الليل، فينظر في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره، فيمحو الله ما يشاء ويثبت ما يشاء، ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن، وهي مسكنه الذي يسكن لا يكون معه فيها أحد إلا

(فإن قلت: أي الجنان يسكنها النبي ﷺ فاعلم منحني:) أعطاني **(الله وإياك التمتع بذاته)** رؤيته تعالى التي لا نعيم يدانيها **(القدسية)** الطاهرة عما لا يليق بها من صفات المحدثات ليس كمثله شيء وفي إطلاق الذات على الله مقال **(في الحضرة الفردوسية:)** أعلى الجنة **(أن الله تعالى قد اتخذ من الجنان دارًا اصطفاها)** اختارها **(لنفسه)** أي: ليسكنها خلص أوليائه ويتجلى لهم فيها، إذ هو سبحانه لا يحويه مكان **(وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده)** بقدرته من غير واسطة والإضافة للتشريف، وإلاَّ فكل شيء بقدرته **(فهي سيدة)** أي: أفضل **(الجنان والله يختار من كل نوع أعلاه وأفضله كما اختار من الملائكة جبريل)** بناءً على أنه أفضلهم على ما روي عن كعب الأحبار، وقال صاحب الحبائك: الأحاديث متعارضة في أنه الأفضل أو إسرافيل، وحديث أفضل الملائكة جبريل ضعيف **(ومن البشر محمدًا ﷺ)** بل هو أفضل الخلق إجماعًا **(وربك يخلق ما يشاء ويختار)** ما يشاء.

(وفي الطبراني من حديث أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ ينزل الله تعالى) هو مصروف عن ظاهره إجماعًا، واختلف هل يخاض في تأويله أو لا وهو أسلم بدليل اتفاقهم على أن التأويل المعين لا يجب، كما قاله البيهقي: **(في آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل)** أي في الثلاث الساعات الآخرة فلا ينافي قوله الآتي: ثم يهبط آخر ساعة... الخ.

ولا قوله: **(فينظر في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمحو الله)** منه **(ما يشاء ويثبت)** بالتخفيف والتشديد فيه **(ما يشاء)** من الأحكام وغيرها على ما يشاء من تغيير الأحوال وتصريف الأسباب لا بمعنى تغيير حكم استقر بأمر بدا له **(ثم ينظر في الساعة الثانية)** من الثلاثة نظر عطف ورحمة وإبداء نعمة **(في جنة عدن وهي مسكنه الذي**

الأنبياء والشهداء والصالحون والصديقون، وفيها ما لم يره أحد، ولا خطر على قلب بشر، ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول: ألا مستغفر يستغفرني فأغفر له، ألا سائل يسألني فأعطيه، ألا داع يدعوني فأستجيب له، حتى يطلع الفجر».

وفي حديث أنه ﷺ أرى جنة عدن ومنازل المرسلين منها، وأرى منازله فوق منازلهم

وروى أبو الشيخ عن شمر بن عطية قال: خلق الله جنة الفردوس بيده، **فهو** يفتحها كل يوم خمس مرات فيقول: ازدادي طيبًا لأوليائي، ازدادي حسنًا لأوليائي.

فتأمل هذه العناية، كيف جعل الجنة التي غرسها بيده لمن خلقه بيده،

يسكن) من المتشابه أيضًا.

قال ابن فورك: معناه أنها دار كرامته ومثوبته وهي إضافة تشريف وتخصيص، كقولنا: الكعبة بيت اللّه لا أنه يسكنها سكون حلول تعالى عن ذلك، قال: وقوله: **(لا يكون معه فيها أحد إلاَّ الأنبياء والشهداء والصالحون والصديقون)** أي: فإنهم فيها بالحلول والسكنى حقيقة وهو تعالى معهم بالنصرة والكرامة. انتهى.

(وفيها ما لم يره أحد ولا خطر على قلب بشر، ثم يهبط آخر ساعة من الليل) إلى السماء الدنيا كما في بعض طرق هذا الحديث.

(فيقول: ألا مستغفر يستغفرني فأغفر له) ذنوبه **(ألا سائل يسألني فأعطيه)** مسؤوله، **(ألا داع يدعوني فأستجيب له)** دعاءه، أي: أجيبه، فليست السين للطلب والأفعال الثلاثة بالنصب جواب الطلب وبالرفع استئناف، وبهما قرىء: من ذا الذي يقرض اللّه قرضًا حسنًا فيضاعفه له، واقتصر على الثلاثة لأن المطلوب إما رفع المضار أو جلب السار، وذلك إما ديني أو دنيوي، فالاستغفار إشارة إلى الأول، والدعاء إشارة إلى الثاني، والسؤال إشارة إلى الثالث **(حتى يطلع الفجر،)** وفي بعض الروايات: الشمس وهي شاذة.

(وفي حديث أنه) ﷺ **(أرى جنة عدن ومنازل المرسلين منها، وأرى منازله فوق منازلهم)** ورفع بعضهم درجات.

(وروى أبو الشيخ عن شمر) بكسر المعجمة وإسكان الميم **(ابن عطية)** الأسدي الكوفي، صدوق لم يلق أحدًا من الصحابة **(قال: خلق اللّه جنة الفردوس:)** أعلى الجنة ووسطها كما في حديث مرفوع **(بيده، فهو يفتحها كل يوم خمس مرات)** لعلها عند أوقات الصلوات الخمس **(فيقول: ازدادي طيبًا لأوليائي، ازدادي حسنًا لأوليائي، فتأمل هذه العناية)** بكسر العين **(كيف جعل الجنة التي غرسها بيده لمن خلقه بيده ولأفضل بريته:)** خليقته

ولأفضل بريته اعتناء وتشريفًا، وإظهارًا لفضل ما خلقه بيده وشرفه، وتمييزه بذلك عن غيره.

وروى الدارمي عن عبد الله بن الحارث قال: قال رسول الله ﷺ: خلق الله ثلاثة أشياء بيده، خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده، ثم قال: وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا الديوث. وفيه أبو معشر نجيح بن عبد الرحمٰن تكلم فيه.

وروى الدارمي أيضًا، عن عبد الله بن عمر، قال: خلق الله أربعة أشياء بيده العرش والقلم وعدن وآدم عليه السلام، ثم قال لسائر الخلق كن فكان.

(اعتناء وتشريفًا وإظهارًا لفضل ما خلقه بيده وشرفه وتمييزه بذلك عن غيره).

(وروى الدارمي) وابن أبي الدنيا **(عن عبد اللّه)** بن عبد اللّه **بن الحرث)** بن نوفل كما في رواية ابن منده: فنسبه إلى جده وذكره في التقريب فيمن وافق اسمه اسم أبيه ونوفل ابن الحرث بن عبد المطلب الهاشمي تابعي، ثقة، مات سنة تسع وتسعين، فالحديث مرسل **(قال: قال رسول اللّه ﷺ خلق اللّه ثلاثة أشياء بيده)** أي: بصفة خاصة وعناية تامة، فإن الإنسان لا يضع يده في أمر إلاَّ إذا كان له به عناية شديدة، فأطلق اللازم وهو اليد وأراد الملزوم وهو العناية مجازًا، لأن اليد بمعنى الجارحة محال على اللّه تعالى **(خلق ءادم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده، ثم قال: وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا الديوث)** بفتح المهملة وشد التحتية ومثلثة.

زاد في رواية ابن أبي الدنيا، قالوا: يا رسول اللّه وما الديوث؟، قال: الذي يقر السوء في أهله **(وفيه أبو معشر نجيح)** بفتح النون وكسر الجيم وسكون التحتية وحاء مهملة **(ابن عبد الرحمٰن)** السندي بكسر المهملة وإسكان النون مولى بني هاشم مشهور بكنيته **(تكلم فيه)** بالضعف وأنه أسن واختلط، مات سنة سبعين ومائة، لكن له شواهد عن أنس مرفوعًا: «إن اللّه بنى الفردوس بيده وحظرها على كل مشرك وكل مدمن الخمر».

رواه البيهقي وعنده أيضًا عن كعب: «إن اللّه خلق الجنة بيده وكتب التوراة بيده وخلق ءادم بيده»، ومن شواهده قوله: **(وروى الدارمي أيضًا)** وأبو الشيخ في العظمة **(عن عبد اللّه بن عمر، قال: خلق اللّه أربعة أشياء بيده: العرش والقلم وعدن وءادم، ثم قال لسائر الخلق كن فكان)** وهذا موقوف له حكم الرفع، وللطبراني عن ابن عباس رفعه: خلق اللّه جنة عدن بيده ودلى فيها ثمارها وشق فيها أنهارها، ثم نظر إليها فقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون،

وعنده أيضًا عن ميسرة قال: إن الله لم يمس شيئًا من خلقه غير ثلاث: خلق آدم بيده. وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده.

فجنة عدن أعلى الجنان وسيدتها وهي قصبة الجنة، وفيها الكثيب الذي تقع فيه الرؤية، وعليها تدور ثمانية أسوار بين كل سورين جنة، فالتي تلي جنة عدن من الجنان جنة الفردوس، وأصله البستان، وهي أوسط الجنان التي دون جنة عدن وأفضلها ثم جنة الخلد، ثم جنة النعيم، ثم جنة المأوى، وهي التي يأوي إليها جبريل وميكائيل والملائكة. وعن مقاتل: تأويل إليها أرواح الشهداء، ثم دار السلام، لأنها دار السلامة من كل مكروه، ثم دار المقامة.

واعلم أن للجنة أسماء عديدة وكلها باعتبار صفاتها، ومسماها واحد باعتبار ذاتها،

فقال: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل **(وعنده أيضًا عن ميسرة، قال: إن الله لم يمس شيئًا من خلقه غير ثلاث: خلق ءادم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده، فجنة عدن أعلى الجنان)** وبذلك سميت في قوله تعالى: ﴿جنات عدن مفتحة لهم الأبواب﴾ [الزمر/ ٧١] **(وسيدتها)** أي: أفضلها **(وهي قصبة الجنة)** أي: وسطها **(وفيها الكثيب)** بمثلثة **(الذي تقع فيه الرؤية)** لله تعالى **(وعليها تدور ثمانية أسوار بين كل سورين جنة، فـ)** الجنة **(التي تلي جنة عدن من الجنان جنة الفردوس)**: ﴿كانت لهم جنات الفردوس نزلاً﴾ [الكهف/ ١٠٧] **(وأصله)** لغة **(البستان)** يذكر ويؤنث.

قال ابن الأنباري: فيه كروم، قال الفراء: هو عربي مشتق من الفردسة وهي السعة، وقيل: منقول من الرومية إلى العربية **(وهي أوسط الجنان التي دون جنة عدن وأفضلها)** في جزمه، **أن** جنة عدن أفضل من جنة الفردوس نظر، لأنه خلاف ما في الصحيحين مرفوعًا: أن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمٰن ومنه تفجر أنهار الجنة، والمراد بوسط الجنة خيارها وأفضلها **(ثم جنة الخلد)** ﴿لهم فيها دار الخلد﴾ [فصلت/ ٨] **(ثم جنة النعيم)** ﴿فروح وريحان وجنة نعيم﴾ [الواقعة/ ٨٩] **(ثم جنة المأوى)** [النجم/ ١٥]، ﴿عندها جنة المأوى﴾ **(وهي التي يأوي إليها جبريل وميكئيل والملائكة)**.

(وعن مقاتل: تأوي إليها أرواح الشهداء ثم دار السلام) ﴿لهم دار السلام عند ربهم﴾ [الأنعام/ ١٢٧]، **(لأنها دار السلامة من كل مكروه، ثم دار المقامة)** بضم الميم الذي أحلنا دار المقامة من فضله ﴿لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب﴾ [فاطر/ ٣٥]، فهذه سبع جنان مذكورة في القرءان كما علم **(واعلم أن للجنة أسماء عديدة)** منها هذه السبع ودار الله ودار

فهي مترادفة من هذا الوجه، ومختلفة باعتبار صفاتها، فاسم الجنة هو الاسم العام المتناول لتلك الذوات وما اشتملت عليه من أنواع النعيم والسرور وقرة العين، وهذه اللفظة مشتقة من الستر، ومنه سمي البستان جنة لأنه يستر داخله بالأشجار، والجنان كثيرة جدًا، كما قال ﷺ لأم حارثة لما قتل ببدر، وقد قالت: يا رسول الله ألا تحدثني عن حارثة، فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت في البكاء عليه، فقال: «يا أم حارثة، إنها جنان في الجنة، وإن ابنك قد أصاب الفردوس الأعلى. وقال تعالى: ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾» [الرحمٰن/

الإقامة والمقام الأمين ومقعد صدق وقدم صدق والحيوان وغير ذلك (**وكلها باعتبار صفاتها ومسماها واحد باعتبار ذاتها**) كأسماء الله وأسماء رسوله كما في حادي الأرواح (**فهي مترادفة من هذا الوجه ومختلفة باعتبار صفاتها، فاسم الجنة هو الاسم العام المتناول لتلك الذوات وما اشتملت عليه من أنواع النعيم والسرور وقرة العين**) فرحها (**وهذه اللفظة**) أي: الجنة (**مشتقة من الجن، أي: الستر، ومنه سمي البستان جنة، لأنه يستر داخله بالأشجار، والجنان كثيرة جدًا كما قال ﷺ لأم حارثة**) بن سراقة الأنصاري واسم أمه الربيع بنت النضر عمة أنس بن مالك (**لما قتل يوم بدر**) رماه ابن العرقة بسهم وهو يشرب من الحوض فقتله.

(**وقد قالت: يا رسول الله ألا تحدثني عن حارثة، فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت في البكاء عليه**) ومقول القول: (**يا أم حارثة إنها جنان**) أي: درجات (**في الجنة وإن ابنك قد أصاب الفردوس الأعلى**) وهذا الحديث رواه البخاري في الجهاد عن أنس بلفظ المصنف وضمير إنها مبهم يفسره ما بعده، كقولهم: هي العرب تقول ما تشاء، والمراد بذلك التفخيم والتعظيم.

ورواه في المغازي والرقاق عن أنس بلفظ: أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن يكن الأخرى ترى ما أصنع، فقال: ويحك أو هبلت أو جنة واحدة إنها جنان كثيرة وإنه في الفردوس الأعلى (**وقال تعالىٰ ﴿ولمن خاف مقام ربه﴾**) قيامه بين يديه للحساب بترك معصيته.

روى الحافظ أبو الغنائم الترسي في كتابه أنس العاقل وتذكرة الغافل عن أم سلمة: أن رسول الله ﷺ دعا وصيفة له فأبطأت عليه، فقال لها: لولا خوف الله يوم القيامة لأوجعتك بهذا السواك، وروى فيه أيضًا عن مجاهد في الآية، قال: هو الذي يهم بالمعصية، فيذكر الله فيدعها (**جنتان:**) جنة للخائف الأنسي والأخرى للخائف الجني، فإن الخطاب للفريقين، والمعنى: لكل

٤٦]، فذكرهما ثم قال: «﴿**ومن دونهما جنتان**﴾» [الرحمٰن/٦٢]، أي فهذه أربع، وقال ﷺ: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما». رواه الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري.

وقد قسم بعضهم الجنان بالنسبة إلى الداخلين فيها ثلاثة:

اختصاص إلٰهي وهي التي يدخلها الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم، ومن أهلها أهل الفترات، ومن لم تصل إليه دعوة رسول.

خائفين منكما، أو لكل واحد جنة لعقيدته والأخرى لعمله، أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصي، أو جنة يثاب بها وأخرى يتفضل بها عليه وروحانية وجسمانية (**فذكرهما ثم قال: ومن دونهما**) أي: الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين بين (**جنتان**) لمن دونهم من أصحاب اليمين.

كذا في البيضاوي: (**فهذه أربع**) وفي كل جنة درجات ومنازل وأبواب وكلها تتصف بالمأوى والخلد وعدن والسلام، ولذا اختار الحليمي أن الجنان أربع لهذه الآية، والحديث وهو: (**وقال عليه السلام جنتان**) مبتدأ (**من فضة**) خبر قوله: (**آنيتهما وما فيهما**) عطف عليه وحذف متعلق من فضة، أي: آنيتهما كائنة من فضة والجملة خبر جنتان (**وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما**) بإعراب سابقة.

وللبيهقي عن أبي موسى: رفعه جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من ورق لأصحاب اليمين، وله ولأحمد والطيالسي عن أبي موسىٰ عن النبي ﷺ: جنات الفردوس أربع: جنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما (**رواه الشيخان من حديث أبي موسىٰ الأشعري:**) أن رسول اللّٰه ﷺ قال: جنتان من فضة، فذكره بتقديم الفضة كما سقته، ويقع في كثير من نسخ المصنف بتقديم الذهب وهو خلاف ما في الصحيحين.

وإن كان رواته في غيرهما، وبقية الحديث عند الشيخين وغيرهما: وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلاَّ رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن، وقوله: في جنة عدن ظرف للقوم أو نصب حالاً منهم.

قال البيهقي: رداء الكبرياء استعارة لصفة الكبرياء والعظمة، لأنه بكبريائه لا يراه أحد من خلقه إلاَّ بإذنه، ويؤيده أن الكبرياء ليس من جنس الثياب المحسوسة (**وقد قسم بعضهم الجنان بالنسبة إلى الداخلين فيها ثلاثة: جنة اختصاص إلهي**) أي: خص اللّٰه بها هؤلاء الذين لا عمل لهم (**وهي التي يدخلها الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم، ومن أهلها**) أيضًا (**أهل الفترات:**) جمع فترة بين الرسل (**ومن لم تصل إليه دعوة رسول، والجنة الثانية جنة ميراث ينالها كل**

والجنة الثانية: جنة ميراث، ينالها كل من دخل الجنة من المؤمنين، وهي الأماكن التي كانت معينة لأهل النار لو دخلوها.

والجنة الثالثة: جنة الأعمال، وهي التي ينزل الناس فيها بأعمالهم، فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل كان له من الجنة أكثر. وسواء كان الفاضل دون المفضول أو لم يكن، غير أن فضله في هذا المقام لهذه الحالة، فما من عمل من الأعمال إلا وله جنة. ويقع التفاضل فيها بين أصحابها بحسب ما تقتضي أحوالهم. قال ﷺ: «يا بلال، بم سبقتني إلى الجنة» الحديث، فعلم أنها كانت جنة مخصوصة، فما من فريضة ولا نافلة ولا فعل خير ولا ترك محرم إلا وله جنة مخصوصة ونعيم خاص، يناله من دخلها، وقد يجمع الواحد من الناس في الزمان الواحد أعمالاً من العبادات فيؤجر في الزمان الواحد من وجوه كثيرة، فيفضل غيره ممن ليس كذلك.

فقد تبين أن نيل المنازل والدرجات في الجنات بالأعمال، وأما الدخول فلا يكون إلا برحمة الله تعالى، كما في البخاري ومسلم من حديث عائشة، أن

من دخل الجنة من المؤمنين، وهي الأماكن التي كانت معينة لأهل النار لو دخلوها:) لو آمنوا وماتوا عليه **(والجنة الثالثة جنة الأعمال وهي التي ينزل الناس فيها بأعمالهم، فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل كان له من الجنة أكثر، وسواء كان الفاضل دون المفضول أو لم يكن، غير أن فضله في هذا المقام بهذه الحالة)** ولا يلزم منه الفضل المطلق **(فما من عمل من الأعمال إلاَّ وله جنة ويقع التفاضل فيها بين أصحابها بحسب ما تقتضي أحوالهم)**.

(قال ﷺ: يا بلال بم سبقتني إلى الجنة؟... الحديث) السابق قريبًا **(فعلم أنها)** أي: الجنة التي سبقه بلال إليها **(كانت جنة مخصوصة، فما من فريضة ولا نافلة ولا فعل خير)** زيادة إطناب إذ هو لا ينفك عن أحدهما **(ولا ترك محرم)** داخل في الفريضة **(إلاَّ وله جنة مخصوصة ونعيم خاص يناله من دخلها)**.

(وقد يجمع الواحد من الناس في الزمان الواحد أعمالاً من العبادات فيؤجر في الزمان الواحد من وجوه كثيرة، فيفضل غيره ممن ليس كذلك) مثاله معتكف صائم صلى الضحى مثلاً وتصدق بدينار أو رغيف ناوله لمن يجنبه، أو أشار إليه بأخذه وهو يصلي.

(فقد تبين أن نيل المنازل والدرجات في الجنان بالأعمال، وأما الدخول فلا يكون

رسول الله ﷺ قال: «لن يدخل الجنة أحد بعمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته» أي يلبسنيها ويسترني بها، مأخوذ من غمد السيف وهو غلافه.

وعند الإمام أحمد، بإسناد حسن، من حديث أبي سعيد الخدري: «لن يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»، وقال بيده فوق رأسه. يعني أن الجنة إنما تدخل برحمة الله، وليس عمل العبد سببًا مستقلاً بدخولها وإن كان سببًا، ولهذا أثبت الله دخولها بالأعمال في قوله تعالى: ﴿**وتلك الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون**﴾ [الزخرف/ ٧٢]، ونفى ﷺ دخولها بالأعمال في قوله «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله» ولا تنافي بين الأمرين، لما ذكره سفيان وغيره، قال: كانوا يقولون: النجاة من النار

إلاَّ برحمة اللّه تعالى) التي وسعت كل شيء في الدنيا، وخص بها في الآخرة المتقين الكفر بالإيمان.

(كما في البخاري ومسلم من حديث عائشة: أن رسول اللّه ﷺ قال: لن يدخل أحد الجنة بعمله) ولما كان أجره ﷺ في الطاعة أعظم وعمله في العبادة أقوم **(قالوا: ولا أنت يا رسول اللّه)** لا تدخلها بعملك مع عظم قدرك **(قال: ولا أنا إلاَّ أن يتغمدني)** بغين معجمة **(اللّه برحمته)** استثناء منقطع، ويحتمل اتصاله من قبيل قوله تعالىٰ: ﴿إلاَّ الموتة الأولى﴾ [الدخان/ ٥٦] **(أي: يلبسنيها ويسترني بها)** تفسير لتغمدني **(مأخوذ من غمد السيف)** بكسر المعجمة وسكون الميم **(وهو غلافه)** بمعجمة وفاء قرابه.

(وعند الإمام أحمد بإسناد حسن من حديث أبي سعيد) الخدري مرفوعًا: **(لن يدخل الجنة أحد إلاَّ برحمة اللّه، قالوا: ولا أنت يا رسول اللّه؟، قال: ولا أنا إلاَّ أن يتغمدني)** يسترني **(اللّه برحمته، وقال بيده)** أي: وضعها **(فوق رأسه)** كأنه إشارة إلى أنه يتغمده ويستره كله، وفيه أن العامل لا يتكل على عمله في طلب النجاة ونيل الدرجات، لأنه إنما عمل بتوفيق اللّه، وإنما ترك المعصية بعصمة اللّه، فكل ذلك بفضله ورحمته **(يعني: أن الجنة إنما تدخل برحمة اللّه وليس عمل العبد سببًا مستقلاً بدخولها وإن كان سببًا)** في الجملة **(ولهذا أثبت اللّه دخولها بالأعمال في قوله تعالىٰ: ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾)** [الأعراف/ ٤٣] **(ونفى ﷺ دخولها بالأعمال في قوله: لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله ولا تنافي بين الأمرين)** الإثبات والنفي **(لما ذكر سفيٰن وغيره، قال: كانوا يقولون النجاة من النار بعفو اللّه ودخول الجنة برحمة اللّه واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال)** وهذا قالوه

بعفو الله، ودخول الجنة برحمة الله، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال، ويدل له حديث أبي هريرة: إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم: رواه الترمذي.

قال ابن بطال: مجمل الآية على أن الجنة تنال المنازل فيها بالأعمال، فإن درجات الجنة متفاوتة بحسب تفاوت الأعمال، ومحل الحديث على دخول الجنة والخلود فيها. ثم أورد على هذا الجواب قوله تعالى: ﴿**سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون**﴾ [النحل/٣٢]، فصرح بأن دخول الجنة أيضًا بالأعمال. وأجاب: بأنه لفظ مجمل بينه الحديث، والتقدير: ادخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم تعملون، وليس المراد بذلك أصل الدخول.

ثم قال: ويجوز أن يكون الحديث مفسرًا للآية على وجه آخر، والتقدير: ادخلوها بما كنتم تعملون مع رحمة الله لكم وتفضله عليكم، لأن اقتسام منازل الجنة برحمة الله، وكذا أصل دخول الجنة برحمته، حيث ألهم العاملين ما نالوا به ذلك، ولا يخلو

جمعًا بين الآية والحديث، وأيده في البدور بما رواه هنا، وفي الزهد عن ابن مسعود، قال: تجوزون الصراط بعفو اللّه وتدخلون الجنة برحمة اللّه وتقتسمون المنازل بأعمالكم.

(ويدل له) أي: لهذا الذي قالوه **(حديث أبي هريرة)** عن النبي ﷺ، قال: **(إن أهل الجنة إذا دخلوها)** برحمة اللّه **(نزلوا فيها)** المنازل **(بفضل)** أي: زيادة **(أعمالهم)**.

(رواه الترمذي) وابن ماجه في مبدأ حديث طويل **(قال ابن بطال: مجمل الآية على أن الجنة تنال المنازل فيها بالأعمال، فإن درجات الجنة متفاوتة)** في العلو **(بحسب تفاوت الأعمال، ومحمل الحديث على دخول الجنة والخلود فيها)** فلا تعارض بينهما **(ثم أورد على هذا الجواب قوله تعالى)** في سورة النحل: يقولون **(سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾، فصرح بأن دخول الجنة أيضًا بالأعمال، وأجاب: بأنه لفظ مجمل بينه الحديث، والتقدير: أدخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم تعملون)** ففيه تقدير مضاف بدليل الحديث **(وليس المراد بذلك أصل الدخول)** فلا تعارض بينهما **(ثم قال)** ابن بطال: **(ويجوز أن يكون الحديث مفسرًا للآية على وجه آخر)** إذ ما قبله تفسير لها أيضًا، إذ لولاه ما جاز تقدير المضاف، **(والتقدير: أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون مع رحمة اللّه لكم وتفضله عليكم)** على طريقة الاكتفاء أو حذف الصفة، **(لأن اقتسام منازل الجنة برحمة اللّه، وكذا أصل دخول الجنة برحمته، حيث ألهم العاملين ما نالوا به ذلك)** المذكور، **(ولا يخلو شيء من مجازاته**

شيء من مجازاته لعباده من رحمته وفضله، وقد تفضل الله عليهم ابتداء بإيجادهم، ثم برزقهم، ثم بتعليمهم.

وأشار إلى نحوه القاضي عياض فقال: وإن من رحمة الله توفيقه للعمل، وهدايته للطاعة، وكل ذلك لم يستحقه العامل بعمله، وإنما هو بفضل الله ورحمته.

وقال غيره: لا تنافي بين ما في الآية والحديث، لأن «الباء» التي أثبتت الدخول هي باء السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره، وإن لم يكن مستقلاً بحصوله، و«الباء» التي نفت الدخول هي باء المعاوضة التي يكون فيها أحد العوضين مقابلاً للآخر، نحو: اشتريت منه بكذا، فأخبر ﷺ أن دخول الجنة ليس في مقابلة عمل أحد، وأنه لولا رحمة الله لعبده لما أدخله الجنة، لأن العمل بمجرده - ولو تناهى - لا يوجب بمجرده دخول الجنة، ولا يكون عوضًا لها، لأنه لو وقع على الوجه الذي يحبه الله، لا يقاوم نعمة الله، بل جميع العمل لا يوازي نعمة واحدة. فلو طالبه بحقه لبقيت عليه من الشكر على تلك النعمة بقية لم يقم بها،

لعباده من رحمته وفضله) إذ لولا توفيقه لهم للأعمال وبيانها لهم ما عملوها، كما أفاده بقوله: **(وقد تفضل الله عليهم ابتداء بإيجادهم، ثم برزقهم، ثم بتعليمهم)** الأحكام الشرعية واجباتها ومندوباتها المسببة لرفع المنازل.

(وأشار إلى نحوه القاضي عياض، فقال: وإن من رحمة الله توفيقه للعمل وهدايته للطاعة وكل ذلك لم يستحقه العامل بعمله وإنما هو بفضل الله ورحمته، وقال غيره: لا تنافي بين ما في الآية والحديث، لأن الباء التي أثبتت الدخول هي باء السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره وإن لم يكن مستقلاً بحصوله) بل مع رحمة الله وتوفيقه للعمل وقبوله لا بمجرده **(والباء التي نفت الدخول هي باء المعاوضة التي يكون فيها أحد العوضين مقابلاً للآخر نحو اشتريت منه بكذا)** تمثيل لباء المعاوضة **(فأخبر)** ﷺ **(أن دخول الجنة ليس في مقابلة عمل أحد وأنه لولا رحمة الله بعبده ما أدخله الجنة، لأن العمل بمجرده ولو تناهى)** بلغ النهاية، أي: الغاية **(لا يوجب بمجرده دخول الجنة ولا يكون عوضًا لها)** فكأنه قيل: لن يدخل أحد الجنة عوضًا عن عمله **(لأنه لو وقع على الوجه الذي يحبه الله لا يقاوم نعمة الله، بل جميع العمل لا يوازي:)** لا يقابل **(نعمة واحدة)** من نعم الله تعالى **(فلو طالبه بحقه لبقيت عليه من الشكر على تلك النعمة بقية لم يقم بها)** لأن نفس الشكر على النعمة نعمة تستدعي

فلذلك لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا من أعمالهم، كما في حديث أبي بن كعب عند أبي داود وابن ماجه.

وهذا فصل الخطاب مع الجبرية النفاة للحكمة والتعليل القائلين بأن القيام للعبادة ليس إلا لمجرد الأمر، من غير أن يكون سببًا للسعادة في معاش ولا معاد، ولا لنجاة المعتقدين أن النار ليست سببًا للإحراق، وأن الماء ليس سببًا للإرواء والتبريد.

والقدرية الذين ينفون نوعًا من الحكمة والتعليل، والقائلين بأن العبادات شرعت أثمانًا لما يناله العباد من الثواب والنعيم، وإنما هي بمنزلة استيفاء الأجير أجرته، محتجين بأن الله تعالى يجعلها عوضًا عن العمل، كما في قوله تعالى: ﴿**ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون**﴾ وبقوله ﷺ حاكيًا عن ربه تعالى: «يا عبادي،

شكرًا وهكذا إلى غير نهاية (**فلذلك لو عذب أهل سمٰواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا من أعمالهم كما في حديث أبي بن كعب عند أبي داود وابن ماجه**) وصححه ابن حبان، كلهم عن أبي وحذيفة وابن مسعود موقوفًا، وزيد بن ثابت مرفوعًا عن النبي ﷺ، قال: «لو أن اللّه عذب أهل سمٰوته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهبًا في سبيل اللّه ما قبله اللّه منك حتى تؤمن بالقدر، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار».

ورواه أحمد أيضًا (**وهذا فصل الخطاب مع الجبرية النفاة**) جمع ناف كرام ورماة وقاض وقضاة (**للحكمة والتعليل**) وأن العبد مجبور على جميع ما فعل (**القائلين بأن القيام بالعبادة ليس إلاَّ لمجرد الأمر**) من اللّه بها (**من غير أن يكون سببًا للسعادة في معاش**) للدنيا (**ولا معاد**) للأخرى (**ولا**) سببًا (**لنجاة المعتقدين؛ أن النار ليست سببًا للإحراق، وأن الماء ليس سببًا للإرواء**) للظمأ (**والتبريد**) للحر إذا صب على الجسد مثلاً بلا شرب (**و**) فصل النزاع أيضًا مع (**القدرية الذين ينفون نوعًا من الحكمة والتعليل، والقائلين بأن العبادات شرعت اثمانًا لما يناله العباد من الثواب والنعيم، وأنهما**) أي: الثواب والنعيم.

وفي نسخة: وأنها بالإفراد، أي: العبادات، وفي أخرى: وإنما هي، أي: العبادات (**بمنزلة استيفاء الأجير أجرته محتجين بأن اللّه تعالى يجعلها عوضًا**) عن العمل كما (**في قوله تعالى: ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾، وبقوله عليه السلام حاكيًا عن ربه تعالى: يا**

إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها».

وهؤلاء الطائفتان متقابلتان أشد التقابل، وبينهما أعظم التباين، فالجبرية لم تجعل الأعمال ارتباطًا بالجزاء البتة، والقدرية جعلت ذلك بمحض الأعمال وثمنًا لها. والطائفتان جائرتان منحرفتان عن الصراط المستقيم الذي فطر الله عليه عباده، وجاءت به رسله، ونزلت به كتبه، وهو: أن الأعمال أسباب موصلة إلى الثواب والعقاب، مقتضيات لهما كاقتضاء سائر الأسباب لمسبباتها، وإن الأعمال الصالحة من توفيق الله تعالى ومنته وصدقته على عبده أن أعانه عليها ووفقه لها، وخلق فيه إرادتها والقدرة عليها، وحببها إليه وزينها في قلبه، وكره إليه أضدادها، ومع هذا فليست ثمنًا لجزائه وثوابه، بل غايتها أن تكون شكرًا له تعالى أن قبلها سبحانه، ولهذا نفى ﷺ دخول الجنة بالعمل ردًا على القدرية القائلين بأن الجزاء بمحض الأعمال وثمنًا لها، وأثبت سبحانه وتعالى دخول الجنة بالعمل ردًا على الجبرية

عبادي **إنما هي أعمالكم أحصيها)** أضبطها **(لكم)** بعلمي وملائكتي ليكونوا شهداء بين الخالق وخلقه، وقد يضم لذلك شهادة الأعضاء زيادة في العدل كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا **(ثم أوفيكم إياها)** وهذا قطعة من آخر حديث طويل في مسلم وغيره **(وهؤلاء الطائفتان متقابلتان أشد التقابل وبينهما أعظم التباين، فالجبرية لم تجعل للأعمال ارتباطًا)** تعلقًا **(بالجزاء البتة، والقدرية جعلت ذلك كله بمحض الأعمال وثمنًا لها والطائفتان جائرتان منحرفتان عن الصراط المستقيم الذي فطر)** خلق **(الله عليه عباده)** وطبعهم عليه **(وجاءت به رسله ونزلت به كتبه، وهو أن الأعمال أسباب موصلة إلى الثواب والعقاب، مقتضيات لهما كاقتضاء سائر الأسباب لمسبباتها وأن الأعمال الصالحة من توفيق الله تعالى ومنته وصدقته على عبده أن أعانه عليها ووفقه لها وخلق فيه إرادتها والقدرة عليها وحببها إليه وزينها)** حسنها **(في قلبه)** كما قال تعالى: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾ [الحجرات/ ٧] **(وكره إليه أضدادها** ﴿**وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلاً من الله ونعمة**﴾**)** [الحجرات/ ٧] **(ومع هذا فليست ثمنًا لجزائه وثوابه، بل غايتها أن تكون شكرًا له تعالى)** لأجل **(إن قبلها سبحانه)** إذ لو شاء لم يقبلها **(ولهذا نفى عليه السلام دخول الجنة بالعمل ردًا على القدرية، القائلين بأن الجزاء بمحض الأعمال وثمن لها)** بناءً على أصلهم الفاسد أن العبد يخلق أفعال نفسه.

قال زيد بن أسلم: والله ما قالت القدرية كما قال الله ولا كما قال النبيون ولا كما قال أصحاب الجنة ولا كما قال أصحاب النار ولا كما قال أخوهم إبليس.

الذين لم يجعلوا للأعمال ارتباطًا بالجزاء. فتبين أنه لا تنافي بينهما، إذ توارد النفي والإثبات ليس على معنى واحد، فالمنفي استحقاقها بمجرد الأعمال، وكون الأعمال ثمنًا وعوضًا لها ردًا على القدرية، والمثبت الدخول بسبب العمل ردًا على الجبرية، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وقال الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر: يحمل الحديث على أن العمل من حيث هو، عمل لا يستفيد به العامل دخول الجنة ما لم يكن مقبولاً. وإذا كان كذلك فأمر القبول إلى الله تعالى، وإنما يحصل برحمة الله لمن يقبل منه، وعلى هذا: فمعنى قوله ﴿**ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون**﴾ أي تعملونه من العمل المقبول، ولا يضر مع هذا أن تكون «الباء» للمصاحبة أو للإلصاق أو للمقابلة، ولا يلزم من

قال الله تعالى: ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾ وقال شعيب: وما يكون لنا أن نعود فيها إلاّ أن يشاء الله ربنا، وقال أصحاب الجنة: الحمد لله الذي هدانا هذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وقال أصحاب النار: ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين، وقال إبليس: رب بما أغويتني.

أخرجه الزبير بن بكار (**وأثبت سبحانه وتعالى دخول الجنة بالعمل ردًا على الجبرية الذين لم يجعلوا للأعمال ارتباطًا بالجزاء**) على أصلهم الفاسد؛ أن العبد مجبور على الفعل لا ينسب إليه منه شيء، فلا يثاب على طاعة ولا يعاقب على معصية، وهذا هدم للشريعة وإبطال للآيات والأحاديث الكثيرة، وقد تشبثوا بنحو قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ [الأنفال/ ١٧]، وتقدم الرد عليهم في غزوة بدر (**فتبين أنه لا تنافي بينهما، إذ توارد النفي**) في الحديث (**والإثبات**) في الآيتين (**ليس على معنى واحد**) حتى يحصل التنافي (**فالمنفي استحقاقها بمجرد الأعمال وكون الأعمال ثمنًا وعوضًا لها ردًا على القدرية والمثبت الدخول بسبب العمل**) مع رحمة الله وفضله وتوفيقه إليه وقبوله لا بمجرده (**ردًا على الجبرية والله يهدي من يشاء**) هدايته (**إلى صراط مستقيم**) دين الإسلام.

(**وقال الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر: يحمل الحديث على أن العمل من حيث هو عمل لا يستفيد به العامل دخول الجنة ما لم يكن مقبولاً، وإذا كان كذلك فأمر القبول إلى الله تعالى وإنما يحصل برحمة الله لمن يقبل منه، وعلى هذا فمعنى قوله: ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون، أي: تعملونه من العمل المقبول، ولا يضر مع هذا التقدير أن تكون الباء للمصاحبة**) أي: مصاحبين لأعمالكم (**أو للإلصاق أو للمقابلة**) أي: المعاوضة (**ولا يلزم من**

ذلك أن تكون سببية.

قال ثم رأيت النووي جزم بأن ظاهر الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال، والجمع بينها وبين الحديث: أن التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها. وقبولها إنما هو برحمة الله وفضله، فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل، وهو مراد الحديث، ويصح أنه دخل بسبب العمل، وهو من رحمة الله تعالى. انتهى.

وروى الدارقطني عن أبي أمامة، أن رسول الله ﷺ قال: «نعم الرجل أنا لشرار أمتي»، فقالوا: فكيف؟ أنت لخيارها، فقال: «أما خيارها فيدخلون الجنة بأعمالهم وأما شرار أمتي فيدخلون الجنة بشفاعتي»، ذكره عبد الحق في العاقبة.

وأما تفضيله ﷺ في الجنة بالكوثر ـ وهو على وزن فوعل من الكثرة ـ سمي به هذا النهر العظيم لكثرة مائه وآنيته وعظم قدره وخيره.

ذلك أن تكون سببية) فلا يخالف الحديث.

(قال) الحافظ: **(ثم رأيت النووي جزم بأن ظاهر الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال والجمع بينها وبين الحديث أن التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها إنما هو برحمة الله وفضله، فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الحديث، ويصح أنه دخل بسبب العمل)** كما في الآية **(وهو من رحمة الله تعالى. انتهى)** كلام النووي، وعليه فالباء سببية في الآية والحديث.

(وروى الدارقطني) والطبراني وأبو نعيم **(عن أبي أمامة: أن رسول الله ﷺ قال: نعم)** بكسر فسكون كلمة مدح **(الرجل أنا لشرار أمتي، قالوا: فكيف أنت لخيارها، قال: أما خيارها فيدخلون الجنة بأعمالهم)** فظاهره أن الباء للسببية فيحمل على ما مر **(وأما شرار أمتي فيدخلون الجنة بشفاعتي، ذكره عبد الحق)** وللترمذي والحاكم والبيهقي عن جابر رفعه: شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي.

ورواه البيهقي من حديث أنس بزيادة، ولأهل العظائم وأهل الدماء، وأخرجه أيضًا عن كعب بن عجرة ومن مرسل طاوس بدون الزيادة، وقال هذا مرسل حسن يشهد لكون هذه اللفظة شائعة فيما بين التابعين، وللطبراني عن ابن عمر مرفوعًا: أني ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، وله عن أم سلمة رفعته: اعملي ولا تتكلي، فإن شفاعتي للهالكين من أمتي.

(وأما تفضيله ﷺ بالكوثر وهو على وزن فوعل) مأخوذ **(من الكثر)** كنوفل من النفل **(سمي به هذا النهر العظيم لكثرة مائه وآنيته وعظم قدره وخيره)** والعرب تسمي كل كبير

فقد نقل المفسرون في تفسير «الكوثر» أقوالاً تزيد على العشرة، ذكرت كثيرًا منها في المقصد السادس من هذا الكتاب، وأولاها قول ابن عباس: إنه الخير الكثير لعمومه، لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبي ﷺ فلا معدل عنه.

فقد روى مسلم وأبو داود والنسائي من طريق محمد بن فضيل وعلي بن مسهر، كلاهما عن المختار بن فلفل عن أنس - واللفظ لمسلم - قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد، إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسمًا، قلنا:

القدر والعظم كوثرًا (**فقد نقل المفسرون في تفسير الكوثر أقوالاً تزيد على العشرة**) أي: تفوق بمثلها على العشرة (**ذكرت كثيرًا منها في المقصد السادس من هذا الكتاب**) وقال: المشهور المستفيض عند السلف والخلف أنه نهر في الجنة أو أولاده أو الخير الكثير، أو النبوة أو علماء أمته، أو الإسلام، أو كثرة الأَتباع أو العلم أو الخلق الحسن أو جميع نعم الله عليه، هذه العشرة هي التي ذكرها المصنف، ثم ذكرت هناك بقيتها وهي الحوض الذي في القيامة أو الشفاعة أو المعجزات الكثيرة أو المعرفة، أي العلوم اللدنية أو تخفيفات الشريعة أو رفعة الذكر أو دعواته المجابة أو كلمة التوحيد أو الصلوات الخمس التي خصت بها أمته أو كثرة الأمة ومغايرته لكثرة الاتباع بحملهم على أصحابه لكثرتهم جدًا على اتباع غيره من الرسل، فهذه العشرة تمام العشرين، وفي الفتح: وقيل: نور القلب، وقيل: الفقه في الدين، وقيل: القرءان. انتهى.

فأما نور القلب فهو المعرفة، وأما الفقه في الدين فهو العلم (**وأولاها**) لو لم يفسره ﷺ بخلافه (**قول ابن عباس**) عند البخاري وغيره (**أنه الخير الكثير لعمومه**) الشامل لكل ما قيل (**لكن ثبت تخصيصه بالنهر**) الذي في الجنة (**من لفظ النبي ﷺ، فلا معدل عنه، فقد روى مسلم وأبو داود والنسائي من طريق محمد بن فضيل**) مصغر الضبي الكوفي من رجال الجميع (**وعلي بن مسهر**) بضم الميم وسكون المهملة وكسر الهاء القرشي، الكوفي، من رجال الكل أيضًا (**كلاهما عن المختار بن فلفل**) بفاءين مضمومتين ولامين أولاهما ساكنة من رجال مسلم وأبي داود والترمذي والنسائي (**عن أنس واللفظ لمسلم، قال**) أنس: (**بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا**) أي: بيننا وأظهر زائدة وبين إنما تضاف لمتعدد، فيقدر بين كون أوقاته بيننا (**في المسجد، إذ أغفى إغفاءة**) أي: نام نومة خفيفة، قال الأبي: ويحتمل أن يراد بها إعراضه عما كان فيه من حديث. انتهى.

هكذا في النسخ الصحيحة وهو الذي في مسلم، وفي بعضها غفا بدون ألف، فيكون قوله: إغفاءة مصدرًا غير مقيس، إذ قياسه غفوًا (**ثم رفع رأسه متبسمًا، فقلنا: ما أضحكك**) زاد

ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت علي آنفًا سورة، فقرأ **﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم، إنا أعطيناك الكوثر، فصل لربك وانحر، إن شانئك هو الأبتر﴾**» ثم قال: «أتدرون ما الكوثر»؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «إنه نهر وعدنيه ربي عز وجل». الحديث.

لكن فيه إطلاق الكوثر على الحوض، وقد جاء صريحًا في حديث عند

في رواية: أضحك الله سنك **(يا رسول الله)**.

قال الأبي: عبروا بالضحك عن التبسم منه لوضوح التبسم منه ﷺ، فعبروا عنه بالضحك **(قال: أنزلت عليّ آنفًا)** بفتح الهمزة ممدودة ومقصورة، وبهما قرىء في السبع وكسر النون وبالفاء، أي: قريبًا **(سورة، فقرأ بسم الله الرحمٰن الرحيم)**.

قال الأبي: لا دلالة فيه على أنها آية منها ولا من كل سورة، وإنما هو في المعنى كقول الشاطبي: ولا بدّ منها في ابتدائك سورة. انتهى، يعني أنه يستحب ابتداء القراءة بها في غير الصلاة اتفاقًا **(﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾)** أكد مع ضمير العظمة إشارة إلى عظمة المعطى والمعطي والمعطى له وتشويقًا إليه ونفيًا للشبهة فيه، وعبر بلفظ الماضي دلالة على أن الإعطاء حصل في الزمان الماضي، كقوله ﷺ: كنت نبيًا وءادم بين الروح والجسد.

رواه أحمد وغيره، ولا شك أن من كان في ماضي الزمان عزيزًا مرعي الجانب أشرف ممن يصير كذلك **(﴿فصل لربك﴾)** أمر بالصلاة مطلقًا أو التهجد بالليل، وكان الظاهر: فاشكر، فعدل عنه لأن مثل هذه النعمة العظيمة ينبغي أن يكون شكرها العبادة وأعظمها الصلاة، فأمر بأعظم العبادات بالنفس وبالمال بقوله: **(﴿وانحر﴾)** البدن، لأن النحر يختص بها، وفي غيرها يقال: ذبح، وإن جاز نحر البقر وخص الشكر بالمال بها، لأنها كرائم أموال العرب **(﴿إن شانئك﴾)** أي: مبغضك **(﴿هو الأبتر﴾)** منقطع العقب، وقيل: المنقطع عن كل خير، قال في الإتقان: والأشبه أن القرءان كله نزل يقظة، وفهم فاهمون من هذا الحديث؛ أن السورة نزلت في تلك الإغفاءة، لأن رؤيا الأنبياء وحي، وأجاب الرافعي بأنه خطر له في النوم سورة الكوثر المنزلة في اليقظة، أو عرض عليه الكوثر الذي نزلت فيه السورة، فقرأها عليهم وفسره لهم، أو الإغفاءة ليست نومًا، بل هي البرحاء التي كانت تعتريه عند الوحي، قلت: والأخير أصح من الأول، أي: وجيهه، لأن قوله: أنزلت على آنفًا يدفع كونها أنزلت قبل ذلك **(ثم قال: أتدرون ما الكوثر، قلنا: الله ورسوله أعلم)** فيه حسن أدبهم رضي الله عنهم **(قال: إنه نهر وعدنيه ربي عزّ وجلّ... الحديث)** تمامه في الجنة عليه خير كثير وهو حوضي ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي، فيقال: ما تدري ما أحدثت بعدك **(لكن**

البخاري أن الكوثر هو النهر الذي يصب في الحوض. وعند أحمد: «ويفتح نهر الكوثر إلى الحوض»، وعند مسلم «يغت فيه ـ يعني الحوض ـ ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من ورق».

وقوله: «يغت» بالغين المعجمة، أي: يصب.

وفي البخاري من حديث قتادة عن أنس قال: لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: «أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل»؟ قال: هذا الكوثر.

فيه) أي: في قوله في بقية الحديث وهو حوضي... الخ.

(إطلاق الكوثر على الحوض) باعتبار أنه ممدود منه، فكأنه قيل: هو مادة حوضي، فلا تنافي بينه وبين قوله: نهر في الجنة (و) يؤيد ذلك أنه **(قد جاء صريحًا في حديث البخاري أن الكوثر هو النهر الذي يصب في الحوض، وعند أحمد: ويفتح نهر الكوثر)** الذي في الجنة **(إلى الحوض)** الذي في الموقف.

(وعند مسلم) من حديث أبي ذر: **(يغت)** بمعجمة وفوقية **(فيه، يعني: الحوض ميزابان يمدانه)** بفتح التحتية وضمها من مد وأمد.

زاد **(من الجنة: أحدهما من ذهب والآخر من ورق)** فضة **(وقوله: يغت بالغين)** المعجمة مضمومة ومكسورة، كما قال النووي وغيره: **(أي يصب)** وفي النهاية: أي يدفقان فيه الماء دفقًا دائمًا متتابعًا.

(وفي البخاري) في التفسير: ورواه مسلم أيضًا، كلاهما **(من حديث قتادة عن أنس، قال: لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: أتيت على نهر حافتاه)** بحاء مهملة وخفة الفاء جانباه، لأنه ليس أخدودًا، أي: شقًا مستطيلاً في الأرض يجري فيه الماء حتى يكون له حافتان، ولكنه سائل على وجه أرض الجنة فما جاوز ما. انتهى إليه سيلانه هو جانبه.

روى أبو نعيم وابن مردويه وصححه الضياء عن أنس، رفعه: لعلكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود في الأرض لا والله إنها لسائحة على وجه الأرض **(قباب:)** بكسر القاف وخفة الموحدة جمع قبة، وللترمذي: حافتاه فيهما لؤلؤ مثل القباب، فالمراد في جانبيه مثل قباب **(اللؤلؤ المجوف)** بفتح الواو مشددة صفة اللؤلؤ.

قال المصنف: ولأبي ذر مجوفًا، أي: بالنصب حالاً من اللؤلؤ، وفي رواية للبخاري وغيره: قباب الدر المجوف، وأعربه المصنف وغيره صفة للدر **(فقلت: ما هذا يا جبريل؟، قال: هذا الكوثر)** زاد البخاري في الرقاق: الذي أعطاك ربك، فإذا طينه مسك أذفر بذال معجمة، أي:

ورواه ابن جرير عن شريك بن أبي نمر قال: سمعت أنس بن مالك يحدثنا قال: لما أسري بالنبي ﷺ مضى به جبريل، فإذا هو بنهر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فذهب يشم ترابه فإذا هو مسك، قال: يا جبريل، ما هذا النهر؟ قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك.

وروى أحمد عن أنس: أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما الكوثر؟ قال: نهر في الجنة أعطانيه ربي، لهو أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل.

وعن أبي عبيدة عن عائشة قال: سألتها عن قوله تعالى: ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ قالت: نهر أعطيه نبيكم في الجنة شاطئاه عليه در مجوف، آنيته كعدد النجوم. رواه البخاري.

وقوله: «شاطئاه» أي: حافتاه.

شديد الرائحة الطيبة، ولأبي نعيم وغيره عن أنس، قلت: يا رسول الله ما الأذفر؟، قال: الذي لا خلط معه وطينه بنون على المعتمد، ففي رواية البيهقي: ترابه مسك.

(**ورواه ابن جرير عن شريك بن أبي نمر**) بفتح النون وكسر الميم (**قال: سمعت أنس بن ملك يحدثنا، قال: لما أسري بالنبي ﷺ**) أي: لما عرج به كما عبر في البخاري في التي قبلها ليلة الإسراء ودخل الجنة (**مضى به جبريل**) فيها (**فإذا هو بنهر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد**) جوهر معروف، ويقال: هو الزمرد (**فذهب يشم**) بكسر الشين وضمها لغة (**ترابه، فإذا هو مسك، قال: يا جبريل ما هذا النهر؟، قال: هذا الكوثر الذي خبأ**) بالهمز (**لك ربك**) أي ستره وادخره.

(**وروى أحمد عن أنس؛ أن رجلاً قال: يا رسول الله ما الكوثر؟، قال: نهر في الجنة أعطانيه ربي**) والله (**لهو أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل**) أي: ماؤه كما عبر به في الرواية الآتية.

(**وعن أبي عبيدة**) عامر بن عبد الله بن مسعود (**عن عائشة قال**) أبو عبيدة: (**سألتها**) أي: عائشة (**عن قوله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾**) [الكوثر/ ١]، أي: ما المراد بالكوثر (**قالت:**) هو (**نهر أعطيه نبيكم**) ﷺ (**في الجنة شاطئاه**) أي: جانباه (**عليه**) أي: على الشاطىء (**در مجوف**) بفتح الواو مشددة صفة لدر خبره الجار والمجرور والجملة خبر المبتدأ الأول الذي هو شاطئاه، قاله المصنف: (**آنيته كعدد النجوم**).

(**رواه البخاري**) في التفسير والنسائي (**وقوله: شاطئاه، أي: حافتاه، وقوله: در مجوف،**

وقوله: «در مجوف» أي: القباب التي على جوانبه.

ورواه النسائي بلفظ قالت: نهر في بطنان الجنة، قلت: وما بطنان الجنة؟ قالت: وسطها، حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت، ترابه المسك وحصباؤه اللؤلو والياقوت.

و «بطنان»: بضم الموحدة وسكون المهملة بعدها نون.

و«وسط» بفتح المهملة، المراد به أعلاها، أي: أرفعها قدرًا، أو المراد به: أعدلها.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة حافتاه من الذهب والماء يجري على اللؤلؤ، وماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل»، رواه أحمد وابن ماجة، وقال الترمذي، حسن صحيح.

وروي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ قال: هو نهر في الجنة، عمقه سبعون ألف فرسخ، ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل،

أي: القباب التي على جوانبه) بدليل رواية أنس: آنفاً حافتاه قباب اللؤلؤ **(ورواه النسائي بلفظ: قالت)** عائشة: هو **(نهر في بطنان الجنة، قلت: وما بطنان الجنة؟، قالت: وسطها حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت، ترابه)** المعبر عنه في الرواية السابقة: بطينه **(المسك وحصباؤه)** بالمد، أي: حصاه: جمع حصبة بزنة قصبة **(اللؤلؤ والياقوت، وبطنان بضم الموحدة وسكون المهملة بعدها نون)** فألف فنون **(ووسط بفتح المهملة، والمراد به أعلاها، أي: أرفعها قدرًا، أو المراد به أعدلها)** من حيث الفضل بكثرة الخدم والآلات.

(وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ الكوثر) صيغة مبالغة في المفرط كثرة **(نهر في الجنة حافتاه من الذهب)** لا يناقض ما قبله حافتاه اللؤلؤ والياقوت والزبرجد، لجواز أنها مبنية بذهب مرصعة بذلك، ويؤيده قوله: **(والماء يجري على اللؤلؤ وماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل)**.

(رواه أحمد) والترمذي **(وابن ماجه، وقال الترمذي)** بعد أن رواه: **(حسن صحيح)** الذي في الجامع معزوا للثلاثة عن ابن عمر، لفظه: الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب ريحًا من المسك وماؤه أحلى من العسل وأشد بياضًا من الثلج.

(وروي عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: إنا اعطيناك الكوثر، قال: هو نهر في الجنة) كأنه بلغه ذلك عن النبي ﷺ، فرجع عن تفسيره بالخير الكثير الثابت في البخاري عنه، لأنه قاله أولاً بناء على مدلول اللغة، فلما بلغه خبر الصادق المصدوق بتخصيصه بنهر الجنة رجع عنه، إذ

شاطئاه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت، خص الله به نبيه قبل الأنبياء، رواه ابن أبي الدنيا موقوفًا.

وعن أنس قال: سئل رسول الله ﷺ: ما الكوثر؟ قال: «نهر أعطانيه الله - يعني في الجنة - أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كأعناق البخت، أو أعناق الجزر»، قال عمر: إنها لناعمة، قال رسول الله ﷺ: «أكلتها أنعم منها». رواه الترمذي وقال: حسن.

و «الجزر» بضم الجيم والزاي، جمع جزور وهو البعير.

قال الحافظ ابن كثير: قد تواترت - يعني أحاديث الكوثر - من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث، وكذلك أحاديث الحوض، قال: وهكذا روي

النص مقدم على الاستنباط (**عمقه سبعون ألف فرسخ**) عورض بما رواه ابن أبي الدنيا عنه، أي: ابن عباس أنه سئل ما أنهار الجنة، أفي أخدود؟، قال: لا ولكنها تجري على أرضها لا تفيض ههنا ولا ههنا، وأجيب بأن المراد أنها ليست في أخدود كالجداول ومجاري الأنهار التي في الأرض، بل سائحة على وجه أرض الجنة مع عظمها وارتفاعها، فلا ينافي ما ذكر في عمقها (**ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، شاطئاه**) أي: حافتاه (**اللؤلؤ والزبرجد والياقوت خص الله به نبيه قبل الأنبياء**).

(**رواه ابن أبي الدنيا موقوفًا**) على ابن عباس وله حكم الرفع إن صح، إذ لا مجال للرأي فيه (**وعن أنس قال: سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر؟، قال: نهر أعطانيه الله، يعني: في الجنة أشد بياضًا من اللبن**) أي: ماؤه (**وأحلى من العسل فيه طير**).

وفي رواية: ترده طير (**أعناقها كأعناق البخت**) نوع من الإبل الواحد بختي مثل روم ورومي (**أو أعناق الجزر**) شك الراوي: ويحتمل أن أو للتنويع، أي: بعضها كأعناق البخت وبعضها كأعناق الجزر (**قال عمر بن الخطاب: إنها لناعمة**) حيث شبهت أعناقها بذلك (**قال رسول الله ﷺ: أكلتها:**) جمع آكل (**أنعم منها، رواه الترمذي وقال: حسن**) وصححه الحاكم.

وروى البيهقي عن حذيفة: رفعه أن في الجنة طيرًا أمثال البخاتي، قال: أبو بكر إنها الناعمة يا رسول الله، قال: أنعم منها من يأكل منها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر (**والجزر: بضم الجيم والزاي جمع جزور وهو البعير**) كقوله:

لا يبعدون قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر

(**قال الحافظ ابن كثير: قد تواتر، يعني: حديث الكوثر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث**) الذي لهم الاطلاع على الطرق (**وكذلك أحاديث الحوض، قال:**

عن أنس وأبي العالية ومجاهد وغير واحد من السلف: أن الكوثر نهر في الجنة.

وأما تفضيله ﷺ في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والفضيلة، فروى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول: ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة».

وهكذا روي عن أنس وأبي العالية) رفيعه بن مهران **(ومجاهد وغير واحد من السلف أن الكوثر نهر في الجنة)** وهو المشهور المستفيض.

(وأما تفضيله ﷺ في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والفضيلة، فروى مسلم) في الصلاة **(من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي)** الصحابي بن الصحابي **(أن رسول الله ﷺ قال: إذا سمعتم المؤذن، فقولوا)** قولاً **(مثل ما يقول)** أي مثل قوله بدون صفته، فلا يطلب برفع الصوت المطلوب من المؤذن، لأن قصده الإعلام وقصد السامع الذكر، فيكفي السر أو الجهر بلا رفع صوت، نعم لا يكفي إجراؤه على قلبه بلا لفظ لظاهر الأمر بالقول ولا يطلب بقيام وغير ذلك مما يطلب من المؤذن، ويستثنى من مثلية القول الحيعلتان، فيدلهما بلا حول ولا قوة إلاّ بالله كما في الصحيحين/**(ثم صلوا عليّ فإنه من صلى عليّ صلاة)** واحدة **(صلى الله عليه بها عشرًا)** أي: عشر صلوات، أي: رحمه وضاعف أجره بشهادة من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وفائدة ذكره وإن كانت كل حسنة كذلك أنه تعالى لم يجعل جزاء ذكره إلاّ ذكره، فكذلك جعل ذكر نبيه ذكر من ذكره ولم يكتف بذلك، بل زاد كما في حديث أنس عند أحمد، وصححه ابن حبان والحاكم وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات، قيل: إنما هذا لمن فعل ذلك محبة وأداء لحقه ﷺ من التعظيم والإجلال لا لمن قصد به الثواب أو قبول دعائه، قال عياض: وفيه نظر.

وقال الحافظ هو تحكم غير مرضي، ولو أخرج الغافل اللاهي لكان أشبه **(ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة)** عظيمة **(في الجنة لا تنبغي:)** لا تكون **(إلا لعبد)** واحد عظيم، فالتنوين والتنكير للتعظيم **(من عباد الله)** الأشراف المقربين، فالإضافة لاختصاصهم بالشرف والقرب من سيدهم **(وأرجو أن أكون أنا)** تأكيد للضمير المستتر في أكون **(هو)** خبر وضع بدل إياه، ويحتمل أن لا يكون تأكيدًا، بل مبتدأ وخبر والجملة خبر أكون، ويجوز أن هو وضع موضع اسم الإشارة، أي: أكون أنا ذلك، قاله الأبي: **(فمن سأل)** الله **(لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة)** أي: وجبت له شفاعة تناسبه زيادة على شفاعته في جميع أمته، كشفاعته لأهل

قال الحافظ عماد الدين بن كثير: الوسيلة علم على أعلى منزلة في الجنة، وهي منزلة رسول الله ﷺ وداره في الجنة، وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش.

وقال غيره: الوسيلة «فعيلة» من وسل إليه إذا تقرب، يقال: توسلت أي تقربت، وتطلق على المنزلة العلية، كما قال في هذا الحديث، فإنها منزلة في الجنة، على أنه يمكن ردها إلى الأول، فإن الواصل إلى تلك المنزلة قريب من الله، فيكون كالقربة التي يتوسل بها، ولما كان رسول الله ﷺ أعظم الخلق عبودية لربه، وأعلمهم به، وأشدهم له خشية وأعظمهم له محبة، كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله تعالى، وهي أعلى درجة في الجنة، وأمر أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء الزلفى وزيادة الإيمان، وأيضًا: فإن الله تعالى قدرها له، بأسباب منها دعاء أمته له بها بما نالوه على يده من الهدى والإيمان.

المدينة، وفي بعض أصول مسلم له بدل عليه، وقيل: معنى حلت غشيته ونزلت به، نقله عياض عن المهلب وقال: الصواب وحلت من حل يحل بالكسر إذا وجب، وأما حل يحل بالضم، فمعناه نزل، زاد الحافظ: ولا يجوز أن يكون حلت من الحل، لأنها لم تكن قبل ذلك محرمة، قال المصنف في مقصد المحبة، وذكره بلفظ الرجاء وإن كان محقق الوقوع أدبًا وإرشادًا وتذكيرًا بالخوف وتفويضًا إلى الله تعالى بحسب مشيئته وليكون الطالب للشيء بين الخوف والرجاء. انتهى.

وقال القرطبي: هذا الرجاء قبل علمه أنه صاحب المقام المحمود؛ ومع ذلك فإن الله يزيده بدعاء أمته له رفعة كما يزيدهم بصلاتهم عليه.

(قال الحافظ عماد الدين بن كثير: الوسيلة علم على أعلى:) أرفع وأفضل **(منزلة في الجنة وهي منزلة رسول الله ﷺ وداره في الجنة وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش).**

(وقال غيره: الوسيلة فعيلة من وسل) من باب وعد **(إليه إذا تقرب، يقال: توسلت إذا تقربت وتطلق)** الوسيلة أيضًا **(على المنزلة العلية، كما قال في هذا الحديث؛ فإنها منزلة في الجنة)** علية **(على أنه يمكن ردها إلى الأول، فإن الواصل إلى تلك المنزلة قريب من الله)** القرب المعنوي **(فيكون كالقربة التي يتوسل بها)** أي: يتقرب، **(ولما كان رسول الله ﷺ أعظم الخلق عبودية لربه وأعلمهم به وأشدهم له خشية وأعظمهم له محبة كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله تعالى وهي أعلى درجة في الجنة)** ليس فوقها درجة **(وأمر)** ﷺ **(أمته أن يسألوها له)** مع أنها محققة الوقوع له **(لينالوا بهذا الدعاء الزلفى:)** القرب **(وزيادة الإيمان)** بالله ورسوله **(وأيضًا فإن الله تعالى قدرها له بأسباب منها دعاء أمته له بها بما نالوه**

وأما الفضيلة، فهي المرتبة الزائدة على سائر الخلق، ويحتمل أن تكون منزلة أخرى، أو تفسيرًا للوسيلة.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: الوسيلة درجة عند الله عز وجل ليس فوقها درجة، فسلوا الله لي الوسيلة. رواه أحمد في المسند، وذكره ابن أبي الدنيا وقال: الوسيلة درجة ليس في الجنة أعلى منها، فسلوا الله أن يؤتينيها على رؤوس الخلائق.

وروى ابن مردويه عن علي عن النبي ﷺ قال: إذا سألتم الله فسلوا لي

على يده من الهدى والإيمان) فهي من الشكر على ذلك **(وأما الفضيلة فهي المرتبة الزائدة على)** مراتب **(سائر الخلائق)** لأن الفضل الزيادة **(ويحتمل)** بعد ذلك **(أن تكون منزلة أخرى و)** يحتمل أن تكون **(تفسيرًا للوسيلة)**.

روى البخاري وأحمد والأربعة عن جابر مرفوعًا: من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة.

قال السخاوي: وزيادة والدرجة الرفيعة لم أرها في شيء من الروايات ولا في نسخ الشفاء إلاَّ في نسخة علم عليها كاتبها بما يشير إلى الشك فيها، وقد عقد لها في الشفاء فصلاً في مكان آخر ولم يذكر فيه حديثًا صريحًا وهو دليل لغلطها، قاله المصنف في مقصد المحبة: فعجيب نقله عن غيره ولكن آفة العلم النسيان.

(وعن أبي سعيد) بكسر العين سعد بسكونها ابن لملك ابن سنان **(الخدري)** الصحابي ابن الصحابي **(قال: قال رسول الله ﷺ الوسيلة درجة)** منزلة رفيعة **(عند الله عزّ وجلّ ليس فوقها درجة)** بل هي أعلى الدرجات كما يأتي وهو مفاد النفي عرفًا وإن صدق لغة بالتساوي **(فسلوا الله لي الوسيلة)**.

(رواه أحمد في المسند، وذكره) أي: رواه **(ابن أبي الدنيا، وقال)** في سياقه: **(الوسيلة درجة ليس في الجنة أعلى منها، فسلوا الله أن يؤتينيها على رؤوس الخلائق)** فصرح بأنها أعلى الدرجات، فعلم أنه المراد في قوله: ليس فوقها درجة، ووجه تخصيص الدعاء له ﷺ بالوسيلة والفضيلة بعد الأذان أنه لما كان دعاء إلى الصلاة، وهي مقربة إلى الله تعالى ومعراج المؤمنين، ومما امتن الله به علينا بإرشاده وهدايته ﷺ ناسب أن يجازى على ذلك بالدعاء له بالتقرب إلى الله ورفعة المنزلة، فإن الجزاء من جنس العمل.

(وروى ابن مردويه) بفتح الميم وقد تكسر **(عن علي، عن النبي ﷺ قال: إذا سألتم**

الوسيلة، قالوا: يا رسول الله، من يسكن معك؟ قال: «علي وفاطمة والحسن والحسين». لكن قال الحافظ عماد الدين بن كثير: إنه حديث غريب منكر من هذا الوجه.

وعند ابن أبي حاتم من حديث علي أيضًا: أنه قال على منبر الكوفة: أيها الناس إن في الجنة لؤلؤتين إحداهما بيضاء والأخرى صفراء، فأما البيضاء فإنها إلى بطنان العرش. والمقام المحمود من اللؤلؤة البيضاء سبعون ألف غرفة، كل بيت منها ثلاثة أميال، وغرفها وأبوابها وأسرتها وسكانها من عرق واحد، واسمها الوسيلة، هي لمحمد ﷺ وأهل بيته، والصفراء فيها مثل ذلك، هي لإبراهيم عليه السلام وأهل بيته. وهي أثر غريب كما نبه عليه الحافظ ابن كثير أيضًا.

وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾

الله فسلوا لي الوسيلة) أعلى منازل الجنة **(قالوا: يا رسول الله من يسكن معك)** فيها على سبيل التبعية لك، إذ هي لا تكون إلاَّ لواحد **(قال: علي وفاطمة والحسن والحسين، لكن قال الحافظ عماد الدين بن كثير أنه حديث غريب منكر)** أي: ضعيف **(من هذا الوجه)** الذي أخرجه منه ابن مردويه.

(وعند ابن أبي حاتم) الحافظ ابن الحافظ عبد الرحمٰن بن محمد بن إدريس الرازي **(من حديث علي أيضًا أنه قال على منبر الكوفة: أيها الناس إن في الجنة لؤلؤتين، إحداهما بيضاء والأخرى صفراء، فأما البيضاء فإنها إلى بطنان العرش)** بضم الموحدة وإسكان الطاء المهملة ونونين بينهما ألف، أي إلى جهة أعلاه، أي: أنها أقرب إلى أعلاه من غيرها **(والمقام المحمود)** مبتدأ خبره **(من اللؤلؤة البيضاء سبعون ألف غرفة كل بيت منها ثلاثة أميال وغرفها وأبوابها وأسرتها وسكانها من عرق)** أي: أصل **(واحد واسمها الوسيلة هي لمحمد ﷺ وأهل بيته و)** اللؤلؤة قسيم قوله: فأما البيضاء بتقدير، وأما اللؤلؤ **(الصفراء)** على نحو قوله تعالىٰ: ﴿والراسخون في العلم﴾ [آل عمران/ ٧]، بعد قوله: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾ [آل عمران/ ٧]، في أحد الوجهين **(فيها مثل ذلك هي لإبراهيم عليه السلام وأهل بيته)** وهذا حكمه الرفع، إذ لا يقال إلاَّ عن توقيف **(و)** لكن **(هي أثر غريب كما نبه عليه الحافظ ابن كثير أيضًا)**.

(وعن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾)، **(قال: أعطاه الله تعالىٰ في الجنة ألف قصر)** من لؤلؤ أبيض ترابها المسك كما في المقصد السادس عن ابن

[الضحى/٥]، قال: أعطاه الله في الجنة ألف قصر وفي كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريقه، ومثل هذا لا يقال إلا عن توقيف، فهو في حكم المرفوع.

عباس **(وفي كل قصر)** من الألف **(ما ينبغي)** ما يليق **(له من الأزواج والخدم)**.

(رواه ابن جرير) محمد الطبري **(وابن أبي حاتم من طريقه، ومثل هذا)** من الإخبار عن الغيب **(لا يقال إلاّ عن توقيف)** من النبي ﷺ **(فهو في حكم المرفوع)** وإن كان موقوفًا لفظًا، وهكذا كل ما جاء عن صحابي إن أمكن كونه رأيًا فليس له حكم الرفع، وإلاّ فله حكمه، وليس المراد حصر ما أعطاه فيما ذكر، لأن الآية دلت على أنه يعطيه كل ما يرضيه مما لا يعلم حقيقته إلاّ اللّه.

وقد روى الديلمي في الفردوس عن علي، قال: لما نزلت قال ﷺ: إذن لا أرضى وواحد من أمتي في النار.

ولأبي نعيم في الحلية عن علي في الآية قال: ليس في القرءان آية أربى منها ولا يرضى ﷺ أن يدخل أحد من أمته النار، وقوله: ولا يرضى موقوف لفظًا مرفوع حكمًا، ولا يشكل بما صح أن بعض العصاة من أمته يدخل النار؛ وأنه تعالىٰ يحد له ﷺ حدًا يشفع فيهم، فلا يدع أحدًا منهم ولا يزيد على من أذن له في الشفاعة فيه، كما مر قريبًا: ولا شك أنه يرضى بما يرضى ربه، لأنه لا يبعد أن تعذيب العصاة غير مرضي للّه فلا يرضى به رسوله، فإذا لم يرض به لعدم رضا ربه شفعه فيهم، فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، أو لا يرضى دخولهم على وجه الخلود، وإنما قال: أن يدخل دون أن يخلد قصد الإرادة نفي الرضا بالخلود عن نهج المبالغة والاستدلال، أو لا يرضى دخولهم النار دخولاً يشدد عليهم العذاب فيه، بل يكون خفيفًا لا تسود وجوههم ولا تزرق أعينهم كما وردت به الأحاديث، فهو تعذيب كتأديب الحشمة، بل قال ﷺ: إنما حرّ جنهم على أمتي كحر الحمام.

أخرجه الطبراني برجال ثقات من حديث الصديق، وللدارقطني عن ابن عباس رفعه: إن حظ أمتي من النار طول بلائها تحت التراب، وقيل: غير ذلك في توجيه الحديث.

وإن كان ضعيفًا لتعدد طرقه كما سبق في المقصد السادس، وأنه لا وجه لقول المصنف هناك تبعًا لابن القيم: إنه افتراء لمخالفة حديث الشفاعة؛ لأنه إبطال للروايات بأوهام الشبهات، ولأن تعليل الحديث بالافتراء ودعوى الكذب لا يكون بمخالفة ظاهر القرءان فضلاً عن الحديث، وإنما يكون من جهة الإسناد، كما صرح به الحافظ ابن ظاهر وغيره، وللبزار والطبراني وأبي نعيم بسند حسن، كما قال المنذري عن علي: أن رسول اللّه ﷺ قال: «أشفع لأمتي حتى يناديني ربي تبارك وتعالى، أرضيت يا محمد، فأقول: أي رب رضيت».

خاتمة

عن عائشة قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك لأحب إلي من أهلي، وإنك لأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك. وإذا ذكرت موتي

(خاتمة)

ونسأل الله من فضله حسن الخاتمة في عافية بلا محنة، والفوز بالجنة والنجاة من النار بوجاهة الحبيب المختار **(عن عائشة)** رضي الله تعالى عنها **(قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ)** هو ثوبان أو عبد الله بن زيد الأنصاري كما يأتي **(فقال: يا رسول الله إنك)** والله **(لأحب)** فاللام جواب قسم مقدر **(إليّ من نفسي وإنك لأحب إليّ من أهلي، وإنك لأحب إليّ من ولدي)**.

زاد في رواية: ومالي، ولا يلزم من تقديمه على نفسه تقديمه على من بعده، لأن الإنسان قد يسمح بموت نفسه عند حصول المشاق دون ولده حرصًا على بقاء العقب، وهذا هو الإيمان الكامل المشار إليه بحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»، ودخل في عموم الناس نفسه، ونص عليها في حديث آخر.

كما مر بسط ذلك في مقصد المحبة؛ وأن لها علامات كثيرة، منها أنه لو خير بين فقد غرض من أغراضه وبين رؤيته عليه السلام، لو أمكنته لكانت أشد عليه من فقد غرضه، فهو كامل الحب، ومن لا فلا.

قال القرطبي: كل من آمن به ﷺ إيمانًا صحيحًا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة، ولكنهم يتفاوتون فيها تفاوتًا ظاهرًا، فمنهم من أخذ بالحظ الأوفى ومنهم من أخذ بالأدنى لاستغراقه في الشهوات وحجبه بالغفلات، لكن الكثير منهم إذا ذكره ﷺ اشتاق إلى رؤيته بحيث يؤثرها على أهله وماله وولده ويلقي نفسه في الأمور الصعبة، ومن ذلك من يؤثر زيارة قبره ومواضع آثاره على جميع ما ذكر لما ثبت في قلوبهم من محبته غير أن ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات. انتهى.

(وإني لأكون في البيت) أي: بيتي **(فأذكرك)** أي: أتذكرك في ذهني وأتصورك أو أذكر اسمك وصفاتك، فهو من الذكر بالكسر أو الضم **(فما أصبر)** عن رؤيتك للجزع والقلق الزائدين **(حتى آتيك فأنظر إليك)** فتطمئن نفسي وينشرح صدري، فقوله: إنك لأحب، أي: أوثر محبتك حبًا اختيارًا إيثارًا لك على ما يقتضي العقل رجحانه من حبك إكرامًا لك وإن كان حب نفسي وولدي وغيرهما مركوزًا في غريزتي **(وإذا)** وفي رواية: وإني **(ذكرت موتي**

وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك. فلم يردَّ عليه النبي ﷺ شيئًا، حتى نزل عليه جبريل عليه السلام بهذه الآية ﴿**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا**﴾ [النساء/٦٩] رواه أبو نعيم عن عائشة، وقال الحافظ أبو عبد الله المقدسي: لا أعلم بإسناد هذا

وموتك) أي: مكاني ومكانك بعد الموت **(عرفت:)** تحققت **(أنك إذا دخلت الجنة)** بعد الموت **(رفعت)** إلى الدرجات العلا **(مع النبيين)** صلى الله وسلم عليهم أجمعين **(وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك)** فيها لأنك في مقام لا يصل إليه غيرك **(فلم يرد عليه النبي ﷺ شيئًا حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿ومن يطع الله والرسول﴾)** [النساء/ ١٣، ٦٩]، بامتثال أمره ونهيه ويلزمه محبته له أيضًا.

ولم تذكر لتحققها لذكر الرجل لها والعلم بخلوصه فيها **(﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم﴾)** بنعيم الجنة وعالي مراتبها، ففيه تبشير له بمرافقة أفضل خلق الله وأكرمهم وأرفعهم منزلة **(﴿من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾)** بيان للمنعم عليهم بما أخفي لهم من قرة أعين **(﴿وحسن أولئك﴾)** تعجب، أي: ما أحسنهم **(﴿رفيقًا﴾)** تمييز، ولم يجمع لوقوعه على الواحد وغيره.

قال البيضاوي: قسمهم أربعة أقسام باعتبار منازلهم في العلم والعمل وهم الأنبياء الفائزون بكمال العلم والعمل، المجاوزون حد الكمال إلى درجة التكميل، ثم صديقون صعدت نفوسهم تارة إلى مراقي النظر في الحجج والآيات، وأخرى إلى معارج القدس بالرياضة والتصفية حتى اطلعوا على ما لم يطلع عليه غيرهم، ثم شهداء بذلوا أنفسهم في إعلاء كلمة الله وإظهار الحق، ثم صالحون صرفوا أعمارهم في طاعته وأموالهم في مرضاته، ولك أن تقول: المنعم عليهم هم العارفون بالله، وهؤلاء إما أن يكونوا بالغين درجة العيان أو واقفين في مقام الاستدلال والبرهان، والأولون إما أن ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبًا، وهم الأنبياء أولاً كمن يرى الشيء من بعد وهم الصديقون، والآخرون إما أن يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في الأرض، وإما أن يكون بإمارات وإقناعات تطمئن إليها نفوسهم وهم الصالحون. انتهى.

(رواه أبو نعيم) والطبراني في الصغير **(عن عائشة)** وابن مردويه عن ابن عباس **(وقال الحافظ أبو عبد الله)** محمد بن عبد الواحد بن أحمد السعدي الحنبلي ضياء الدِّين **(المقدسي)** الدين، الزاهد الورع، الحجة، الثقة، صاحب التصانيف المشهورة: سمع ابن الجوزي: وخلقًا، ولد سنة تسع وستين وخمسمائة ومات سنة ثلاث وأربعين وستمائة **(لا أعلم بإسناد هذا**

الحديث بأسًا. كذا نقله ابن القيم في «حادي الأرواح».

وذكره البغوي في «معالم التنزيل» بلفظ: نزلت - يعني الآية - في ثوبان مولى رسول الله ﷺ، وكان شديد الحب لرسول الله ﷺ،، قليل الصبر عنه، فأتاه ذات يوم، وقد تغير لونه، يعرف الحزن في وجهه، فقال له رسول الله ﷺ: «ما غير لونك»؟ فقال: يا رسول الله، ما بي وجع ولا مرض، غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك، لأنك ترفع مع النبيين، وإني إن دخلت الجنة في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبدًا، فنزلت هذه الآية.

الحديث بأسًا) أي: أن رواته مقبولون لم يجرح أحد منهم.

(كذا نقله ابن القيم في حادي الأرواح) إلى ديار الأفراح **(وذكره البغوي)** محيي السنة الحسين بن مسعود، أحد الحفاظ **(في معالم التنزيل)** اسم تفسيره بلا عزو **(بلفظ: نزلت، يعني: الآية في ثوبان)** بفتح المثلثة والموحدة ابن بجدد بضم الموحدة وسكون الجيم وضم الدال المهملة الأولى **(مولى رسول الله ﷺ)** قال في الإصابة: يقال أنه من العرب من حكم بن سعد بن حمير، وقيل: من السراة، اشتراه ثم أعتقه فخدمه إلى أن مات، ثم تحول إلى الرملة ثم إلى حمص، ومات بها سنة أربع وخمسين.

روى ابن السكن عنه أنه ﷺ دعا لأهله، فقلت: أنا من أهل البيت، فقال في الثالثة: نعم. ما لم تقم على باب سدة أو تأت أمير فتسأله، ولأبي داود عن أبي العالية، عن ثوبان قال ﷺ: من يتكفل إليّ أن لا يسأل الناس وأتكفل له بالجنة، فقال ثوبان: أنا، وكان لا يسأل أحدًا شيئًا، تقدم ذكره في الموالي النبوية **(وكان شديد الحب)** بضم الحاء المحبة، أما بكسرها فالمحبوب **(لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه)** ولذا لازمه حضرًا وسفرًا **(فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه)**.

وعند الثعلبي: تغير وجهه ونحل جسمه **(يعرف الحزن في وجهه، فقال له رسول الله ﷺ: ما غير لونك؟، فقال: يا رسول الله ما بي وجع)** أي: مرض مؤلم **(ولا مرض)** مطلق علة، ويقع الوجع أيضًا على كل مرض، لكن لا يرد هنا ليحصل التغاير **(غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة)** أي: حصل لي انقطاع وبعد قلب وعدم استئناس **(حتى ألقاك)** فتزول وحشتي **(ثم ذكرت الآخرة)** أي: فكرت في أمرها **(فأخاف أن لا أراك لأنك ترفع مع النبيين)** في أعلى الدرجات **(وإني إن دخلت الجنة)** أكون **(في منزلة أدنى من منزلتك)** فتقل رؤيتي لك بدليل قوله: **(وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبدًا، فنزلت هذه الآية)**.

وكذا ذكره ابن ظفر في «ينبوع الحياة» لكن قال: إن الرجل هو عبد الله بن زيد الأنصاري الذي رأى الأذان.

وليس المراد أن يكون من أطاع الله وأطاع الرسول مع النبيين والصديقين كون الكل في درجة واحدة، لأن هذا يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول، وذلك لا يجوز، فالمراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وإن بعد المكان، لأن الحجاب إذا زال شاهد بعضهم بعضًا، وإذا أرادوا الرؤية والتلاقي قدروا على ذلك، فهذا هو المراد من هذه المعية.

قال الولي العراقي: هكذا ذكره الثعلبي في تفسيره بلا إسناد ولا راوٍ، وحكاه الواحدي في أسباب النزول عن الكلبي.

وروى الطبراني في الصغير عن عائشة، وابن مردويه عن ابن عباس، والبيهقي عن الشعبي، وابن جرير عن سعيد بن جبير، كل منهم يحكي عن رجل، فذكر مثل قصة ثوبان ونزول الآية فيه. انتهى.

(وكذا ذكره ابن ظفر) بفتح الظاء المعجمة والفاء وراء واسمه محمد بن محمد بن ظفر الصقلي أبو عبد الله الأديب الفاضل، له تصانيف، ولد بصقلية وسكن حماة، وبها مات سنة خمس وستين وخمسمائة **(في ينبوع الحياة)** اسم تفسيره وهو كبير **(لكن قال)** عن مقاتل بن سليمان؛ **(أن الرجل هو عبد الله بن زيد)** بن عبد ربه **(الأنصاري)** الخزرجي **(الذي رأى الأذان)** في منامه، مات سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: استشهد بأحد، فإن صح فلعل كلا منهما ذكر ذلك للنبي ﷺ، فنزلت الآية، وقد ورد أن قائل ذلك جمع كثير، فروى ابن أبي حاتم عن مسروق، قال: قال أصحاب محمد ﷺ: يا رسول الله ما ينبغي لنا أن نفارقك، فإنك لو مت لرفعت فوقنا ولم نرك، فأنزل الله الآية وهي وإن كان سببها خاصًا، فهي عامة لجميع من أطاع الله ورسوله، ولا ينحصر في تسلية المحبين والتخفيف عنهم، بل يشمل ذلك وغيره وهو الحث على الطاعة والترغيب فيها، فمن فعل ذلك فاز بالدرجات العالية عند الله تعالى **(وليس المراد أن يكون من أطاع الله وأطاع الرسول مع النبيين والصديقين كون الكل في درجة واحدة، لأن هذا يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول، وذلك لا يجوز)** اعتقاده لأن الأنبياء لا يساويهم غيرهم بالنصوص والإجماع **(فالمراد)** بالمعية **(كونهم في الجنة، بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وإن بعد المكان، لأن الحجاب إذا زال شاهد بعضهم بعضًا، وإذا أرادوا الرؤية والتلاقي قدروا على ذلك)** إذ لو عجزوا عنه لتحسروا ولا حسرة في الجنة **(فهذا هو المراد من هذه المعية)** لا المساواة في المنزلة.

وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس، أن رجلاً قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: وما أعددت لها؟ قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله، قال: «أنت مع من أحببت»، قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: أنت مع من أحببت، قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم.

(وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس؛ أن رجلاً) قال الحافظ: هو ذو الخويصرة اليماني الذي بال في المسجد، وحديثه بذلك مخرج عند الدارقطني، ومن زعم أنه أبو موسى أو أبو ذر فقد وهم، فإنهما وإن اشتركا في معنى الجواب وهو المرء مع من أحب، فقد اختلف سؤالهما، فإن كلا من أبي موسى وأبي ذر إنما سئل عن الرجل يحب القوم ولم يلحق بهم.

هذا. **(قال: يا رسول اللّه متى الساعة؟)** زاد في رواية قائمة بالرفع خبر الساعة، فمتى ظرف متعلق به والنصب حال من الضمير المستكن في متى، إذ هو على هذا التقدير خبر الساعة فهو ظرف مستقر.

وفي رواية لمسلم: متى تقوم الساعة؟، ولما احتمل السؤال التعنت والخوف من اللّه امتحنه النبي ﷺ حيث **(قال: وما أعددت لها)** هكذا في رواية للشيخين.

وفي رواية لهما أيضًا: ويحك وما أعددت لها؟، قال الطيبي: سلك مع السائل طريق الأسلوب الحكيم، لأنه سأله عن وقت الساعة وأيان إرساؤها، فقيل له: فيم أنت من ذكراها؟، وإنما يهمك أن تهتم بأهبتها وتعتني بما ينفعك عند إرسائها من العقائد الحقة والأعمال الصالحة المرضية، فأجاب حيث **(قال: لا شيء)**.

وفي رواية للبخاري، قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولمسلم: ما أعددت لها من كثير عمل أحمد عليه نفسي، وكثير بمثلثة **(إلاَّ أني أحب اللّه ورسوله)** يحتمل الاتصال والانقطاع، قاله الكرماني.

وفي رواية في الصحيح أيضًا: ولكني أحب اللّه ورسوله **(قال: أنت)** وفي رواية: إنك **(مع من أحببت)** أي: ملحق بهم وداخل في زمرتهم لما امتحنه وظهر له من جوابه صدق إيمانه ألحقه بمن ذكر **(قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: أنت مع من أحببت)**.

وفي رواية في الصحيح أيضًا: فقلنا ونحن كذلك، قال ﷺ: نعم ففرحنا يومئذٍ فرحًا شديدًا، وفي أخرى: فلم أرَ المسلمين فرحوا فرحًا أشد منه، وفي أخرى: فما فرح المسلمون بشيء بعد الإسلام ما فرحوا به **(قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم)** والحديث متواتر.

وفي الحديث الإلٰهي الذي رواه حذيفة ـ كما عند الطبراني بسند غريب ـ أنه تعالى قال: ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه. الحديث. وفيه من الزيادة على حديث البخاري: ويكون

قال في الفتح: جمع أبو نعيم الحافظ طرقه في كتاب المحبين مع المحبوبين، فبلغ عدد الصحابة فيه نحو عشرين، ولفظ أكثرهم: المرء مع من أحب، وفي بعضها بلفظ: حديث أنس أنت مع من أحببت.

(وفي الحديث الإلهي) المنسوب لله تعالى مما تلقاه النبي ﷺ بلا واسطة أو بواسطة احتمالان في جميع الأحاديث الإلهية وليس لها حكم القرءان، فيمسها المحدث وتبطل الصلاة بقراءتها فيها، وغير ذلك **(الذي رواه حذيفة)** بن اليمان عن النبي ﷺ **(كما عند الطبراني بسند غريب)** لفظ الفتح حسن غريب مختصر. انتهى.

فأوله قوله؛ **(أنه تعالىٰ قال: ما تقرب إلى عبدي)** بإضافة التشريف **(بمثل أداء ما افترضت عليه)** أي: تأديته لا المقابل للقضاء فقط، قال الحافظ: ظاهرة الاختصاص بما ابتدأ الله فرضه، وفي دخول ما أوجبه المكلف على نفسه نظر للتقييد بقوله: افترضت عليه لا أن أخذ من جهة المعنى الأعم، ويستفاد منه أن أداء الفرض أحب الأعمال إلى الله، قال الطوفي: الأمر بالفرائض جازم ويقع بتركها المعاقبة بخلاف النفل في الأمرين وإن اشترك مع الفرائض في تحصيل الثواب، فكانت الفرائض أحب إلى الله تعالىٰ وأشد تقربًا **(ولا)**.

هكذا رواية الطبراني عن حذيفة بلفظ ولا، وللبخاري من حديث أبي هريرة بلفظ: وما **(يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل)** من صلاة وصيام وغيرهما **(حتى أحبه)** بضم أوله، أي أرضى عنه والتقرب طلب القرب.

قال أبو القٰسم القشيري: قرب العبد من ربه يقع أولاً بإيمانه ثم بإحسانه، وقرب الرب من عبده ما يخصه به في الدنيا من عرفانه وفي الآخرة من رضوانه وفيما بين ذلك من وجوه لطفه وامتنانه، وقرب الرب بالعلم والقدرة عام للناس وباللطف والنصرة خاص بالخواص وبالتأنيس خاص بالأولياء.

وفي حديث أبي أمامة عند الطبراني والبيهقي: يتحبب إليّ بدل بتقرب، واستشكل كون النوافل تنتج محبة الله، لأنه تعالى جعلها مرتبة على كثرتها ولا تنتجها الفرائض؛ لأنه جعلها أحب الأشياء إليه ولم يذكر سبب الأحبية، فلم يرتب المحبة على الفرائض.

وأجيب؛ بأن المراد النوافل إذا كانت مع الفرائض مشتملة عليها أو مكملة لها لا مطلقًا، فإنما أنتجت المحبة من حيث الاشتمال والتكميل وبأن الإتيان بالنوافل بمحض المحبة لا لخوف عقاب على الترك، فأنتجت محبة الله لكونها لا في مقابلة شيء، بخلاف الفرائض، ففعلها مانع

من أوليائي وأصفيائي، ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة.

فلله درها من كرامة بالغة، ونعمة على المحبين سابغة، فالمحب يرقى في درجات الجنات على أهل المقامات، بحيث ينظر إليه كما ينظر إلى الكوكب الغابر في أفق السموات لعلو درجته وقرب منزلته من حبيبه، ومعيته معه، وإنَّ المرء

من العقاب عليها، فهي في مقابلة عوض وإن كانت أفضل... **(الحديث وفيه)** أي: حديث حذيفة **(من الزيادة على حديث البخاري)** عن أبي هريرة الذي قدمه المصنف في مقصد المحبة مع الكلام عليه بنحو ورقتين، يعني: فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطيته ولئن استعاذ بي لأعذته **(ويكون من أوليائي وأصفيائي)** في الدنيا والآخرة، والمراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته، ولذا أشكل قوله: صدر حديث أبي هريرة: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب بأنه لا يوجد معادٍ للولي، لأن المعاداة إنما تقع من الجانبين ومن شأن الولي الحلم والصفح عن كل من يجهل عليه وأجيب كما في الفتح بأن المعاداة لم تنحصر في الخصومة والمعاملة الدنيوية مثلاً، بل قد تقع عن بغض ينشأ عن التعصب كرافضي في بغضه لأبي بكر ومبتدع في بغضه للسني، فتقع المعاداة من الجانبين، أما من جانب الولي فلله وفي الله تعالىٰ، وأما من جانب الآخر فلما تقدم، وقد تطلق المعاداة ويراد بها الوقوع من أحد الجانبين بالفعل، ومن الآخر بالقوة **(ويكون جاري)** بإسكان الياء، ويجوز فتحها **(مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة)** ولم يقل: والصالحين إما اكتفاء أو تقصيرًا من الراوي.

وفي بعض النسخ: والصالحين **(فلله درها)** بدال مهملة **(من كرامة بالغة)** إلى الغاية **(ونعمة على المحبين سابغة)** بغين معجمة عامة **(فالمحب يرقى في درجات الجنات على أهل المقامات:)** المراتب التي نالوها بمعرفتهم لله وإن اختلفت باختلاف مراتبهم وعرفانهم وأعمالهم، فانتقلوا من معرفة إلى كشف، ومنه إلى مشاهدة، ومنها إلى معاينة، ومنها إلى اتصال، ومنه إلى فناء، ومنه إلى بقاء، إلى غير ذلك من المقامات المعلومة لأهلها **(بحيث ينظر إليه كما ينظر إلى الكوكب الغابر)** بمعجمة وموحدة، أي: الباقي.

قال الأزهري: الغابر من الأضداد، يطلق على الماضي والباقي، والمعروف الكثير أنه بمعنى الباقي، وفي المطالع: الغابر البعيد أو الذاهب الماضي كما في الرواية الأخرى الغارب، يعني: بتقديم الراء على الموحدة **(في أفق السموات لعلو درجته وقرب منزلته من حبيبه)** كما قال ﷺ: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما تراءون الكوكب الغابر من الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم»، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم.

مع من أحب، ولكل عمل جزاء، وجزاء المحبة والوصول والقرب من المحبوب.

رؤيت امرأة مسرفة على نفسها بعد موتها فقيل لها: ما فعل الله بك؟ قالت: غفر لها: فقيل لها: بماذا؟ قالت: بمحبتي لرسول الله ﷺ وشهوتي النظر إليه، نوديت: من اشتهى النظر إلى حبيبنا نستحي أن نذله بعتابنا، بل نجمع بينه وبين من يحبه.

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿**طوبى لهم وحسن مآب**﴾ [الرعد/٢٩]، وإن طوبى اسم شجرة في الجنة غرسها الله بيده، وتنبت الحلي والحلل، وإن أغصانها لترى من وراء

قال ﷺ: «بلى. والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

رواه الشيخان (**ومعيته معه وإن المرء مع من أحب**) في الجنة بحسن نيته من غير زيادة عمل، لأن محبته لهم لطاعتهم، والمحبة من أفعال القلوب، فأثيب على ما اعتقده، لأن النية الأصل والعمل تابع لها، وليس من لازم المعية استواء الدرجات، قاله المصنف.

وفي البخاري في الأدب باب علامة الحب لله، ولأبي ذر: الحب في الله لقوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران/ ٣١]، قال الكرماني: يحتمل أن يراد في الترجمة محبة الله للعبد فهو المحب، أو محبة العبد لله فهو المحب، أو المحبة بين العباد في ذات الله بحيث لا يشوبها شيء من الرياء والآية مساعدة للأولين، واتباع الرسول علامة للأولى، لأنها مسببة للاتباع، وللثانية لأنها مسببة. انتهى.

(**ولكل عمل جزاء**) كما دل عليه الكتاب والسنة (**وجزاء المحبة**) مبتدأ خبره (**المحبة والوصول والقرب من المحبوب رؤيت امرأة مسرفة على نفسها**) أي: مخالفة للمطلوب منها من فعل الطاعات واجتناب المناهي (**بعد موتها**) في المنام (**فقيل لها: ما فعل الله بك؟، قالت: غفر لي**) إسرافي (**قيل لها: بماذا؟، قالت: بمحبتي لرسول الله ﷺ وشهوتي النظر إليه، نوديت: من اشتهى النظر إلى حبيبنا نستحي أن نذله**) نحقره (**بعتابنا، بل نجمع بينه وبين من يحبه، وأنظر**): نظر تأمل وتدبر (**قوله تعالى**): ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات(**طوبى لهم وحسن مآب**﴾) [الرعد/٢٩] مرجع (**فإن طوبى**) المرادة في الآية عند جماعة من المفسرين (**اسم شجرة في الجنة**).

كما رواه ابن جرير عن قرة بن إياس عن النبي ﷺ، قال: طوبى شجرة في الجنة (**غرسها الله بيده**) ونفخ فيها من روحه، كما في حديث قرة المذكور، ومثله في حديث ابن عباس: (**تنبت الحلي**).

سور الجنة، وإن أصلها في دار النبي ﷺ، وفي دار كل مؤمن منها غصن، فما من جنة من الجنات إلا وفيها من شجرة طوبى، ليكون سر كل نعيم، ونصيب كل ولي من سره ﷺ، وأنه ﷺ ملأ الجنة، فلا ولي يتنعم في جنته إلا والرسول متنعم بتنعمه، لأن الولي ما وصل إلى ما وصل إليه من النعيم إلا باتباعه لنبيه ﷺ، فلهذا كان سر النبوة قائمًا به في تنعمه. وكذلك إبليس ملأ النار، فلا عذاب لأحد من أهلها إلا وإبليس ـ لعنه الله ـ سر تعذيبه ومشارك له فيه.

وفي «البحر» لأبي حيان عند تفسير قوله تعالى: ﴿عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرًا﴾ [الإنسان/٦] قيل: هي عين في دار رسول الله ﷺ تفجر إلى

وفي رواية: بالحلى،(**والحلل:**) جمع حلة (**وإن أغصانها لترى من وراء سور الجنة**) لطولها، زاد في حديث ابن عباس عند ابن مردويه: والثمار متدلية على أفواههم، أي: متدلية على أفواه أهلها، وأعاد الضمير من غير سبق ذكرهم للعلم به نحو حتى توارت بالحجاب.

ولابن مردويه عن ابن عمر، وأبي نعيم والديلمي عن ابن مسعود رفعاه: «طوبى شجرة في الجنة لا يعلم طولها إلاَّ اللّه، فيسير الراكب تحت غصن من أغصانها سبعين خريفًا ورقها الحلل يقع عليه كأمثال البخت».

وفي الصحيحين مرفوعًا: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها، ولأحمد وابن حبان مرفوعاً: طوبى شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها».

(و) حكى بعضهم (**أن أصلها في دار النبي ﷺ وفي دار كل مؤمن منها غصن**) سواء كان من أمته أم لا ، كما صرح به في قوله: (**فما من جنة من الجنان إلاّ وفيها من شجرة طوبى**) ومعلوم أن الجنان ليست مقصورة على هذه الأمة (**ليكون سر كل نعيم ونصيب كل ولي من سره عليه السلام؛ وأنه ﷺ ملأ الجنة فلا ولي يتنعم في جنته إلاّ والرسول متنعم بتنعمه، لأن الولي ما وصل إلى ما وصل إليه من النعيم إلا باتباعه لنبيه ﷺ، فلهذا كان سر النبوة قائمًا به في تنعمه**) وهذا ظاهر في الأمة المحمدية وفي مؤمني الأمم السابقة أيضًا، لأنه قد أخذ على الأنبياء الميثاق أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وأن يأمروا أممهم بالإيمان به، ولذا كان نبي الأنبياء كما مر مبسوطًا في المقصد الأول.

(**وكذا إبليس لعنه اللّه ملأ النار فلا عذاب لأحد من أهلها إلاّ وإبليس لعنه اللّه سر تعذيبه ومشارك له فيه، وفي البحر**) التفسير الكبير (**لأبي حيان عند تفسير قوله تعالى: عينًا**) بدل من كافورًا (**يشرب بها**) أي: منها (**عباد اللّه يفجرونها تفجيرًا:**) يجرونها إجراءً سهلاً.

دور الأنبياء والمؤمنين.

وإذا علمت هذا، فاعلم أنّ أعظم نعيم الجنة وأكمله التمتع بالنظر إلى وجه الرب تبارك وتعالى، ورسوله ﷺ، وقرة العين بالقرب من الله ورسوله مع الفوز بكرامة الرضوان التي هي أكبر من الجنان وما فيها، كما قال الله تعالى: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ [التوبة/٧٢].

(قيل: هي عين في دار رسول اللّه ﷺ تفجر إلى دور الأنبياء والمؤمنين) كل بحسب مقامه، ثم ذكر المصنف بارقة صوفية لامعة بمعاني أحاديث نبوية، فقال: (**وإذا علمت هذا**) المذكور الدال على عظم نعيم الجنة (**فاعلم أن أعظم نعيم الجنة وأكمله التمتع بالنظر إلى وجه الرب تبارك وتعالى**) كما قال ﷺ: إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول اللّه تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم، فيقول: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار، قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم، ثم تلا هذه الآية: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ [يونس/ ٢٦].

رواه مسلم والترمذي وابن ماجه عن صهيب، قال القرطبي: معنى كشف الحجاب رفع الموانع عن إدراك أبصارهم حتى يروه على ما هو عليه من نعوت العظمة والجلال، فالحجاب إنما هو للخلق لا للخالق تقدس وتعالى، وجاء مرفوعًا: الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الرحمٰن من حديث أبي موسى وكعب بن عجرة وابن عمر وأبي بن كعب وأنس وأبي هريرة، كلهم عن النبي ﷺ، وجاء موقوفاً على الصديق وحذيفة وابن عباس وابن مسعود، وجاء عن جماعة من التابعين كما بسطه في البدور، وقال: قال البيهقي: هذا تفسير قد استفاض واشتهر فيما بين الصحابة والتابعين، ومثله لا يقال إلاّ بتوقيف، وقال يحيىٰ بن معين: عندي سبعة عشر حديثًا كلها صحاح، وزاد عليه في البدور اثنين، وساق ألفاظ الجميع عازيًا لمخرجيهم، وقال: إنها بلغت مبلغ التواتر عندنا معاشر أهل الحديث (**و**) إلى وجه (**رسول اللّه ﷺ وقرة العين**) بردها وسرورها (**بالقرب من اللّه ورسوله مع الفوز**) الظفر (**بكرامة الرضوان**) إضافة بيانية (**التي هي أكبر**:) أجل وأعظم (**من الجنان وما فيها، كما قال تعالىٰ**: (﴿**ورضوان من اللّه أكبر**﴾)، لأنه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي إلى نيل الوصول والفوز باللقاء.

روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري، قال: «قال ﷺ: إن اللّه يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟، فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: وما أفضل من ذلك، فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدًا».

ولا ريب أن الأمر أجل مما يخطر ببال أو يدور في خيال، ولا سيما عند فوز المحبين في روضة الأنس وحظيرة القدس، بمعية محبوبهم الذي هو غاية مطلوبهم، فأي نعيم وأي لذة وأي قرة عين وأي فوز يداني تلك المعية ولذتها، وقرة العين بها، وهل فوق نعيم قرة العين بمعية الله ورسوله نعيم، فلا شي - والله - أجل ولا أكمل ولا أجمل ولا أجلى ولا أحلى ولا أعلى ولا أغلى من حضرة يجتمع فيها المحب بأحبابه في مشهد مشاهد الإكرام حيث يتجلى لهم حبيبهم ومعبودهم الإله الحق جل جلاله خلف حجاب واحد في اسمه الجميل اللطيف، فينفهق عليهم نور يسري في ذواتهم فيبهتون من جمال الله، وتشرق ذواتهم بنور ذلك الجمال الأقدس، بحضرة الرسول الأرأس، ويقول لهم الحق جل جلاله: سلام عليكم عبادي، ومرحبًا بكم أهل ودادي، أنتم المؤمنون الآمنون، لا خوف عليكم

وللطبراني: وصححه الضياء عن جابر، رفعه: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال الله: يا عبادي هل تسألوني شيئًا فأزيدكم؟، قالوا: يا ربنا ما خير مما أعطيتنا؟، قال: رضواني أكبر» **(ولا ريب أن الأمر أجل مما يخطر ببال أو يدور في خيال)** كما قال ﷺ: «قال الله عزّ وجلّ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»، ثم قرأ هذه الآية: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ [السجدة/ ١٧].

رواه الشيخان **(ولا سيما عند فوز المحبين في روضة الأُنس وحظيرة القدس)** الجنة **(بمعية محبوبهم الذي هو غاية مطلوبهم، فأي نعيم وأي لذة وأي قرة عين وأي فوز يداني:)** يقارب **(تلك المعية ولذتها وقرة العين بها)** والاستفهام بمعنى النفي، أي: لا يقاربها شيء **(وهل فوق نعيم قرة العين بمعية الله ورسوله نعيم، فلا شيء والله أجل ولا أكمل ولا أجمل)** بجيم **(ولا أجلى)** بالجيم **(ولا أحلى)** بالحاء أشد حلاوة **(ولا أعلى)** بعين مهملة أشد علوا، أي: رفعة **(ولا أغلى)** بمعجمة أزيد مما يقوم بالبال من غلا السعر إذا زاد وارتفع **(من حضرة يجتمع فيها المحب بأحبابه في مشهد مشاهد الإكرام حيث يتجلى:)** يظهر **(لهم حبيبهم ومعبودهم الإله الحق جل جلاله خلف حجاب واحد)** بالنسبة إليهم **(في اسمه الجميل اللطيف فينفقه)** بفتح أوله وسكون النون وفتح الفاء وكسر الهاء وبالقاف، أي: يتسع ويفيض **(عليهم نور يسري في ذواتهم فيبهتون)** بفتح الياء وضم الهاء وفتحها مبنيًا للفاعل، أي: يتحيرون **(من جمال الله وتشرق ذواتهم بنور ذاك الجمال الأقدس)** الأطهر **(بحضرة الرسول الأرأس)** أعظم الناس وأشدهم سيادة **(ويقول لهم الحق جل جلاله: سلام عليكم عبادي)**.

روى ابن ماجه وغيره مرفوعًا: بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا

اليوم ولا أنتم تحزنون، أنتم أوليائي وجيراني وأحبابي، إني أنا الله الجواد الغني، وهذه داري قد أسكنتكموها، وجنتي قد أبحتكموها، وهذه يدي مبسوطة ممتدة عليكم، وأنا ربكم أنظر إليكم، لا أصرف نظري عنكم، أنا لكم جليس وأنيس، فارفعوا إلى حوائجكم، فيقولون ربنا حاجتنا إليك النظر إلى وجهك الكريم والرضى عنا، فيقول لهم جل جلاله: هذا وجهي فانظروا إليه وأبشروا، فإني عنكم راض ثم يرفع الحجاب ويتجلى لهم فيخرون سجدًا فيقول لهم: ارفعوا رؤوسكم، فليس هذا موضع سجود يا عبادي، ما دعوتكم إلا لتتمتعوا بمشاهدتي، يا عبادي قد رضيت عنكم فلا أسخط عليكم أبدًا.

رؤوسهم، فإذا بالرب قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، وذلك قول اللّه: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾، قال: فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم وإشرافه سبحانه: إطلاعه منزهًا عن المكان والحلول **(ومرحبًا بكم أهل ودادي، أنتم المؤمنون الآمنون لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون)** كما قال تعالىٰ: ﴿ألا إن أولياء اللّه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [البقرة/ ٣٨]، الذين آمنوا وكانوا يتقون، **(أنتم أوليائي وجيراني وأحبابي إني أنا اللّه الجواد الغني، وهذه داري)** بإضافة التشريف **(قد أسكنتكموها وجنتي قد أبحتكموها، وهذه يدي مبسوطة)** ممتدة **(عليكم وأنا ربكم أنظر إليكم)** نظر رحمة ولطف **(لا أصرف نظري عنكم، أنا لكم جليس وأنيس، فارفعوا إليّ حوائجكم، فيقولون: ربنا حاجتنا إليك النظر إلى وجهك الكريم والرضا عنا)** أي: دوامه **(فيقول لهم جل جلاله: هذا وجهي انظروا إليه وأبشروا)** بهمزة قطع **(فإني عنكم راضٍ، ثم يرفع الحجاب)** بالنسبة إليهم **(ويتجلى لهم فيخرون سجدًا، فيقول لهم: ارفعوا رؤوسكم فليس هذا موضع سجود)**.

وعند ابن المبارك والآجري عن جابر موقوفًا ومرفوعًا: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأنعم عليهم بالكرامة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لا تبول ولا تروث لها أجنحة، فيقعدون عليها ثم يأتون الجبار، فإذا تجلى لهم خروا سجدًا، فيقول الجبار: يا أهل الجنة ارفعوا رؤوسكم فقد رضيت عنكم رضًا لا سخط بعده، يا أهل الجنة ارفعوا رؤوسكم، فإن هذه ليست بدار عمل إنما هي دار مقامة ودار نعيم، فيرفعون رؤوسهم **(يا عبادي ما دعوتكم إلاّ لتتمتعوا)** أي تنتفعوا وتتلذذوا **(بمشاهدتي، يا عبادي قد رضيت عنكم فلا أسخط عليكم أبدًا)**.

وفي حديث حذيفة عند البزار، رفعه: إن اللّه إذا صير أهل الجنة إلى الجنة وليس ثم ليل

فما أحلاها من كلمة، وما ألذها من بشرى، فعندها يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، وأحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب، إن ربنا لغفور شكور،

ولا نهار قد علم اللّه مقدار تلك الساعات، فإذا كان يوم الجمعة في وقت الجمعة التي يخرج أهل الجمعة إلى جمعتهم نادى منادٍ يا أهل الجمعة اخرجوا إلى دار المزيد، فيخرجون في كثبان المسك، قال حذيفة: واللّه لهو أشد بياضًا من دقيقكم هذا، فيخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نور وغلمان المؤمنين بكراسي من ياقوت، فإذا قعدوا وأخذوا مجالسهم بعث اللّه عليهم ريحًا تثير عليهم المسك الأبيض فتدخله في ثيابهم وتخرجه من جيوبهم، فيقول اللّه: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب وصدقوا رسلي فهذا يوم المزيد؟، فيجتمعون على كلمة واحدة: إنا قد رضينا فارض عنا، فيقول: لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي، فهذا يوم المزيد، فسلوني، فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه فيتجلى لهم فيغشاهم من نوره، فلولا أن اللّه قضى أن لا يموتوا لاحترقوا.

وللبيهقي عن جابر رفعه: بينا أهل الجنة في منازلهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب قد أشرف، فقال: يا أهل الجنة سلوني، قالوا: نسألك الرضا عنا قال: رضاي أحلكم داري وأنيلكم كرامتي، هذا أوانها فسلوني، قالوا: نسألك الزيادة، فيؤتون بنجائب من ياقوت، إلى أن قال: حتى ينتهي بهم إلى جنة عدن وهي قصبة الجنة، فتقول الملائكة: يا ربنا قد جاء القوم، فيقول: مرحبًا بالصادقين، مرحبًا بالطائعين، فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، فيتمتعون بنور الرحمٰن حتى لا يبصر بعضهم بعضًا، ثم يقول: ارجعوهم إلى القصور بالتحف، فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضًا، قال ﷺ: فذلك قول اللّه: ﴿نزلاً من غفور رحيم﴾ [فصلت/ ٣٢] الآية **(فما أحلاها من كلمة وما ألذها من بشرى، فعندها يقولون: الحمد للّه الذي أذهب عنا الحزن)**.

قال ابن عباس: حزن النار، رواه الحاكم وصححه، ولابن أبي حاتم عن ابن عباس: حزن ذنوب سلفت، وله عن الشعبي: طلب الخبز في الدنيا غداء وعشاء، وقيل: الجوع، وقيل: وسوسة إبليس وغيرها **(وأحلنا دار المقامة)** أي: الإقامة **(من فضله)** من إنعامه وتفضله، إذ لا واجب عليه **(لا يمسنا فيها نصب:)** تعب **(ولا يمسنا فيها لغوب:)** إعياء من التعب لعدم التكليف فيها، وذكر الثاني التابع للأول للتصريح بنفسه.

أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي عن عبد اللّه بن أبي أوفى، قال رجل: يا رسول اللّه إن النوم مما يقر اللّه به أعيننا في الدنيا، فهل في الجنة نوم؟، قال: لا؛ النوم شريك الموت وليس في

وهذا يدل على أن جميع العبادات تزول في الجنة إلا عبادة الشكر والحمد والتسبيح والتهليل. والذي يدل عليه الحديث الصحيح، إنهم يلهمون ذلك كإلهام النفَس، كما في مسلم من حديث جابر: أن رسول الله ﷺ قال: «يأكل أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يمتخطون ولا يبولون، ويكون طعامهم ذلك جشاء ورشحًا

الجنة موت، قال: فما راحتهم، فأعظم ذلك النبي ﷺ وقال: ليس فيها لغوب، كل أمرهم راحة، فنزل: ﴿لا يمسنا فيها نصب﴾ [فاطر/ ٣٥].

وللبزار والطبراني والبيهقي بسند صحيح عن جابر: قيل: يا رسول اللّه أينام أهل الجنة؟، قال: النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون **(إن ربنا لغفور)** للذنوب **(شكور)** للطاعات، والمصنف لم يقصد التلاوة، بل بين ما يقولونه أولاً من النعم التي أفاضها عليهم، ثم ثناءهم عليه تعالى بأنه غفور شكور، ولكنه خلاف ظاهر القرءان مع أنه أبلغ لجعله الثناء عليه متوسطًا بين تعداد النعم، على أنه ورد في خبر وإن كان معضلاً عند ابن أبي الدنيا وأبي نعيم وابن أبي حاتم مرفوعًا في حديث طويل في ذكر ما أنعم اللّه به على أهل الجنة بنحو ورقتين، قال في آخره: فلما تبؤوا منازلهم، قال لهم ربهم: هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟، قالوا: نعم رضينا فارض عنا، قال: برضاي عنكم أحللتكم داري ونظرتم إلى وجهي وصافحتكم ملائكتي، فهنيئًا هنيئًا، عطاء غير مجذوذ ليس فيه تنغيص، فعند ذلك قالوا: الحمد للّه الذي أذهب عنا الحزن، إن ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب، فصرح بأنهم يقولون الآيتين على وجههما **(وهذا يدل على أن جميع العبادات تزول في الجنة إلاّ عبادة الشكر والحمد)** كما هو لفظ الآية **(والتسبيح والتهليل)**.

روى الأصبهاني في حديث عن علي رفعه: ثم يحل بهم كرامة اللّه والنظر إلى وجهه وهو وعد اللّه أنجزه لهم، فعند ذلك ينظرون إلى وجه رب العالمين، فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك **(والذي يدل عليه الحديث الصحيح أنهم يلهمون ذلك كإلهام النفس)** بفتحتين، فيحمل ما دل عليه الأول على أن ذلك عبادة بدون تكليف فلا خلف.

(كما في مسلم من حديث جابر) بن عبد اللّه **(أن رسول اللّه ﷺ قال: يأكل أهل الجنة فيها ويشربون)** ولا يتغوطون كما في مسلم قبل قوله: **(ولا يمتخطون ولا يبولون)** قال في المفهم: لأن هذه فضلات مستقذرة ولا مستقذر في الجنة، ولما كانت أغذية أهل الجنة في غاية اللطافة والاعتدال لم يكن لها فضلة مستقذرة، بل تستطاب وتستلذ، وعبر عنها بالمسك في قوله: **(ويكون طعامهم)** أي: خروج طعامهم، أي: مطعومهم.

ولفظ مسلم: ولكن طعامهم **(ذلك جشاء)** بضم الجيم ومعجمة ومد صوت مع ريح

كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد، كما يلهمون النفَس، يعني أن تسبيحهم وتحميدهم يجري مع الأنفاس، فليس عن تكليف وإلزام، وإنما هو عن تيسير وإلهام، ووجه التشبيه أن تنفس الإنسان لا بد له منه ولا كلفة ولا مشقة في فعله، وكذلك يكون ذكر الله تعالى على ألسنة أهل الجنة. وسر ذلك أن قلوبهم قد تنورت بمعرفته، وأبصارهم قد تمتعت برؤيته، وقد غمرتهم سوابغ نعمته، وامتلأت أفئدتهم بمحبته ومخاللته، فألسنتهم ملازمة لذكره، وقد أخبر الله تعالى عن شأنهم في ذلك بقوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿**وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده، وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين**﴾ [الزمر/٧٤]، وقوله تعالى:

يحصل من الفم عند حصول الشبع (**ورشحا**) عرقًا (**كرشح المسك**).

قال القرطبي: وقد جاء في لفظ آخر: لا يبولون ولا يتغوطون وإنما هو عرق يجري من أعراضهم مثل المسك، يعني: من أبدانهم (**يلهمون التسبيح والتحميد**).

وفي رواية لمسلم: التسبيح والتكبير (**كما يلهمون النفس، يعني؛ أن تسبيحهم وتحميدهم يجري مع الأنفاس فليس عن تكليف وإلزام، وإنما هو عن تيسير وإلهام**) لأنها ليست دار تكليف (**ووجه التشبيه**) كما قال القرطبي في المفهم (**أن تنفس الإنسان لا بدّ له منه ولا كلفة ولا مشقة في فعله**) بل فيه لذة وراحة (**فكذلك يكون ذكر اللّه تعالى على ألسنة أهل الجنة، وسر ذلك**) أي: حكمته ونكتته (**أن قلوبهم قد تنورت بمعرفته، وأبصارهم قد تمتعت برؤيته وقد غمرتهم:**) غطتهم (**سوابغ نعمته، وامتلأت أفئدتهم بمحبته ومخاللته، فألسنتهم ملازمة لذكره**) ومن أحب شيئًا أكثر من ذكره، إلى هنا كلام المفهم، قال الأبي: فهو تسبيح تنعم وتلذذ (**وقد أخبر اللّه تعالى عن شأنهم في ذلك بقوله تعالىٰ في كتابه العزيز:** ﴿**وقالوا الحمد للّه الذي صدقنا وعده**﴾) [الزمر/ ٧٤]، بالجنة.

وقال البيضاوي: بالبعث والثواب (**وأورثنا الأرض:**) المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وإيراثها تمليكها مختلعة عليهم من أعمالهم أو تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه.

وروى ابن ماجه والبيهقي بسند صحيح عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللّه ﷺ: ما منكم من أحد إلاَّ له منزلان، منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿أولئك هم الوارثون﴾ [المؤمنون/ ١١]، (**نتبوأ:**) ننزل (**من الجنة حيث نشاء**) لأنها كلها لا يختار فيها مكان على مكان ويهدي اللّه كل أحد لمنزله فلا يختار سواه (**فنعم أجر العاملين**) الجنة (**وقوله تعالىٰ:** ﴿**دعواهم فيها**﴾) أي: طلبهم لما

﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾، [يونس/١٠]، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

يشتهونه في الجنة أن يقولوا: (**﴿سبحانك اللهم﴾**) أي: يا اللّه، فإذا ما طلبوه بين أيديهم (**﴿وتحيتهم﴾**) فيما بينهم (**﴿فيها سلام وآخر دعواهم أن﴾**) مفسرة (**﴿الحمد للّه رب العالمين﴾**) [الزمر/ ٧٤] الآية.

وفي البيضاوي: تحيتهم ما يحيي بعضهم بعضًا أو تحية الملائكة إياهم، ولعل المعنى؛ أنهم إذا دخلوا الجنة وعاينوا عظم اللّه وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال، ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز بأصناف الكرامات، أو اللّه تعالىٰ، فحمدوه وأثنوا عليه بصفات الإكرام. انتهى.

وفي الحديث المعضل الذي سبقت الإشارة إليه: بينما هم يومًا في ظل شجرة طوبى يتحدثون إذ جاءتهم الملائكة يقودون نجباً إلى أن قال: فأناخوا لهم النجائب، وقالوا لهم: إن ربكم يقرئكم السلام ويريدكم لتنظروا إليه وينظر إليكم وتكلموه ويكلمكم ويزيدكم من فضله ومن سعته، فيتحول كل رجل منكم على راحلته، فينطلقون صفًا معتدلاً إلى أن قال: فلما دفعوا إلى الجبار أسفر لهم عن وجهه الكريم وتجلى لهم في عظمته العظيمة تحيتهم فيها سلام، قالوا: ربنا أنت السلام ومنك السلام... الحديث.

(**فائدة**): وقع في كلام بعض الأئمة إن رؤية اللّه خاصة بمؤمني البشر؛ وأن الملائكة لا يرونه، واحتج له بقوله: تعالىٰ: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ [الأنعام/ ١٠٣]، فإنه عام خص بالآية والأحاديث في المؤمنين، فبقي على عمومه في الملائكة، قال في الحبائك: والأرجح أنهم يرونه فقد نص إمام أهل السنّة أبو الحسن الأشعري على أنهم يرونه.

وقال في البدور: وكذا نص عليه البيهقي في كتاب الرؤية، وأخرج عن عبد اللّه بن عمرو بن العاصي: خلق اللّه الملائكة لعبادته أصنافًا وإن منهم ملائكة قيامًا صافين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة وملائكة ركوعًا خشوعًا من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكة سجودًا من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة تجلى لهم تبارك وتعالى، فإذا نظروا إلى وجهه الكريم، قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك.

ثم أخرجه من وجه آخر بنحوه، عن رجل من الصحابة، عن النبي ﷺ، وفي آخره: فإذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم فينظرون إليه، قالوا: سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك، قال في الحبائك: وأما دخول الملائكة الجنة فمما لا خلاف فيه ولا مرية لأحد خلافًا لمن وهم فيه. انتهى.

قال مؤلفه وجامعه أحمد بن الخطيب القسطلاني -عامله الله بما يليق بكرمه-: فهذا آخر ما جرى به قلم المدد، من هذه المواهب اللدنية، وسطرته يد الفيض من المنح المحمدية، وذلك وإن كثر لقليل في جنب شرفه الشامخ، ويسير مما أكرمه الله به من فضله الراسخ، ولو تتبعنا ما منحه الله به من مواهبه، وشرفه به من مناقبه، لما وسعت بعض بعضه الدفاتر، وكانت دون مرماه الأقلام

(قال جامعه ومؤلفه) وفي نسخ مؤلفه وجامعه **(أحمد بن)** محمد **(الخطيب** بن أبي بكر محمد **(القسطلاني)** بفتح القاف وشد اللام على ما اشتهر، ولد كما ذكره شيخه السخاوي في الضوء اللامع بمصر ثاني عشر ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة وحفظ عدة كتب، وأخذ عن الشهاب العبادي والبرهان العجلوني والفخر المقسي والشيخ خالد الأزهري النحوي والسخاوي وغيرهم، وقرأ البخاري على الشهاوي في خمسة مجالس، وحج مرارًا وجاور بمكة مرتين.

وروى بها عن جمع جم، منهم النجم بن فهد وكان يعظ بجامع الغمري وغيره، ولم يكن له في الوعظ نظير. انتهى.

وله تصانيف كشرح البخاري، ثم اختصره في آخر سماء الإسعاد مختصر الإرشاد لم يكمل، وشرح صحيح مسلم إلى أثناء الحج والشاطبية والبردة وله مسالك الحنفا في الصلاة على المصطفى ولطائف الإشارات في القراءات الأربع عشرة وهذه المواهب اللدنية، وقدمت إسنادي إليه بها في أول هذا الشرح، وأعلاه شيخنا دراية.

ورواية عن أحمد بن خليل السبكي عن إجازة الشريف يوسف الأرميوني، عن المؤلف وشيخنا أبو عبد اللّه الحافظ البابلي إجازة عن النور الزيادي، عن أبي الحسن البكري، عن المصنف: ومات يوم الخميس مستهل محرم سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة بمنزله بالعينية، وتعذر الخروج به إلى الصحراء لأنه اليوم الذي دخل فيه السلطان سليم مصر، وكانت وفاته بشيء أصابه من البندق ودفن على الإمام العيني، وقوله: وجامعه بعد قوله: مؤلفه إشارة إلى أنه ليس له في تصنيفه إلاَّ مجرد الجمع من كلامهم، ولا ينافيه قوله: بعد أنه بفيض اللّه وإنعامه، لأن المعنى أنعم اللّه عليه بهدايته لأخذه من كلامهم وإطلاعه عليه **(عامله اللّه بما يليق بكرمه، فهذا آخر ما جرى به قلم المدد من هذه المواهب:)** جمع موهبة بكسر الهاء وهي العطية على جهة التمليك بلا عوض **(اللدنية وسطرته يد الفيض من المنح)** بكسر ففتح العطايا **(المحمدية، وذلك وإن كثر)** الواو للحال **(لقليل في جنب شرفه الشامخ)** الرفيع **(ويسير مما أكرمه اللّه به من فضله الراسخ)** الثابت **(ولو تتبعنا ما منحه)** أعطاه وخصه **(اللّه به من مواهبه وشرفه به من**

وجفت المحابر، وضاقت عن جمعه الكتب، وعجزت عن حمله النجب.

وعلى تفنن واصفيه بحسنه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وإلى الله أضرع أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم مخلصاً من شوائب الرياء ودواعي التعظيم: وأن ينفعني به والمسلمين والمسلمات في المحيا وبعد الممات، سائلاً من وقف عليه من فاضل أنار الله بصيرته، وجبل على الإنصاف سريرته، أن يصلح بحلمه عثاري وزللي، ويسد بسداد فضله خطئي

بعض بعضه الدفاتر:) الكراريس جمع دفتر **(وكانت دون مرماه الأقلام وجفت المحابر:)** جمع محبرة **(وضاقت عن جمعه الكتب وعجزت عن حمله النجب)** بنون وجيم وموحدة كرام الإبل، وأنشد المصنف قول العارف ابن الفارض:

(وعلى تفنن واصفيه بحسنه (يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف)

(وإلى الله تعالى) لا إلى غيره **(أضرع:)** أخضع وأذل **(أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم مخلصًا)** بضم الميم وسكون الخاء وفتح اللام، أي: مبعدًا **(من شوائب الرياء ودواعي التعظيم:)** جمع شائبة، والمراد بها هنا الأسباب التي يحصل بها الرياء **(وأن ينفعني به والمسلمين والمسلمات في المحيا والممات)** بالثواب، لأن تأليف الكتب من العمل الباقي بعد الموت، كما قيل في قوله ﷺ: «إذا مات ابن ءادم انقطع عمله إلا من ثلاث»، فذكر منها أو علم ينتفع به، وقد قال بعضهم: الأقسام السبعة التي لا يؤلف عالم عاقل إلاَّ فيها هي إما شيء لم يسبق إليه يخترعه، أو شيء ناقص يتممه أو شيء مغلق يشرحه أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه أو شيء مفرق يجمعه، أو شيء مختلط يرتبه، أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه. انتهى.

وكل ذلك داخل في قوله: أو علم ينتفع به بشرط كون العلم شرعيًا **(سائلاً من وقف عليه من فاضل أنار الله بصيرته)** هي قوة القلب المنور بنور القدس، يرى حقائق الأشياء وبواطنها بمثابة البصر للعين، يرى به صور الأشياء وظاهرها، قاله ابن الكمال، وقال الراغب: البصر الجارحة كلمح البصر والقوة التي فيها، ويقال: لقوة القلب المدركة بصيرة وبصر ولا يكاد يقال للجارحة بصيرة **(وجبل)** بفتح الجيم والباء طبع **(على الإنصاف سريرته أن يصلح بحلمه عثارى)** بعين مكسورة ومثلثة مصدر عثر إذا انعقل في ثوبه مثلاً فسقطت رجله عن الاستقامة، والمراد هنا الزلة، فقوله: **(وزللي)** عطف تفسير **(ويسد بسداد)** بكسر السين وفتحها **(فضله)**.

قال في المصباح: السداد بالكسر ما يسد به القارورة وغيرها، واختلف في سداد من عيش وسداد من عوز لما يرمق به العيش وتسد به الخلة، فقال ابن السكيت والفارابي، وتبعه

وخللي، فالكريم يقيل العثار، ويقبل الاعتذار، خصوصًا عذر مثلي، مع قصر باعه في هذه الصناعة، وكساد سوقه بما لديه من مزجاة البضاعة، وما ابتلي به من شواغل الدنيا الدنية، والعوارض البدنية، وتحمله من الأثقال التي لو حملها رضوى لتضعضع، أو أنزلت على ثبير لخشع وتصدع، لكنني أخذت غفلة الظلام الغاسق،

الجوهري بالفتح والكسر، واقتصر الأكثر على الكسر، منهم ابن قتيبة وثعلب والأزهري، لأنه مستعار من سداد القارورة (**خطئي وخللي**).

قال العلامة ناصر الدين اللقاني والمرتضى عندهم في إصلاح ما يقف عليه الناظر في كلام غيره التنبيه على ذلك بالكتابة في حاشية أو غيرها، لا المحو والإثبات من الأصل، إذ لعل الصواب ما في الأصل والتخطئة خطأ. انتهى.

ولذا قال شيخنا: ليس المراد أنه يغير ما يراه من الخلل، بل المراد أنه إذا رآه وأمكن الجواب عنه أجاب، وإلاَّ بين فساده واعتذر بأن الإنسان محل السهو والغفلة. انتهى.

وقد قيل بذلك ولو كان لحنًا أو خطًا محضًا في الحديث النبوي، لكن الأكثر من العلماء والمحدثين أنه يصلح ويقرأ الصواب، لا سيما في لحن لا يختلف المعنى به وهو الأرجح، لأنه ﷺ لم يقله، ومنهم من صوب إبقاءه مع التضبيب عليه (**فالكريم يقيل**) من الإقالة (**العثار**) بكسر المهملة (**ويقبل**) من القبول (**الاعتذار خصوصًا عذر مثلي مع قصر باعه في هذه الصناعة**) الحديثية (**وكساد سوقه**) عدم نفاقه ورواجه (**بما لديه**) أي: بسبب ما عنده (**من مزجاة البضاعة**) من إضافة الصفة للموصوف، أي: بضاعة مزجاة.

قال البيضاوي: ردية أو قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من أزجيته إذا دفعته، وفي المصباح: البضاعة بالكسر قطعة من المال تعد للتجارة، ففيه استعارة شبه العلم الذي حصله بمال قليل معد للتجارة فيه وطلب الربح منه والقليل في يد التاجر بعد حصول الربح منه، فلا اعتراض من كان بصفته وتعرض للتأليف بأن في عبارته سقطا أو غيره، قال هذا المصنف تواضعًا واعترافًا بالعجز، إذ له اليد الطولى في علوم عديدة ومصنفات كثيرة مستعملة مرغوب فيها من أجلها المواهب (**وما ابتلي به من شواغل الدنيا الدنية والعوارض البدنية**) من الأمراض، وذلك عذر كبير في حصول الخلل (**وتحمله من الأثقال التي لو حملها رضوى:**) بفتح الراء وإسكان المعجمة بوزن سكرى جبل بالمدينة (**لتضعضع:**) خضع وذل وافتقر كما في القاموس (**أو أنزلت على ثبير:**) جبل بمكة قرب المزدلفة (**لخشع وتصدع**) أي: تشقق، والقصد بهذا التمثيل لشدة ما أصابه حتى أنه لو حل بهذين الجبلين مع غلظهما وصلابتهما ما أطاقاه.

قال ذلك مبالغة في شدة البلايا التي أصابته (**لكنني أخذت غفلة الظلام الغاسق**) أي: الشديد السواد، أي: الغفلة الحاصلة للناس في شدة الظلام المانعة عن سعيهم في مصالحهم،

والليل الواسق، فسرقته من أيدي العوائق، والليل يعين السارق، واستفتحت مغالق المعاني بمفاتيح فتح الباري، واستخرجت من مطالب كنوز العلوم نفائس الدراري، حامدًا الله تعالى على ما أنعم وألهم وعلم ما لم أكن أعلم. مصليًا مسلمًا على رسوله محمد أشرف أنبيائه، وأفضل مبلغ لأنبائه، وعلى آله وأصحابه وأحبابه

فاشتغلت فيها بتصنيف هذا الكتاب وخصها لقلة المتاعب والأسباب المعوقة عن المطلوب غالبًا **(والليل الواسق:)** الجامع للدواب وغيرها، كاللصوص الذين تخشاهم الناس فيهابون الخروج فيه ويلزمون بيوتهم **(فسرقته من أيدي العوائق)** التي تعوقه عما يريده من الاشتغال به وجمعه **(والليل يعين السارق)** يمنع رؤية الناس له بظلامه حتى يتمكن من السرقة، ولذا فضل العشاق الليل على النهار، وقال الشاعر:

وكم لظلام الليل عندي من يد تخبر أن المانوية تكذب

(واستفتحت مغالق المعاني) أي: طلبت إزالة ما يمنع من إدراك الوصول إلى المعاني؛ بأن تعلقت بما يزيل اللبس والإشكال عنها حتى ظهرت لي وانكشفت، فعبرت عنها بألفاظ سهلة قريبة المأخذ واضحة الدلالات، وفي تسمية تلك الإشكالات المغطية للمعاين بالمغالق: جمع مغلاق بالكسر استعارة تحقيقية شبه الإشكالات المانعة من إدراك ما وراءها بما هو محفوظ فيها، واستعار لها اسمها **(بمفاتيح فتح الباري)** أي: بالبحث والتفتيش عما اشتمل عليه شرح البخاري لخاتمة الحفاظ ابن حجر، المسمى بفتح الباري وفيه تورية، حيث استعمل هذا اللفظ الذي هو علم لهذا الكتاب وأراد به فتح الباري جلا وعلا بإفاضة النعم عليه واستخراج المعاني الدقيقة من مواضعها ووضع ما يدل عليها في كتابه.

كذا قال شيخنا، أي: فالمراد مفاتيح فتح الباري سبحانه وتعالى على طريق الاستعارة وفيه التورية بذكر اسم الكتاب، لأن الأخذ منه من جملة نعم اللّه تعالىٰ **(واستخرجت من مطالب كنوز العلوم)** أي: الكتب المشتملة على العلوم كاشتمال المطالب على الأموال المكنوزة فيها **(نفائس الدراري)** أي: المسائل النفيسة المشبهة للدرر النفيسة المكنوزة **(حامدًا اللّه تعالى على ما أنعم)** أي: على إنعامه، ولم يتعرض للمنعم به إيهامًا لقصور العبارة عن الإحاطة به ولئلا يتوهم اختصاصه بشيء دون شيء **(وألهم وعلم)** يتعدى لمفعولين نحو: وعلم ءادم الأسماء كلها أولهما محذوف للقرنية، أي علمني **(ما لم أكن أعلم مصليًا مسلمًا على رسوله محمد أشرف)** أنضل **(أنبيائه وأفضل مبلغ لأنبائه)** بالهمزة المفتوحة لأخباره تعالى التي أمره بتبليغها، وليس الضمير للمصطفى كما هو بين، إذ المعنى أن الرسل كلهم بلغوا ما أمرهم اللّه بتبليغه وهو أفضلهم **(وعلى آله وأصحابه وأحبابه وخلفائه)** يحتمل أنه خاص على عام، ويحتمل المغايرة

وخلفائه صلاة لا ينقطع مددها، ولا يفنى أمدها.

والله أسأل أن ينفع به جيلاً بعد جيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل واستودع الله تعالى نفسي وديني وخواتيم عملي، وما أنعم به علي ربي، وهذا الكتاب، وأن

بجعل أحبابه من غير آله وصحبه لجريهم على سننهم وخلفائه القائمين بنشر أحاديثه وتبليغها للناس، كما ورد: والأئمة المقسطين من غير الصحابة **(صلاة لا ينقطع مددها ولا يفنى أمدها:)** غايتها.

قال مؤلفه رحمه اللّه تعالى ورفع درجاته في الجنان: وقد انتهت كتابة هذه النسخة المباركة النافعة إن شاء اللّه تعالى المنقولة من المسودة، المرجوع عن كثير منها مع زيادات جمة منَّ اللّه تعالى بها في خامس عشر شعبان المكرم سنة تسع وتسعين وثمانمائة، وتمت المسودة في الثاني من شوال سنة ثمان وتسعين وثمانمائة وكان الابتداء في المسودة المذكورة ثاني يوم من قدومي من مكة المشرفة صحبة الحاج في شهر محرم سنة ثمان وتسعين وثمانمائة) وفي هذا همة علية جدًا من المصنف رحمه اللّه، يبدأ عقب السفر غير مبالٍ بالتعب، ثم يتم جزئين في نحو تسعة أشهر، فذكره لهذا من باب التحدث بالنعمة **(واللّه)** بالنصب قدم على عامله وهو **(أسأل)** لإفادة التخصيص عند البيانيين، والحصر عند النحويين كما قاله الزمخشري: في إياك نعبد، أغير اللّه تأمروني أعبد، أغير اللّه أبغي ربًا لإلى اللّه تحشرون، خلافًا لابن الحاجب في أنه للاهتمام، قال: ولا دليل على كونه للحصر، قال بعضهم: دليله الذوق وفهم أئمة التفسير مع حصول الاهتمام أيضًا، إذ لا ينافي الاختصاص **(أن ينفع به جيلاً)** بكسر الجيم وسكون التحتية أمة **(بعد جيل)** ويجمع على أجيال، وفيه محض الإخلاص بتأليفه وأنه لم يترقب عليه منفعة من مخلوق ولا قصد به التوسل إلى القرب منهم كعادة كثير من المؤلفين، وسلك سنن الأئمة في الدعاء بالانتفاع بتأليفه لتحصل الثمرة به عاجلاً بالانتفاع به في الدنيا وآجلاً بالثواب الجزيل بفضل اللّه في الأخرى لئلا يذهب عناؤه باطلاً، والظن بجميل صنع اللّه تعالى قبول دعوته، فإن اللّه تعالى قد نشر ذكره في الآفاق وجبل قلوب كثير من الخلق على محبته والاشتغال به وهي من علامات القبول وتعجيل بشرى المؤمن وإلا فكم من تأليف حسن طوي ذكره ولم يشتغل به، والرجاء منه تعالى أن يتم الإنعام بالإحسان الأخروي **(وحسبنا اللّه)** كافينا **(ونعم الوكيل)** المفوض إليه الأمر، وأتى بها استعانة لوقوعه في أمر عظيم هل يقبل تأليفه وينتفع به، وقد دلت الآية على استحباب هذه الكلمة عند الغم والأمور العظيمة.

وروى ابن مردويه من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إذا وقعتم في أمر عظيم، فقولوا: حسبنا اللّه ونعم الوكيل»، قاله في الإكليل **(وأستودع اللّه تعالى نفسي وديني وخواتيم عملي وما**

ينفعني به والمسلمين، وأن يردني وأحبابي إلى الحرمين الشريفين على أحسن وجه وأتمه، وأن يرزقني الإقامة بهما في عافية بلا محنة، وأن يطيل عمري في طاعته، ويلبسني أثواب عافيته، ويجمع لي وللمسلمين بين خيري الدنيا والآخرة، ويصرف عني سوءهما، ويجعل وفاتي ببلد رسوله، ويمنحنا من المدد المحمدي بما منحه

أنعم به عليّ ربي) أي: أكل ذلك كله إلى الله وأتبرأ من حفظه وأتخلى من حرسه وأتوكل عليه، فإنه تعالى الوافي الحفيظ إذا استودع شيئًا حفظه، وفيه إلماح إلى أنه مسافر من الدنيا، وقد كان ﷺ يقول للمسافر: «استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك».

رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، وصححه الحاكم على شرطهما **(بهذا)** التأليف؛ **(وأن ينفعني به والمسلمين)** ذكر السؤال بالنفع ثلاث مرات، لأن الله يحب الملحين في الدعاء، وأقل الإلحاح ثلاث مرات؛ **(وأن يردني وأحبابي إلى الحرمين الشريفين على أحسن وجه وأتمه، وأن يرزقني الإقامة بهما في عافية بلا محنة:)** بلية واختيار **(وأن يطيل عمري في طاعته)** لأنها خير الزاد موجبة للسعادة الأبدية.

روى الحاكم عن جابر، قال ﷺ: ألا أخبركم بخياركم؟، قالوا: بلى، قال خياركم أطولكم أعمارًا وأحسنكم أعمالاً».

وروى أحمد والترمذي وقال حسن صحيح والحاكم، وقال على شرطهما عن أبي بكرة رفعه: «خير الناس من طال عمره وحسن عمله، وشر الناس من طال عمره وساء عمله» **(ويلبسني أثواب عافيته)** لأقوى بها على طاعته.

روى أحمد والترمذي عن العباس أنه ﷺ قال له: يا عباس يا عم رسول الله سل الله العافية في الدنيا والآخرة.

ولأحمد والترمذي عن الصديق: قام فينا رسول الله ﷺ عام أول على المنبر، فقال: سلوا الله العفو والعافية، فإن أحدًا لم يعط بعد اليقين خيرًا من العافية.

وللنسائي وابن ماجه عن أنس رفعه: «سل ربك العافية والمعافاة في الدنيا والآخرة، فإذا أعطيت المعافاة في الدنيا وأعطيتها في الآخرة فقد أفلحت» **(ويجمع لي والمسلمين بين خيري الدنيا والآخرة ويصرف عني سوءهما)** وعن المسلمين: ففيه اكتفاء **(ويجعل وفاتي ببلد رسوله)** ولم يقع ذلك، بل مات بمصر كما مر، ولكن الرجاء من كرم الله وجوده أن يعوضه عن هذه الدعوة.

وقد روى أحمد وصححه الحاكم عن أبي سعيد، رفعه «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلاّ أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها».

عباده الصالحين مع رضوانه، ويمتعنا بلذة النظر إلى وجهه الكريم من غير عذاب يسبق، فإنه سبحانه إذا استودع شيئًا حفظه، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وللحاكم عن جابر مرفوعًا في حديث طويل: «فلا يدعو المؤمن بدعوة إلاَّ استجيب له، إما أن تعجل له في الدنيا وإما أن تدخر له في الآخرة»، فيقول المؤمن في ذلك المقام: يا ليته لم يكن عجل له شيء من دعائه، وتعجيلها في الدنيا شامل لعين المسؤول، ولبدله بدليل قوله في الحديث قبله: وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها.

ولذا قال الحافظ: إن الإجابة تتنوع، فتارة بعين المطلوب فورًا، وتارة يتأخر لحكمة فيه، وتارة يغير عين المطلوب حيث لا مصلحة فيه، وفي الواقع مصلحة ناجزة أو أصلح منها **(ويمنحنا من المدد المحمدي بما منحه)**: أعطاه **(عباده الصالحين مع رضوانه، ويمتعنا بلذة النظر إلى وجهه الكريم من غير عذاب يسبق، فإنه سبحانه إذا استودع شيئًا حفظه)**.

روى أحمد عن ابن عمر، رفعه: إن لقمان الحكيم قال: إن اللّه إذا استودع شيئًا حفظه **(والحمد للّه وحده وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم)** هذا وقد منَّ اللّه سبحانه وتفضل على عبده مع عجزه وضعفه بإتمام هذا الشرح المبارك إن شاء اللّه تعالى في مدة طويلة جدًا آخرها يوم الاثنين المبارك بين الظهر والعصر ثالث عشري جمادى الثانية سنة سبع عشرة بعد مائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل صلاة وتحية، واللّه أسأل من فضله متوسلاً إليه بأشرف رسله أن يجعله لوجهه خالصًا وأن يظلني في ظل عرشه، إذ الظل أضحى في القيامة قالصًا، وأن ينفع به إلى المعاد وأن يثيبني والمسلمين به في يوم التناد، وأن ينفع به نفعًا جمًا ويفتح به قلوبًا غلفًا وأعينا عميًا وآذانًا صمًا، وأعوذ باللّه من حاسد يدفع بالصدر، فهذا للّه لا لزيد ولا لعمرو قد سار بنعمة اللّه قبل كمال نصفه سير الشمس في المشارق والمغارب، وتقطعت أوراقه قبل إكماله بكثرة من له كاتب، وكتب منه نسخ لا تحصى من خطى ومن فروعه، فرحم اللّه تعالى من نظر إليه بعين الإنصاف والتمس مخرجًا لما يراه من زلل وإتلاف، فإني لجدير بأن أنشد قول القائل:

حمدت اللّه حين هدى فؤادي ... لما أبديت مع عجزي وضعفي
فمن لي بالخطأ فأرد عنه ... ومن لي بالقبول ولو بحرف

وأعوذ برب الفلق من شر ما خلق إلى تمام السورتين، فما أجدرني بإنشاد قول من قال من أهل الكمال:

إني لأرحم حاسدي لفرط ما ... ضاقت صدورهم من الأوغار

قال مؤلفه رحمه الله: وقد انتهت كتابة النسخة المنقول منها النسخة المباركة النافعة إن شاء الله تعالى في خامس عشر شعبان المكرم سنة تسع وتسعين وثمانمائة، وكان الابتداء في المسودة المذكورة ثاني يوم قدومي من مكة المشرفة،

نظروا صنيع اللّه بي فعيونهم في جنة وقلوبهم في نار
لا ذنب لي قد رمت كتم فضائلي فكأنما علقتها بمنار

لكن من يكن اللّه تعالى هو المعين له وتوكله عليه لا يضره حسد الحاسدين ولا كيد المبغضين، يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، أسألك أن تجعله لك خالصًا، ومن أسباب الفوز والرضا لك ولرسولك، وأن تريني وجهك ووجه حبيبك في القيامة، وأن ترزقني العافية في الدارين والمعافاة والسلامة ما شاء اللّه لا قوة إلاَّ باللّه وسلام على المرسلين والحمد للّه رب العالمين وصلى اللّه وسلم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد للّه رب العالمين آمين تم.

الحمد لمنزل القرءان الكريم وأفضل الصلاة وأتم التسليم على ذي الخلق العظيم ومن هو بالمؤمنين رؤوف رحيم وبعد: حمدًا للّه على آلائه والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه، فقد تم بعون منزل السبع المثاني طبع الشرح الرقيق المباني المحرر الأساليب والمعاني، المنسوب للإمام المسدد والهمام الجهبذي الممجد، صاحب التآليف الرائقة والتصانيف الفائقة، المشهور فضله عند القاصي والداني شمس الملة والدين سيدي محمد الزرقاني على المواهب اللدنية للإمام القسطلاني قدس اللّه روحهما ونور بالرضوان ضريحهما.

وهذا الكتاب البديع الرائق السهل المنيع الفائق، قد جمع من تاريخ المصطفى وسيرته ونسبه الشريف وسننه وأخلاقه وأسمائه وهديه وطريقته وطبه وخصائصه وبلاغته وفصاحته وبعوثه وسراياه وغزواته وعباداته وإرهاصاته ومعجزاته وسائر أحواله الشريفة وما يتعلق بحضرته السنية المنيفة ما لا يكاد يحويه بهذا النمط مؤلف ولا يستوعبه على هذا الوجه مصنف، فيا له من كتاب حلت بتكرير الطبع مشاربه وبزغت في سماء الفضل شموسه وكواكبه، وقد حليت طرره ووشيت غرره بالكتاب المسمى زاد المعاد في هدى خير العباد للإمام الحافظ النقاد الذي حظي من مواهب العرفان ما له في العالم استيعاد العلامة الهمام شيخ الإسلام شمس الدين أبي عبد اللّه محمد بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية وكان طبعه الباهر الجليل وإفراغه في هذا القالب الجميل بالمطبعة العامرة الأزهرية الكائن محلها بجوار الرياض الأزهرية إدارة حضرة مصطفى بك شاكر وأخيه،) لا زالت الأيام مضيئة بشموس علاهم والليالي منيرة ببدور حلاهم، وذلك في شهر صفر الخير سنة ١٣٢٩ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية آمين.

صحبة الحاج في شهر محرم سنة ثمان وتسعين وثمانمائة، والحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. آمين.

بعونه تعالى تم الكتاب

الفهرس